دايفيد بويل

الحرب العالمية الثانية

بالصور



جرّوس برس ناشرون
Jarrous Press Publishers

الحرب العالمية الثانية

بالصور

دايڤيد بويل

ترجمة: مروان سعد الدين





دايڤيد بويل





ترجمة: مروان سعد الدين

الكتاب: الحرب العالمية الثانية بالصور
الموضوع: تاريخ
مؤلف الكتاب: دايفيد بويل
مترجم الكتاب: مروان سعد الدين
عدد الصفحات: 600

يتضمن هذا الكتاب ترجمة للأصل الإنكليزي

World War II in Photographs

شارع جميل عدرة ، باسل سنتر
ص.ب.:189، طرابلس، لبنان
تلفاكس: 208205 6 +961
jarrous.press@gmail.com
info@jarrouspress.com
www.jarrouspress.com
ISBN 978-9953-587-55-4

المحتويات



آلة التصوير في الحرب

نيسان 1940، ظهرت صورة جوية لمدينة برغن تحت سيطرة النازيين في صحيفة ديلي ميرور (Daily Mirror) البريطانية. يقول التعليق: «نحن نقصف برغن في الأسفل. عندما تنظرون إلى الصورة، تشتركون عملياً في الغارة – لأنكم ترون ما يراه الطيّارون من القمرة بالضبط».

كانت تجربة جديدة نسبياً لقرّاء الصحف والمجلات أن يروا ما يشاهده طيّارون وجنود وبحّارة بأنفسهم. في أثناء الحرب العالمية الثانية، نُقلت حقيقة المعركة إلى مدنيين في الوطن يوماً بعد آخر – لأن المدنيين كانوا بأنفسهم غالباً على «خط الجبهة».

كانت تلك، بالمحصلة، أول حرب تصويرية حقاً. واجه مصّورو الحرب الكبرى صعوبات عديدة: لم يكن استعمال معدّات آلات التصوير سهلاً، ووقت التقاط أفلامهم للصور بطيء نسبياً



مصوّررو الجيش الأمريكي في أثناء العمل



شباط 1945: مشاة البحرية الأمريكية ينزلون على أيوا جيما، تصوير النقيب نيل غيلسبي.

- بالكاد ما يلزم لتصوير حركة. حتى عندما كانوا يلتقطون صورة جيدة، كانت تخضع لرقابة صارمة من السلطات العسكرية، التي لم تكن تثق بهذا النوع الجديد نسبياً من التقارير. لكن بعد جيل، تحسّنت التقانة كثيراً: أصبح تصوير الحركة ممكناً آنذاك، ويمكن وضع آلات التصوير في جيب. كان تحسّن النقل والاتصالات يعني أيضاً أنه يمكن إرسال الصور بسرعة إلى المجلات المصوّرة الجديدة واسعة الانتشار - لايف (Life) في الولايات المتحدة الأمريكية، وبكتشر بوست (Picture Post) في بريطانيا، وسيغنال (Signal) في ألمانيا.

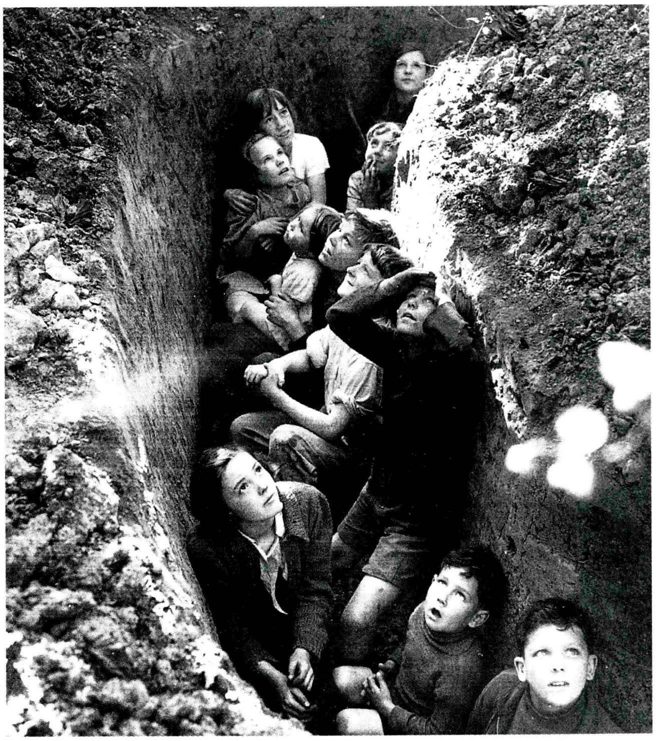
كان لصور الحرب العالمية الثانية محفّزات عديدة مختلفة. في أثناء التحضير للحرب، أدرك النازيون إمكانيات التصوير بوصفه سلاحاً دعائياً. كان أدولف هتلر، مثلاً، مهوّساً بتقديم الصورة المثالية عن نفسه للأجيال الآتية، وحظر الصور التي تُظهره يضع نظارة أو يرتدي سروالاً جلدياً قصيراً. قال في حديث جانبي مع وينستون تشرشل: «لا يمكن أن تتحوّل إلى تمثال مع سيجار في فمك». خصّص وزير الدعاية النازية جوزيف غوبلز سرية للدعاية (ب ك) في كل وحدة عسكرية، لكل منها أكثر من 100 مركبة ومراسلون على دراجات نارية لنقل الأفلام إلى أقرب قاعدة جوية. كانت كل صورة يلتقطها مصوّرو الجيش الألماني تخضع إلى تدقيق وفقاً



1941: صورة معدّة سلفاً لاستسلام إيطالي.



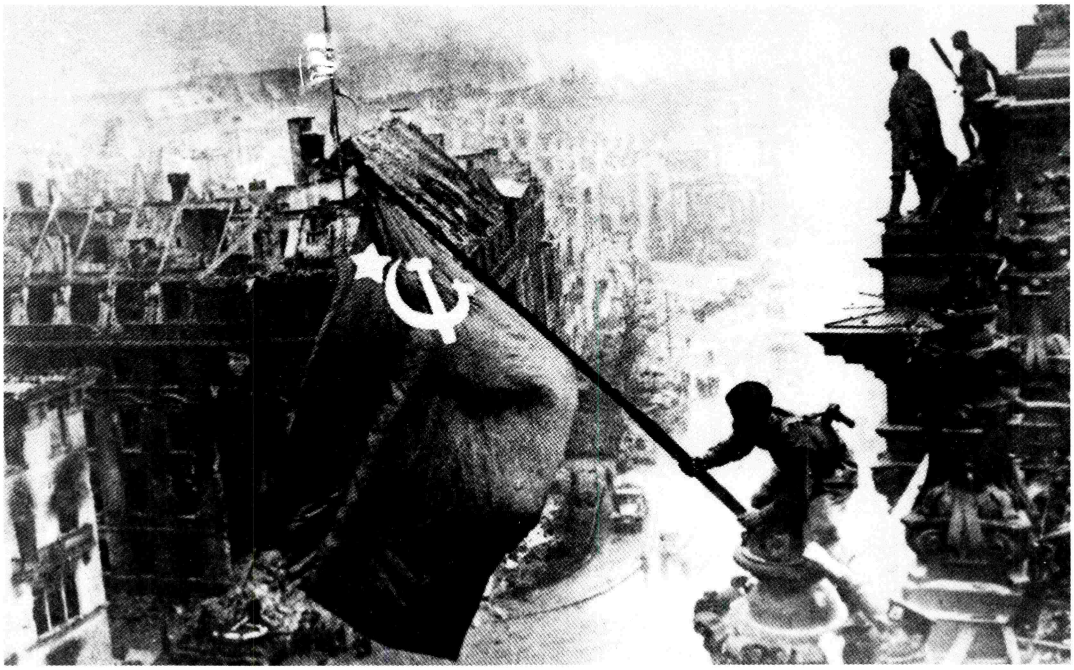
الروح العالية في أثناء الحرب الخاطفة، لندن، تشرين الثاني 1940.



أطفال بريطانيون يحتمون من غارة جوية، كنت 1940.



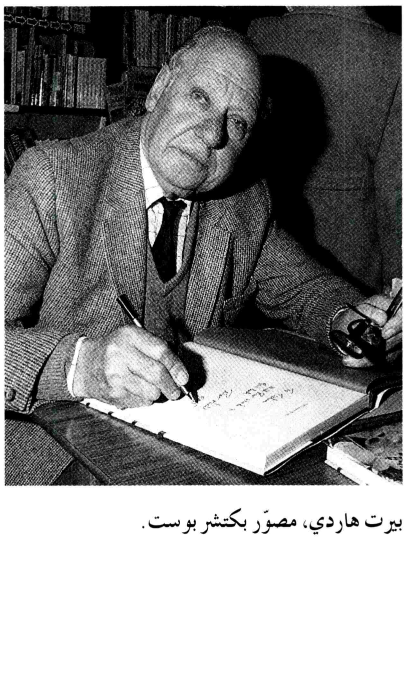
1941: صورة من الجيش البريطاني عن جنود يندفعون عبر شوارع البردية، ليبيا.



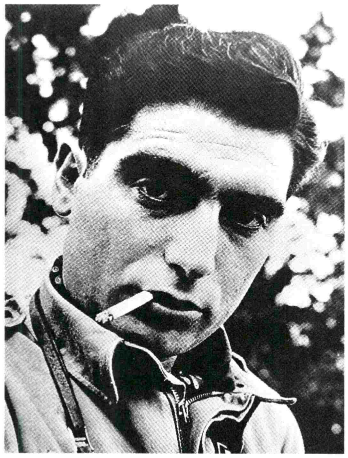
30 نيسان 1945: الراية السوفيتية تُرفع على مقر الرايخستاغ، لمصوّر الجيش الأحمر يافينجي خالدي.

لتأثيرها المحتمل على الجهد الحربي، واعتمد الروس سياسة مشابهة. لكنّ عملَ المرء مصوراً لنظام استبدادي قد يكون خطراً، إذ كان مصوّرون عسكريون ألمان يفتقرون إلى «الحماس» الإيديولوجي يُرسلون إلى الجبهة الروسية، في حين يواجه مصوّرون روس الإعدام إذا قدّموا صوراً «إنهزامية».

في الغرب الديمقراطي، كان الموقف من المصوّرين الرسميين أكثر تسامحاً، فالاعتقاد الشائع هناك أن الحقيقة هي أفضل دعاية – برغم أن موضوعات قد تترك أثراً سلبياً على المعنويات، مثل قتلى الحرب، كانت تعد حسّاسة جداً. أظهر الجيش الأمريكي اهتماماً بالغاً بوجود مصوّرين في صفوفه، وكانوا يخضعون لتدريب مدته أربعة شهور، ويمنحون رتبة ضباط (كان مصوّرو لايف عقداء) ومعاملة مشاهير. لم يكن الجيش البريطاني، من جهة أخرى، يهتم بالقدر نفسه للمصورين: لم يضم إلى صفوفه إلا 40 منهم عند اندلاع الأعمال القتالية – وبقوا رقباء طوال الحرب.



بيرت هاردي، مصوّر بكتشر بوست.

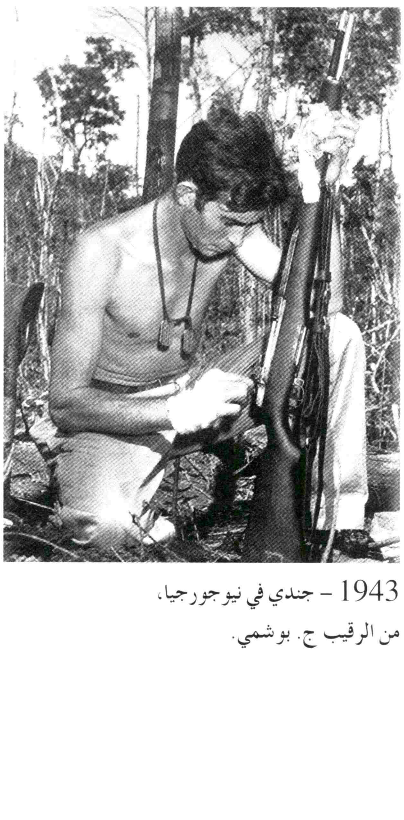


روبرت كابا من مجلة لايف.

برغم التطوّرات التكنولوجية، بقي تصوير المعارك صعباً جداً. لم يكن لدى كثير من المصوّرين ميزة الزوم [تقريب وتبعيد] أو عدسات مقرّبة، ثم إنهم اضطروا إلى تصوير الأحداث الحقيقية من مسافة قريبة. لم يكن مفاجئاً أن يجد مصوّرين رسميين على كلا الجانبين أنفسهم «يصوّرون» بعض المشاهد خلف خط الجبهة مباشرة.

بالمقارنة، كان لدى العدد المتزايد من المصوّرين الصحفيين سبب وجيه لحماية سمعتهم: ستظهر أسماؤهم تحت الصور المنشورة. كان بعض المصورين الرائعين حقاً فاعلين في الحرب العالمية الثانية: كارل ميدانس على الجبهة الروسية–الفنلندية، وبيرت هاردي في لندن في أثناء الحرب، وجورج روجر في صحراء شمالي أفريقيا وفي بلسن، ورالف مورس في جوادالكانال، ويوجين سميث في المحيط الهادئ، ويافينجي خالدي مع الجيش الأحمر في برلين – والقائمة تطول. بحلول نهاية الحرب، كان يعمل لمصلحة مجلة لايف مصوّرون في الميدان أكثر من كل باقي الصحف الأمريكية مجتمعة، وفيهم روبرت كابا؛ الذي فسدت صوره عن شاطئ أوماها يوم الهجوم في سخّانة غرفة مظلمة في لندن، ولم يبق منها إلا 11 صورة مشوّهة.

نما تأثير المصوّرين الصحفيين مع استمرار الحرب. في 1939، فرضت ألمانيا قيوداً منعت



1943 – جندي في نيوجورجيا، من الرقيب ج. بوشمي.



1945 – جنود أمريكيون في باناي، من الملازم روبرت فيلدز.



تموز 1941: لندن بعد غارة جوية، من إدوارد ورث.

بموجبها نشر أي صورٍ تقريباً عن غزو بولندا، لكن تأثير الرقابة النازية بدأ يذوي حين أدركوا أنه يمكن تفسير الصورِ بطرق متنوّعة. مثلاً، استخدم البريطانيون الصورة الشهيرة لكاتدرائية القديس بول في دخان قصف لندن، التي صوّرها هربرت ماسون من أعلى مبنى ديلي ميل (Daily Mail)، على أنها رمز للتحدّي في حين عدّها الألمان رمزاً لدمار لندن.

التقط هواةٌ ومشاهدون عدداً كبيراً من صور الحرب أيضاً. كان الألمان واثقين جداً بالنصر النهائي في روسيا وسمحوا لجنودهم بحمل آلات لايكا خاصتهم، وبحلول نهاية الحرب كان نصف كل جنود الحلفاء يأخذون آلات تصوير إلى المعركة. إضافة إلى الصحافة، ضَمِنَ هؤلاء الهواة أن تظهر حقيقة الحرب في وسائل الإعلام المطبوعة. خاضت لايف معركة ناجحة استغرقت ستة شهور لنشر صورة من مجنّد أمريكي يظهر فيها ثلاثة قتلى من رفاق السلاح على أحد شواطئ المحيط الهادئ، وكان المصوّر الصحفي المحلي المدني يوشيتو ماتسوشيجي أول من صوّر التأثيرات المرعبة للقنبلة الذرّية على هيروشيما.

بغض النظر عن ظروف التقاطها، توضّح الصور في هذا الكتاب فوتوغرافياً الجوانب المتعدّدة لأكبر نزاع في العالم. إنها تُصوّر نقيضَي السلوك البشري – المعاناة والقسوة المدهشتين إضافة إلى البطولة اليومية وصمود مئات آلاف الأشخاص. تعدُّ مثل هذه الصورة «شواهد» أكثر من سجلات مكتوبة أو شروح مطوّلة – وعبر ذلك، تقدّم تحذيراً يأتي من التاريخ.

أوروبا
الحرب ضد الفاشية





الطريق إلى الحرب

بذور النزاع

نُثرت بذور الحرب العالمية الثانية في أعقاب الحرب الكبرى مباشرة. زعمت بريطانيا وفرنسا وأمريكا تحقيق النصر منذ مذبحة الجبهة الغربية، وكانت في موقع إملاء شروط على ألمانيا الفقيرة والمتضوّرة جوعاً، وصيغت تلك الشروط في معاهدة فرساي (1919). حُظر التجنيد الإلزامي في الجيش الألماني، وفُرض على ولاية الراين؛ جزء مهم جداً من البلاد، أن تكون منطقة منزوعة السلاح، وأُرغمت الدولة الألمانية على دفع تعويضات باهظة. بدلاً من إرساء سلام مقنع، غذّت هذه الإجراءات القسوة والكراهية، ورأى الشعب الألماني شروط الاتفاقية على أنها انتقام قاس من المنتصرين، وكانت العبارة السائدة في ذلك الوقت عن ألمانيا هي «هيرلوس، ويهرلوس، إهرلوس» – «منزوعة السلاح، منزوعة الحماية، منزوعة الكرامة».



مُلصق يحتفل بإنجاز هتلر «إعادة ألمانيا إلى العمل»





الاشتراكيون الوطنيون يجمعون تبرّعات ضد «الجوع والبرد» في شوارع برلين

ربما كان ممكناً نسيان مثل تلك الضغائن تدريجياً، لولا الكساد الكبير، الذي أرغم معظم الدول الصناعية الغربية على وقف العلاقات التجارية مع بلدان أخرى. تعرّضت ألمانيا تحديداً، الضعيفة أصلاً نتيجة التزامها بشروط معاهدة فرساي، إلى أزمة خانقة. في العشرينيات، ارتفعت البطالة إلى ستة ملايين شخص، وانخفضت قيمة المارك كثيراً، وأضحت التجارة الدولية، في ذلك الوضع، تعتمد على نظام المقايضة البدائي.

إضافة إلى الفوضى الاقتصادية، عانت ألمانيا نزاعاً سياسياً مريراً، فقد أثّرت مُثل الثورة الروسية على الطليعة الفكرية الألمانية الليبرالية، وخاض عمّال مضربون بقيادة شيوعيين والشرطة معارك مستمرة في شوارع برلين. أصبح العامّة مقتنعين بعدم قدرة الحكومة الديمقراطية السيطرة على الأحداث، وبالنسبة إلى ملايين الألمان أمسى حلم وجود حاكم قوي وحازم مغرياً جداً.

كان هناك كثير من جماعات اليمين المتطرّف الراغبة بجعل الحلم حقيقة، وأفضلها تنظيماً هو الحزب الاشتراكي الوطني (النازي)، الذي اكتسب شهرة كبيرة في 1923 حين أُودع أحد قادته؛ عريف سابق في الجيش ضعيف البنية له شارب مثل فرشاة الأسنان ويدعى أدولف هتلر، السجن لمحاولته تنفيذ انقلاب في ميونخ.



مطابخ حساء أُقيمت في شوارع برلين لضحايا الكساد الكبير.

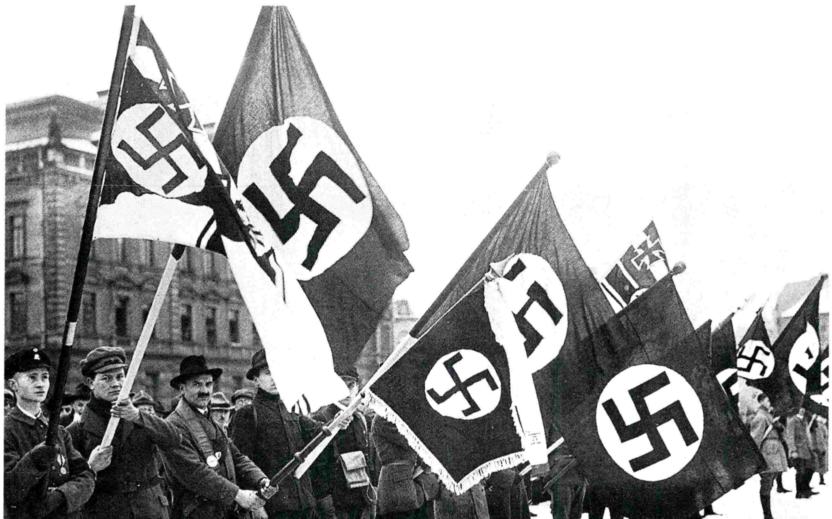


منتصف العشرينيات: اشتراكيون وطنيون في ميونيخ.





مستشار الرايخ الجديد يدلي بخطاب ناري كالمعتاد



1933: عمّال الاشتراكي الوطني يلوّحون براية الصليب المعقوف في ميونيخ.



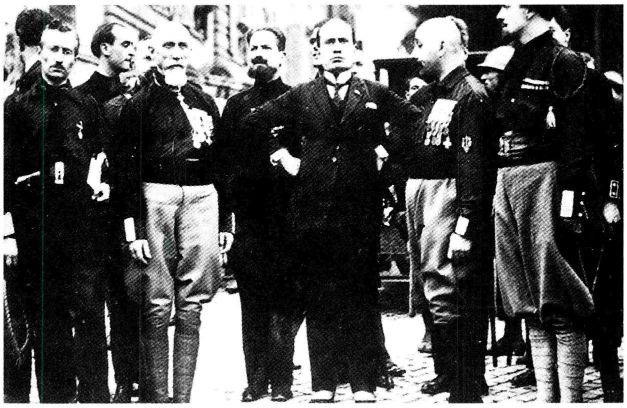
كانون الثاني 1933: هتلر يحتفل بتنصيبه مستشاراً للرايخ

حريق الرايخستاغ في 27 شباط 1933





آب 1934: وفاة الفوهرر هيندنبورغ.



العشرينيات: موسوليني وعصبة القمصان السود في روما.

في السجن، دوّن هتلر عقيدته السياسية في كتاب بعنوان مين كامبف (كفاحي). عندما أُطلق سراحه، شرع فوراً في إحكام سيطرته الشخصية على الحزب النازي وإعداد برنامج سياسي سيجذب قسماً مهماً من جمهور الناخبين الألمان. زعم وقوفه إلى جانب المظلومين، والمقهورين، والمضطهدين – دعم أصحاب المحال البسطاء ضد المصارف العالمية والمزارعين ضد «الانحلال الأخلاقي» للمدن. شجب شروط معاهدة فرساي، وقدّم كبش فداء ملائم للانهيار العالمي – «اليهودية العالمية». شدّد على الجذور العرقية المشتركة للألمان «الحقيقيين»، وأعلن مفهومه ليبنسراوم – «المجال الحيوي».

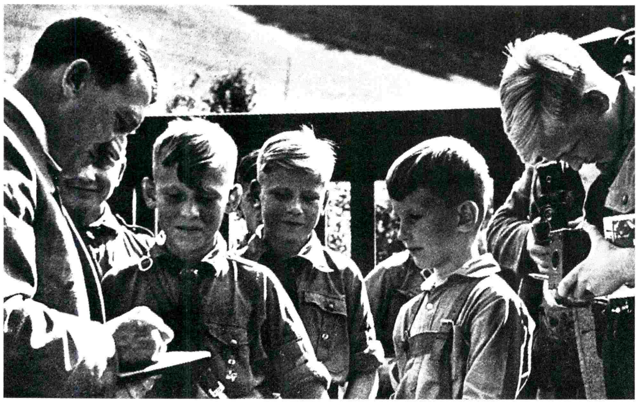
في كانون الثاني 1933، أصبح أدولف هتلر مستشار الرايخ، بعد حصوله على أصوات أكثر من ثلث الناخبين الألمان لذلك المنصب. بعد أيام من تولّيه السلطة، قدّم عرضاً عن «قوته» بإعلان أن كل اجتماعات الشيوعيين الألمان غير قانونية.



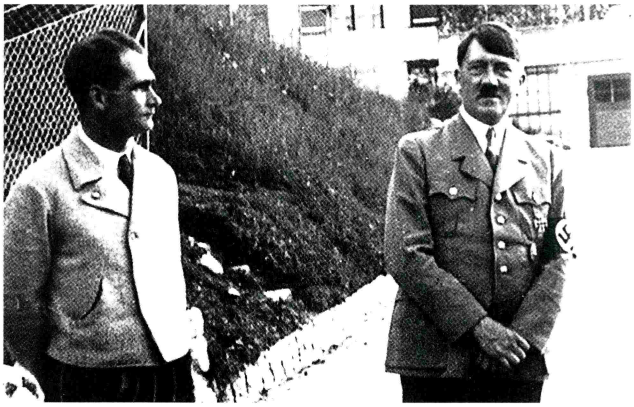
موسوليني يدخل أديس أبابا، أيار 1936

بعد أربعة أسابيع، في 27 شباط، اشتعلت النيران بمبنى البرلمان الألماني؛ الرايخستاغ، واستعمل هتلر الحريق عذراً لينتقم من أعدائه. استُدعيت قوات القمصان البنية (إس إ)، واعتُقل العديد من الشيوعيين في تلك الليلة نفسها، وخضع أربعة منهم إلى «محاكمة» وأُعدموا. منحت الانتخابات العامة التي تلت الحادثة هتلر والحزب النازي سيطرة كاملة على البلاد.

كانت قصص عن موقف النازيين من اليهود تنتشر آنذاك في أوروبا، لكن طبيعة الحكومة الألمانية الجديدة لم تتضح إلا



منتصف الثلاثينيات: هتلر يهدي توقيعه إلى أعضاء في شباب هتلر.



الفوهرر مع أحد المقرّبين: رودلف هس.

بعد أن طهّر هتلر حزبه في صيف 1934. لقي أكثر من 1000 خصم ومنافس محتمل على السلطة حتفهم رمياً بالرصاص. عندما اعتُقل قائد القمصان البنية إرنست روم وزُجّ في السجن بأمر من هتلر، شعرت الأحزاب الفاشية في طول أوروبا وعرضها بموجات الصدمة.

في نهاية العام، بعد معاناته الخرف التام بضعة شهور، توفي رأس الدولة الألمانية المارشال هيندنبورغ واعتمد هتلر لقب فوهرر الرايخ.

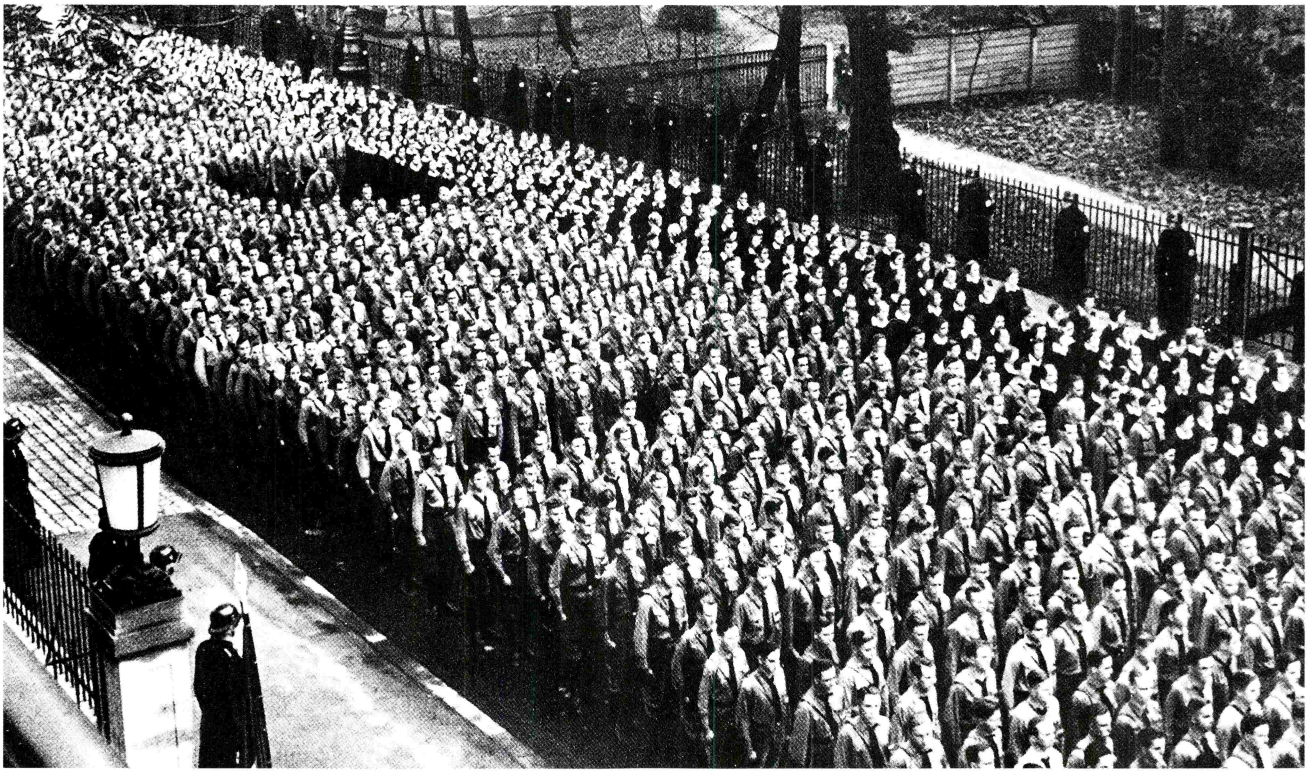
في الأعوام الأولى من قيادته، وسّع هتلر سيطرته لتطال كل مناحي الحياة الألمانية. حُلّت كل الأحزاب السياسية، واستُعيض عن نقابات العمال بـ«جبهة العمل» التي تديرها الدولة. أُلغيت حكومات الحكم الذاتي المحدود للأقاليم الألمانية، وأُعلن أن الحزب النازي والدولة الألمانية واحد لا انفصام بينهما. أجرى هتلر أيضاً تغييرات في الجيش: كان على الجنود الألمان أن يُقسموا على «الطاعة المطلقة لـ أدولف هتلر، قائد الرايخ والشعب».



قائد «إس إ» إرنست روم.

خضعت تلك المؤسسات القليلة التي هدّدت بتحدّي سلطته، مثل الكنيسة، إلى رقابة صارمة. قال هتلر، حين اتُهم عالم الدين البروتستانتي مارتن نيمولر بالتخريب: «هذه آخر مرة ستقرّر فيها محكمة ألمانية براءة شخص أكون قد أعلنت أنه مذنب».

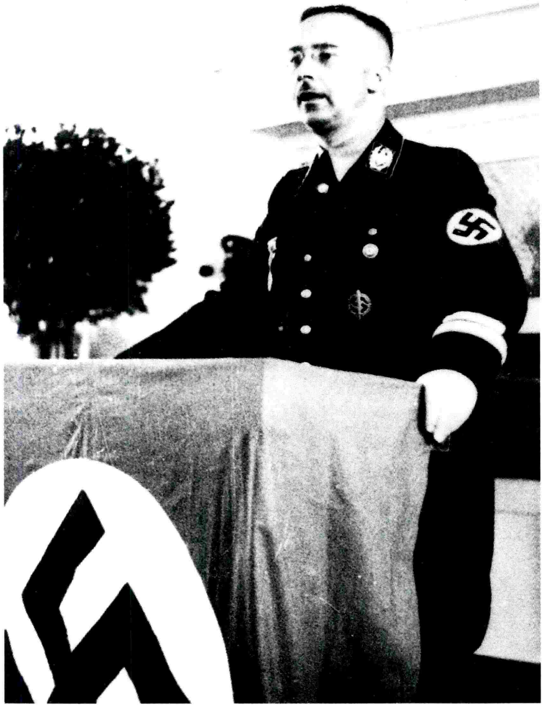
في ألمانيا تحت حكم النازية، كان يجب أن تكون معارضة هتلر سرية – مسألة همسات ونظرات، فهناك الكثير مما يخشاه المعادون للنازية. قد تقود دعابة عن الفوهرر إلى اتهام واعتقال – والجواسيس في كل مكان. كان الناس يُشجّعون على مراقبة جيرانهم باعتبار ذلك



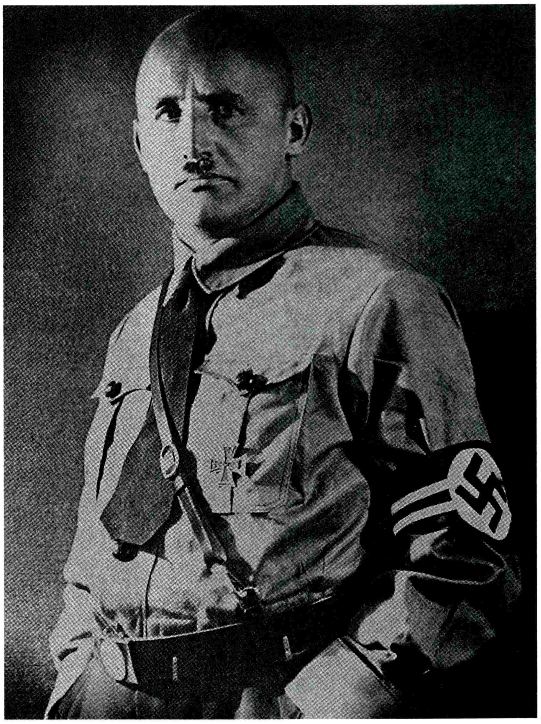
استعراض عسكري نازي في شوارع برلين.



فاشيون إيطاليون في جولة في ألمانيا.



هاينريش هيملر، رئيس «إس إس».



يوليوس شترايخر، محرّر دير شتورمر.

عملاً وطنياً، والأطفال يكافَؤون للإبلاغ عن آبائهم. أُنشئت أولى معسكرات الاعتقال من أجل «الكسالى»، و«المخرّبين»، واليهود بموجب مراسيم نورنبرغ عام 1935. بدأ ظهور منشقّين آنذاك، إنما من دون أن يُسمع عنهم مجدداً. كانت السباحة ضد التيار تتطلّب شجاعة منقطعة النظير – بل حماقة أيضاً.

كانت تلك هي القبضة الحديدية التي أمسك بها هتلر ألمانيا في منتصف الثلاثينيات، ما جعل بعضهم ينسون أحياناً أن أول دولة فاشية حقاً هي إيطاليا. لقد تولّى بينيتو موسوليني؛ المعروف بـ«الدوتشي» [القائد] السلطة في إيطاليا في بداية 1922. برغم أنه لم يتمتع إطلاقاً بدرجة سيطرة هتلر نفسها (ربما كان شعار «موسوليني محق دائماً»، الذي رُسم على جدران في كل أنحاء إيطاليا، علامة على اليأس)، إلا أنه أرسى دعائم دولة فاشية نموذجية: بيروقراطية مركزية واسعة تستخدم شرطة ومخبرين سريين على أنهم أدواتها.

كان لـ موسوليني طموحات استعمارية أيضاً، وحلم بإنشاء إمبراطورية رومانية حديثة في البحر المتوسط، وأن يعلن نفسه قيصر. لتحقيق هذه الغاية، أرسل جيوشه إلى ليبيا والحبشة حيث



شترايخر في مقدمة عرض عسكري للقمصان البنية في ميونيخ.

حققت انتصارات عسكرية مجيدة ضد مجموعات صغيرة من رجال القبائل الصحراوية ضعيفي العدّة والعتاد. لاحظ هتلر هذا المثال – برغم أن طموحه كان أوسع كثيراً .

ظهرت حركات فاشية أخرى في دول أوروبية مختلفة، وبحلول 1934 أضحت منظّمة جيداً. كان اليمين قوياً بنحو خاص في فرنسا، حيث أرغم جنودٌ سابقون الحكومةَ على الاستقالة بإثارتهم أعمال شغب. في النمسا، حُظر الحزب الاشتراكي بعد أيام من اغتيال قائد المقاومة المسلحة والمستشار إنغلبرت دولفوس من قبل نازيين في تموز ذلك العام – تمهيداً لـ أنزشلوس؛ وحدة قسرية بين النمسا وألمانيا فرضها هتلر في 1938. في إسبانيا، ظهرت معارضة فاشية متنامية للحكومة الجمهورية اليسارية.

راقبت الديمقراطيات الغربية تلك الأحداث كأنها في حالة عجز. كان عدم التدخل شعار ذلك الوقت، لذا لم يتفاجأ كثيرون حين بدأ حكم القانون الدولي، الذي وضعه الحلفاء بعد الحرب لتفادي نزاع آخر واسع النطاق، يتفسّخ. بحلول منتصف الثلاثينيات، كانت عُصبة الأمم قد بدأت تفقد تأثيرها ومكانتها، إذ لم تُلقِ اليابان بالاً لاحتجاجها في 1931 حين اجتاحت قواتها منشوريا، وتجاهل موسوليني عقوباتها حين احتل الحبشة في 1936. انسحب هتلر من العُصبة في 1933، ولم تُثِر إعادة التسليح إلى ولاية الراين في 1936 شكوى أحد.

أسفل: جنود ألمان يدخلون ولاية الراين، 1936.

مقابل: هتلر يتجوّل منتصراً عبر فيينا، 1938.





بحلول أواخر الثلاثينيات، مالت الموازين أكثر نحو الحرب نتيجة الشكوك المتبادلة بين تلك الأمم التي يمكن أن تضمن السلام. في الاتحاد السوفييتي، ظنّ جوزيف ستالين أن القوى الرأسمالية ستحاول الاتحاد لإنهاء نظامه، وبدا أكثر استعداداً لقبول هتلر الفاشي، الذي ربما رأى في حكمه صورة ضبابية مماثلة عن استبداده. أدّى هذا التفاهم الفاسد إلى توقيع اتفاق ريبنتروب—مولوتوف في 1939، قُسّمت بموجبه بولندا ودول البلطيق مثل كعكة بين الرايخ وروسيا السوفييتية.

عدّت الدول الغربية، من جهة أخرى، هتلر متراساً ضد الشيوعية في الشرق، وأبدت استعداداً لغض الطرف عن توسعاته. بالطريقة نفسها، اعتبرت أن موسوليني قد أنقذ إيطاليا من البلشفية، وأن الفاشيين شر لابد منه و – كما تمنّت – زائل.

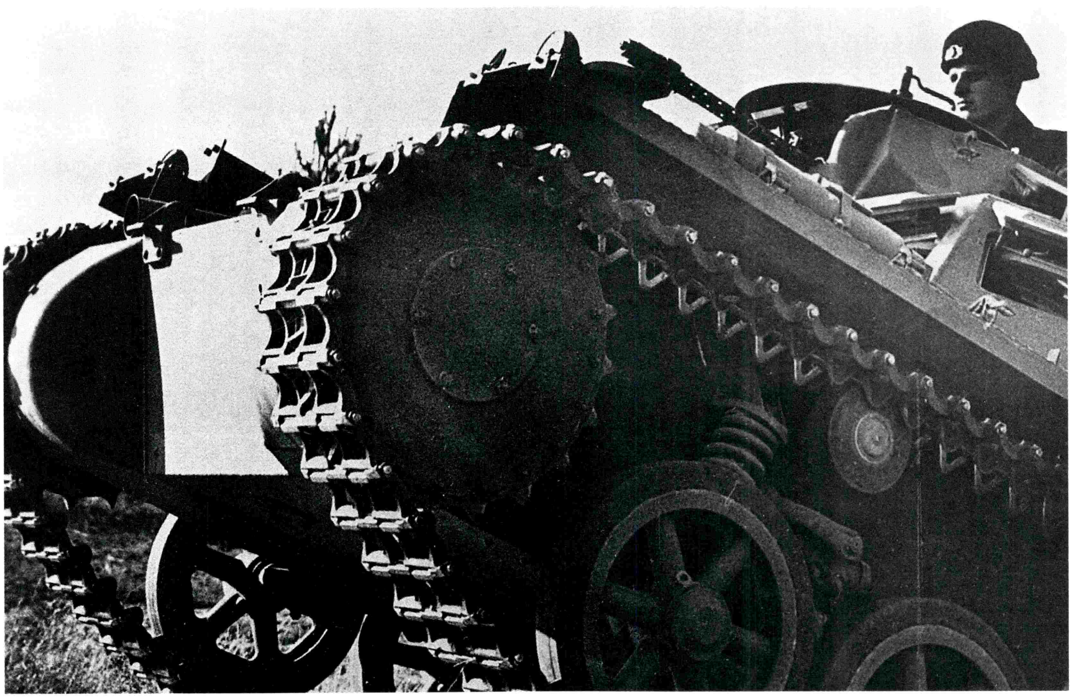
استطاع هتلر استغلال عامل آخر أيضاً. أثار احتمال نشوب حرب أخرى نفوراً قوياً في المجتمعين البريطاني والفرنسي، اللذين كانا لا يزالان يعانيان من مذبحة الجبهة الغربية. لم يستطع السياسيون الدفاع بقوة عن مسألة إعادة التسلّح، التي كان يُنظر إليها على أنها انتحار انتخابي. خُفضت ميزانيات الجيش والبحرية، وأُوقف التجنيد، ولم يُشجّع الابتكار – ساد رضا عن الذات. في تلك الأثناء، كان هتلر قد أطلق برنامجاً ضخماً لإعادة التسلّح، وحوّل ألمانيا إلى سلاح حربي ظنّ أنه سيهزم يوماً ما – عاجلاً أم آجلاً – فرنسا.



التسلّح من أجل الملحمة الكبرى

تكديس الأسلحة

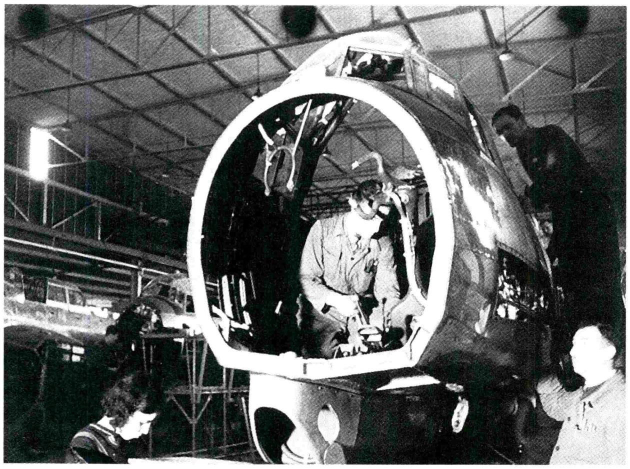
قال هتلر في ليلة محاولته الانقلابية الفاشلة في 1923: «دعاية، دعاية، دعاية – كل ما يهم هو الدعاية». برغم معرفته استياءَهم من الفوضى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بقي هتلر يشك حتى منتصف الثلاثينيات بشأن استعداد الشعب الألماني لحرب أخرى، وتمثّلت إحدى الأهداف الرئيسة للدعاية النازية في إعدادهم لها. عندما تولّى هتلر السلطة في 1933، كانت الرسالة النازية أن ألمانيا تبقى ضحية الظلم، إلا أنها تصبح أقوى. كان يُشاد بالمناقب الحربية والتضحية بالنفس لـ فولك؛ الشعب الألماني المثالي، في تجمّعات حاشدة في نورنبرغ وأماكن أخرى، لكن جوزيف غوبلز؛ وزير دعاية هتلر، توثّق من عدم استخدام كلمة «حرب» على نطاق واسع. لم يأتِ القادة النازيون على ذكر النزاع حتى في أثناء أزمة ميونيخ في 1938.



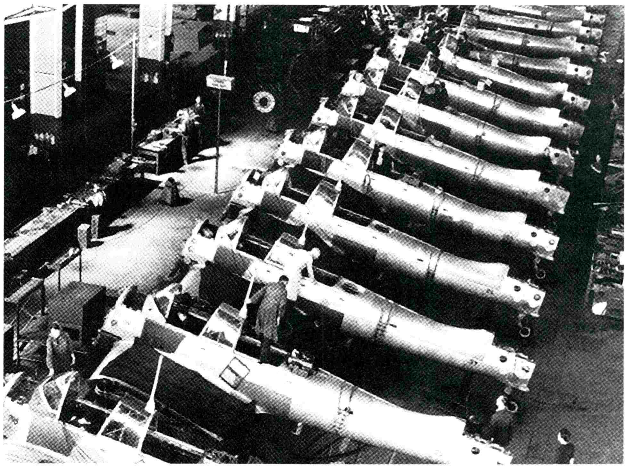
أعلى: دبابات في مناورات عسكرية.

مقابل: هتلر يحيّي حشوداً من المؤيدين في ميونيخ





العمل على كهرباء قمرة القيادة.



مقاتلات على خط الإنتاج.



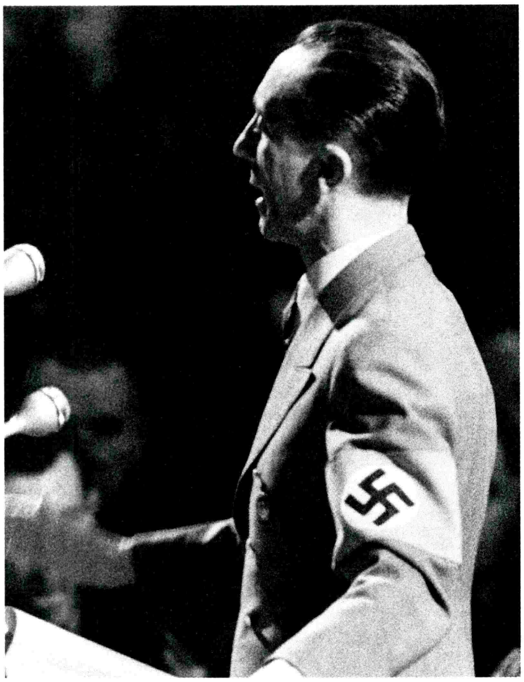
دبابات م–ك I – تتدرّب على التقدّم ضمن أرتال.

طبعاً، لم تكن الدعاية وحدها كافية، إنما يجب إعادة بناء القوة العسكرية الألمانية أيضاً. أُعيد التجنيد الإلزامي في 1935 – مجدداً بما يتناقض مع شروط فرساي – وأُعلن في العام نفسه عن إنشاء لوفتفافه، أو القوة الجوية رسمياً، وأُنيطت عملية بنائها إلى هيرمان غورينغ؛ أحد خلفاء هتلر المختارين أيضاً. عمل غورينغ، برغم كونه مختالاً وبديناً ومدمناً على الممنوعات، طياراً في الحرب الكبرى، وكان يتمتع بقدرات تنظيمية كبيرة. اتفق مع هتلر أن تكون القوة الجوية عاملاً حاسماً في أي حرب مستقبلية: كان كلاهما قد رأى كيف أرعب سلاح الجو لدى موسوليني



أعلى: مجموعة دبابات تتدرّب على تقنيات الإشارة. أسفل: الجنرال رومل ومساعدوه يتفقّدون خرائط في مناورات.





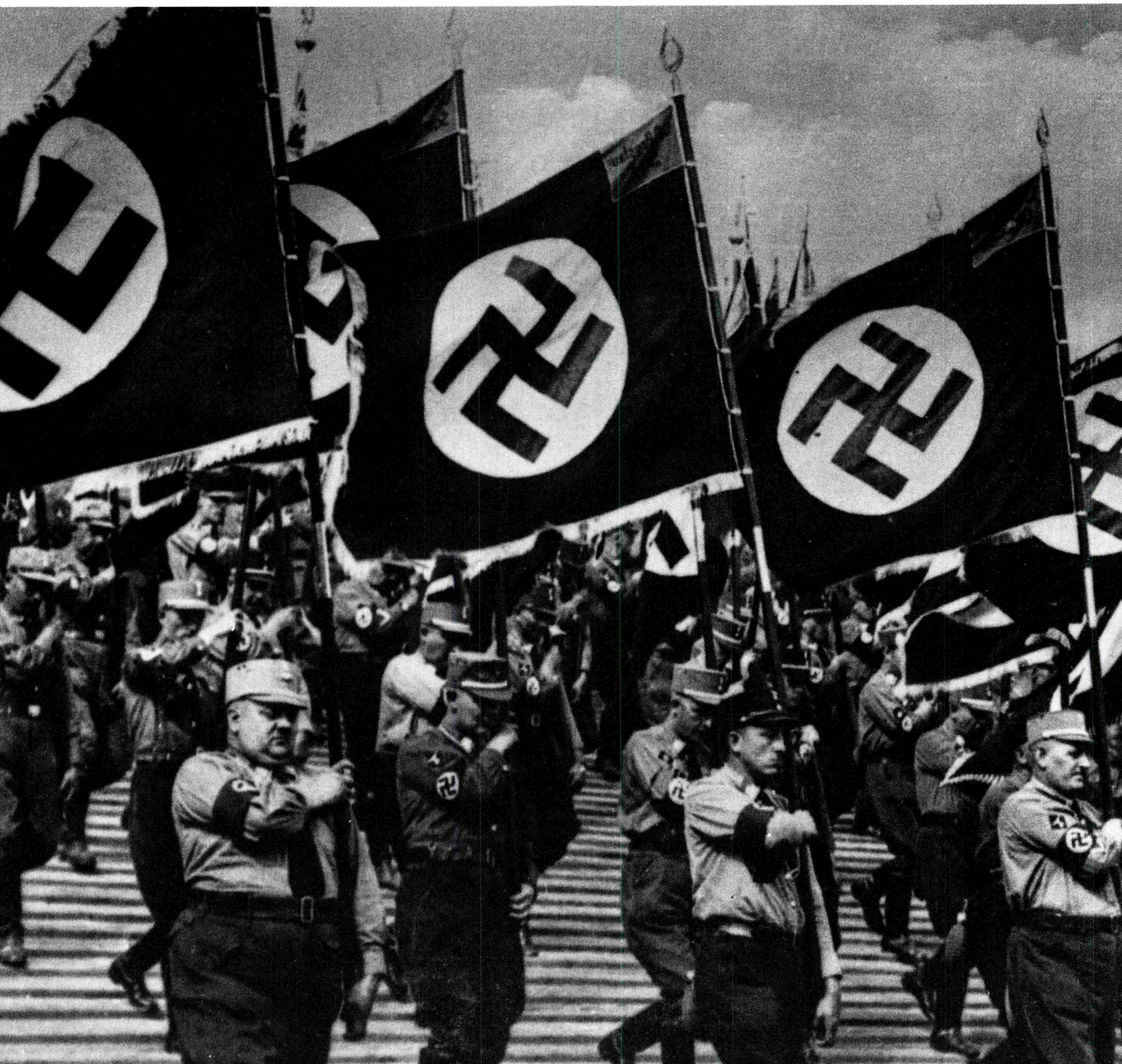
رئيس دعاية هتلر جوزيف غوبلز.



رئيس لوفتفافه هيرمان غورينغ.



حملة الرايات في عرض نور نبرغ



أفراد القبائل الصحراوية في ليبيا والحبشة. بدأت الطائرات تخرج بسرعة من خطي إنتاج مسرشميدت وهينكل بمعدّل ضخم، وشرع طيّارون ألمان في العمل دعماً للجنرال الفاشي الإسباني فرانسيسكو فرانكو فوق برشلونة وغيرنيكا.

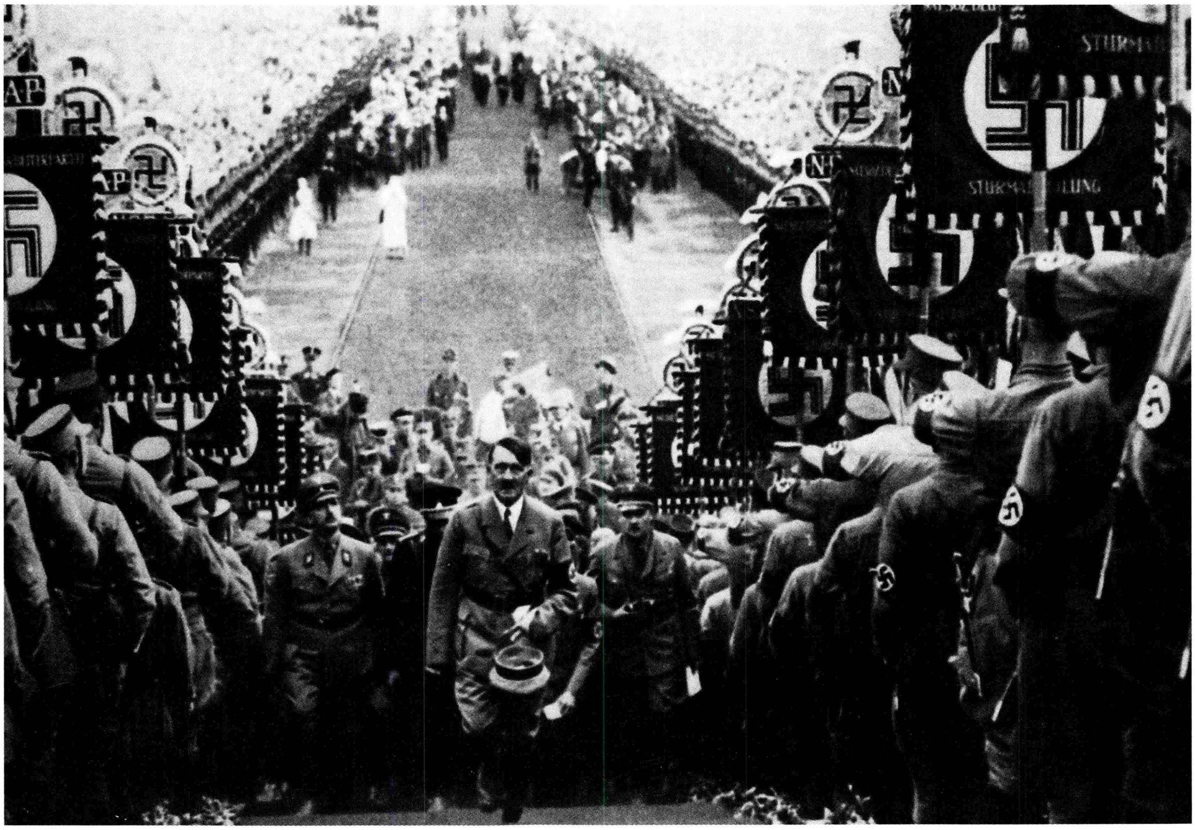
كان هتلر محظوظاً أيضاً بالنصيحة التي تلقاها من بعض الجنرالات الأكثر تطلعاً نحو المستقبل في فيرماخت؛ أو الجيش الألماني. تكلموا عن التأثير الذي يمكن أن تحدثه الدبابات في ساحة المعركة الحديثة، وأبدوا إعجاباً خاصاً بكتاب عن الموضوع ألّفه عقيد فرنسي؛ شارل ديغول. عند استخدامها بالتوازي مع القوى الجوية، يمكن أن تسحق فرق الدبابات مقاومة العدو وتكون رأس حربة تقدم المشاة، وبمقدورها قطع مسافات كبيرة في يوم واحد في إستراتيجية أُطلق عليها «الحرب الخاطفة» – المفاجئة.



ملصق عن أولمبياد برلين.

في الوقت نفسه، بدأ هتلر إعادة بناء البحرية الألمانية، التي أصبحت ركاماً في نهاية الحرب الكبرى، لكن لم تكن لديه رغبة بمعاداة البريطانيين، الذين لا يزالون يملكون إحدى أكبر الأساطيل في العالم، قبل أن يكون ذلك


هتلر يخاطب الجمهور في الأولمبياد.



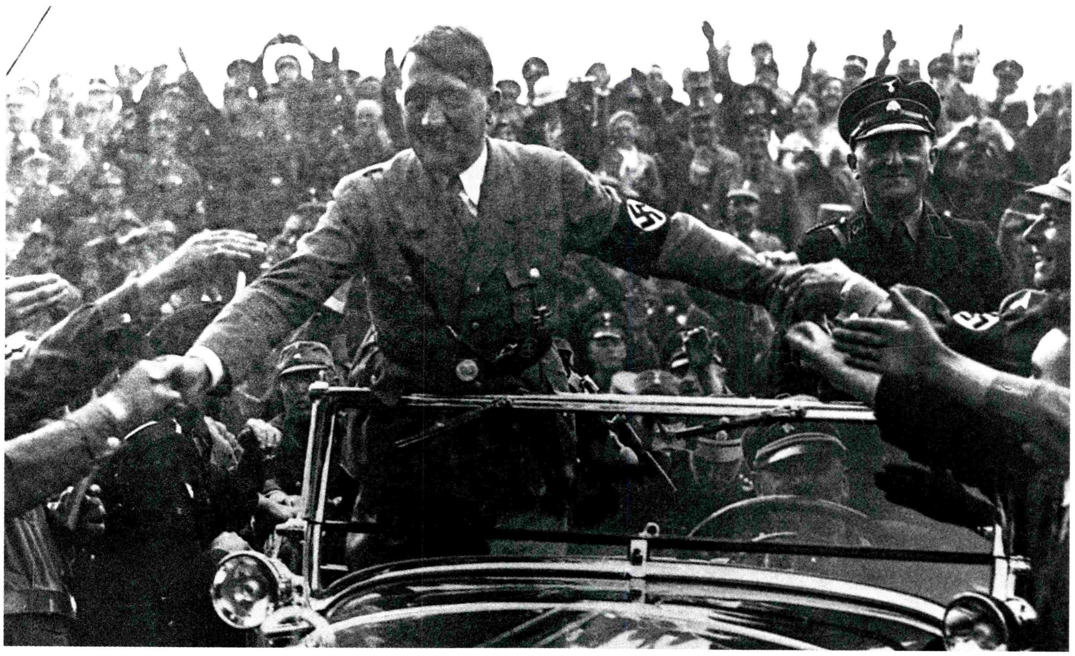
هتلر في نورنبرغ – مركز المهرجان النازي.



الفوهرر يهنئ القمصان البنية في تجمّع قبل الحرب.



قادة نازيون يحيّون رجال «إس إ» في نورنبرغ.



شعبية هتلر تزداد.

ضرورياً جداً. في حزيران 1935، وقّع اتفاقية البحرية الأنغلو–ألمانية، التي سمحت له ببناء أسطول بثُلث حجم البحرية الملكية. لكنه كذب بشأن عدد السفن في قيد البناء آنذاك، ولم يرَ البريطانيون تهديداً في عرضه البريء ظاهرياً لتشييد مزيد من غواصات يو–بوت – أصبحت لاحقاً سوط شمالي الأطلسي.

في تلك المناسبة، كانت خدعته تكتيكَ تأخير. بعد عام، بانسحابه من معاهدة لوكارنو للحد من الأسلحة، تخلّى هتلر عن كل مظاهر الالتزام بحصص إنتاج السلاح. أُصيبت بريطانيا وفرنسا بصدمة كبيرة، وبذلتا جهوداً كبيرة لجعل العجلات الصدئة لإعادة التسلّح تدور من جديد. على كل حال، أعاق نظام صناعي عتيق الطراز الفرنسيين، في حين قيّدت تأثيرات الكساد والمعارضة السياسية البريطانيين.

فاق هجوم هتلر الدبلوماسي الديمقراطيات الغربية براعة أيضاً. في 1936 وقّع اتفاقية مقاومة الشيوعية الدولية مع اليابان، في حين أنجز في أيار 1939 اتفاقية دفاعية مع موسوليني، أو ما يسمّى «التحالف الفولاذي». في تلك الأثناء، كان وزير خارجيته يواخيم فون رينتروب قد بدأ مفاوضات سرية مع العدو الرئيس المعلن للنازية؛ جوزيف ستالين.



حملة رايات «إس إس» – تقليد متعمّد للفيالق الرومانية.



خرق التهدئة

محاولات استرضاء هتلر تفشل

كتب هتلر في كفاحي، يشرح حاجة ألمانيا إلى مجال حيوي: «لقد أثبت تاريخ كل العصور - الإمبراطورية الرومانية، الإمبراطورية البريطانية - أنه لا يمكن إنجاز أي توسيع للمساحة إلا بتحطيم المقاومة والمجازفة بمخاطر». تابع بنحو ينذر بالسوء: «لا توجد مساحة من دون مالك سواء في أوقات غابرة أو اليوم»، وأعلن أن مشكلة مساحة ألمانيا ستحل بحلول 1945، من ثم ستواجه البلاد أزمة غذاء.

كان يجب ألا تترك قراءة هتلر أي شك لدى معاصريه بشأن أهدافه، وبدا واضحاً بالتأكيد أن طموحاته تتجاوز استعادة أراض مفقودة بموجب معاهدة فرساي. لكن القادة البريطانيين والفرنسيين كانوا مستعدين، للأسباب السياسية والنفسية المذكورة سابقاً، لتجاهل انتهاكاته لأراض مجاورة. كان الهدف من سياسة التهدئة إشباع شهية هتلر بالحصول على أرض - التي لم يظنوا أنها نهمة - إضافة إلى الرغبة العارمة بالسلام التي تنتاب الشعوب. برزت إعادة تسليح ولاية الراين والمساعدة النازية التي أُرسلت إلى الجنرال فرانكو على أنهما تحذيران لليساريين والمحافظين البريطانيين والفرنسيين على حد سواء، لكن معظمهم تمسّك بعناد بالرأي القائل إن هتلر كان منطقياً نسبياً ولديه أهداف شرعية تقريباً، وجادلوا بأنه يمكن التصدّي لأي اعتداء «صارخ» بإظهار وحدة الموقف أو حتى عرض للقوة.

لكن بريطانيا وفرنسا لم تكونا متحدتين أو مستعدتين لتحذير هتلر صراحة، إنما على العكس، كانت رسالتهما له مرتبكة وضعيفة. في تشرين الثاني 1937، تشجّع النازيون كثيراً بزيارة السياسي البريطاني البارز اللورد هاليفاكس، الذي جعل هتلر يظن أن بريطانيا ستطلق يده في أوروبا الشرقية ما دام أنه لم تكن هناك «اضطرابات بعيدة المدى». كان هتلر مقتنعاً آنذاك أن الطبقات العليا البريطانية لن تخوض حرباً وفقاً للفكرة المثيرة للجدل التي أُثيرت في منتدى نقاش جامعة أوكسفورد، وتقول إن الطلاب «لن يقاتلوا من أجل الملك والوطن».

بعد بضعة شهور، استقال وزير الخارجية البريطاني أنطوني إيدن بسبب موقف حكومته من هتلر. أخبره رئيس الوزراء نيفيل تشامبرلين: «اذهب إلى المنزل وتناول حبة أسبرين»، وعيّن هاليفاكس مكانه.

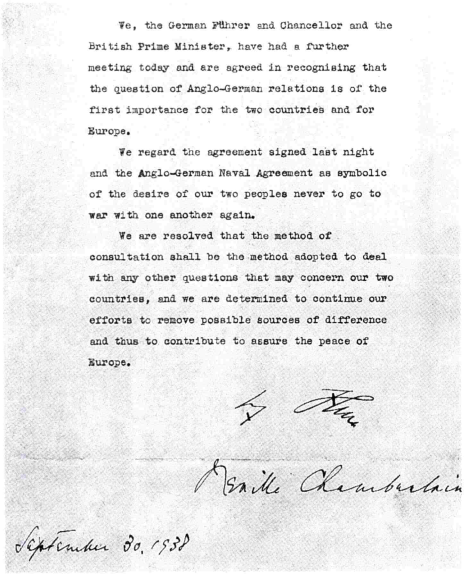


«السلام في وقتنا» – تشامبرلين يعود باتفاقية ميونيخ.

في آذار 1938، عندما ضم هتلر النمسا، أخبر قادته العسكريين أن عدم ظهور اعتراض على ذلك هو دليل ضعف الإرادة الغربية. أشار إلى أن بريطانيا أو فرنسا لا تتحلّى بالشجاعة للدفاع عن «بلد ثالث» إذا هاجمه، وعنى بذلك تشيكوسلوفاكيا، وكان محقاً.

كانت ما تسمّى أزمة ميونيخ في أيلول 1938 أكبر اختبار لسياسة التهدئة. كانت تشيكوسلوفاكيا، الديمقراطية، محاطة كلها تقريباً من ألمانيا، ويعيش فيها أكثر من ثلاثة ملايين ناطق

بالألمانية. تكلم هتلر عن هؤلاء الألمان السوديت على أنهم أقلّية مضطهدة، وفي مرحلة ما أعلن في سلسلة خُطبٍ حادّة اللهجة أن إرادة الشعب الألماني سترغمه على «التدخل».



We, the German Führer and Chancellor and the British Prime Minister, have had a further meeting today and are agreed in recognising that the question of Anglo-German relations is of the first importance for the two countries and for Europe.

We regard the agreement signed last night and the Anglo-German Naval Agreement as symbolic of the desire of our two peoples never to go to war with one another again.

We are resolved that the method of consultation shall be the method adopted to deal with any other questions that may concern our two countries, and we are determined to continue our efforts to remove possible sources of difference and thus to contribute to assure the peace of Europe.

A Hitler

Neville Chamberlain

September 30, 1938

إتفاقية ميونيخ.

أخبر جورج بونيه؛ وزير الخارجية الفرنسي السفيرَ البريطاني إلى باريس في 10 أيلول: «غداً، قد يهاجم هتلر تشيكوسلوفاكيا. إذا فعل ذلك، فستحشد فرنسا قواتها فوراً، وستتحول إليكم قائلة: 'نحن سنحارب: هل ستحاربون معنا؟'. ماذا سيكون جواب بريطانيا العظمى؟».

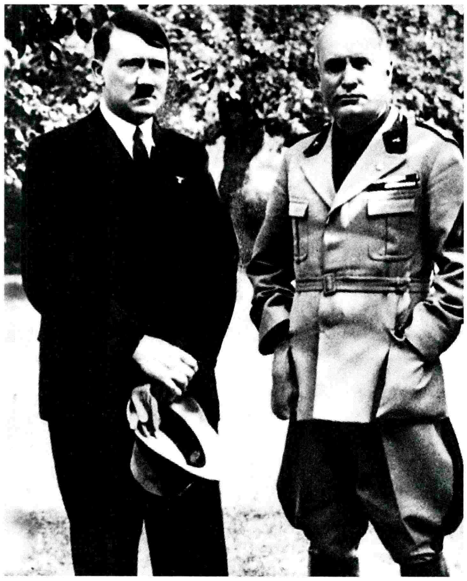
كان جواب بريطانيا مبهماً، وصدر أمر بإجراء تعبئة جزئية للقوات المسلحة، لكنها لم توجه انتقاداً دبلوماسياً. ثم، في 29 أيلول، سافر تشامبرلين ورئيس الوزراء الفرنسي إدوار دلادييه جواً إلى ميونيخ واستقلا القطار إلى ملتجأ هتلر الجبلي في بيرشتسغادن. كانت المفاوضات فوضوية، إذ جمع الوسيط موسوليني القادة في غرفة مملوءة مسؤولين يأكلون الطعام.



أعلى: جنود ألمان يقفون مستعدين في براغ.

مقابل: استسلام امرأة تشيكية بحزن


Modewaren



أيار 1939: الحلف الفولاذي.

قُرّر مصير إقليم السوديت بعد منتصف الليل بقليل. كان تشامبرلين مقتنعاً بثلاثة أشياء: برغم كل احتجاجاتهم، لن يخوض الفرنسيون حرباً، وأن السماح لألمانيا باحتلال السوديت سيمنع غزواً شاملاً لتشيكوسلوفاكيا، وأن بمقدوره أن يثق بكلمة هتلر بأنه لن يمضي أبعد من ذلك. لم يستشر هو أو دلادييه التشيكيين.

بجرّة قلم، أُعطيت مساحة كبيرة من بلد أوروبي يتمتع بالسيادة إلى سلطة استبدادية. منح أولئك الجنرالات الألمان، الذين ربما كانوا مستعدين لخلع هتلر إذا وقفت بريطانيا وفرنسا ضده، دعمهم الكامل له آنذاك. شجّعت اتفاقية ميونيخ هتلر أيضاً على تصديق أن التهديد بالحرب بإجراء تعبئة جزئية كان أداة لحفظ ماء الوجه وإسكات المعارضة للتهدئة في بريطانيا. كان قلقه الرئيس أن عدداً كبيراً من الدبابات الألمانية قد تعطّل في طريقه إلى إقليم سوديت.

عندما عاد دلادييه خجلاً إلى باريس، ظنَّ أن الحشود التي تنتظره ستمزّقه أشلاء، إنما في



فون ريبنتروب يعود من مفاوضات في موسكو.

الواقع كانت سعيدة. عاد تشامبرلين أيضاً ليلقى ترحيب الأبطال، ولوّح بورقة أعلن أنها تعني «السلام في وقتنا»، وبقي حتى آذار 1939 يطمئن أصدقاءه أن احتمالات السلام أفضل من أي وقت مضى، لكن الأحداث سلكت مجرى مختلفاً بسرعة.



آذار 1938: هتلر يصل فيينا.

في 12 آذار 1939، أعلن السلوفاكيون، بتشجيع من النازيين، الاستقلال عن القسم التشيكي من تشيكوسلوفاكيا. كانت بريطانيا وفرنسا قد ضمنتا استقلال باقي البلاد في اتفاقية ميونيخ، لكن تشامبرلين أخبر مجلس العموم أن الاستقلال السلوفاكي يلغي هذا الالتزام. سافر الرئيس التشيكي العجوز إميل هاخا إلى برلين، حيث سمع تعنيفاً كلامياً من هتلر جعله يفقد وعيه، ووقّع على مضض الوثيقة التي دُفعت أمامه، وتضع «مصير الشعب التشيكي بين يدي فوهرر الرايخ الألماني».

بعد ثلاثة أيام، سارت القوات الألمانية في براغ، ووقعت صناعة السلاح التشيكية الناجحة، التي كانت تمثّل آنذاك 10 في المئة من السوق العالمية، بين يدي هتلر.



أيلول 1938: ريبنتروب وتشامبرلين يسيران أمام حرس الشرف في مطار ميونيخ.



المعاهدة النازية–السوفييتية تتكوّن – هتلر يلتقي مولوتوف.

لكن الفوهرر لم يقتنع بذلك، وحوّل نظرته الجشعة نحو الشمال. في 21 آذار، ضمّت قواته ليتوانيا، ما أقنع تشامبرلين بتغيير سياسته الخارجية. بعد ثمانية أيام، قدّم رئيس الوزراء البريطاني لـ بولندا وعداً بالمساعدة ضد أي تهديد لاستقلالها.

اتخذ وزير الخارجية البولندي العقيد بيك القرار بقبول عرض تشامبرلين، كما قال، «بين قطعتي رماد» من لفافة تبغه. أراد أن يصفع هتلر على وجهه بسبب مطالبته باسترجاع غدانسك.

كانت تلك هي الذخيرة الدبلوماسية التي يحتاج هتلر إليها. بالغ كل من بيك وتشامبرلين بقدرة القوات المسلحة البولندية عتيقة الطراز على مقاومة الغزو. كان مجلس الوزراء ورئيس الأركان البريطاني يعلمون أيضاً أن الوفاء بوعدهم مستحيل من دون مساعدة روسيا – لكن الفرنسيين فقط قاموا بمحاولة للتعامل مع ستالين. إضافة إلى هذا، كان البولنديون عنيدين بألا يطأ جندي روسي واحد التراب البولندي، فقد كانوا يخشون ألا يغادر الجيش الأحمر أبداً البلاد بعد عبوره الحدود – خوف برّرته أحداث لاحقة.

لكن خلط الأوراق الدبلوماسية في الغرب كان بطريقة ما هامشياً للأحداث كما جرت. طامحاً بمد مجال نفوذه نحو الغرب، وغاضباً من رفض الحلفاء الغربيين عرضه للتوسّط بشأن تشيكوسلوفاكيا، أمر ستالين وزير خارجيته الجديد فياتشيسلاف مولوتوف بالتفاوض على معاهدة مع الألمان تُقسّم بموجبها بولندا بالتساوي بين القوتين الاستبداديتين. سافر فون ريبنتروب جواً إلى موسكو لتوقيع الاتفاقية في 23 آب، ما أثار رعب صانعي السلام في العالم.

لم يدم السلام في أوروبا أكثر من 10 أيام بعدها.



عمليات المحور الحربية: زحف الجيوش الألمانية والإيطالية

الحرب الخاطفة

دبابات هتلر تهاجم بولندا

لم يكن هناك إعلان حرب من النازيين، أو تحذير أو حتى قليلاً من الرحمة. عند 4,45 صباحاً في 1 أيلول 1939، عبرت قوات هتلر الحدود البولندية في عرض قاسٍ لـ«الحرب الخاطفة». أولاً، قصفت قاذفات ستوكا خطوط الاتصالات والنقاط العسكرية الحصينة، واندفعت دبابات ووحدات محمولة عبر الريف البولندي المنبسط، ولم تلقَ إلا مقاومة ضعيفة فقط. بعد ساعة، كانت أسراب من هينكل ودورنير الألمانية تحلق فوق وارسو، وفي السلسلة المدمّرة من غارات القصف التي تبعت ذلك، خرجت جماهير خائفة تبحث عن ملتجأ، في حين دُمّرت نصف القوة الجوية البولندية على الأرض.

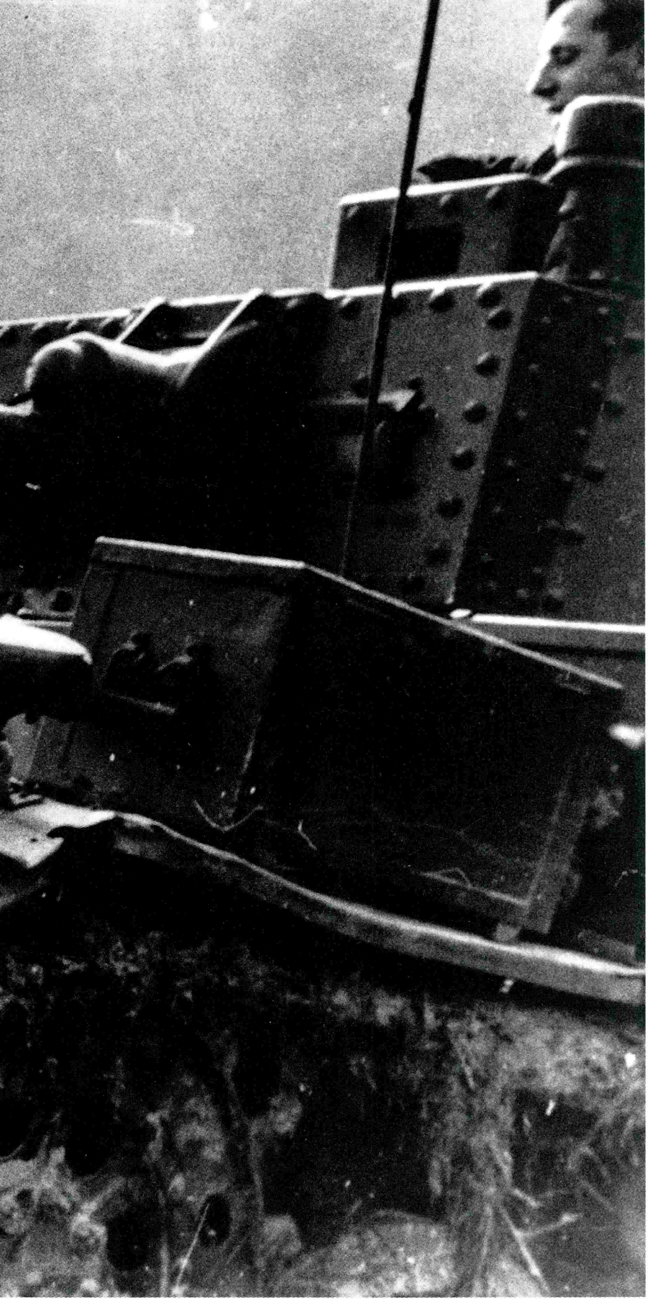
لاحقاً ذلك اليوم، أبلغ هتلر الرايخستاغ؛ كأنه قد تذكر ذلك تواً، أن الألمان «يُذبحون» في بولندا ما يبرّر الحاجة إلى تدخل عاجل.



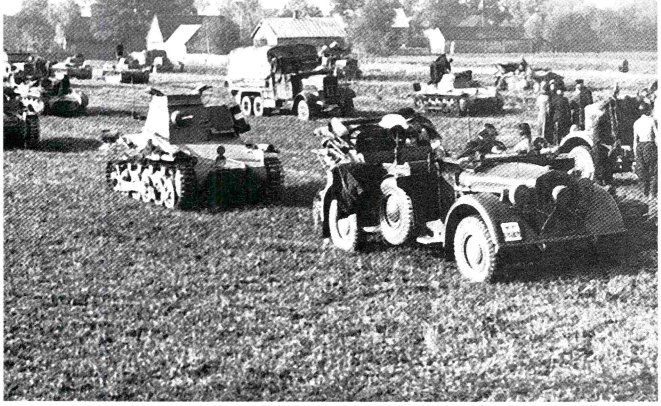
أعلى: جنود مع مدفع بوفورز 37 ملم، عيار36– المضاد للدبابات.

مقابل: جنود فيرماخت في ساحة كراكوف، وارسو (ص. 47).





بولنفيلدزينغ في بولندا: القوات الألمانية تُظهر فاعلية «الهجوم الخاطف» لكن موارد هتلر قد استنفدت إلى أقصى حد.





في أوروبا الغربية، عُدَّ الهجوم محتّماً بنحو مروّع، وبدأ الفرنسيون والبريطانيون تعبئة قواتهم، برغم أن هاليفاكس وبونيه قد قبلا في الوقت نفسه عرضاً للوساطة من موسوليني. في بريطانيا، بدأ إخلاء نحو مليوني امرأة وطفل من المدن؛ لأنهم ظنّوا أن قصفاً من الجو أصبح وشيكاً.

كان مجلس العموم البريطاني قد رجّح الكفّة لمصلحة الحرب. بحلول 2 أيلول، بدا واضحاً لـ تشامبرلين أنه إذا لم يفِ بالتزامه الرمزي لـ بولندا بطريقة ما، فستنهار حكومته. رفض مجلس الوزراء مغادرة القاعة قبل اتخاذ قرار بإصدار إنذار نهائي.



في اليوم الآتي عند 9 صباحاً، قدّم السفير البريطاني إلى برلين إنذاره النهائي، وطالب بتعهّد بسحب القوات الألمانية في ساعتين، لكن ذلك لم يكن وشيكاً. عند 11,15 أذاع تشامبرلين البلاغ بأن الحرب قد أعلنت. أصدر الفرنسيون أيضاً إنذاراً، وعند 5 مساءً انتهى الوقت من دون أن يتلقّوا جواباً.

كانت بولندا بعيدة كثيراً لذا لم يستطع الحلفاء التدخّل مباشرة، لكن سلاح الجو الملكي هاجم القاعدة البحرية الألمانية في فيلهيلسهافن، محدثاً خسائر فادحة. عزّز الجيش الفرنسي خط ماجينو، واعتمدوا على جيش من المجنّدين الإلزاميين تستغرق تعبئته ستة أسابيع، لذا لم يكن ممكناً شن هجوم بسرعة. في تلك الأثناء، كان البولنديون يكتشفون أن خطط مسيرتهم في برلين



شرطة «إس إس» الميدانية تدخل غدانسك مع عربة مصفّحة.

لم تكن واقعية، إذ لم يكن جنودهم، برغم شجاعتهم، مجهّزين جيداً أو مدرّبين كما ينبغي. كان لديهم لواءان محمولان فقط، ولم يخوضوا إلا معركة رئيسة واحدة، عند نهر بزورا، في طريق انسحابهم إلى وارسو.

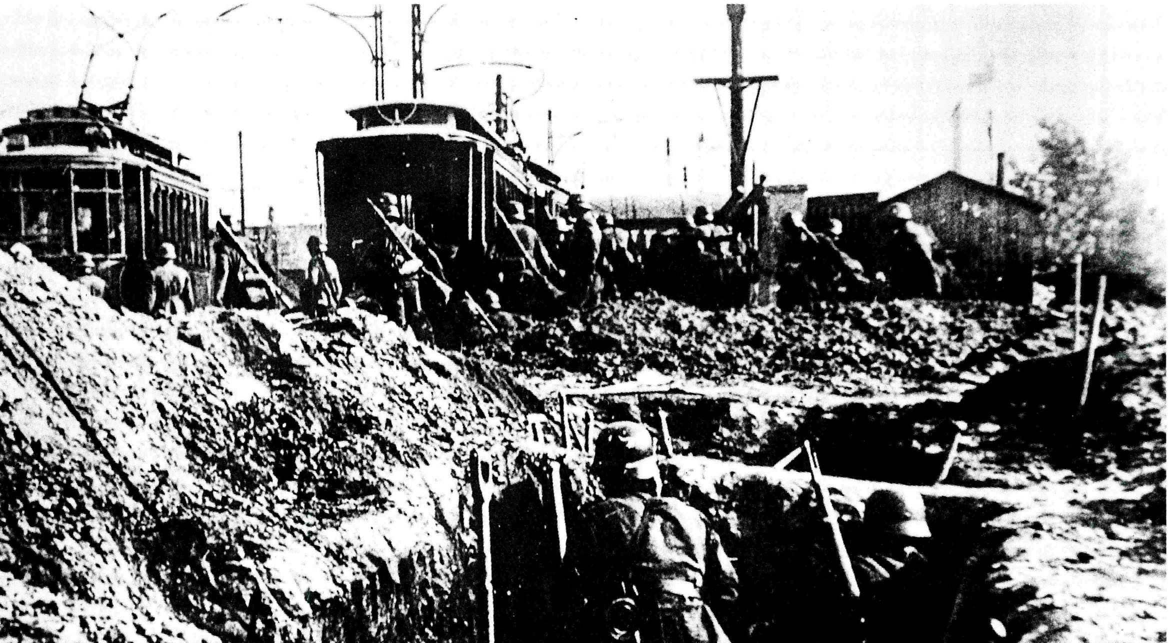
كان النبأ الأسوأ سيأتي لاحقاً. في 17 أيلول، بدأ السوفييت غزوهم بولندا من الشرق – ظاهرياً لحماية الروس والأوكرانيين البيض. لقي 737 روسياً فقط حتفهم في الحملة، وبحلول 5 تشرين الأول، استسلمت القوات البولندية: كان أكثر من 900,000 جندي أسرى لدى الألمان والروس، ولم يهرب إلا نحو 70,000 فقط، وقُتل آلاف منهم حين أطلق آسريهم النار عليهم. لم يكن المدنيون أفضل حالاً، إذ وقّع هتلر عفواً سرياً أطلق بموجبه سراح كل رجال «إس إس» الذين اعتقلهم الجيش النظامي لأفعالهم الوحشية ضد المدنيين. في العامين الآتيين، قُتل خُمس السكان.

في تلك الأثناء، اعتُقلت الحكومة البولندية المنتخبة في رومانيا، وشُكّلت حكومة منفى في باريس.

هناك أدلّة تشير إلى أن هجوماً فرنسياً على ألمانيا في تلك المرحلة لم يكن ليلقى مقاومة على الإطلاق تقريباً. لقد غامر هتلر بكل شيء في الاندفاع السريع داخل بولندا – كانت خطوط إمداداته مرهقة. لكن التردّد شلَّ قدرة الحلفاء، وبدا أنهم ينتظرون معجزة – أن ينسحب هتلر بدافع طيبة قلبه، بعد أن أثبت قدراته.



جنود الجبهة يدخلون وارسو العاصمة البولندية.



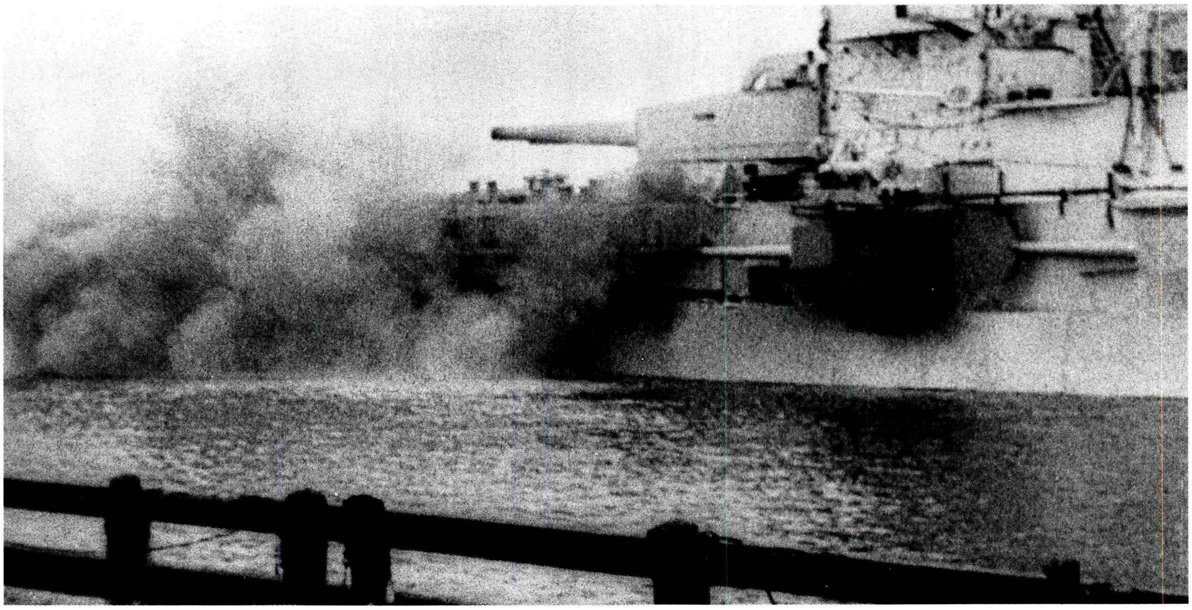
الاندفاع عبر ضواحي وارسو.

أدّت هزيمة بولندا النكراء إلى ترسيخ هدوء ظاهري وقتاً طويلاً أطلقت عليه الصحافة الأمريكية اسم «الحرب الزائفة». كان متوقعاً الكثير، إنما لم يحدث شيء يذكر. قدّم هتلر عرض سلام رفضته بريطانيا وفرنسا علانية، لكنهما ناقشتاه سراً على أنه ممكن. بدأ هتلر أيضاً استعدادات لغزو فرنسا، وقد أخبر القيادة العليا الألمانية صراحة أن هناك حرباً يجب خوضها: «لحسم السيطرة على أوروبا».

في فرنسا، كانت الحكومة قد قرّرت خوض الحرب برغم الشكوك الكبيرة، إذ لم يُسمح للجمعية الوطنية حتى بإجراء تصويت ملائم على إعلانها، وطُلب منهم أن يقرّروا بشأن «تلبية التزامات معاهدة» فقط. أُسكت المعارضون في النقاش، في حين إن سياسي اليمين وأعضاء الحزب الشيوعي الفرنسي حثّوا الحكومة، برغم كونهم خارج البرلمان، على التوصل إلى تسوية. فرَّ زعيم الحزب الشيوعي موريس ثوريه من الجيش إلى موسكو، في حين سأل أحد الفاشيين الفرنسيين: «هل تريدون الموت من أجل غدانسك؟»، ما أضعف معنويات الأمة.

في بريطانيا، بدأ التعتيم ونُزعت درابزين الحدائق وصُهرت للحصول على الفولاذ. بدأت السفن البريطانية تبحر في قوافل، وقُنّن توزيع الطعام منذ كانون الثاني 1940.





أعلى: سفينة حربية ألمانية تقصف ميناء ويستربلات البولندي.

أسفل: قاذفات بي.-23ب البولندية.

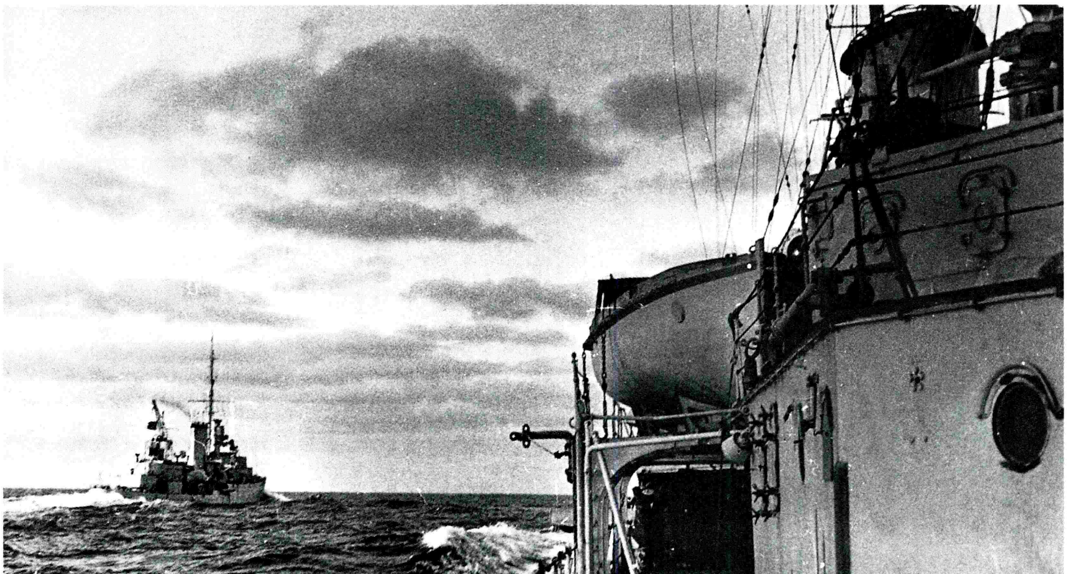


في تلك المرحلة، عاد السير وينستون تشرشل؛ رئيس وزراء محافظ في «البرّية» السياسية منذ وقت طويل، إلى مجلس الوزراء ليتولّى منصب أمير البحرية.

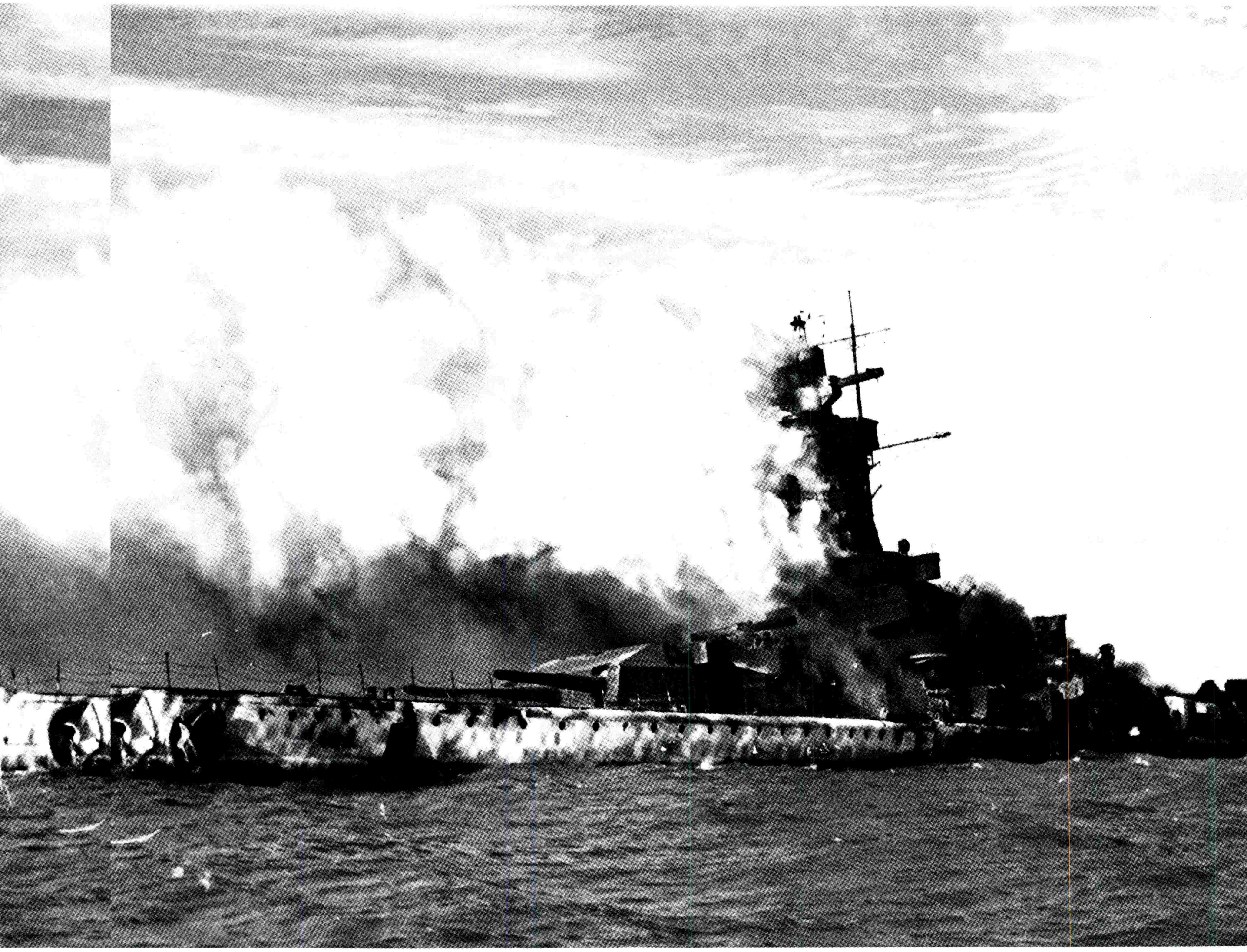
أُرسلت قوة بريطانية مكوّنة من أربع فرق إلى فرنسا بقيادة اللورد الأيرلندي غورت؛ بطل الحرب الكبرى وأرفع جنرالات بريطانيا شأناً. تمركزت تلك القوات على طول الحدود مع بلجيكا، بإمرة القائد الأعلى الفرنسي موريس غاملان - مناوئ قوي لفكرة استخدام المركبات في الحرب. بدأ نزاع بشأن الحدود الدقيقة لحياد بلجيكا.

اعتمدت السياسة الفرنسية على البلجيكيين؛ لأن قاعدة الدفاع الفرنسية كلها المتمثّلة بخط ماجينو لم تكن تمتد على طول الحدود البلجيكية (حيث دخلت قوات قيصر فرنسا قبل جيل). حتى على طول الحدود الفرنسية مع ألمانيا، لم يكن خط ماجينو متصلاً، إنما بقي برغم ذلك عقبة مرعبة أمام أرتال هتلر المدرّعة.

لم تكن الحال هادئة تماماً. كان البريطانيون يخسرون آنذاك سفناً بسبب الألغام المغناطيسية الألمانية الجديدة، وفي 14 تشرين الأول، استهدفت غوّاصة يو47- البارجة رويال أوك بطربيد وأغرقتها في مرساها العسكري؛ سكابا فلو.



كانون الأول 1939: طرّادات بريطانية قرب نهر بليت.



البارجة الحربية غراف شبي تحترق قبالة مونتيفيدو.

على كل حال، حقق الحلفاء نجاحاً واحداً. ضيّقت ثلاث طرّادات بريطانية الخناق على البارجة البحرية الألمانية غراف شبي خارج مونتيفيدو، وألحقت بها أضراراً جسيمة في معركة نهر بليت في 13 كانون الأول ما أرغم قبطانها على إغراقها.

منذ بدء العمليات القتالية، خدع السياسيون البريطانيون والفرنسيون أنفسهم بشأن نفاد الموارد لدى النظام النازي. برغم تمدّد خطوط إمداد هتلر، إلا أنها لم تكن قريبة من الانهيار – وقد صمدت من دون الاتحاد السوفييتي. كان ستالين يأخذ اتفاقه مع هتلر على محمل الجد، فتدفق

النفط والفحم على ألمانيا من الشرق. بدا أن الزعيم السوفييتي يوطّد سلطته في البلطيق، وفي 30 تشرين الثاني، غزت قوات الجيش الأحمر فنلندا، بعد حادثة حدودية صغيرة.

برغم تشجّعهم بالنجاح الأوّلي للمقاومة الفنلندية، تردّدت حكومات الحلفاء شهوراً بشأن إرسال حملة لمساعدتهم. إلى جانب الصعوبات السَوقيَة، لم يكن ذلك سيعني حرباً مع روسيا السوفييتية فقط، إنما تهديدَ حياد النرويج والسويد أيضاً. ثم في 11 آذار 1940، قبل مغادرة الحملة الأوّلية، قبل الفنلنديون الشروط السوفييتية، وبعد هذه الكارثة، خُلع دلادييه من منصب رئيس وزراء فرنسا وعُيّن بدلاً منه بول رينو الأكثر تشدداً.

سافر رينو جواً مباشرة إلى لندن لعقد اجتماع مع مجلس الحرب الأعلى للحلفاء، وطالب بأفعال حاسمة، وساد شعور، مجدداً، أن هتلر قد أضاع الاتجاه. أعلن تشامبرلين في 4 نيسان: «لقد فوّت السيد هتلر الحافلة»، حين استعد الحلفاء لوضع ألغام في المياه النرويجية لقطع طريق خام الحديد إلى ألمانيا.

كان مخطئاً تماماً، فقد أنهت الألغام بالتأكيد حياد النرويج ومنحت القوات الألمانية عذراً مثالياً للغزو. رجّحت حادثة في شباط كفّة الميزان لمصلحة الفكرة، حين طاردت المدمّرة البريطانية كوزاك السفينة الألمانية ألتمارك إلى زقاق بحري نرويجي لإنقاذ أسرى من الحلفاء.



جنود فنلنديون يقومون بمناورات.

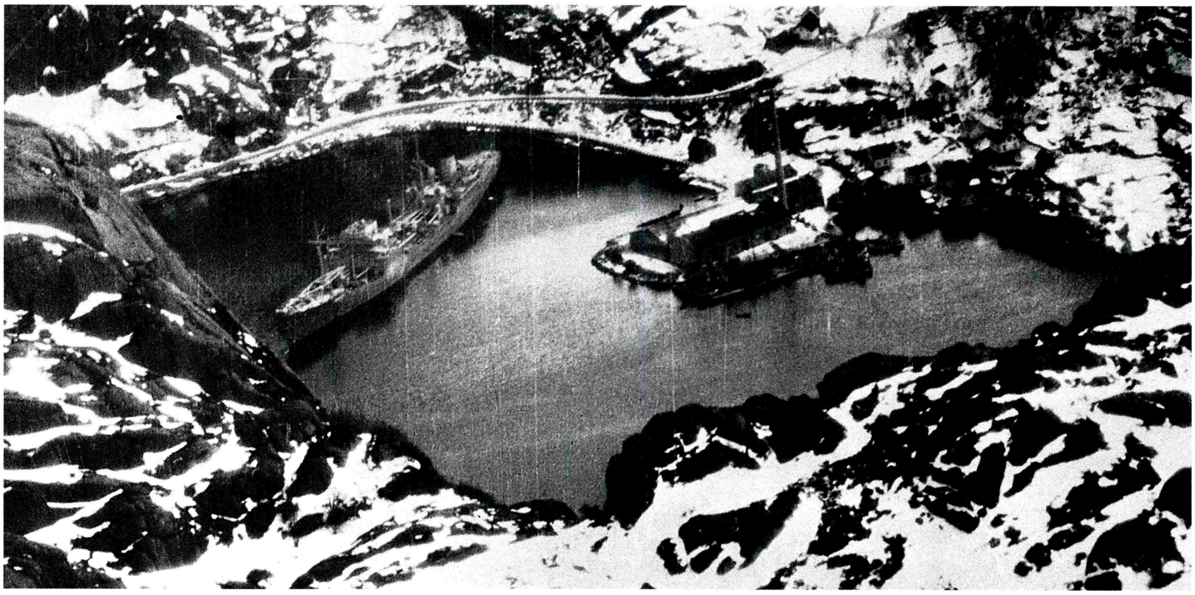


نيسان 1940: المدمّرة الألمانية جورج ثيل بعد المعركة الثانية في نارفيك.

خوفاً من قيام البريطانيين بعمليات إنزال على الساحل النرويجي، نقل هتلر 100,000 من جنوده إلى هناك في 5 نيسان وغزا الدانمرك - في ذهول للسلطات الدانمركية، التي صدّقت تعهّدات دبلوماسية من النازيين باحترام حيادها. كان رئيس الوزراء الدانمركي تورفالد ستاونينغ واثقاً جداً بذلك ورفض إصدار أمر بالتعبئة، تحسباً لاستفزاز ألمانيا.

لكن هتلر لم يكن بحاجة إلى استفزاز. باكراً في 9 نيسان، عبرت قوات الصاعقة التابعة له الحدود الدانمركية، وبرغم هذا رفض عدد من المسؤولين الدانمركيين التصديق أن ذلك غزو «حقيقي»، ولم يستطع قائد القوات البحرية الدانمركية إرغام نفسه على إصدار أمر لسفنه بإطلاق النار. مدركاً أن الوقت قد فات للمقاومة، أمر الملك كريستيان العاشر بوقف فوري لإطلاق النار. بحلول 6,25 بعد الظهر، توقفت كل المعارك وخضعت الدانمرك لسيطرة النازيين. لقي 13 جندياً دانمركياً حتفهم وأُسقطت طائرتان ألمانيتان فقط.

أُصيب مسؤولون نرويجيون في أوسلو بالدهش أيضاً حين وصل المغاوير الألمان إلى المدينة وتروندهايم وبرغن ونارفيك. قطع الغزاة خطوط الكهرباء عن العاصمة، واجتمع مجلس الوزراء النرويجي في الظلام، وأُرغم على قراءة الإنذار الألماني على ضوء الشموع. نظراً إلى تعطّل هواتفهم، أرسلوا أمراً بالتعبئة العامة إلى قواتهم المسلحة بالبريد وغادروا المدينة. نقلوا مقر الحكومة شمالاً، إضافة إلى 20 شاحنة تحمل احتياطيات الذهب النرويجية، وواجهوا هجوماً



أعلى: ألتمارك قبل الهجوم. مقابل: بعد أول معركة في نارفيك.

مركزاً من سلاح الجو الألماني استهدف الملك النرويجي هاكون السابع، الذي كان يختبئ معهم في غابة قرب الحدود السويدية.

سمع رينو عن غزو النرويج من وكالة الأنباء رويترز - ما يُظهر مدى فشل استخبارات الحلفاء. لم يصّدق أو البريطانيون أن الألمان قد وصلوا إلى ذلك الحد شمالاً بسرعة كبيرة، وارتبكوا بشأن طريقة التعامل مع الاجتياح. باءت محاولات البريطانيين السيطرة على نارفيك وتروندهايم بالفشل، في حين لم تنجح عمليات الإنزال على قريتي صيد الأسماك الصغيرتين نامسوس وأندالسنيس؛ لأنهما كانتا ضمن مدى لوفتفافه، التي بدأت تعمل آنذاك من مطارات نرويجية.

برغم ذلك، لم يكن الغزو النازي ناجحاً تماماً. كبّدت مقاومة غير متوقعة من البحرية النرويجية ومن عمليتين للبحرية الملكية الألمانَ خسارة ثلاث طرّادات وعشر مدمّرات - لم يُترك لها إلا ثلاث طرّادات وأربع مدمّرات فقط ملائمة للعمل. الأسوأ من ذلك لـ هتلر، استطاع الملك هاكون وحكومته الهرب إلى لندن، ما أضاف مليون طن من الشحن إلى أسطول الحلفاء التجاري.

ساد صخب بين السياسيين البريطانيين بشأن تلك النكسات. صرخ رئيس البرلمان المحافظ الطاعن في السن ليوبولد أمري على تشامبرلين في مجلس العموم: «باسم الرب، ارحل!». رفض حزب العمال المعارض الانضمام إلى حكومة ائتلافية بقيادة تشامبرلين، وبحلول 10 أيار أصبح وينستون تشرشل - الرجل المسؤول عن عمليات الإنزال النرويجية الكارثية - رئيساً للوزراء.



سقوط فرنسا

هزيمة الجيشين الفرنسي والبريطاني

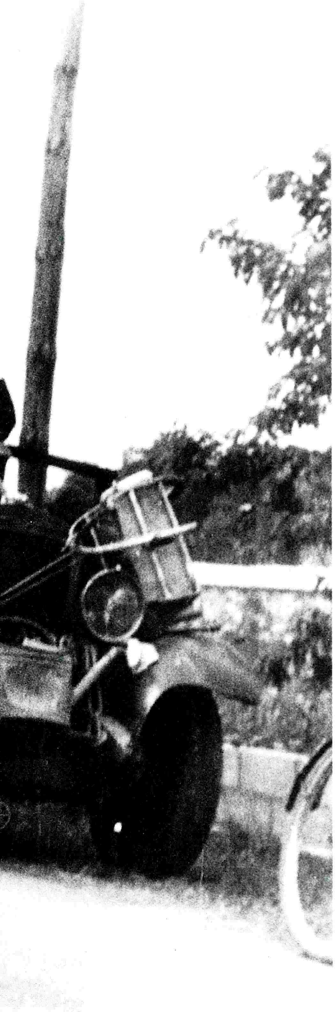
كان أول موعد حدّده هتلر لغزو فرنسا في 12 تشرين الثاني 1939 – أثار ذلك خوف الجنرالات الألمان الذين بذلوا جهوداً مضنية لإقناعه بالعدول عن رأيه. أخّر الطقس السيئ مراراً المشروع – ثم أجبرته حادثة غريبة على إلغائه. أُرغم ضابط ارتباط بمكتب القائد العام للقوات الألمانية المحمولة جواً، كان مسافراً من مونستر إلى بون، على الهبوط اضطرارياً نتيجة الطقس العاصف، بعيداً أميالاً عن مساره، داخل بلجيكا. كانت الأوراق التي بحوزته، وفشل في إتلافها قبل القبض عليه، توضّح الخطط الكاملة لغزو فرنسا، وسلّم البلجيكيون تلك الوثائق إلى الحلفاء. قيل آنذاك إن القادة النازيين كانوا ضحايا مكيدة ماكرة من الاستخبارات الألمانية لإحباط الغزو، وبكل حال برزت ضرورة إعادة تخطيط الهجوم كله.

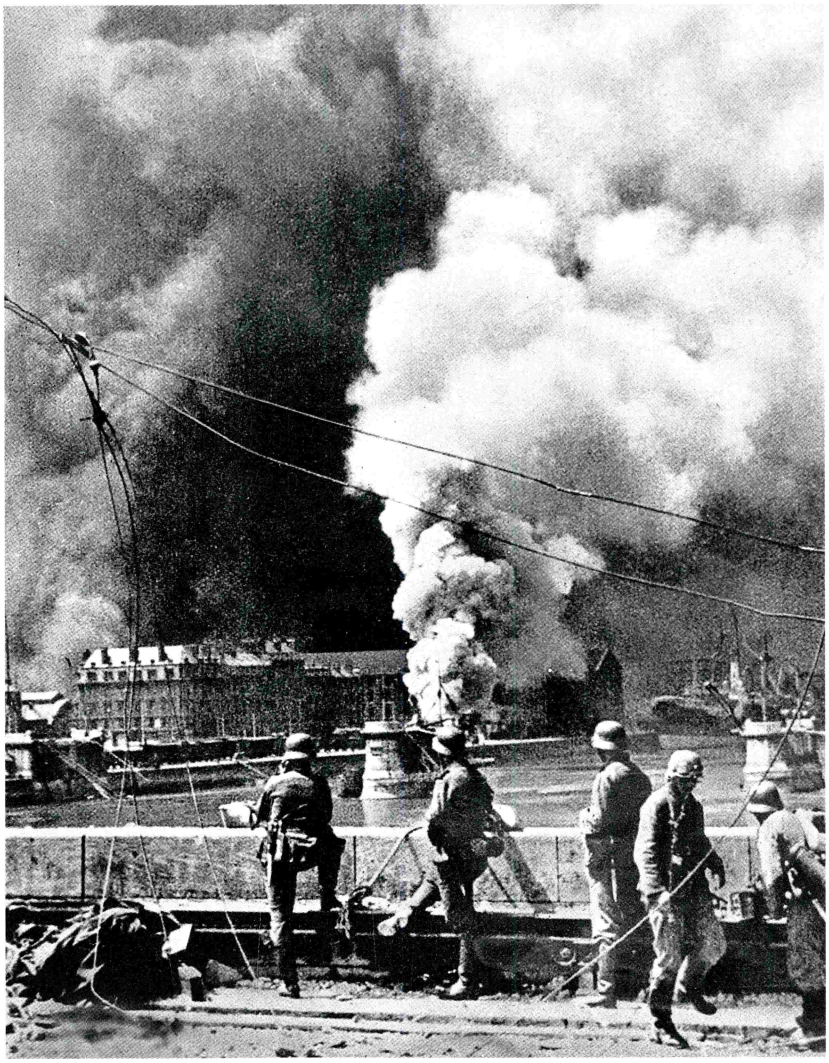
كانت الخطة الجديدة وليدة أفكار الجنرال الشاب إريش فون مانشتاين، الذي اقترح هجوماً عبر أردين. أعجب هتلر بالفكرة كثيراً حتى أضحى يصدّق أنه قد فكّر فيها بنفسه.



أيار 1940: روتردام بعد غارة جوية نازية.







1940: جنود ألمان ينظرون إلى روتردام تحترق.

تلقّى الملحق العسكري الهولندي في برلين معلومة في 9 أيار 1940 أن هناك غزواً وشيكاً. بعث برقية إلى لاهاي: «غداً عند الفجر، تماسكوا». لكن عندما هاجم هتلر هولندا، وبلجيكا، ولوكسمبورغ، وفرنسا معاً في صباح اليوم الآتي، كان وزير الخارجية الهولندي إيلكو فان كليفينس لا يزال يناقش مع زملائه ما يجب فعله.

هاجمت القوات الألمانية المحمولة جواً لاهاي وروتردام، وسحقت الدفاعات الحدودية الهولندية إلى الشرق وسيطرت على الجسر الرئيس في وسط روتردام باستخدام طوّافة مائية. بعد أربعة أيام، كانت روتردام لا تزال تقاوم، لكن عندما كانوا يفاوضون على الاستسلام، تعرّضوا لقصف عنيف من الجو. لقي نحو 980 مدنياً حتفهم، وبعد ساعتين استسلمت سلطات المدينة. عندما وصل الجيش الفرنسي السابع لتقديم الدعم بعد خمسة أيام، وجد أن أكثر من 100,000 جندي هولندي قد أضحوا أسرى آنذاك.

لم يحقق الهجوم الألماني على هولندا نجاحاً كاملاً: فشل اندفاع مفاجئ نحو لاهاي في القبض على الحكومة الهولندية، التي فرّت مع الأسرة الملكية الهولندية على متن مدمّرة بريطانية إلى لندن.

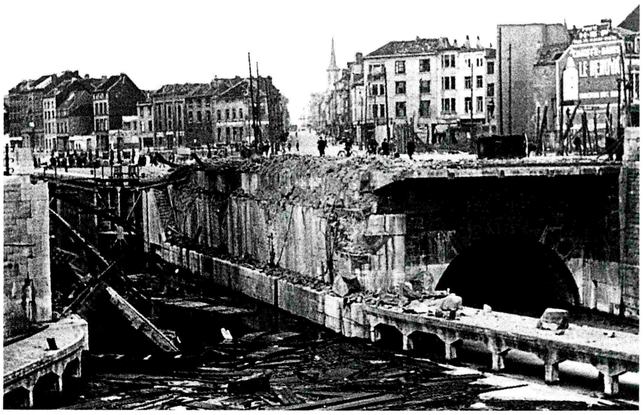


أعلى: لاجئون على الطريق في بلجيكا.   أسفل: مظليون ومشاة ألمان في هولندا.





دبابات فرنسية تقوم بمناورات قبل الغزو.



أيار 1940: الجسر المحطّم فوق الميز.



جنود بلجيكيون مرهقون على طريق بروكسل.

لم يكن لدى ألمانيا في تلك المرحلة إلا 4500 مظلّي مدرّب فقط، وقد زجّت بهم جميعاً تقريباً في الهجوم على هولندا. استُخدم باقي المظلّيين في بلجيكا، وضُخّمت أعدادهم بإلقاء دمى لنشر الرعب. نزلت قوة ضاربة مكوّنة من 85 مظلياً على سطح حصن آبين–أمايل المحصّن تماماً، الذي يحمي لييج وقناة ألبرت، واستولت عليه في حين لم تخسر إلا خمسة رجال فقط. احتل آخرون جسوراً رئيسة للسماح للفرق الألمانية بالاندفاع عميقاً في الأراضي البلجيكية.

أخبر تشرشل مجلس العموم البريطاني الغاضب بعد ثلاثة أيام: «لا شيء أقدّمه إلا الدم، والكدح، والدموع، والعرق».



أعلى: جنود فرنسيون يحتشدون في باريس.   أسفل: فوضى في محطة قطارات الشرق في باريس، أيار 1940.





حزيران 1940: جنود ألمان قرب السوم.

شتّتت هجمات المظليين انتباه الحلفاء، في حين كان قائد الدبابات الألماني اللامع هاينز جوديريان يتجه عبر لوكسمبورغ نحو أردين – تضاريس حراجية كثيفة عُدَّ اجتيازها مستحيلاً من قبل البريطانيين والفرنسيين وخبراء عسكريين ألمان آخرين على حد سواء. أخذ معه أكبر عدد من الدبابات يُرى في الحرب على الإطلاق، وبعد أربعة أيام من بدء الهجوم، عبر الحدود الفرنسية ووصل إلى الميز.

كانت فرق الحلفاء المحمولة تندفع عميقاً داخل بلجيكا ومكشوفة بازدياد لمناورة التطويق تلك، ولا توجد إلا بضع فرق من دبابات فرنسية سيئة العتاد لمقاومة جوديريان. برغم ذلك، أدرك جوديريان أن عليه اجتياز الميز بسرعة قبل أن يعيد الفرنسيون تجميع قواتهم. بحماية 12 سرباً من القاذفات، نجح في اجتياز النهر قرب سيدان، من ثم تجاهل مخاوف القادة في صفوفه (حتى هتلر كان يتوقع هجوماً مضاداً فرنسياً على خاصرة جوديريان المكشوفة آنذاك) وتابع التقدم شمالاً، فانهارت المقاومة أمامه. أخبر رينو تشرشل عبر الهاتف في 15 أيار: «لقد خسرنا المعركة».

سافر تشرشل جواً إلى باريس في اليوم الآتي، ليجد الطرق في الجنوب مملوءة لاجئين، وقيادة الجيش في حيرة من أمرها. في محاولة يائسة منه لتحفيزهم، وعد بتقديم 10 أسراب مقاتلات – وعدٌ نقضه مجلس الوزراء لدى عودته إلى الوطن بعد تحذيرات أن الدفاعات الجوية البريطانية تعاني

نقصاً خطراً. سأل تشرشل القائد العام غاملان: «أين الاحتياطي الإستراتيجي؟»، فجاء الرد: «غير موجود إطلاقاً».

أُرسل العميد الشاب شارل ديغول لاختبار نظرياته عن حرب الدبابات على رأس قوة هجوم مضاد جُمعت بسرعة في 17 أيار. أنهكه القصف الجوي ودفعه إلى العودة مع 150 دبابة إلى لاون، لكن بعد موقفه الشجاع طُلب منه الانضمام إلى حكومة رينو بمنصب معاون وزير الحرب. كتب: «شعرت أن غضباً عارماً يعتمل في نفسي. كان ذلك غباءً شديداً. إذا عشت فسأقاتل حيث يجب أن أقاتل، والوقت اللازم لذلك، حتى يُهزم العدو ويتحرّر التراب الوطني».

بحلول 20 أيار، كان جوديريان قد وصل إلى البحر عند أبفيل، ويتجه نحو موانئ القنال والجيش البريطاني الذي واجه الفرق الألمانية المتقدمة من الخاصرة الأخرى. في جرافلين، البعيدة عشرة أميال فقط عن دنكيرك – آخر نقطة انسحاب للقوات البريطانية – توقفت دبابات جوديريان بأوامر من القيادة العليا الألمانية.

في تلك الأثناء، كان رينو قد عزل غاملان، واضطر إلى الانتظار ثلاثة أيام حتى يصل خليفته ماكسيم ويغان من سوريا. عندما وصل ويغان، اقترح فوراً هجوماً معاكساً من الحلفاء، فشنَّ غورت وفقاً لذلك هجوماً جنوب أراس بكتيبتي دبابات. تكلّل ذلك بنجاح كبير في البداية، لكن بحلول وصول الفرنسيين للمساندة، لم يكن يعمل بنحو ملائم إلا دبابتان فقط، وأُرغم البريطانيون على الانسحاب. برغم هذا، لم تكن القيادة العليا الألمانية مرتاحة للموقف، وتلقى الجيش أوامر بإيقاف تقدمه وتعزيز مكاسبه.



جوديريان يندفع عبر فرنسا.



حطام هينكل 3 ألمانية في فرنسا.





وحدة درّاجات نارية فرنسية.



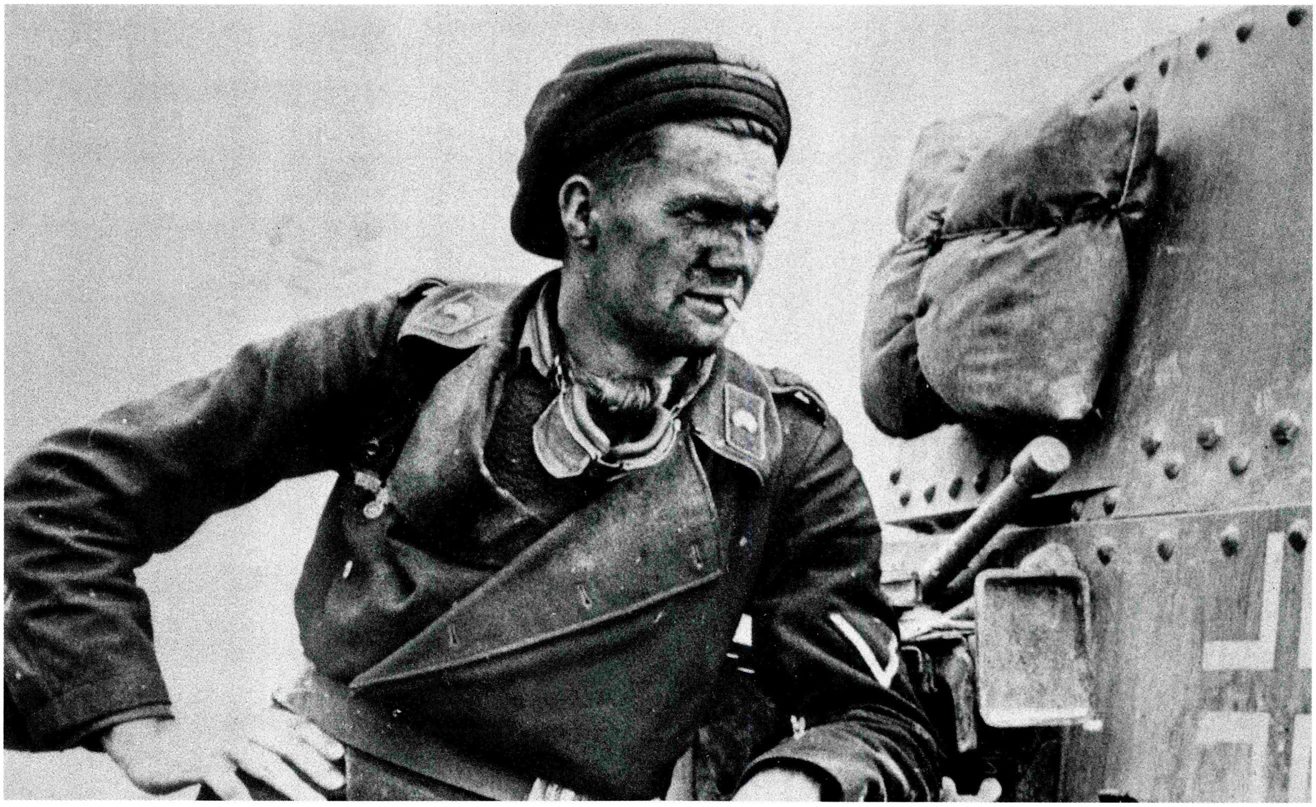
دبابات تقعقع عبر بلدات مدمّرة في شمالي فرنسا.



جنود ألمان يزيلون متاريس طريق في أردين.

مقابل: دبابات عند الميز في فرنسا.





أفراد فريق دبابة ألمانية يتوقفون للاستراحة في أثناء تقدّمهم.



دبابة في ضواحي باريس.



عربة مصفّحة فرنسية مهجورة.

هل كان التوقف الألماني، كما قد اقترح بعض المؤرّخين، مكيدة من هتلر لإبرام اتفاق سلام مع بريطانيا؟ لن نعرف بالتأكيد أبداً، لكن بغض النظر عن السبب، أوكلت مهمة تدمير القوات البريطانية والفرنسية في دنكيرك إلى لوفتفافه غورينغ، لكنها فشلت في إنجازها.



ليوبولد ملك بلجيكا.

كان توقف التقدّم الألماني ثلاثة أيام هو كل ما يحتاج إليه البريطانيون للفرار. في مساء 25 أيار، قرّر غورت عصيان الأوامر التي أصدرها القائد العام الجديد ويغان بالتشبّث بالأرض، وبموافقة متردّدة من مجلس الوزراء البريطاني، بدأ الانسحاب من شواطئ دنكيرك.

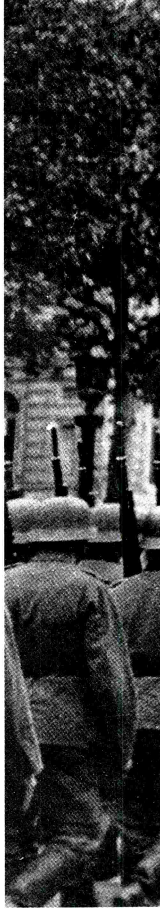
كان البلجيكيون، في تلك الأثناء، يقاتلون بيأس في موقف يربكه اللاجئون ومنشورات عن موقفهم الخطر تلقيها طائرات ألمانية. قال الملك البلجيكي لقواته: «لقد بدأت المعركة الكبرى التي كنا نخشى خوضها». لكن برغم المناشدات اليائسة من البريطانيين بالانتظار حتى تنسحب قواتهم، أعلن ليوبولد الاستسلام في 28 أيار.



حزيران 1940 : قوات ألمانية تسير عبر قوس النصر.



إستعراض عسكري في قلب باريس.



رفضت الحكومة البلجيكية، الموجودة آنذاك في باريس، قبول قرار الملك – لكن قواتها الاحتياطية بقيت وقتاً يكفي لإنقاذ غورت فقط. برغم أن تشرشل كان يجهّز الشعب للأسوأ، نقلت البحرية الملكية – بمساعدة 860 مركب نزهة، وقارب صيد أسماك، وزورق قناة، وسفن شراعية – 200,000 جندي بريطاني و140,000 جندي فرنسي إلى إنكلترا. عدَّ البريطانيون الإخلاء نصراً من نوع ما، لكن القيادة الفرنسية رأته خيانة، وظنّت أنها قد خُذلت في لحظة حاسمة من الحملة العسكرية. فقد البريطانيون ست مدمّرات و177 طائرة مقاتلة في العملية، وقد ترك الجنود معظم أسلحتهم ومعدّاتهم خلفهم على الشواطئ. وقع نحو 150,000 جندي فرنسي في المؤخرة في الأسر.

بعد ذلك بوقت قصير، باءت محاولة ويغان للتشبث بالأرض عند سوم بالفشل نتيجة هجوم ألماني جديد، في حين فرّت الحكومة الفرنسية إلى تور، ثم إلى بوردو. في 14 حزيران، سارت طليعة الجنود الألمان على طول الشانزليزيه في باريس، وعندما فعلوا ذلك، أعلن موسوليني دخول إيطاليا الحرب، وأمر قواته بمهاجمة فرنسا من الجنوب على أمل أن يحظى بمقعد إلى طاولة المفاوضات.

التقى تشرشل وهاليفاكس وقطب الإعلام اللورد بيفربروك – آنذاك وزير إنتاج الطائرات – الحكومة الفرنسية آخر مرة في تور في 13 حزيران، وكانت خليلة رينو في الخلفية تحثُّ على استسلام فرنسا. لقي اقتراح بالوحدة بين فرنسا وبريطانيا، قدّمه تشرشل، رفضاً من مجلس الوزراء



إملاء شروط في عربة قطار في كومبين.



حزيران 1940: قصف دنكيرك.



جنود بريطانيون على الشاطئ يتعرّضون لهجوم جوي.

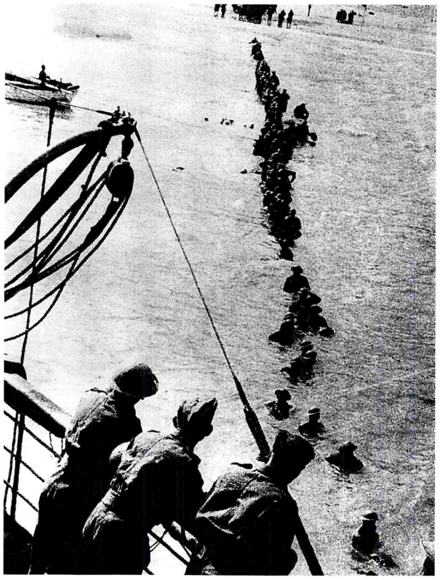


مدافع بريطانية مضادة للطائرات مهجورة في دنكيرك.

الفرنسي. رُفض أيضاً اقتراح رينو أن يشكل مجلس الوزراء حكومة منفى في أمريكا، فاستقال، وحل مكانه بطل فردان البالغ من العمر 84 عاماً؛ المارشال فيليب بيتان.

في 21 حزيران، طلب بيتان من الألمان هدنة. عندما سمع هتلر بالطلب، أصبح وجهه، وفقاً للمراسل الأمريكي ويليام شيرر، «محتقناً ازدراءً، غضباً، كراهية، انتقاماً، نصراً». أصرَّ أن تُوقّع الاتفاقية في كومبين في عربة القطار نفسها التي قد وقّع فيها جنرالات ألمان على شروط الاستسلام في 1918. اتفق الجانبان أن يُسمح لحكومة فرنسية، تعمل في فيشي، بإدارة البلاد جنوب لوار.

بعد بضعة أيام، كان على حكومة فيشي أن تدفع ثمن اتفاقها مع النازيين. خشي تشرشل أن يكون بيتان قد عقد اتفاقاً سرياً مع النازيين وانتابه قلق من احتمال وقوع الأسطول الفرنسي بيد الألمان، فأمر بتدمير السفن الحربية الفرنسية في وهران، والجزائر العاصمة. كان ذلك، كما



دنكيرك: جنود يخوضون في الماء للوصول إلى سفينة نقل.

قال: «أبغض قرار» قد اضطر إلى اتخاذه على الإطلاق. قطع بيتان مباشرة العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وأمر بقصف رمزي لجزيرة جبل طارق.

تخبّطت حكومة فيشي في اتهامات ذاتية بشأن الهزيمة الفرنسية. قال بيتان: «إنه خطأ المدرّسين الاشتراكيين»، الذين سمحوا لـ بيير لافال ورافائيل ألبير بوضع رينو ودلادييه رهن الاعتقال وإنشاء نظام استبدادي ومعاد للسامية. في الأعوام الأربعة الآتية، غيّرت حكومة فِيشي موقفها من الموافقة الضمنية على السياسات النازية إلى التعاون الفاعل معها.

كانت نتائج معركة فرنسا، كما أصبحت تُعرف، ضخمة على كل الأطراف. دُمّر الجيش الفرنسي بأسره تقريباً وقُسّمت فرنسا نفسها، ونظراً إلى سرعة انتصاره أصبح هتلر مقتنعاً أن جيوشه لا تُقهر – ثقة مفرطة سيثبت لاحقاً أنها كارثية في روسيا وشمالي أفريقيا. أخيراً إنما ليس آخراً أبداً، نزح أكثر من 10 ملايين مدني من ديارهم، وكان مصيرهم المشي طويلاً بنحو بائس على طرقات أوروبا الغربية، وتكديس ممتلكاتهم على عربات، والانهيار أحياناً من الإرهاق، والتعرّض غالباً لقصف من لوفتفافه.

وعبر القنال الإنكليزي، وبرغم ابتهاجهم بمعجزة دنكيرك، بدأ يتّضح ببطء للبريطانيين أن لا شيء يحول بين هتلر والسيطرة على أوروبا إلا 23 ميلاً من مياه البحر.



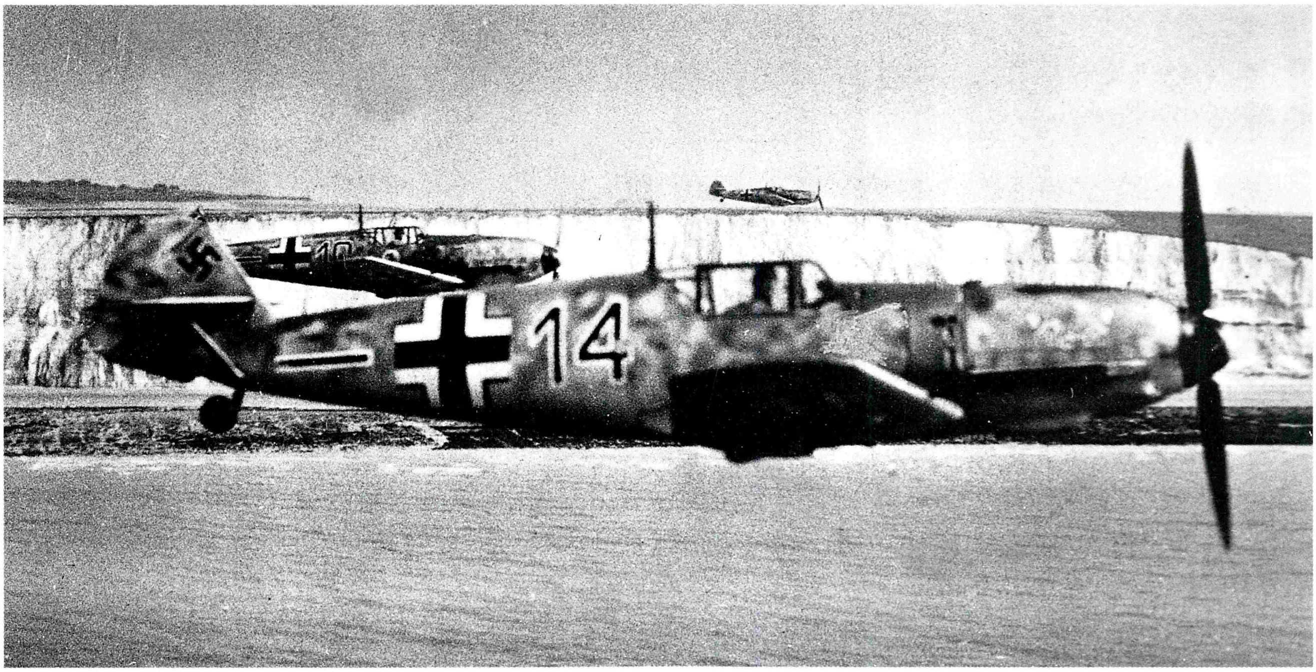
بعد الإخلاء: شاحنات مهجورة على شواطئ دنكيرك.

الجزيرة الحصن

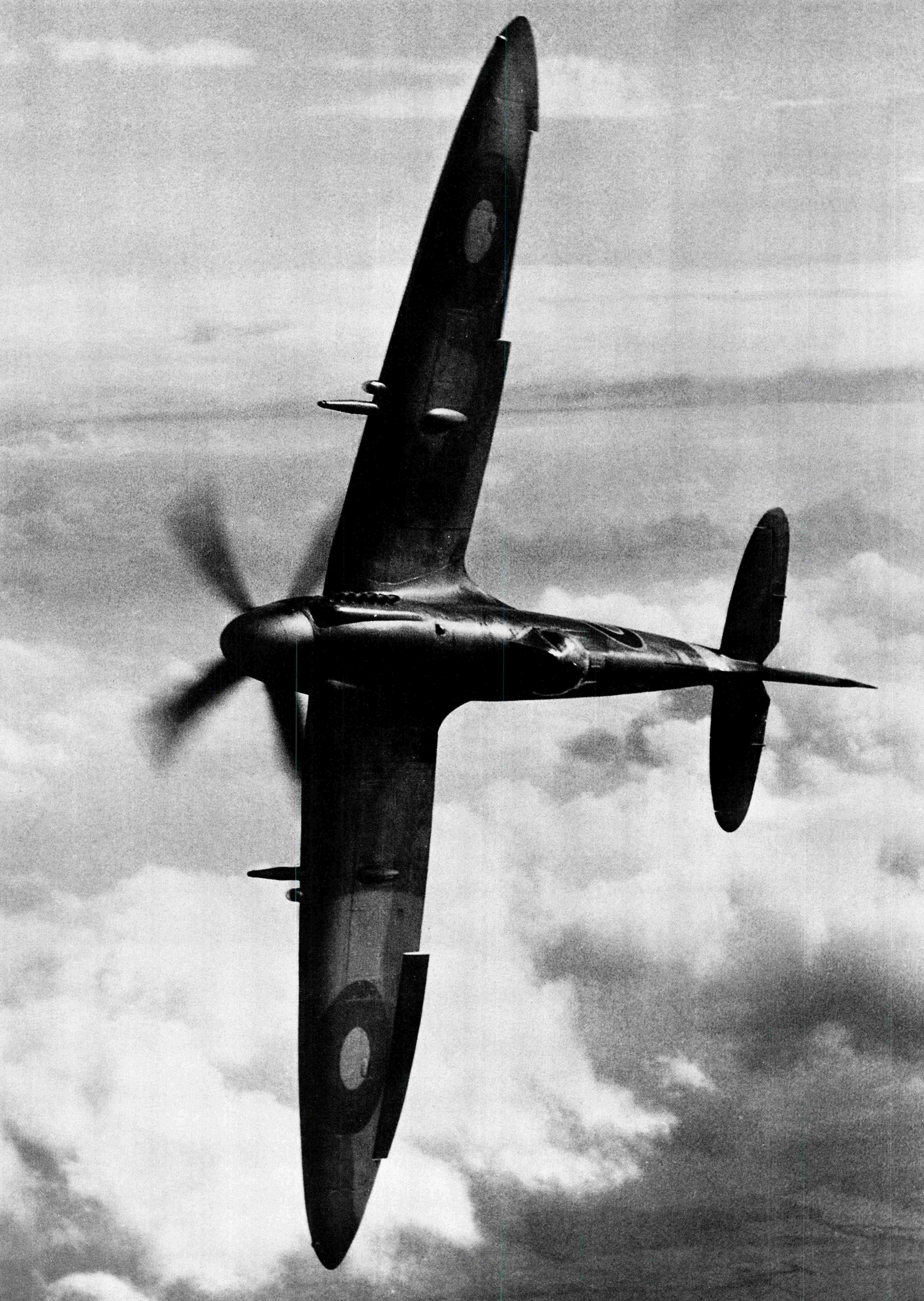
معركة بريطانيا والحرب الخاطفة

صرّح تشرشل، مبتهجاً ومرتاحاً لنجاة جنوده من دنكيرك: «يجب أن ندافع عن جزيرتنا، مهما كلّف الأمر». لكن برغم أن البريطانيين استطاعوا آنذاك فك بعض شفرات إنيغما الألمانية، ومعرفة أنه لا توجد خطط لغزو فوري، إلا أن قدرتهم على التصدّي لعدوانٍ في المستقبل بدت ضعيفة. في أثناء معركة فرنسا، خسر البريطانيون طائراتٍ بعدد التي كانت تخرج من خط الإنتاج تقريباً، في حين تركوا معظم مدفعية الجيش ومدرّعاته خلفهم على شواطئ دنكيرك.

كان يجب اتخاذ إجراءات فاعلة، وصدر الأمر بإعلان النفير العام، ومع بداية تشرين الأول بلغ تعداد القوات المسلحة 1,7 مليون بريطاني. شُكّل حرس وطني، وبسبب نقص الأسلحة اضطر أفراده إلى التزوّد برماح من شركات مسرحية وحتى بحراب نابوليونية أُخذت من بارجة الأميرال نلسون الخشبية، فيكتوري، البالغة من العمر آنذاك 150 عاماً الراسية في ميناء بورتسموث.

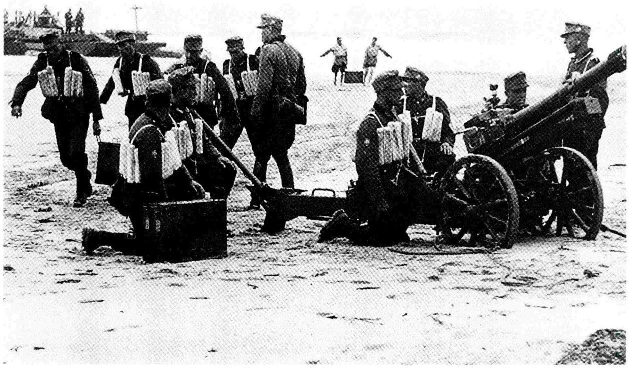


أعلى: مقاتلات مسرشميت بي إف 109 عائدة من غارة على كنت.
مقابل: سبتفاير تنف مناورة









قادة ألمان يراقبون جنوداً يتدرّبون من أجل «عملية أسد البحر»؛ خطة غزو بريطانيا.

في الوقت نفسه، جسَّ مسؤولون بارزون النبض عبر دبلوماسيين سويديين لمعرفة إمكانية التوصل إلى نوع من الاتفاق لإنهاء الحرب. يُظنُّ أن رئيس الوزراء الأسبق ديفيد لويد جورج والملك السابق إدوارد الثامن؛ دوق ويندسور آنذاك، ربّما كانا مستعدين لقيادة بريطانيا مهزومة. يبدو ممكناً أيضاً أن بعض الأرستقراطيين البريطانيين فكّروا في تسليم مالطا وجزر بريطانية أخرى لاسترضاء هتلر. لكن تشرشل كان عنيداً بأن بريطانيا يجب أن تقاوم بحزم، ورفض مناقشة الفكرة.

في خطاب ألقاه في الرايخستاغ في 19 تموز، حذّر هتلر بريطانيا من «معاناة وبؤس لا ينتهيان» إذا رفضت شروطه للسلام. كلّف تشرشل هاليفاكس؛ أحد مهندسي سياسة الاسترضاء، بمهمة ازدراء العرض عبر المذياع. بعد عدّة أيام، حُدّد موعد 15 أيلول لبدء عملية أسد البحر؛ الغزو المفترض لبريطانيا.

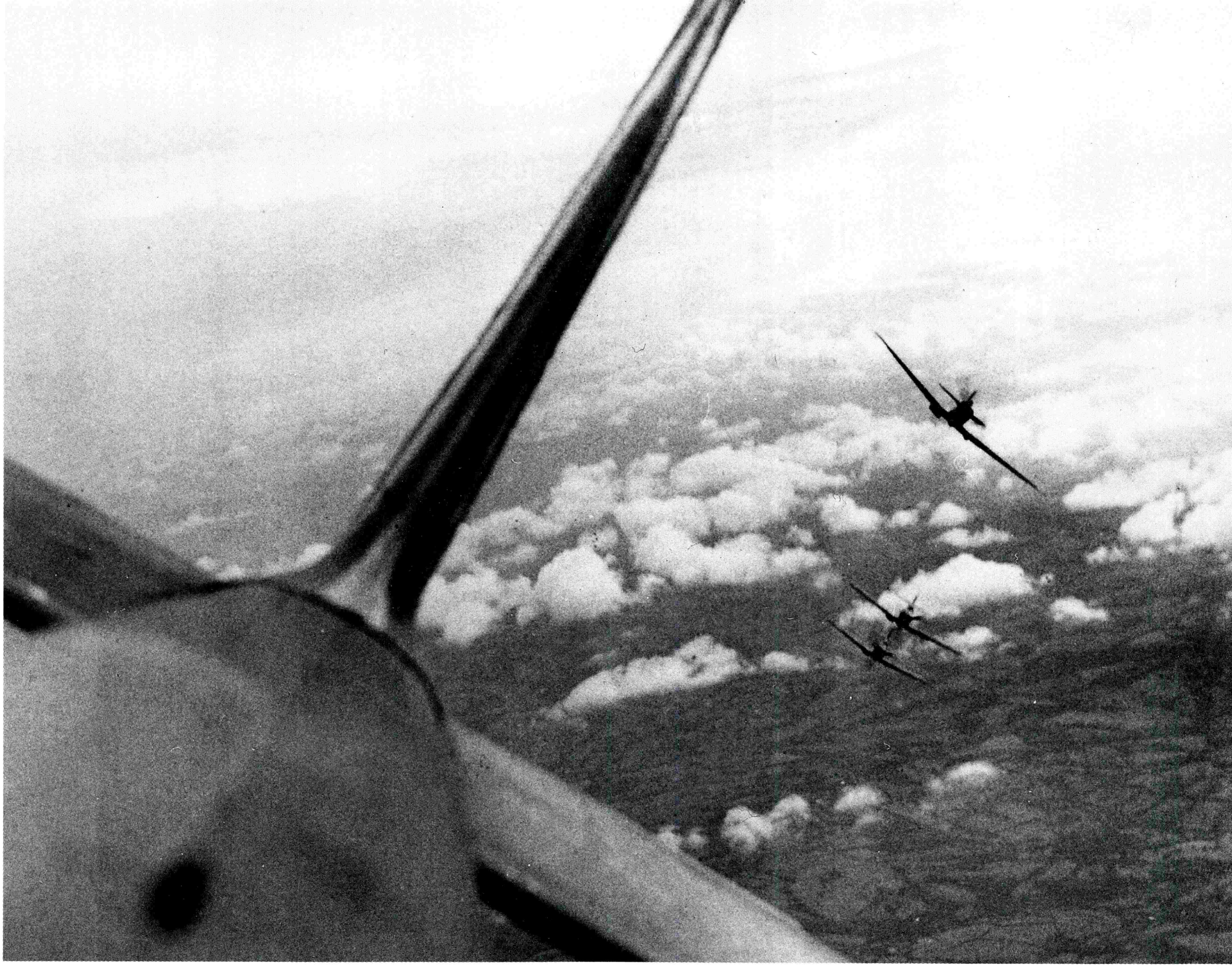
شعر رؤساء الأركان الألمان بالقلق بشأن خطط الغزو. لم تكن البحرية الألمانية ملائمة للمهمة، وظنّوا أن اجتياز القنال لن يكون ممكناً إلا بعد أن تفرض لوفتفافه سيطرتها الجوية فوق بريطانيا. وعد غورينغ بتحقيق ذلك في أسابيع، وفي 13 آب بدأت عملية بريطانيا كما أُطلق عليها.

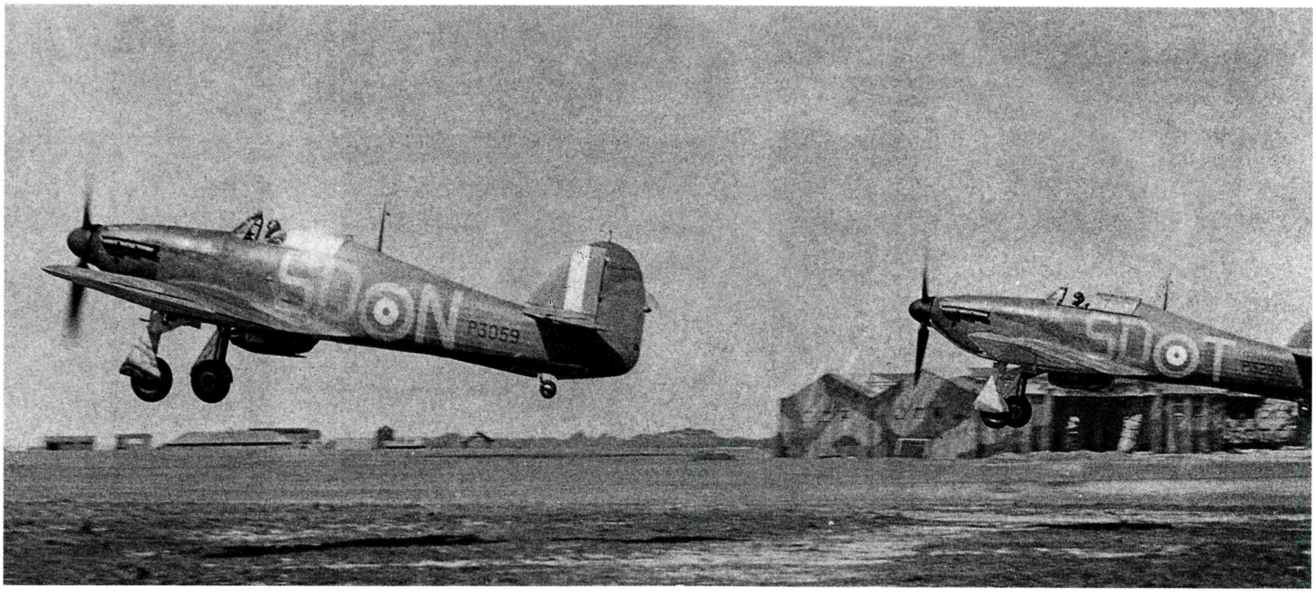
كان اليوم الأول على غرار نموذج شهور النجاح. حلّقت موجة بعد أخرى من قاذفات لوفتفافه، بمرافقة مقاتلات، فوق مطارات وموانئ وأهداف تكتيكية بريطانية أخرى، وحافظت على معدل الخسائر بنسبة اثنين إلى واحد تقريباً.

برغم التفوق العددي الكبير للنازيين، إلا أن البريطانيين تمتّعوا بعدّة أفضليات. كانوا يعملون فوق أراضي وطنهم، وبمقدور سبتفاير وهوريكان شن هجمات والهبوط وإعادة التزوّد بالوقود، والطيران للاشتباك مجدداً. كان لديهم رادار، سمح لهم بمتابعة اقتراب القاذفات الألمانية، ولديهم وزير جديد لإنتاج الطائرات؛ القطب الإعلامي اللورد بيفربروك، الذي عيّنه تشرشل في أيار، واستطاع التفوق على إنجاز المصانع الألمانية. وكان لديهم أيضاً هدف واضح وبسيط – تدمير أكبر عدد من القاذفات الألمانية – في حين غيّر غورينغ أهدافه في عدّة مناسبات، ما أحبط معنويات الطيّارين الألمان.



آب 1940: الحرس الوطني البريطاني – متطوّعو الدفاع المحلي آنذاك – يتدرّبون.





أعلى: طائرات سبتفاير في تشكيل قتالي.   أسفل: هوريكان «تُقلع» لاعتراض طائرات مغيرة.



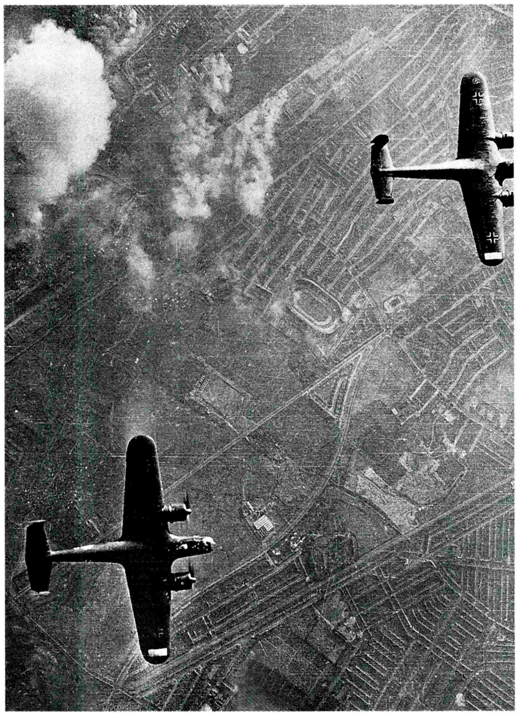
طيّارو مقاتلات سلاح الجو الملكي «يندفعون» إلى طائراتهم.



لحظة هدوء في مطار سلاح الجو الملكي بيجن هيل على خط الجبهة.



ثقوب رصاص في يونكر 88 أُسقطت قرب الساحل الإنكليزي.



طائرتا دورنير فوق لندن.

تعزّزت معنويات سلاح الجو الملكي، من جهة أخرى، مع تقدّم المعركة. قال تشرشل في ثنائه على الطيّارين: «لم يسبق في مجال النزاع الإنساني أبداً أن كانت أغلبيةٌ مَدينَةً بالكثير لفئة قليلة». برغم هذا، عانت بريطانيا نقصاً حاداً في الطيّارين المدّربين. وجد الناجون أنفسهم يتعرّضون لإجهاد كبير، ويقاتلون إلى جانب مجنّدين جدد أقل خبرة باستمرار، ولم تكن لديهم وسائل للتصدّي للهجمات الألمانية الفاعلة على مهابط مقاتلاتهم في كنت.

ثم، في إحدى الانعطافات الغريبة في الحرب، توقّفت تلك الهجمات فجأة. قصفت قاذفة ألمانية، أخطأ قائدها طريق العودة في 24 آب، لندن من دون قصد، وردَّ تشرشل بسلسلة من الغارات الصغيرة على برلين. استشاط هتلر غضباً، بعد أن وعد باستحالة حدوث ذلك، ووجّه هجومه للقصف من دون تمييز على مدن بريطانية – إستراتيجية تبنّاها كلا الجانبين آنذاك حتى نهاية الحرب. أصبحت المهابط البريطانية بأمان: بحلول نهاية المعركة في تشرين الأول، فقد الألمان 1733 طائرة في حين خسر البريطانيون 915.

في الشهر ذاته، أجّل هتلر غزو بريطانيا حتى الشتاء. دمّر القصف الكثيف للمدن البريطانية، أو ما يسمّى «الحرب الخاطفة»، ثلاثة ملايين ونصف المليون منزل وقتل 30,000 شخص. تهدّمت كوفنتري كلها تقريباً في 14 تشرين الثاني، ودمّرت غارة ضخمة في ليلة 29 كانون الأول ثمانياً من كنائس رن التاريخية في لندن وأرغمت رجال الإطفاء على نسف مبانٍ للحيلولة دون انتشار النيران – شيء لم يحدث منذ الحريق الكبير في 1666. عملت فرق نزع القنابل المدنية البريطانية آنذاك على تعطيل 4000 قنبلة لم تنفجر كل شهر. قال تشرشل في البرلمان: «أشعر أننا نقاتل طلباً للحياة، وننجو من يوم إلى آخر ومن ساعة إلى أخرى».

لكن بدا أن تكتيكات الرعب تلك، بعيداً عن تدمير النسيج الأخلاقي للشعب البريطاني، تعزّز فقط إرادة الصمود لديه. كانت تلك عِبرة غابت بوضوح عن قيادة القاذفات البريطانية، التي اعتمدت السياسة عينها في القصف المرعب على ألمانيا حتى الأسابيع الأخيرة من الحرب.

بحلول حزيران 1941، أضحت الهجمات الجوية الألمانية على بريطانيا أكثر فتوراً بعد أن ركّز غورينغ اهتمامه على التحضير للحرب في الشرق. في تلك الأثناء، نتج عن نزاع شخصي مرير في



فوق: ساوثوارك تشتعل في أثناء الحرب الخاطفة. أسفل: حطام محطة مترو بالهام.







مقابل: كانون الثاني 1941 – لندن مدمّرة كما تُرى من سانت بول.   أعلى: خراطيم إطفاء ممدّة في الشارع بعد غارة.



رجال إطفاء يعملون بين أنقاض في الطرف الشرقي من لندن.



أعلى: أسرة بريطانية تحمل أقنعة غاز إلى ملجئهم الجديد من الغارات الجوية.   أسفل: أطفال ينتظرون الإخلاء.



وزارة الطيران البريطانية بين هيو داودينغ وكيث بارك – الرجلين المسؤولين عن النصر في معركة بريطانيا – إقصاؤهما من القيادة.

سمحت جغرافية الجزر البريطانية للبلاد بالصمود ضد الغزو الألماني، لكن فقط بسبب إبقاء الممرات البحرية مع أمريكا مفتوحة – لا غير – لوصول أغذية وإمدادات ضرورية. أدرك هتلر هذا، ومنذ أيلول 1939، صدرت أوامر لغواصاته يو–بوت بإغراق أكبر عدد ممكن من السفن لجعل البريطانيين يتضوّرون جوعاً ويستسلمون.

كانت ما تسمّى معركة الأطلسي قد بدأت بإغراق الباخرة البريطانية أثنيا في 4 أيلول 1939، وإلقاء ألغام مغناطيسية حول ساحل بريطانيا. لكن بعد سقوط أوروبا الغربية، اكتسبت الحرب البحرية زخماً جديداً. أصبحت الموانئ الفرنسية على الأطلسي متاحة فجأة للألمان، في حين تحرّكت 118 غواصة إيطالية في البحر المتوسط. في الوقت نفسه، أُوقفت سفن عن القيام بمهمات مرافقة في الأطلسي – برغم احتجاجات من الأميرال البريطاني السير تشارلز فوربس – وأُرسلت إلى جنوبي إنكلترا انتظاراً للغزو المتوقع.


لندنيون يتّخذون ملتجأ تحت الأرض.

في تموز 1940 وحده، أُغرق نحو 500,000 طن من طاقة الشحن في الأطلسي. علّم مختصو الشفرات الألمان أنفسهم قراءة إشارات البحرية البريطانية، لذا كانوا يعرفون كثيراً من مواعيد وطرق وخطط القوافل البحرية. استطاع قائد يو–بوت كارل دونيتز توجيه غواصاته بدقة متناهية، وحسب أن البريطانيين سيُرغمون على الاستسلام إذا أغرق 750,000 طن من الشحن شهرياً، وشاطره البريطانيون هذا الرأي: حدّدوا الرقم عند 600,000 طن.

لكن الغواصات كانت بطيئة والمسافات شاسعة: تمكّنت قوافل عديدة من تجاوزها. كان هتلر قد منح بناء يو–بوت أولوية أقل مما يريد الأميرال دونيتز أيضاً، وفي نهاية 1940 لم تكن إلا 22 منها



بطل يو–بوت أوتو كرتشمر.

جاهزة للعمل. من ناحية أخرى، طوّر قادة يو–بوت تكتيكات فتّاكة جديدة، وعملوا معاً في «مجموعات ذئاب»، وأثبتت إنجازات قادة متفوقين مثل أوتو كرتشمر وغنثر برين (الذي أغرق رويال أوك) أنها ملهمة لكثير من قادة يو–بوت آخرين.

أُرغم البريطانيون على إيجاد أساليب للرد على الهجمات. باستخدام معدّات سونار لا تزال بدائية آنذاك، ومدمّرات وسفن قديمة لإلقاء ألغام أعماق على يو–بوت محتملة، وبحلول آذار 1941 أُغرق برين وأُسر كرتشمر. أنهى كلاهما حياته العسكرية بخوض معارك مع القافلة نفسها، وقبل أن يغرق أمر كرتشمر – مصمماً على أن يكون أول قائد يو–بوت يُغرق 300,000 طن من الشحن – عامل اللاسلكي لديه بأن يبعث رسالة إلى دونيتز أنه قد أغرق 50,000 طناً أخرى. أسر البريطانيون أيضاً الرجل الذي قد أغرق أثنيا؛ يوليوس لمب، ومعه مواد شفرة مهمة سمحت لهم بفك الشفرات البحرية الألمانية.

وصلت المساعدة أيضاً على شكل تشريع الإعارة والتأجير في أمريكا. وعد رئيس الولايات المتحدة فرانكلين روزفلت البريطانيين بتقديم 50 مدمّرة أمريكية قديمة مقابل قواعد إستراتيجية في بريطانيا وامتيازات تجارية أخرى. عندما سُلّمت السفن في أيلول 1940، لم يكن ملائماً للخدمة الفورية منها إلا تسع فقط، لكنها مثّلت إشارة رمزية مهمة من روزفلت، الذي كان يكافح ضد لوبي الانعزال القوي المؤيد لإبقاء أمريكا خارج الحرب. بعد انتخابه في منصبه المرة الثالثة في نهاية 1940، استطاع روزفلت تقديم عون أكبر للبريطانيين. وصلت قوات أمريكية إلى أيسلندا لمساعدة القوات البريطانية هناك، وسرعان ما بدأت المدمرات الأمريكية نفسها تتعرّض لهجمات من يو–بوت.



غنثر برين على برج القيادة.

صرّح هتلر في 1941: «في آذار ونيسان، ستبدأ عملية بحرية في مكان لا يتوقعه العدو أبداً. حيث تكون البواخر البريطانية، ستُرسل يو–بوت ضدها حتى تحين ساعة القرار». فعلاً، شهد نيسان 1941 إرسال نحو 700,000 طن من الشحن إلى قعر الأطلسي، وكانت تلك على الأرجح هي اللحظة التي كاد البريطانيون يخسرون الحرب فيها.

كان هناك أيضاً خطر الغارات الألمانية فوق سطح الماء – بوارج



الأميرال الألماني رايدر.

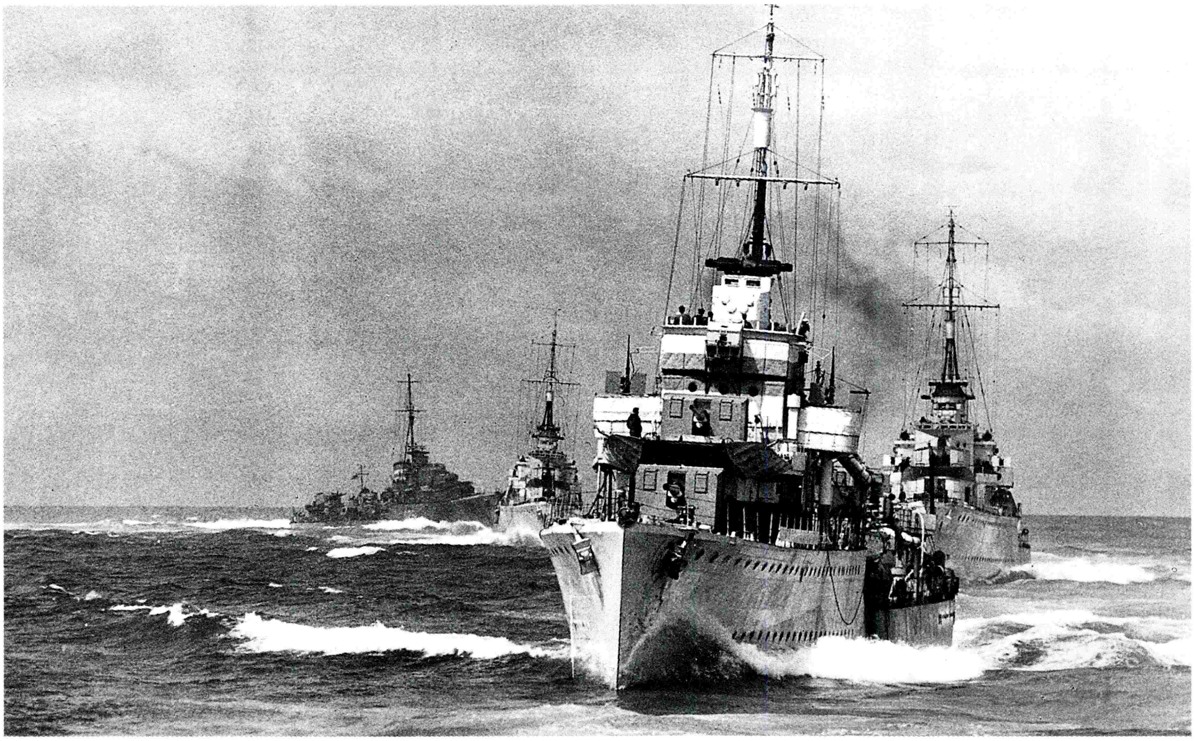
حربية، وطرّادات، وبواخر تجارية معدّلة - برغم أن هتلر بقي محافظاً على الأسطول الرئيس، خوفاً من الدعاية السلبية التي قد تحدثها أي خسائر كبيرة فيه. في كانون الثاني 1941، خرج الطرّادان الألمانيان شارنهورست وجنيسينو إلى الأطلسي عبر مضيق الدانمرك، وبعد رحلة ناجحة في مهاجمة قوافل وتفادي المعارك نفسها، وصلا إلى ميناء بريست الفرنسي.

متشجعاً بهذا النجاح، أمر قائد البحرية الألمانية إريش رايدر في أيار 1941 بإجراء مناورة باستخدام البارجة الجديدة القوية بسمارك. بقيادة غنثر لوتجنز؛ العقل المدبّر لهجمات شارنهوست وجنيسينو، خرجت بسمارك من مرساها في زقاق نرويجي وتوجهت إلى طرق القوافل.

خرج الأسطول الملكي البريطاني خلف البارجة، حين انتبه إلى الخطر الذي تمثّله على الشحن التجاري. في اشتباك قصير، تلقّت البارجة البريطانية هود ضربة مباشرة في مستودع ذخيرتها



طقس قطبي على سفينة بريطانية.



مدمّرات من البحرية الملكية في مهمة مرافقة.



مساعدة الجهد العسكري الروسي – حشد عفوي في ميناء إنكليزي.



أيار 1941: بسمارك ترد على نيران الأسطول البريطاني.

وانفجرت، ولم ينجُ إلا ثلاثة من أفراد طاقمها. لكن في 28 أيار، وفي أثناء توجهها إلى بريست، وقعت بسمارك أخيراً في الفخ وغرقت، ومات مئات البحّارة الألمان غرقاً حين أخافت يو-بوت سفن إنقاذ بريطانية وأرغمتها على الابتعاد عن المكان. كتب الأميرال البريطاني؛ السير جون توفي، في تقريره: «خاضت بسمارك قتالاً شرساً ضد طرف متفوق تماماً. يا للأسف أن هذه الحقيقة لا يمكن أن تُنشر علناً 'لأسباب سياسية'».

قيل إن هتلر «حزن بنحو يعجز الكلام عن وصفه» بشأن غرقها، وكان هناك شيء آخر يقلق بشأنه. قبل يوم من غرق بسمارك، غادرت أول قافلة بريطانية بمرافقة كاملة نيوفاوندلاند: بدا أن «الأوقات السعيدة» لقادة يو-بوت تكاد تنتهي.

لم يستطع النازيون سواء من الجو أو البحر إرغام بريطانيا على الاستسلام. في حال نجاح غزو الجزيرة، بدا ممكناً أن يكون هناك سبب وجيه للتفكير أن النازيين سيقيمون نوعاً من النظام يصبح نموذجاً في أوروبا المحتلة. كان سيجري اعتقال المفكّرين الليبراليين (وُضعت قائمة بأسماء 2820 شخصاً آنذاك)، و»ترحيل» اليهود وترسيخ العبودية، وسيكون هناك تعاون مع العدو ومقاومة له.

كان البريطانيون محظوظين لعدم اضطرارهم إلى تحمّل ليل الاحتلال الطويل، الذي لا يثق فيه الجار بجاره، ونجاة المرء مسألة حظ فقط.

الحياة في الرايخ

استبداد واضطهاد في أوروبا المحتلة

بعد وقت قصير من توقيع المارشال بيتان الهدنة مع جنرالات هتلر، سافر الجنرال شارل ديغول البالغ من العمر 49 عاماً جواً إلى لندن من بوردو، ومرَّ فوق سفينة نقل جنود بريطانية غارقة في خليج بسكاي. عند 6 بعد الظهر، في 18 حزيران 1940، ألقى القائد المستقبلي للجيش الفرنسي الحر خطابه الإذاعي الشهير إلى الشعب الفرنسي - دعوة إلى حمل السلاح تلقّتها حكومة فيشي الجديدة بفزع. قال: «مهما يحدث، يجب ألا تنطفئ شعلة المقاومة الفرنسية». في تلك الأثناء في باريس، كان هتلر يزور ضريح نابليون، وقال بوقار: «أنا شاكر للقدر».

برغم أعمال الإبادة الجماعية التي قد وقعت آنذاك في بولندا المحتلة، لم تكن الشعوب المهزومة في أوروبا الغربية واثقة بما تتوقعه من حكامها الجدد، إنما لم يخيّم الظلام طويلاً. وعد المفوض النازي في هولندا؛ أرتور زايس انكفارت، أن يحافظ على القوانين الهولندية الممكن تطبيقها، إنما حذّر بنحو ينذر بسوء: «طبعاً نحن لا نعدّ اليهود هولنديين».



شريكان لدودان: المارشال بيتان مع هيرمان غورينغ.



حارس جستابو يراقب «مشتبهاً فيهم» بولنديين.



ديغول على متن سفينة حربية بريطانية.

في ظل الاحتلال النازي، لم يكن بمقدور المواطنين الفرنسيين الاستماع إلى بي بي سي، أو قراءة أدب «غير آري» أو «هدّام»، أو إرسال برقيات أو السفر بحريّة، ووجب عليهم التقيّد بحظر التجول عند 7 مساء. في هولندا، من ناحية أخرى، أُزيلت كلمة «مَلَكي» من أسماء الشوارع، ومُنعت الصلوات وحُظر على القساوسة تلاوة نص المزمور 130 تحديداً؛ «مِنَ الأَعْمَاق صَرَخْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ». بعيداً إلى الشَمال، ولزَيادة إهانة الأمة الثكلى، قيل لشعب النرويج إن عليهم دفع تكاليف الاحتلال النازي.

كانت هناك أعمال مقاومة سلبية. نظّم مدرّسو تاريخ نرويجيون إضراباً جماعياً، ورسم طلاب دانمركيون ألوان سلاح الجو الملكي، وأرسل الملك الدانمركي برقيات تعاطف إلى أفراد الشرطة الذين جُرحوا في أعمال شغب أثارها



مواطنو براغ راضخين للحكم النازي.

300 نازي محلي. لكن عروض الاستياء تلك، برغم شجاعتها، لم تكن ذات تأثير كبير - وقد تأتي بنتائج عكسية أحياناً. عندما استقال أعضاء المحكمة العليا النرويجية احتجاجاً على إدارة النازيين العدلَ، استُعيض عنهم ببساطة بموظفين أكثر طوعاً.

في الوقت نفسه، بدأ المتعاونون يظهرون للعيان، وكان أسوؤهم سمعة النرويجي فيدكون كفيشلينغ. عندما غزا النازيون بلاده في 1940، تسلل الرجل إلى إستوديو إذاعة وأعلن أنه قد تولّى السلطة. برغم أن هتلر تخلص منه بعد ستة أيام، إلا أنه أعيد ليكون قائداً صورياً في 1942.

كانت حكومات الدول المحتلّة، وبغض النظر عن مدى اشمئزازها من النازيين، في موقف لا تُحسد عليه: يجب أن تتخذ كل إجراء رسمي بموافقة النازي. من غير المرجح أن يكون المارشال بيتان نفسه قد أدرك المضامين الكاملة لـ«درب التعاون» كما وصف بنفسه. أُرغمت حكومة فيشي بسرعة على أن تدفع ثمن الاحتلال الألماني لشمالي فرنسا، في حين بدأ نائب بيتان؛ بيير لافال، العمل علانية مع الفاشيين في محاولة لإقصاء المحارب العجوز.


«حرب ثقافية»: جنود ألمان يقومون بجولة في براغ.

بالنسبة إلى الرجال والنساء العاديين، أيضاً، أصبح ثمن الاحتلال واضحاً بسرعة. بحلول نهاية 1940، وصلت أولى البرقيات إلى وارسو تعلن وفاة أفراد أسر في معسكرات الاعتقال. أُطلقت النار على أشخاص «غير مرغوبين» عقائدياً وعرقياً، وأُرغم أشخاص غير ألمان عموماً على مغادرة بيوتهم ليفسحوا مجالاً لأسر «آرية» وافدة. عندما قُتل جندي ألماني بالرصاص في ميترو باريس في 20 نيسان 1941 (عيد ميلاد هتلر الثاني والخمسون)، أُعدم 22 رهينة مدنياً انتقاماً، وُعرض مصيرهم على ملصقات في كل أرجاء المدينة.



أعلى: أنصار يدفعون الثمن الرهيب للمقاومة.

في لندن، أُسّس عدد من المنظمات لمقاومة الحكم النازي، وكانت وحدة «تنفيذ العمليات الخاصة» أبرزها، وقد أخبر تشرشل وزيره للاقتصاد الحربي هيو دالتون أن مهمتها «إشعال أوروبا». بدأت وحدة تنفيذ العمليات الخاصة إرسال عملاء مدرّبين إلى أوروبا لإقامة صلات مع جماعات مقاومة ناشئة.



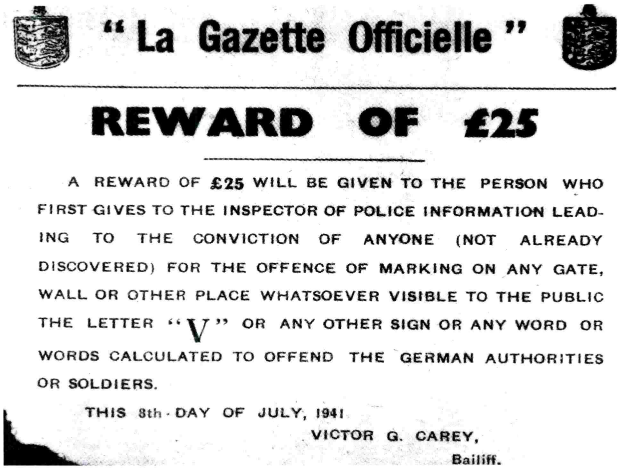
نويل نيوسم في بي بي سي.

مقابل: حياة الليل في باريس المحتلة

مُنح البث الإذاعي أولوية قصوى أيضاً. تعاونت بي بي سي ووزارة الخارجية البريطانية في إنشاء الإذاعة الأوروبية؛ ناطقة بلسان المنفيين من الدول المحتلة ومصدر إخباري معتمد. كان مديرها؛ نويل نيوسم، مسؤولاً عن البث عبر ثلاث شبكات بأكثر من 20 لغة، ومقتنعاً أن الأخبار في زمن الحرب هي الدعاية الأكثر فاعلية حين تضم «جوهراً أخلاقياً». خربش على نصوص رسمية بأن أولئك الأوروبيين الذين يستمعون سراً إلى إذاعة غير قانونية يستحقون الحقيقة: «هل ستخاطر بحياتك لتستمع إلى هذا؟»، وكتب: «لا يكفي أن نُظهر أنفسنا بأننا أذكياء


PETIT CASINO
PETIT-CASINO
DINER DE PARIS
CAFE-CONCERT
MAX
DALCOURT




"La Gazette Officielle"

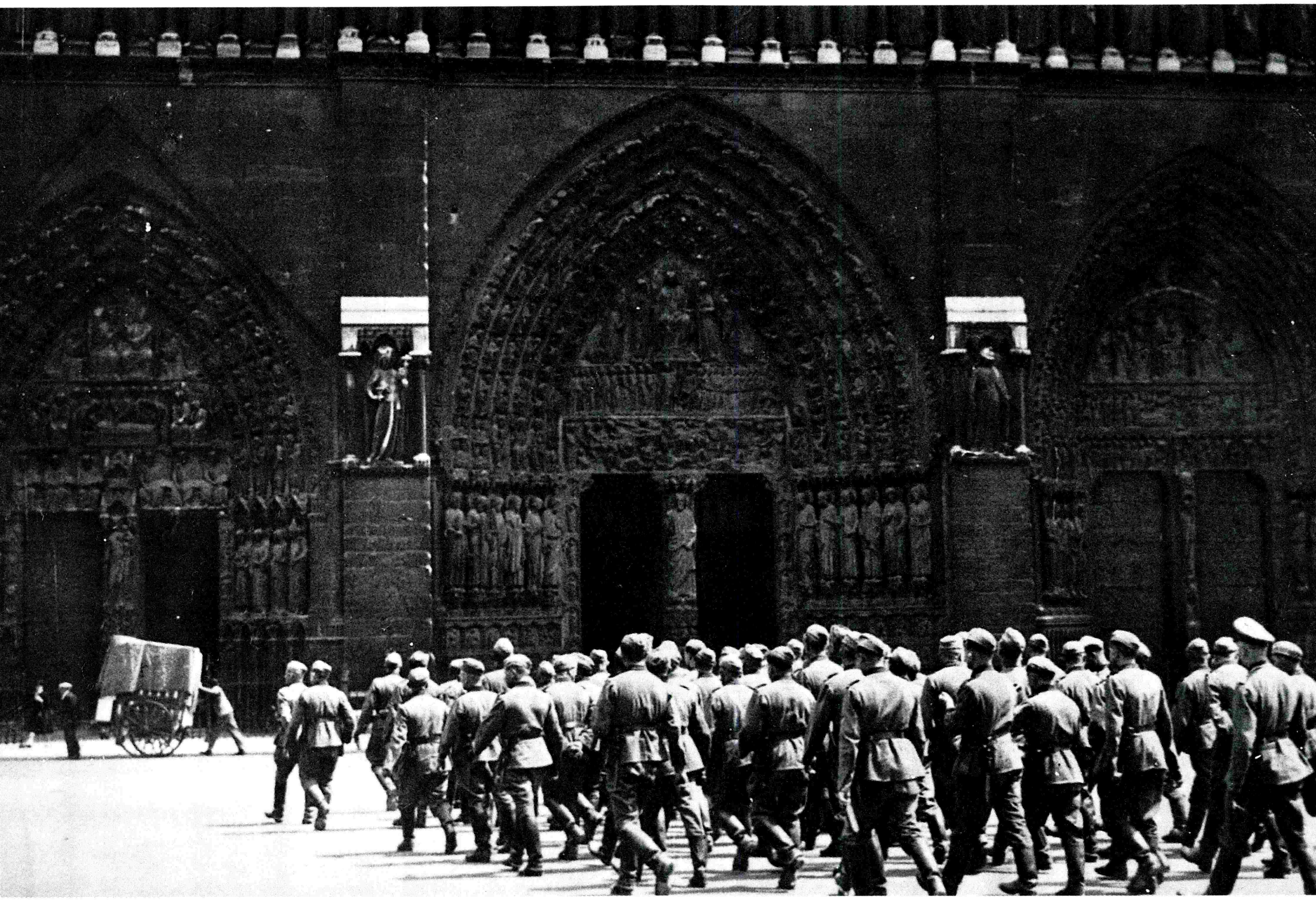
REWARD OF £25

A REWARD OF £25 WILL BE GIVEN TO THE PERSON WHO FIRST GIVES TO THE INSPECTOR OF POLICE INFORMATION LEADING TO THE CONVICTION OF ANYONE (NOT ALREADY DISCOVERED) FOR THE OFFENCE OF MARKING ON ANY GATE, WALL OR OTHER PLACE WHATSOEVER VISIBLE TO THE PUBLIC THE LETTER "V" OR ANY OTHER SIGN OR ANY WORD OR WORDS CALCULATED TO OFFEND THE GERMAN AUTHORITIES OR SOLDIERS.

THIS 8th DAY OF JULY, 1941

VICTOR G. CAREY,
Bailiff.

أعلى: مسؤولون محليون في غيرنزي المُحتلَة يُرغمون على الالتزام بالقوانين الألمانية. أسفل: جنود ألمان عند نوتردام في باريس.





نقطة تفتيش ألمانية في ريف فرنسا.

بكشف [الأكاذيب] وأن النازيين أغبياء بقولها بنحو سيئ. يجب أن نتجاوز هذا ونثبت أن تلك المزاعم هي المظاهر المحتّمة لنظام مخادع؛ نظام زائف في جوهره، ولا يستطيع بطبيعته أن يتحمّل ذلك».

من جانبهم، كان مختصو الدعاية النازيون مكبّلين بكل من خوفهم من الابتعاد عن «الخط الرسمي» والتدخّل السياسي المباشر. أصدر هتلر نفسه قرارًا في إحدى المراحل بعدم استعمال اسم «ونستون تشرشل» أبداً من دون لقب «شارب الويسكي».

أطلق نيوسم أيضاً حملة «في فور فيكتوري»، التي استخدمتها أول مرة خدمة بي بي سي البلجيكية مع بداية 1941. في أسابيع أصبح واضحاً أن الحملة قد حققت نجاحاً باهراً: في كل أنحاء أوروبا المحتلة، رُسمت رموز «في V» على جدران في حين ترنّم سائقو سيارات أجرة بالمقطوعة الموسيقية المميزة للحملة.

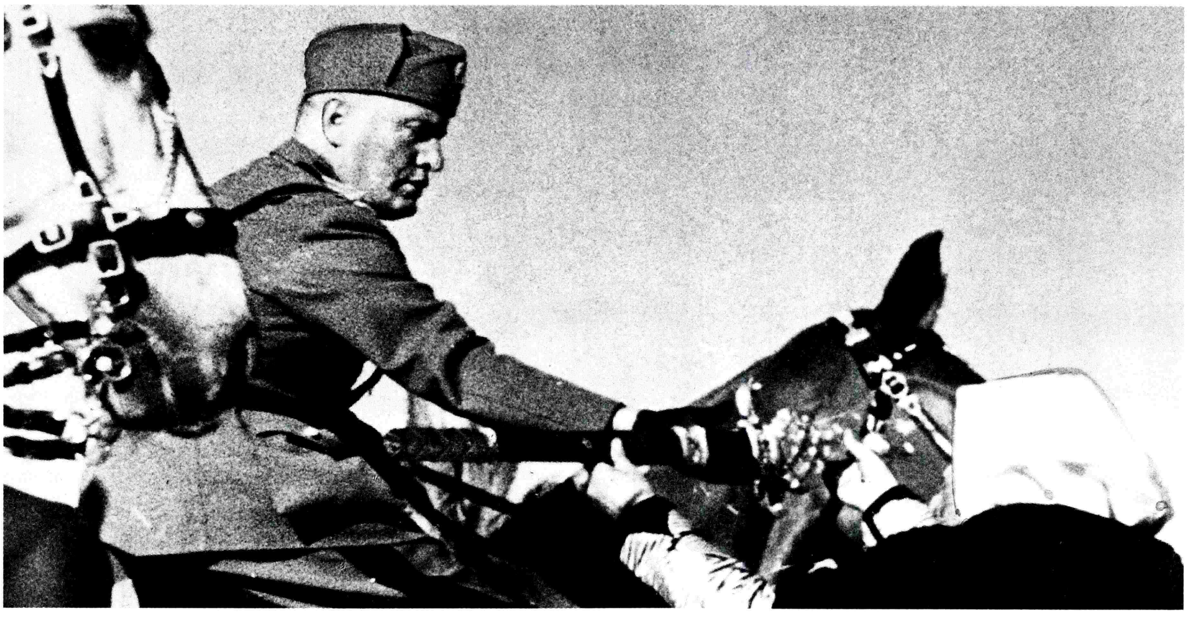
كان تأثيرها كبيراً إلى درجة أن غوبلز قام بمحاولة غير ناجحة لتقليدها، زاعماً أن «في» ترمز إلى الكلمة الألمانية القديمة فيكتوريا، وأمر أيضاً بتعليق حرف «في» ضخم من برج إيفل. ردّت الإذاعة الأوروبية بمعنى: الحقيقة، كما قالوا، هي أن «في» الألمانية تعني فيرجلتونغ – اضطهاد.

سوء طالع موسوليني

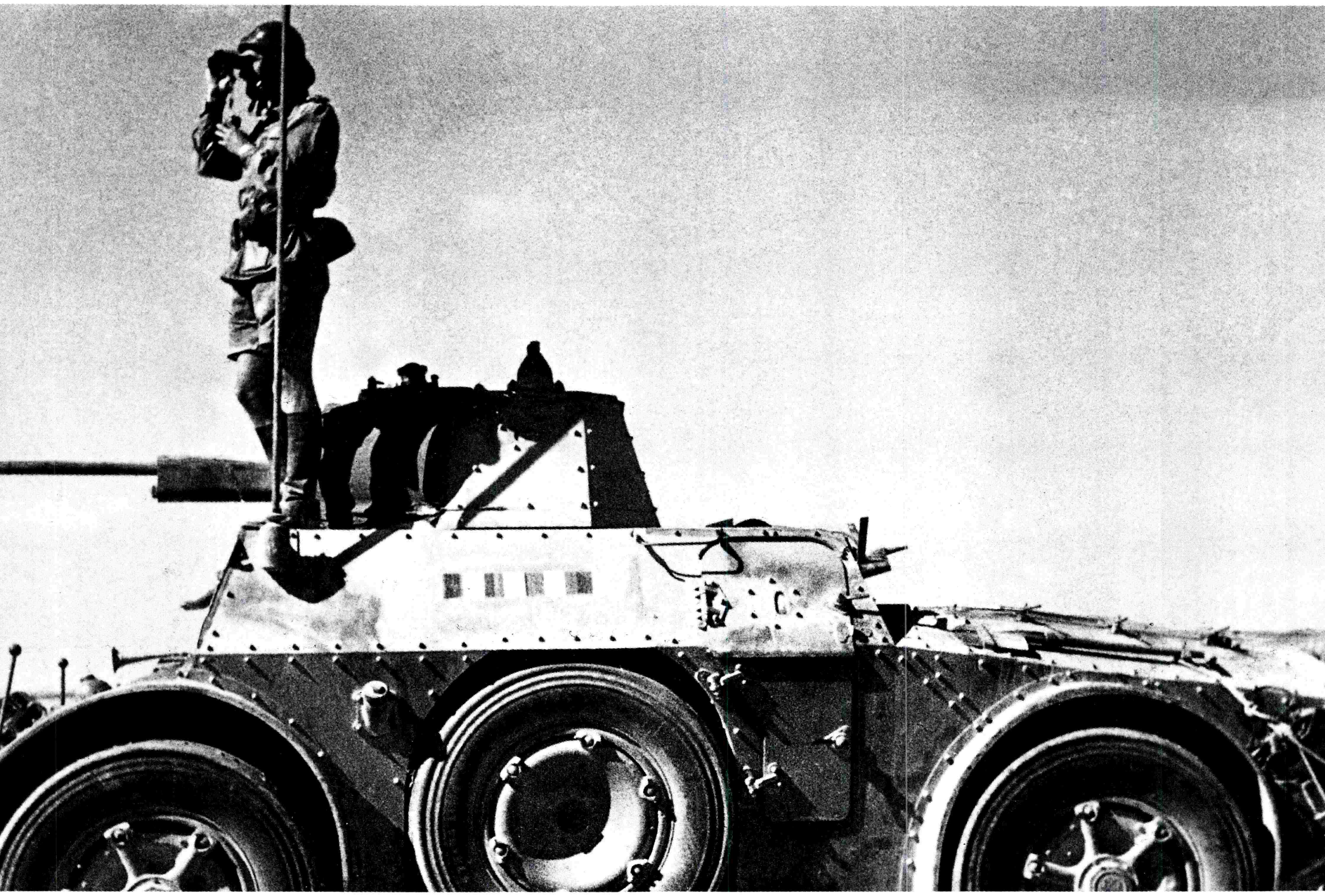
هزيمتا إيطاليا في اليونان وأفريقيا

كان دافع موسوليني الرئيس في إعلان الحرب على بريطانيا وفرنسا هو خوفه من عدم حضور مؤتمر السلام. أعلن في 10 حزيران 1940: «إنه صراع شعب فتي منتج ضد شعب عقيم على حافة الانهيار». خرج شباب إيطاليون، منتشين بكلامه المنمّق، يرتدون قمصاناً سوداء إلى الشوارع يصرخون: «نيس، كورسيكا، تونس، السويس!».

غيوراً من المكاسب التي حققها حليفه الفاشي في شمالي أوروبا، اصطنع موسوليني بحماقة حرباً مع اليونان. في 28 تشرين الأول، عبَر جنود إيطاليون بزيّهم الصيفي الحدود إلى ساحة معركة شتوية – وواجهوا فوراً صعوبات مع الجيش اليوناني، الذي نقل جنوده الأغرار إلى ألبانيا. برغم هذا، كان دخول موسوليني الحرب تهديداً للأملاك البريطانية في مصر والسودان، بسبب وجود جيوش إيطالية ضخمة في ليبيا وشرقي أفريقيا. هناك، واجه نحو 50,000 جندي بريطاني ومن الكومنولث نصفَ مليون إيطالي.



موسوليني يقبل استسلام رجل قبيلة بدوي في ليبيا.



قائد عربة مصفّحة إيطالية يستطلع الصحراء الليبية.

لحماية مصر وحقول النفط في الشرق الأوسط، وفي أوج معركة بريطانيا، أرسل تشرشل ثُلث دبابات بريطانيا إلى هناك. عندما وصلت مقصدها، شنّت القوات البريطانية بقيادة العميد السير أرشيبالد ويفل والأميرال السير أندرو كونينغهام هجمات وقائية ضد الإيطاليين. في 11 تشرين الثاني، هاجمت طائرات من حاملة الطائرات البريطانية إلستريوس الأسطول الإيطالي في ميناء تارانتو، فدمّرت نصفه؛ وفي 7 كانون الأول اندفعت قوة صغيرة من جنود بريطانيين ومن الكومنولث بقيادة الجنرال ديك أوكونور عبر ثغرة في الخطوط الإيطالية واستولت على طبرق والعقيلة، ودمّرت 10 فرق إيطالية، وأسرت 130,000 جندي، في حين فقدت 438 جندياً فقط. كانت هذه العملية الاستثنائية إحدى أسرع عمليات تقدّم الدبابات في العصر الحديث، حين قطع اللواء المدرّع الرابع 170 ميلاً في 33 ساعة لقطع طريق انسحاب الدبابات الإيطالية.



فريق رشاش إيطالي في الصحراء الليبية.



دبابات إيطالية مدمّرة بعد اشتباك مسلح مع البريطانيين.

لكن الأفضلية أُهدرت، ففي واحدة من أسوأ قراراته في الحرب، أمر تشرشل أوكونور بعدم المتابعة والسيطرة على طرابلس، حيث توقّعه الإيطاليون في أي لحظة. كان قد قرّر نقل معظم حامية طبرق إلى اليونان لحماية البلقان من هجوم نازي محتمل.



مدركاً أن السيطرة على حقول نفط الشرق الأوسط ستؤثر على حصيلة الحرب، تدخّل هتلر آنذاك نيابة عن موسوليني. في 12 شباط 1941، أُرسل الجنرال الألماني إرفين رومل إلى طرابلس مع فرقة مدرّعات – بداية ما سيصبح لاحقاً الفيلق الأفريقي. كان رومل قد ميّز نفسه في فرنسا قبل عام ولفت انتباه هتلر. عندما وصل إلى أفريقيا، فعل ذلك مجدداً، وتفوّق على القوات البريطانية المنهكة آنذاك في طبرق. في 30 آذار، استولى على الميناء واستطاع أسر الجنرال أوكونور.

في تلك الأثناء، كان هتلر قد قرّر احتلال اليونان لتهديد حقول النفط في البحر الأسود والشرق الأوسط. أراد مساعدة من بلغاريا والحياد على الأقل من يوغسلافيا – لكن المعاهدة المزعومة مع يوغسلافيا انهارت بعد يومين حين خُلع أمير ريجنت ونُصّب الفتى الأمير بيتر على العرش بدلاً منه. في أسبوع، دمّر فيرماخت الجيش اليوغسلافي ومُزّقت البلاد بمساعدة إيطاليين وهنغاريين غزاة، في حين سوّت لوفتفافه بلغراد بالأرض.



كانون الثاني 1941: أوكونور وويفل.

في اليونان، كان التدخل البريطاني تكراراً محبطاً للحملة التي تفتقر إلى الموارد اللازمة في النرويج والنصرِ باهظ الثمن في دنكيرك. من 62,000 جندي بريطاني، ويوناني، ومن الكومنولث نُشروا هناك، أُخلي 50,000 بمواجهة التقدم الألماني، وكان بين المنقولين الحكومة والملك اليوناني.



شباط 1941: جنود بريطانيون يعملون على رشاشات، ليبيا.



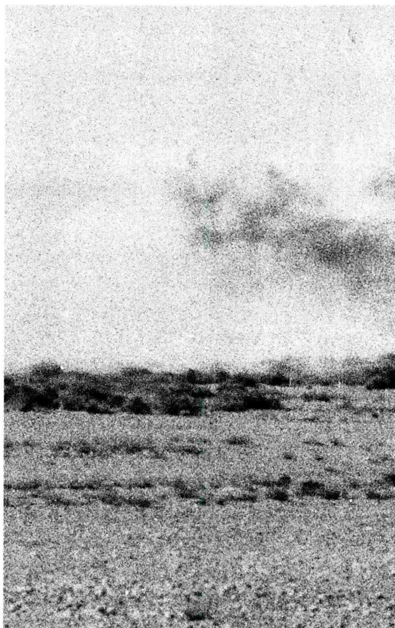
دبابات إيطالية تقوم بإحدى الهجمات المضادة العديدة الكارثية.



أرتال من أسرى الحرب الإيطاليين يسيرون إلى إقامة مطوّلة خلف أسلاك شائكة.



جنديان من نيوزيلندا مع علم إيطالي استوليا عليه.





طائرات نقل عسكرية جونكر52- ألمانية تصل إلى مهابط إيطالية.



جنود إيطاليون يزحفون تحت دفاعات أسلاك شائكة بريطانية.

أصبح معظم الشرق الأوسط مهدداً آنذاك. هاجمت قوات عراقية القواعد الجوية البريطانية حول بغداد، وسمحت حكومة فيشي للألمان استخدامَ قواعدها الجوية في سوريا. حانت اللحظة المشرقة للحلفاء في معركة رأس ماتابان في 27 آذار. بعد التمكّن من قراءة شِفرات البحرية الإيطالية، هاجم أسطول المتوسط البريطاني القوة البحرية الإيطالية ودمّرها تماماً.

تجمّعت القوات البريطانية التي أُخليت من اليونان في كريت آنذاك، «محمية» من قواعد جوية على بعد 300 ميل في مصر. لم يتوقع قادتها خطراً من الجو ظناً منهم أن قواتهم آمنة نسبياً آنذاك؛ لأن البحرية الملكية تسيطر على البحر. بعث قائد الحلفاء؛ الجنرال النيوزيلندي السير



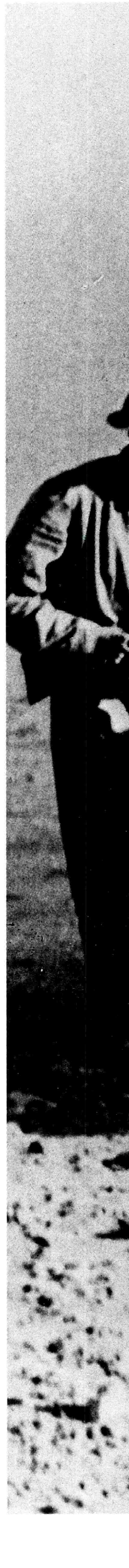
تشرين الثاني 1941: أسرى إيطاليون كئيبون خارج طبرق.



جنود بريطانيون يفتشون حطام قافلة المحور.

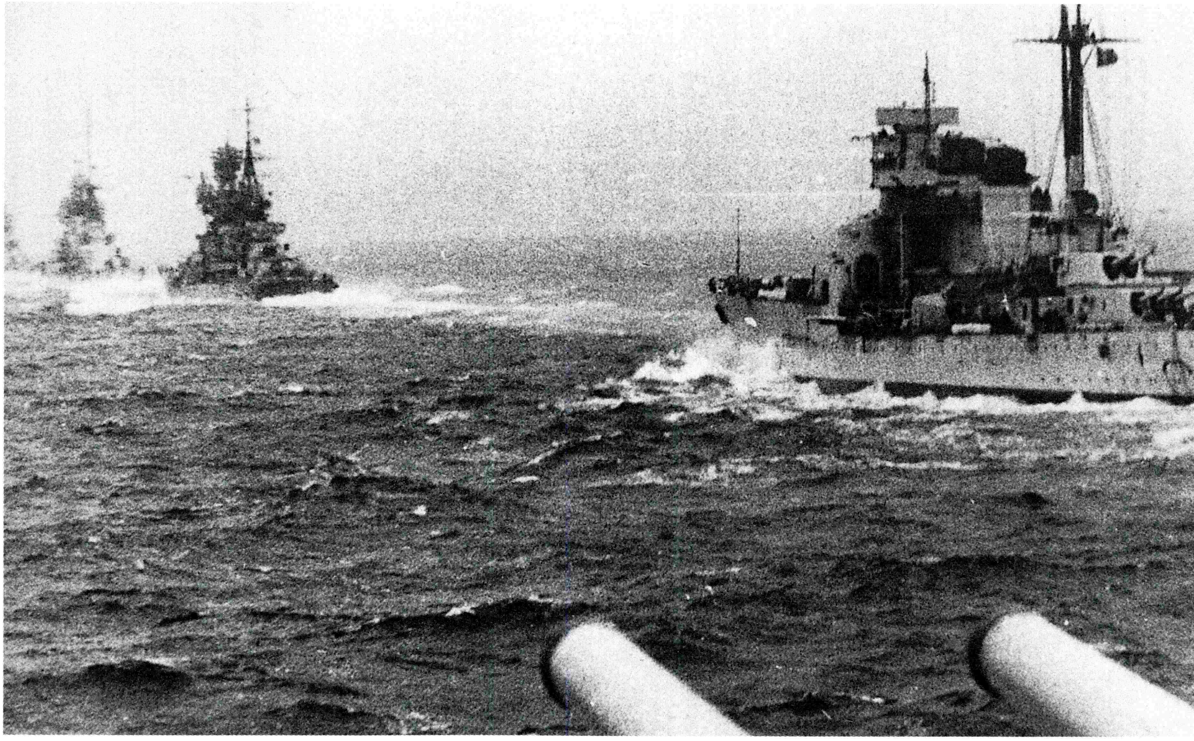


جنود إيطاليون يتعرضون لهجوم من سلاح الجو الملكي.



برنارد فريبيرغ برقية قال فيها: «لا أفهم سبب العصبية، فأنا لست قلقاً إطلاقاً بشأن هجوم جوي»، قبل وصول أولى التقارير عن مظليين ألمان في 20 أيار. في الواقع، لقد نزل 3000 من هؤلاء على الجزيرة، واحتلوا نقاطاً مهمة وكوّنوا رأس حربة لإنزال رئيس على الشاطئ. بعث تشرشل برقية: «النصر في كريت أساسي في هذه المرحلة الحاسمة من الحرب» – لكن الأوان كان قد فات. انسحب البريطانيون، مرتبكين وواهني المعنويات، إلى شواطئ الجزيرة الجنوبية، حيث نقلتهم البحرية الملكية إلى مصر. لكن قاذفات ألمانية أغرقت ثلاثة طرّادات وست مدمّرات في أثناء الإخلاء: في الرعب الناجم عن ذلك تُرك نحو 13,000 جندي بريطاني هناك.

أسفل: آذار 1941 : الأسطول الإيطالي أمام ماتابان.



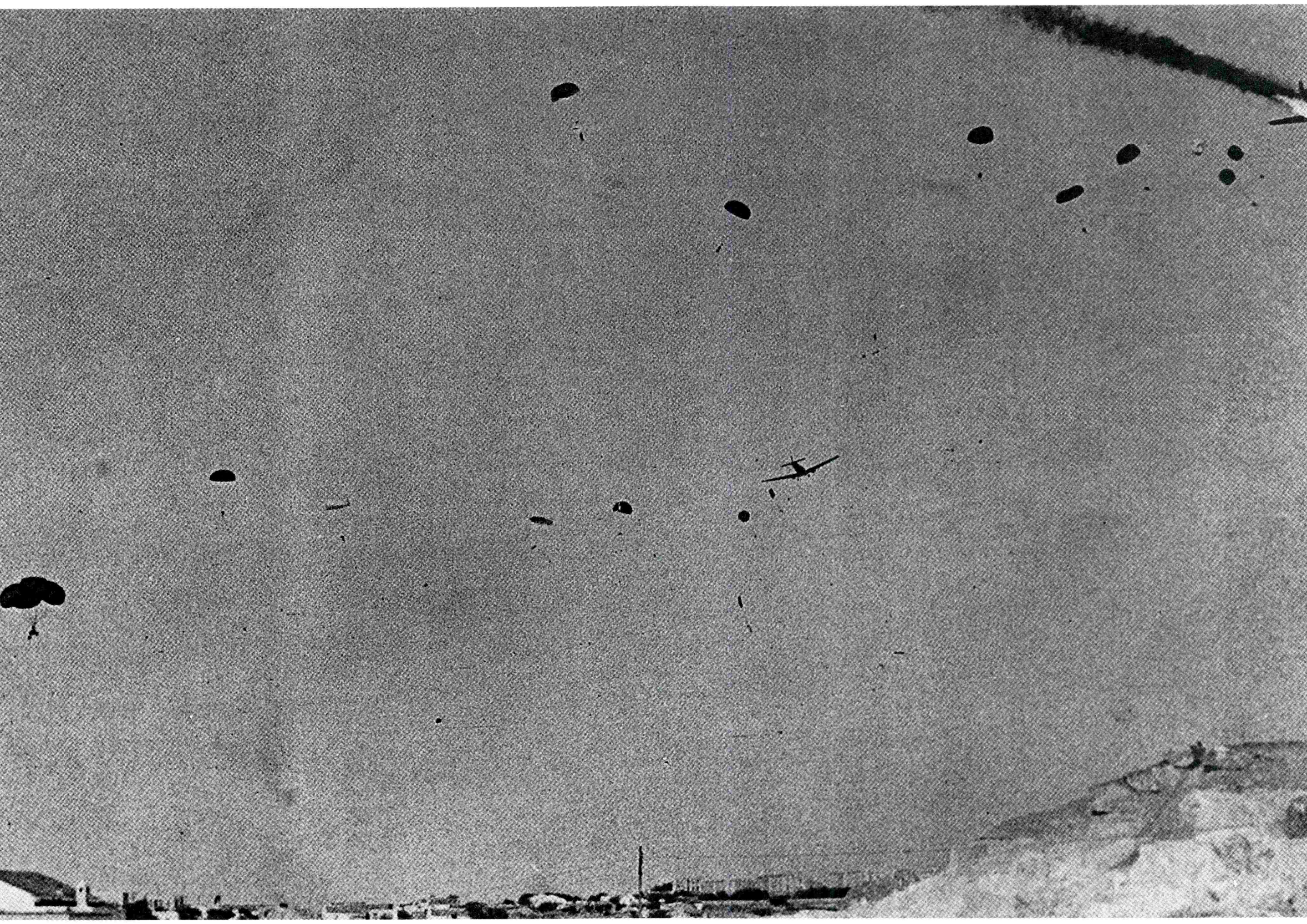


أعلى: أيار 1941 – الجنرال المظلي كورت شتودنت في كريت.

مقابل: دبابات ألمانية أسفل أكروبوليس، أثينا.



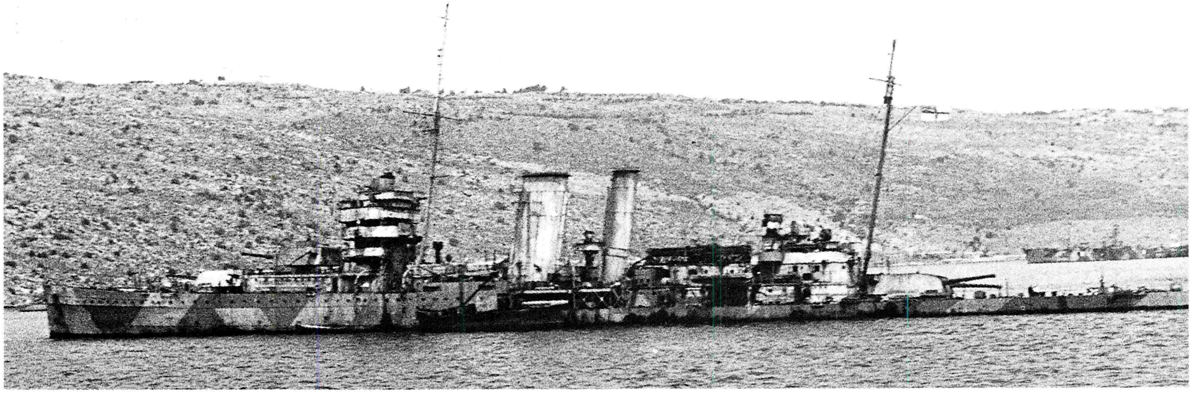




مظليون ألمان يملؤون الأجواء فوق كريت.



جنود ألمان يترجّلون من طائرة في كريت.



الطرّاد البريطاني يورك يرسو في كريت.

برغم نجاح عملية كريت، إلا أن الألمان تكبّدوا خسائر كبيرة. رفض هتلر لهذا خططاً وضعها قائد القوات المحمولة جواً؛ الجنرال كورت شتودنت، لاستخدام تكتيكات المظليين عينها في احتلال قبرص وقناة السويس.

ربما اتصف الفوهرر بالحكمة في تلك المرحلة ليستغل ارتباك الحلفاء في الشرق الأوسط. كان ديغول مخطئاً في تصديق أن قوات فيشي ستلبّي دعوته في الانقلاب على قوات المحور، ووجدت قوات بريطانية وفرنسية نفسها تقاتل بعضها بعضاً في سوريا. من ناحية أخرى، تحرّرت مجموعة من الفيلق الأجنبي الفرنسي الحر، كان الإيطاليون حاصروها في بئر حكيم في الصحراء الليبية، وبعد قتال شرس وصلت إلى الخطوط البريطانية، وضمت بين صفوفها رئيس الوزراء الفرنسي المستقبلي بيير مسمير.

لم يكن هناك مثل هذا الارتباك في شرقي أفريقيا: كانت القوات البريطانية تطرد الإيطاليين بثبات، واستسلم القائد الإيطالي؛ دوق أوستا، هناك في 19 أيار. قبل أسبوعين من ذلك، سافر إمبراطور الحبشة هايله سيلاسي جواً عائداً إلى عاصمته أديس أبابا برفقة قائد الوحدات الخاصة البريطانية؛ أورد وينغيت.



الجنرال أوكنلك يتكلم إلى الصحافة.

لكن في ليبيا، توقف الهجوم المعاكس الذي شنّه ويفل على رومل، المعروف بعملية فأس الحرب، بسبب استخدام الألمان المدمّر لمدافع عيار 88 ملم المضادة الطائرات ضد الدبابات البريطانية ضعيفة الدروع. في 21 حزيران 1941، أمر تشرشل الجنرال السير كلود أوكنلك بأن يشق طريقاً إلى الجنرال ويفل بوصفه قائد الحلفاء في الشرق الأوسط.

باربـــــــــاروسا

جيوش هتلر تغزو روسيا الستالينية



كان الغزو النازي لروسيا السوفييتية الحدث الأهم على الأرجح في الحرب العالمية الثانية. برغم الاستخفاف بمعاهدة مولوتوف–رينتروب، لم يثق هتلر بـ ستالين إطلاقاً، وكان يُنظر إلى الشيوعيين دائماً على أنهم الأعداء الإيديولوجيون الحقيقيون للنازيين. احتاج هتلر إلى أرض في الشرق من أجل مجاله الحيوي الذي سعى إليه كثيراً، وبرزت أسباب إستراتيجية للقيام بالغزو. في حزيران 1940، اجتاحت قوات ستالين رومانيا لاستعادة إقليم بسارابيا الروسي سابقاً: أصبحوا قريبين بنحو خطر من حقول النفط الرومانية التي اعتمدت عليها حرب هتلر في الغرب. ارتبط دعم رومانيا لقيام هتلر بغزو روسيا السوفييتية باتفاقية لإعادة الإقليم إليها.

برغم هذا، اضطر هتلر أولاً إلى التغلب على قلق كثير من جنرالاته: كانت مغامرة نابليون الكارثية على التراب الروسي، بالمحصلة، درساً رئيساً لكل أكاديمية عسكرية. لكن هتلر استطاع إقناعهم بأن الغزو ببساطة مجرد ضربة وقائية، وأن ستالين سيأمر، عاجلاً أم آجلاً، «حشوده الهمجية» بالزحف شرقاً. إذا تمكّنت القوات الألمانية من تدمير الجيش الأحمر بسرعة كافية، كما



المعاناة التي سبّبتها عملية باربار وسا.



آب 1941: أرتال ألمانية قرب مينسك.

أصر، واحتلال المدن الرئيسة، فلن يستطيع الروس إعادة تجميعِ قواتهم وسيُرغمون على إبرام اتفاق. اقتنع الجنرالات أيضاً بتفوق قواتهم المسلحة: كانوا قد رأوا بأنفسهم الضرر الذي تمكن الفنلنديون، برغم ضعف عتادهم، من إلحاقه بالروس.

من جانبه، لم يكن ستالين مستعداً أبداً، فقد لقي عدد من أفضل جنرالاته حتفهم في عمليات تطهير مختلفة قبل الحرب، وتجاهل معلومات تفصيلية قدّمها له الجاسوس السوفييتي ريخارد زورغه، الذي عمل من طوكيو حيث كان مسؤولون على اطلاع على التحضيرات الألمانية.

افترض الزعيم الروسي أن هتلر لن يهاجم حتى يُنهي غزو بريطانيا بنجاح، ومرّر البريطانيون بالمقابل توقعاً صحيحاً عن تاريخ شن هجوم على روسيا.

بدأت عملية باربروسا في 22 حزيران 1941 – قبل يوم من ذكرى غزو نابليون عام 1812. نُشر أكثر من 3,000,000 رجل و7100 مدفع و3300 دبابة على جبهة تمتد 930 ميلاً. لم يكن هناك إعلان للحرب.

قاد الجنرال فيلهلم ريتر فون ليب الجيش الشمالي إلى ليتوانيا، في حين هاجم الجيش الأوسط بقيادة فيدور فون بوك عبر بولندا نحو موسكو، وقاد الجنرال غيرد فون رونتشتيت الجيش الجنوبي نحو أوكرانيا. كان الجيش الأحمر سيعلق في قلب روسيا بحركة كمّاشة عملاقة. أعلن هتلر: «لقد قرّرت اليوم مجدداً أن أضع مصير ومستقبل الرايخ وشعبنا في أيدي جنودنا. أسأل الرب أن يساعدنا، خاصة في هذا القتال».

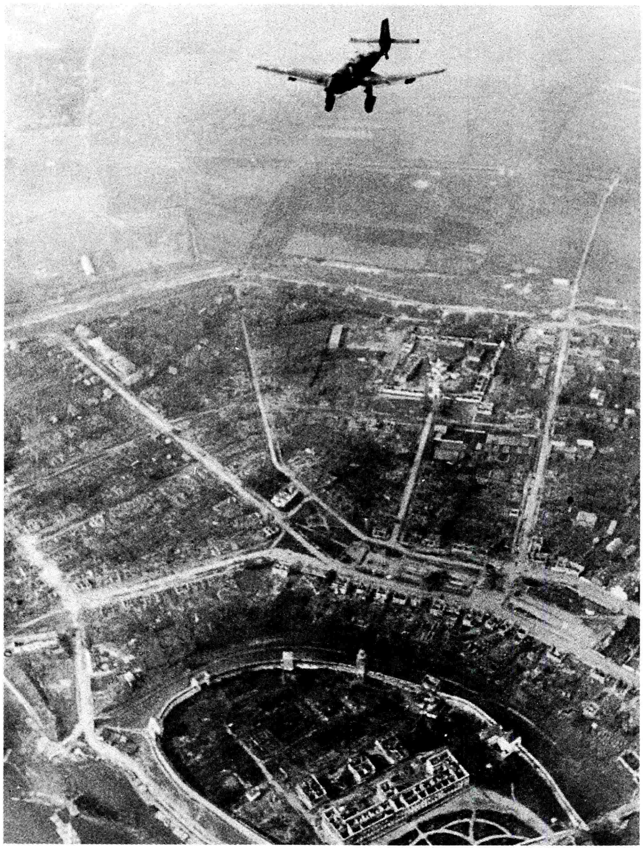
قصفت لوفتفافه خمس مدن وضربت 66 مهبطاً سوفييتياً. نظراً إلى أن ستالين قد حظر سابقاً أي إجراءات احترازية ضد هجمات تحسباً لإشعال حرب مع ألمانيا، أصيبت الطائرات المصطفة



جنود صاعقة يركبون عربة مدفع ذاتي الحركة.



«تفتيش وتطهير» في قرية روسية.



ستوكا تستعد لقصف مدينة روسية.

بمحاذاة بعضها بعضاً – دُمّرت القوة الجوية الروسية في الغرب بفاعلية على الأرض. ذُعر ستالين، وفي لحظة يأس فكّر في أن يطلب من اليابانيين التوسّط. لم تخرج أوامر واضحة من موسكو – استغرق وصول أوامر الرد على النيران أربع ساعات – ولم تكن روسيا الستالينية مكاناً يُشجّع فيه الناس على الأخذ بزمام المبادرة. بدأت تعبئة القوات المسلحة القوية المكوّنة من 15 مليون جندي في روسيا بعد أربعة أيام من الهجوم.

أُحرقت أول قرية يصلها الألمان؛ سلوشي، وقُتل سكانها – برغم احتجاجات من قائد إحدى فيالق الدبابات الألمانية. في 26 حزيران، قرّرت فنلندا تجديد حربها على روسيا إلى جانب ألمانيا، وتبعتها هنغاريا في اليوم الآتي.

يائساً، حبس ستالين نفسه 11 يوماً، من ثم خرج ليخاطب شعبه أول مرة في 3 تموز، وأدهش المستمعين بلكنته الجورجية حين أشار إليهم بأنهم «أصدقاؤه»، ولم يناشد مبادئهم الشيوعية إنما وطنيتهم الأساسية. جعل نفسه قائداً عاماً – خطوة طمأنت أفراد الجيش الأحمر أنه لن يتخلى







أفادت المناورات القتالية والتفوق التكتيكي الألماني كثيراً في عملية بارباروسا.





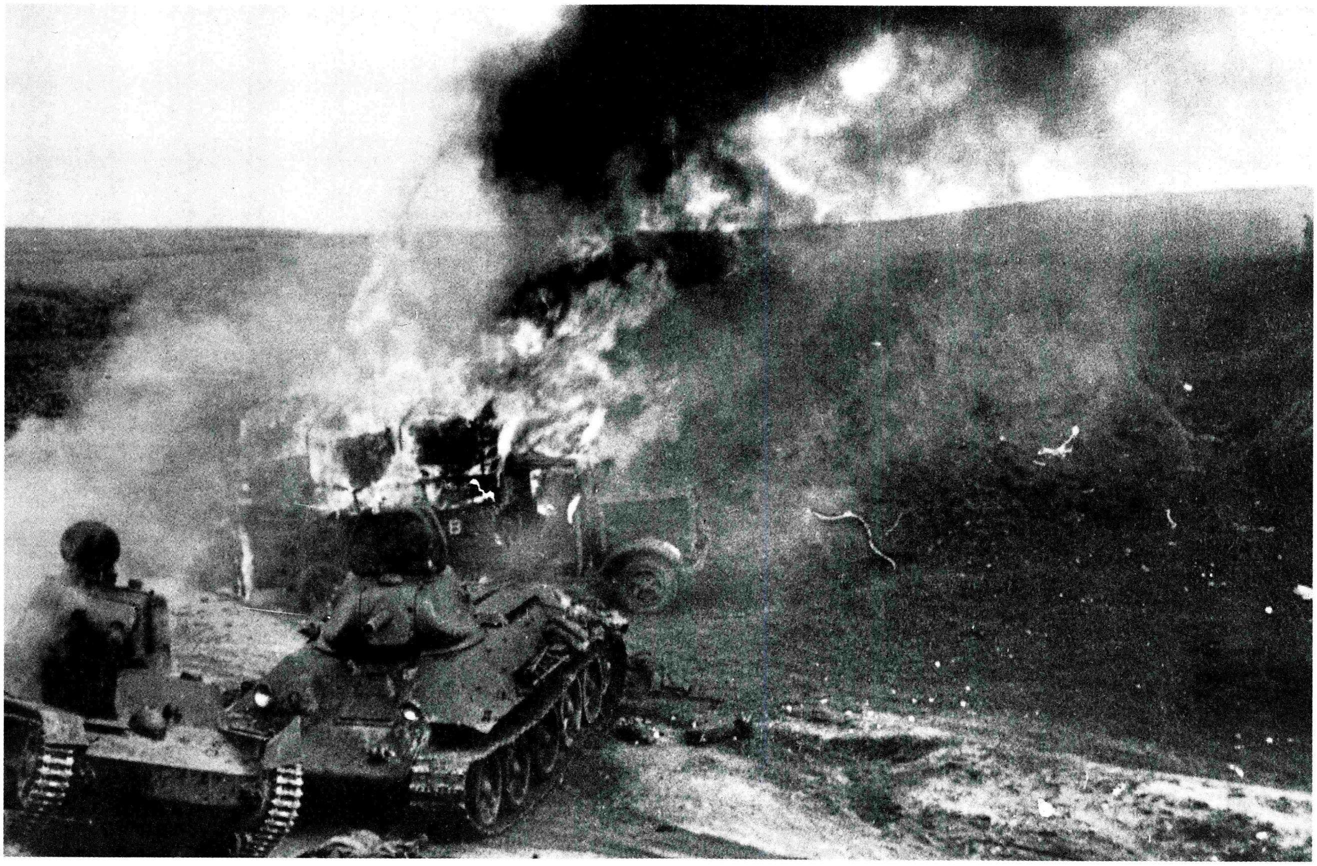
عنهم. في تلك الأثناء، انتقل هتلر إلى مركز قيادة في راستنبورغ؛ وكر الذئب، أرض خصبة يملؤها البعوض في شرقي بروسيا سيدير منها الحرب في الأعوام الثلاثة الآتية.

سحق بوك في مناورة التطويق الكبرى حول مينسك فرق الجيش الأحمر هناك وأسر نحو 300,000 جندي. قال شاهد رآهم يمشون بتثاقل إلى الأسر: «بدا أن كل البؤس في العالم قد اجتمع هناك». كان لدى أسرى الحرب من الجيش الأحمر سبب للشك في فرص نجاتهم من النازيين: بحلول نهاية الحرب لقي نحو مليونين حتفهم أو قضوا بسبب الجوع والأمراض.

لكن مع تلك النجاحات المدهشة، ارتكب الجنرالات الألمان أخطاء، فقد أطال تقدّمهم السريع خطوط إمدادهم، واضطرت فرق ألمانية إلى التوقف خارج لينينغراد، تنتظر قراراً بشأن المكان الذي يجب أن تركّز هجومها عليه: مُنح السكان وقتاً كافياً لتحويل المدينة إلى حصن.



تشرين الثاني 1941: جندي روسي أسير.



تدمير رتل مدرّعات للجيش الأحمر.



أسرى روس يواجهون مستقبلاً حالكاً من التضوّر جوعاً والعمل القسري.



ضحايا حرب في مدينة مينسك السوفييتية.

كانت هناك خلافات أيضاً في القيادة العليا الألمانية. أراد جنرال المدرّعات هاينز جوديريان التقدم إلى الأمام والسيطرة على موسكو، في حين فضّل هتلر الاستيلاء على المناطق الصناعية في الجنوب. سخر قائلاً: «لا يعرف جنرالاتي شيئاً عن المناحي الاقتصادية للحرب». بحلول 23 آب، مصاباً آنذاك بحمّى من جو الملاريا في وكر الذئب، أصرَّ الفوهرر الساخط على تنفيذ خطته فوراً، التي تقضي بأن يفصل جيشه الأوسط الشمال عن الجنوب ويترك الهجوم على موسكو حتى وقت لاحق.

في الوقت نفسه، أجرى ستالين تعديلاً مهماً، فعيّن غيورغي جوكوف مسؤولاً عن الدفاع عن لينينغراد. انتصر جوكوف في مرحلة الاشتباك الأولى من المعركة ثم خضعت المدينة إلى حصار سيدوم حتى 1944، ويؤدّي إلى تضوّر ثُلث سكانها جوعاً، لكنها عرقلت بفاعلية قسماً كبيراً من الجيش الألماني.



كانت الحرب شرسة خلف الخطوط.



دبابة ب ت7– روسية مهجورة.

كان التقدّم الألماني أكثر حسماً في جنوبي روسيا. برغم أن فون رونتشتيت واجه جيشاً روسياً يبلغ تعداده أكثر من مليون رجل، إلا أن رفض ستالين السماح بأي نوع من الانسحاب قوّض قدرته على الدفاع عن نفسه. اكتملت حركة كمّاشة كبيرة أخرى بين جوديريان والجنرال بول فون كلايست حول كييف، وبحلول وقت تحرك الألمان لاحتلال القرم وأوكرانيا، أسر مليون روسي إضافي على الأقل.

لكن في مجالات أخرى، كان الروس قد بدؤوا يعيدون تجميع أنفسهم. لقد تركت سياسة «الأرض المحروقة» المعروفة البلادَ يباباً في أثناء تراجعهم. قال ستالين: «يجب ألا تُترك قاطرة واحدة، أو شاحنة، أو رغيف خبز، أو لتر وقود». أُعدمت وحدات كاملة من القوات السوفييتية اشتُبه بتخاذلها بسرعة أيضاً، وأُنشئت تنظيمات خاصة لفرض الانضباط. كان مجرد الإصابة بقضمة صقيع تهمة يُعاقب عليها بقسوة. خلف الخطوط، كان أنصارٌ روس يهاجمون بنجاح طرق الإمداد الألمانية.



الجنرال جوكوف – تنظيم الدفاعات.

دُمّر قسم من البنية التحتية العسكرية السوفييتية، لكن روسيا بلد ضخم. بتوجيه من أليكسي كوسيغين؛ رئيس الوزراء السوفييتي المستقبلي، انتقلت قدرات البلاد الصناعية شرقاً، وعادت مصانع كثيرة إلى الإنتاج بسرعة. بحلول العام الآتي، كانت 3000 طائرة و2000 دبابة تخرج شهرياً من خطوط الإنتاج.



قرية روسية تحترق.

كان رد تشرشل سريعاً حين سمع عن باربروسا، وقال: «ليس لدينا إلا هدف واحد وغاية واحدة لا تتغير. نحن عازمون على تدمير هتلر وكل أثر للنظام النازي. يستلزم هذا أن نقدم كل عون نستطيعه إلى روسيا والشعب الروسي». تضمّن هذا العون تقديم الشفرات التي يستخدمها الجيش الغازي، التي كان البريطانيون أول من يحل رموزها في 27 حزيران، عبر سويسرا.

كان التحالف بين تشرشل وستالين غريباً تقريباً مثل الحلف السابق بين ستالين وهتلر. قال تشرشل: «إذا غزا هتلر الجحيم، يجب على الأقل أن أشير بإيجابية إلى الشيطان في مجلس العموم».

طلب ستالين العون منذ البداية، وبرغم أن البريطانيين رفضوا فتح جبهة ثانية في أوروبا في تلك المرحلة، إلا أن اللورد بيفربروك تجاوز تهديد المعارضة بإقالته من الخدمة ووافق على تحويل بعض الموارد الأمريكية إلى روسيا. في 28 أيلول، غادرت أول قافلة قطبية أيسلندا متجهة إلى أركانجل: ستنقل قوافل بريطانية وأمريكية بعد وقت قصير كميات كبيرة من المعدّات إلى السوفييت – فيها 600,00 زوج من الأحذية العسكرية كل شهر. أطلقت زوجة تشرشل؛ كليمنتاين، مناشدة «معونة إلى روسيا».



مدفع ألماني مضاد للدروع في أثناء العمل.

تكثّف الدعم لروسيا بعد سماع قصص عن فظائع النازيين في الأراضي المحتلة، وتوكيد تشرشل أنه «منذ غزوات المغول لأوروبا في القرن السادس عشر، لم تحدث مذابح منهجية وقاسية على مثل هذا النطاق».

لم يكن هذا مبالغاً فيه، فقد استمر قتل اليهود في كل بلدة احتُلّت، وأحياناً بمشاركة حماسية من فاشيين محليين. في ثلاثة أيام فقط من آب، لقي أكثر من 23,000 حتفهم في كاميانيتس بودولسكي في أوكرانيا؛ وفي أوديسا في 22 تشرين الأول، سيق نحو 25,000 شخص إلى أربعة مستودعات ضخمة وحُرقوا أحياء حتى الموت.

نفّرت معاملة القوات الألمانية المرعبة للمدنيين حلفاء محتملين - أولئك الساخطين في روسيا البيضاء وأوكرانيا الذين قد استقبلوهم بادئ الأمر بالزهور والقبلات والفودكا.



جنود ألمان منهكون يتوقفون من أجل الطعام.

بحلول نهاية أيلول 1941، كان الألمان مستعدين لمواصلة تقدّمهم نحو موسكو: طُلب من صحفيين ألمان أن يحضّروا إعلانات سقوطها. أعلن هتلر في خطاب عام: «العدو انهار ولن يستطيع أبداً النهوض مجدداً»، إنما لم تكن تلك أول مرة يتكلم فيها قبل الأوان.

كان صحيحاً أن ثمانية جيوش روسية قد دُمّرت في أثناء دفاعها عن العاصمة، وأن المدنيين في موسكو أصيبوا بالذعر في محاولتهم مغادرة المدينة، وأن الحكومة انتقلت إلى كويبشيف، إلا أن ستالين بقي ليحضر العرض العسكري احتفالاً بثورة 1917. في تلك الأثناء، حفر 500,000 مدني روسي 500 ميل من الخنادق الدفاعية حول المدينة، ما أعاق الهجوم الألماني.


مدفع ألماني مضاد للدروع ودبابة يستهدفان عقبة على الطريق.

الأسوأ لـ هتلر أن الشتاء كان على الأبواب. بحلول تشرين الثاني، هبطت الحرارة حول موسكو إلى 31– درجة فهرنهايت. تجمّد حتى الزيت، واضطر أفراد الدبابات الألمانية إلى إشعال نار تحت مركباتهم أربع ساعات تقريباً قبل أن تعمل مجدداً. في الوقت نفسه كان عليهم أن يتعاملوا مع الدبابة السوفييتية الجديدة؛ ت34– ثقيلة الدروع وخفيفة الحركة.

عُزّزت قوات الجنرال جوكوف أيضاً بـ 25 فرقة من الشرق الأقصى؛ وفي الجنوب، استعادت قوات روسية روستوف. كان التدبير الاحترازي المنطقي أن يؤخّر هتلر تقدمه إلى موسكو حتى يصبح الطقس أكثر دفئاً، لكن نظراً إلى إعلان النصر آنذاك، خشي من نكسة كبيرة للدعاية. ضغط الألمان، ووصلوا إلى حدود خطوط سكك حديد موسكو في 2 كانون الأول، وأصبح الكرملين مرئياً من بعيد.

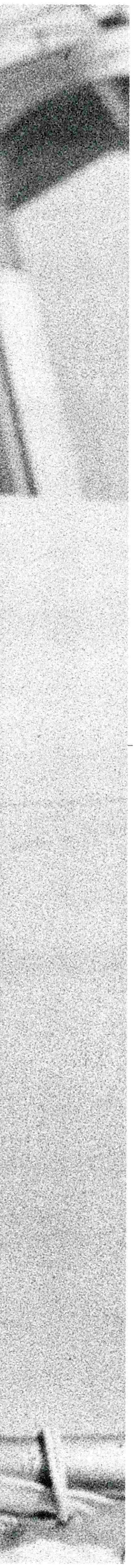
لكن بعد ثلاثة أيام، أمر جوكوف قواته بشن هجوم. صمم هتلر ألا يخاطر بأي نوع من التراجع عبر البراري الجليدية، فأمر جنوده بالثبات في مواقعهم. بالنسبة إلى كثير منهم، كانت العواقب وخيمة: تجمّدوا حتى الموت أو سُحقوا حين تجمّدت أسلحتهم بالجليد.

قبل عيد الميلاد، عزل هتلر الغاضب كل قادة الجيوش في العملية وعيّن نفسه قائداً عاماً للجيش.

الثلاثة الكبار:



أمريكا وبريطانيا وروسيا توحّد صفوفها.



روزفلت يزور الأ

العملاق النائم

عزلة أمريكا تنتهي

أُعجب هاري هوبكنز؛ المبعوث الأمريكي إلى بريطانيا، بالمعنويات البريطانية في أثناء الحرب الخاطفة. قدم تقريراً إلى الرئيس روزفلت يقول فيه: «إذا كان النصر بالشجاعة وحدها، فستكون النتائج حتمية». لكنه أضاف: «هم بأمسِّ الحاجة إلى دعمنا».

كان هوبكنز قد أُرسل إلى بريطانيا في كانون الثاني 1941 بسبب التقارير المحبطة بازدياد من السفير الأمريكي – جوزيف؛ والد جون ف. كينيدي – عن احتمال هزيمة البريطانيين. وصل هوبكنز بعد إقرار تشريع الإعارة والتأجير المقترح من روزفلت، الذي منح الرئيس صلاحية تقديم معدّات لمساعدة أي بلد يعدّها ضرورية في «الدفاع» عن الولايات المتحدة الأمريكية. على كل حال، عارض كثير من الأمريكيين، أبرزهم كينيدي وبطل سلاح الجو تشارلز لندبرغ، هذا القانون. ظنّوا أن روزفلت يريد إغواء أمريكا للدخول في الحرب – وعندما جمّد، في حزيران 1941، كل الأصول الألمانية والإيطالية، بدا أن شكوكهم كانت أكيدة. كان الرئيس يتعرض إلى «حملة ضغط» من تشرشل، الذي بعث له رسائل شخصية بانتظام، يبلغه فيها بأحدث المستجدات، ويحثّه على لعب دور أكثر فاعلية دعماً للحلفاء المحاصرين.

في تلك الأثناء، كانت مجموعة سرية من مسؤولين بريطانيين وأمريكيين تناقش ما يجب فعله إن نجحت جهود تشرشل. بدت السرّية ضرورية لا بسبب رد فعل المحور المحتمل فقط، إنما لأن الشعب الأمريكي نفسه كان متشككاً كثيراً في أي محاولات لإقحامهم في حرب أوروبية أيضاً. بدأ مقال صحفي رئيس بمقولة «قف سيادة الرئيس!»، بعد ملاحظة نبرة أكثر عدائية في إحدى خطابات روزفلت.

لكن ستثبت الأحداث في الأطلسي أنها خارج نطاق قدرة الصحافة والسياسيين على حد سواء. في 10 نيسان 1941، هاجمت المدمّرة الأمريكية نيتبلاك غواصة يو–بوت كانت قد أغرقت باخرة شحن هولندية، وبعد ستة شهور، تعرّضت روبن جيمس لهجوم بطربيدات فغرقت مع كل أفرادها. قال روزفلت: «وجّه هتلر طربيداً على كل أمريكي» – لكن برغم هذا أحجم عن دخول الحرب. كان غزو هتلر لروسيا السوفييتية عائقاً أمام «أنصار التدخل» من



يكي في خليج سان فرانسيسكو.



روزفلت وتشرشل في كيبك مع إرل أثلون.

أمثاله: الأمريكيون مستعدون لإرسال معونة إلى بلد ديمقراطي مثل بريطانيا، إنما يحتاج الأمر معجزة لجعلهم مورّدين، أو حلفاء، للشيوعيين.

في ذلك الوقت، كان يجب على البريطانيين أن يتدبّروا أمورهم بمساعدة بحرية أمريكية فقط – جرى التوصل إلى تفاهم في آب 1941، حين التقى تشرشل وروزفلت على متن سفينة البحرية الملكية برنس أوف ويلز في خليج بلاسينتيا، نيوفاوندلاند. لكن رئيس الوزراء البريطاني حقق تقدماً صغيراً في جهوده للحصول على عدد من ضمانات الحماية الأخرى.

عندما فشلت «حملة ضغط» تشرشل في تحقيق أهدافها، نجح اليابانيون في ذلك حين شنّوا هجوماً شاملاً. في 7 كانون الأول 1941، هاجمت طائراتهم بيرل هاربر – وكانت أمريكا في حال حرب في المحيط الهادئ. في اليوم الآتي، أعلن تشرشل الحرب على اليابانيين، قبل إعلان الكونغرس الأمريكي ذلك. تبعهم حلفاء البريطانيين الآخرون، وفيهم الصين التي أعلنت الحرب رسمياً ضد كل من اليابان وألمانيا.

في 11 كانون الثاني، وصل خبر أفضل حتى من ذلك فيما يخص البريطانيين: أعلن هتلر الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية. كان بمقدوره أن يؤّخر الإعلان، ويأمل أن تصبَّ أمريكا جام غضبها على اليابان وحدها، لكن يبدو على الأرجح أنه كان مقتنعاً أن الولايات المتحدة

تكاد تدخل الحرب ضده بأي حال. من جانبه، عرف تشرشل أن اشتراك الولايات المتحدة في الحرب في أوروبا سيعني نصراً في النهاية. كتب: «تلك الليلة، مملوءاً مشاعر وأحاسيس، ذهبت إلى السرير ونمت نوم الناجي والشاكر».

لكن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن مستعدة نسبياً للحرب، أما قتال اليابانيين فمسألة أخرى. فيما يخص أوروبا – هل تقاتل القوات الأمريكية في أفريقيا، أم إيطاليا، أم فرنسا أولاً؟ وهل بمقدور القصف الإستراتيجي وحده أن يحقق الانتصار في الحرب، كما ظنَّ قادة سلاح الجو البريطاني والأمريكي؟

كان يجب حل هذه القضايا بسرعة، ولفعل ذلك ذهب تشرشل إلى واشنطن ليحث روزفلت على زيادة الإنتاج الصناعي والمساعدة في وضع نوع من الإستراتيجية العامة. شهد رأس سنة 1942 نشر إعلان مشترك من القائدين في واشنطن، وافقت عليه 26 دولة دعت نفسها الأمم المتحدة، ويتضمّن «ضمان الحياة، والحرية، والاستقلال، والحرية الدينية، والحفاظ على حقوق الإنسان، والعدل».



روزفلت مع وزير الخارجية؛ كورديل هول.

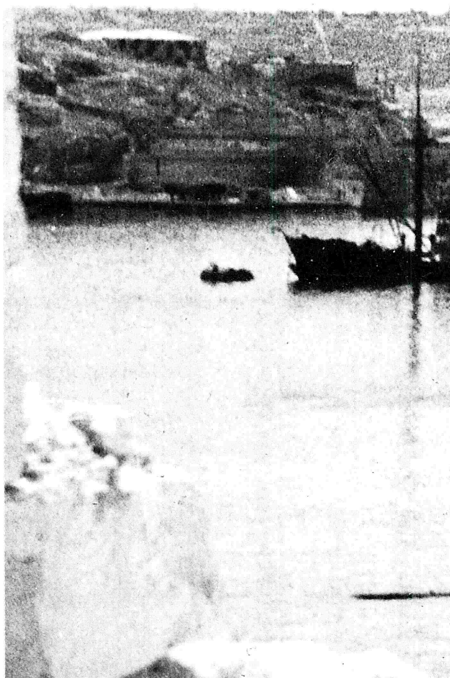




حزيران 1942 – غارات جوية على الحصن البريطاني المهم في مالطا.



فصيلة مدفع مضاد للطائرات في مالطا.





آب 1942 – نتيجة غارة على دييب.



أسرى بريطانيون وكنديون في دييب.



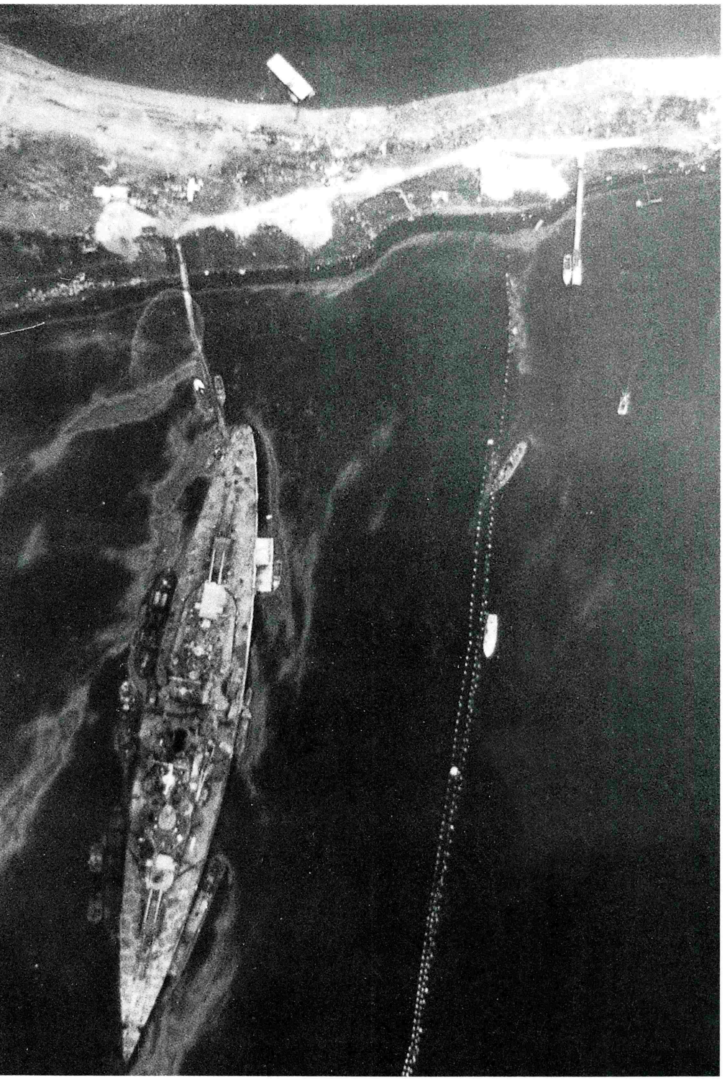
مغاوير مرهقون يعودون إلى نيوهفن بعد كارثة دييب.

أراد تشرشل أن تتصرّف الولايات المتحدة بحزم؛ لأن الشهور الأولى من 1942 كانت قاسية على البريطانيين. لم يعانوا تضاؤلَ كميات الطعام والفحم فقط، إنما خسروا سنغافورة لمصلحة اليابانيين أيضاً، وتعرضت جزيرة مالطا في البحر المتوسط إلى قصف شديد وعانت الجوع وخطراً حقيقياً باحتلالها. تعرضت قيادة رئيس الوزراء إلى انتقاد علني متزايد.

كانت أولى القوافل القطبية تنقل آنذاك إمدادات إلى الروس في أركانجل. لتهديدها، أمر هتلر شارنهورست وجنيسينو باجتياز القنال الإنكليزي إلى النرويج، حيث انضمت إليهما تيربيتز؛ السفينة شقيقة بسمارك. خوفاً من تعرّض سفن الشحن تلك إلى هجمات من تحت الماء، أمر قائد البحرية البريطانية السير دودلي باوند بتفريق القافلة بي كيو 17. أغرقت يو–بوت 24 سفينة تجارية من 35 في القافلة – وكلها، كما تبيّن، بسبب إنذار زائف.

كان البريطانيون بحاجة إلى الرد بالمثل لرفع معنويات العامة. في آذار 1942، هاجم مغاوير بنجاح الرصيف الجاف الوحيد في الأطلسي القادر على استقبال تيربيتز – سان نازير على الساحل الفرنسي. بعد خمسة شهور، هاجمت قوة مغاوير ومشاة أكبر من بريطانيا وكندا والولايات المتحدة ميناء دييب. كانت النتيجة كارثية: قُتل 1000 رجل وأُسر 2000، لكنها زوّدت





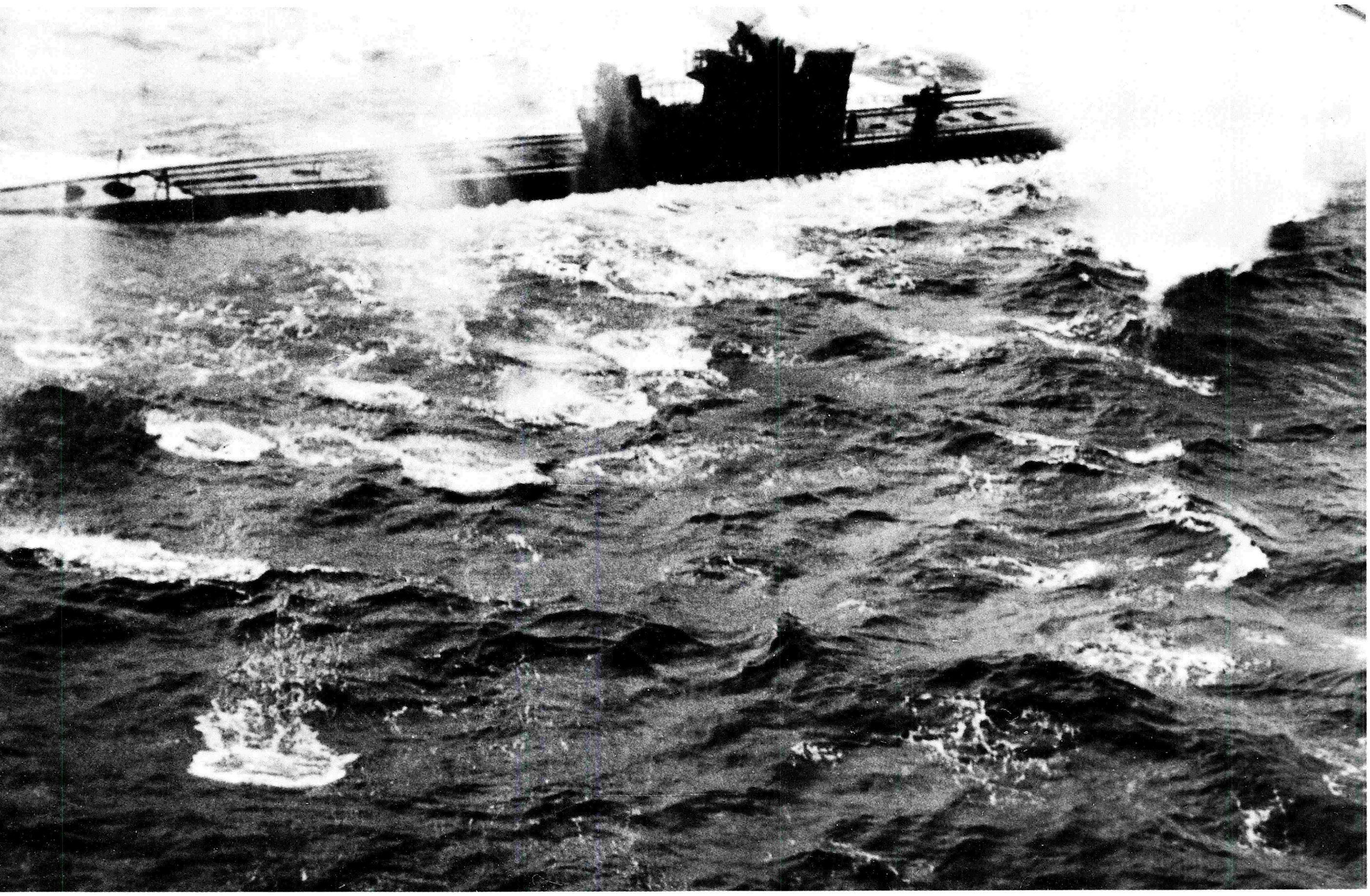
أعلى: قائد يو–بوت مع وسام الفارس.

يسار: تيربيتز في كافورد.

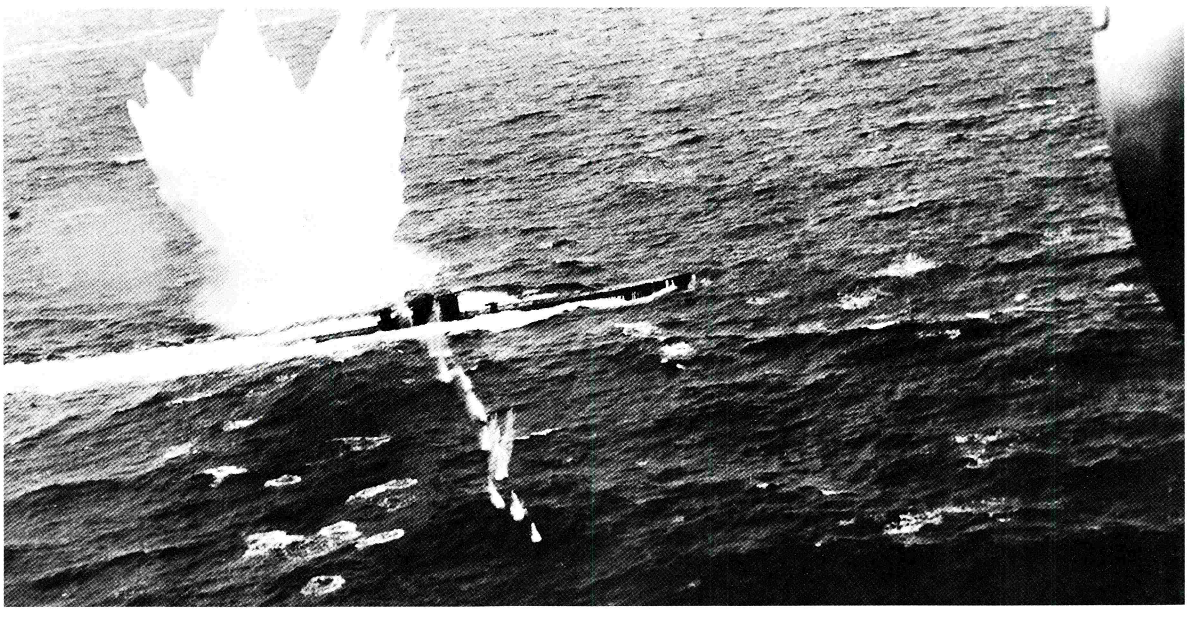
مخطّطي الحلفاء بمعلومات مهمة عن تقنيات الإنزال – تقنيات استُخدمت لاحقاً في إيطاليا ونورماندي.

على الجبهة البحرية، على كل حال، نجح البريطانيون في عدّة مواقع. ألحقت قاذفات ضرراً بالغاً بـ جنيسينو، وحوصرت تيربيتز في زقاق نرويجي وحُيّد الأسطول البحري الألماني بفاعلية على أنه قوة قتالية. وجد الأميرال رايدر ضرورة للاستقالة، واستُعيض عنه بقائد يو–بوت كارل دونيتز.

اتصف رايدر بالحذر، في حين كان دونيتز واسع المخيلة. كان قادة غواصاته نخبة، مدرّبين على عدم الراحة وأهوال العيش والعمل في أعماق البحار – ولهم آنذاك تأثير كبير على الحرب. كانت بعض يو–بوت الأخيرة غواصات ضخمة يصل مداها إلى 30,000 ميل. لم يكن سلاح الجو الملكي، المهتم أساساً بقصف المدن الألمانية، قد استهدف بعد أحواض غواصات ألمانية كما يجب. عندما وجد الأمريكيون أنفسهم في الحرب، تعرّضت سفنهم لهجمات مركّزة من



أعلى وأسفل: يو-بوت ألمانية تتعرّض لهجوم جوي من القيادة الساحلية البريطانية.







مقابل: هجوم بقنابل الأعماق من البحرية الأمريكية. أعلى: مرافقة أمريكية لقافلة في القطب الشمالي.

مجموعات الذئاب. في حزيران 1942، خسر الحلفاء 700,000 طن أخرى من الشحن، واستمر الرقم بالارتفاع حتى آذار 1943، حيث وصل عدد يو–بوت العاملة في الأطلسي إلى رقم قياسي.

لكن السفن التجارية الأمريكية كانت تُنتج بأعداد كبيرة آنذاك، وكل «باخرة حرية» يمكن أن تُبنى في أربعة أيام فقط. استخدم الحلفاء أيضاً مدمّرات وسفن حراسة صغيرة لتدمير مجموعات الذئاب، وقد زُوّدت بأجهزة سونار متطوّرة نسبياً وقنابل أعماق ذاتية التفجير، ما جعلها تحقق نجاحاً كبيراً. في أيار 1943، مثلاً، أُغرقت سبعة يو–بوت في ليلة واحدة. أبلغ دونيتز هتلر أن حملة الغواصات تواجه أزمة، وأمر يو–بوت بالانسحاب إلى حين تطوير تكتيكات جديدة.

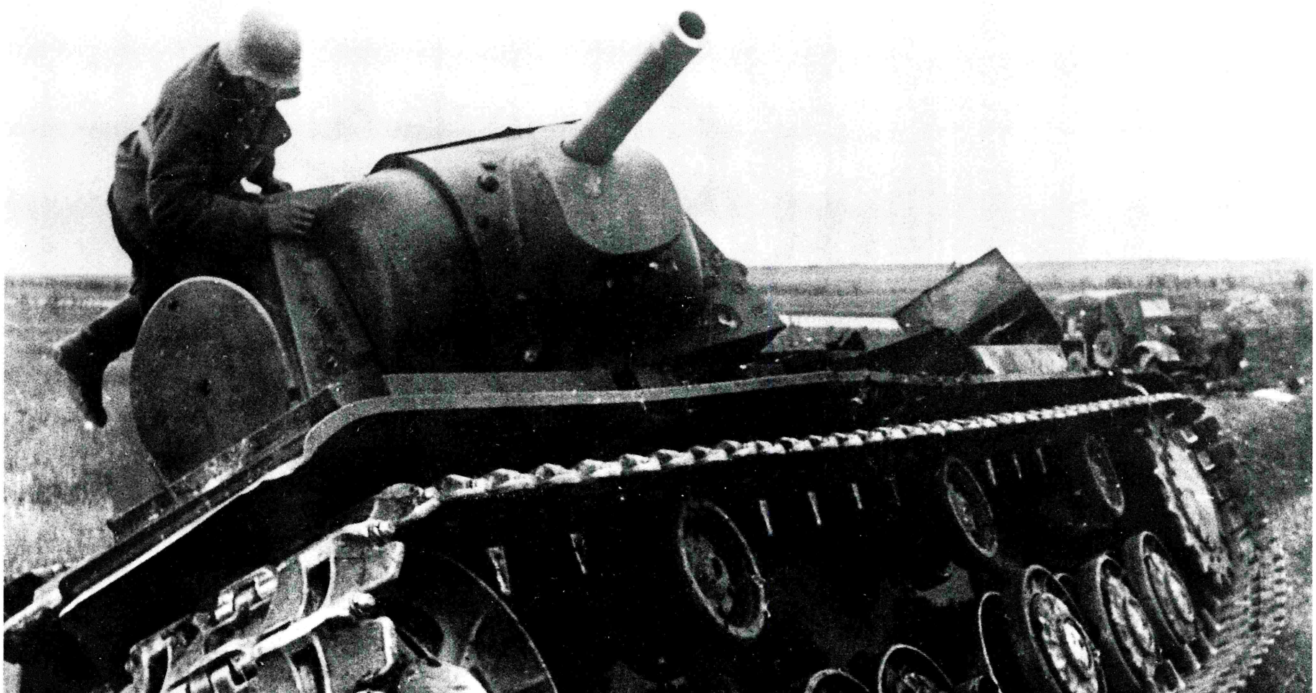
برغم القرارات التي اتخذتها قمة واشنطن، تنازع في 1942 قائدا البحريتين الأمريكية والبريطانية بشأن ما يجب فعله آتياً في أوروبا. كان البريطانيون عاقدي العزم على عدم الانحناء لضغط هتلر وفتح جبهة ثانية في أوروبا، وأقنعوا الأمريكيين أنها ستفشل من دون تحضير ملائم ما أخّر الجهد الحربي أعواماً. أُلغيت حتى فكرة السيطرة على رأس جسر في شيربورغ – رأى الروس في ذلك خطر هزيمة نكراء.

صراع الجبابرة

معركتا ستالينغراد ولينينغراد

في بداية 1942، بدأت هجمات الجنرال جوكوف المضادة من موسكو ولينينغراد تأفل، فارتفعت آمال هتلر مجدداً، وبدأ جنرالاته يعدّون خططاً لهجوم جديد. كانت هجمات جديدة ستستهدف لينينغراد، إنما ستكون مجرد إلهاء، في حين ستصبح ستالينغراد في الجنوب الهدف الحقيقي. إذا وقعت بأيديهم، فسيفصل الألمان وسط روسيا عن حقول النفط في القوقاز، وبوصفها المدينة التي تحمل اسم الزعيم السوفييتي، سيكون الاستيلاء عليها نصراً دعائياً كبيراً.

خاض القادة الألمان معاركهم الداخلية المعتادة بشأن الإستراتيجية، إنما تحسن مزاجهم حين وصل نبأ فشل هجومين روسيين مضادين في القرم وقرب مدينة خاركوف الأوكرانية. في الحالة الأخيرة، تعرض الجيش الجنوبي بقيادة سيميون تيموشينكو إلى إبادة كاملة تقريباً، وعانى الجيش الأحمر أيضاً هبوطاً في معنويات أفراده خارج لينينغراد حين انشق الجنرال أندري فلاسوف



أعلى: ألماني يتحقّق من دبابة روسية معطّلة.   مقابل: جندي يمشي فوق حطام خارج ستالينغراد.



لمصلحة الألمان بنية قيادة قوة «تحرير» مضادة للسوفييت.

في 28 حزيران 1942، بدأ الهجوم الألماني الجديد على جانبي كورسك. قال هتلر، بعد أن قسّم بثقة قواته إلى شطرين: «انتهى الروس». توجه الجيش الأول بقيادة الجنرال فون كلايست جنوباً نحو حقول النفط، في حين شنَّ الآخر بقيادة الجنرال باولوس هجوماً نحو ستالينغراد – الرازحة آنذاك تحت قصف عنيف من الجو. عندما نقل هتلر مقر قيادته إلى أوكرانيا ليكون أقرب إلى المعركة، لم يكن يعرف أن 24 آب سيحدّد نهاية انتصاراته.



جوكوف وقادته.

لقد اكتسبت معركة ستالينغراد رمزاً أسطورياً في التاريخ الروسي الحديث. كانت نقطة تحوّل في الحرب، وشهدت أيضاً مذبحة لا معنى لها بسبب رفض هتلر التفكير في أي نوع من الانسحاب. عندما دخل الألمان المدينة المدمّرة، التي سوّاها القصف بالأرض، فقدوا أفضل ميزاتهم – التحرّكية. أصبحوا محاصرين في صراع قاس ومهلك على كل قدم من الأرض. لقد جعل الروس كلّ منزل قلعة وكل كومة أنقاض حِصناً. مع ارتفاع أرقام الضحايا بنحو شنيع كل أسبوع، أرغم الجنرالات الألمان على مواجهة موقفهم المحفوف بالمخاطر، لكن تحذيراتهم لهتلر ذهبت أدراج الرياح. لم تهتز إرادة الفوهرر – قال: «ستحسم آخر كتيبة الأمر».



تيموشينكو: مقاومة ناجحة.

لم يكن قد توقع هجوماً مضاداً روسياً. في تشرين الثاني، اندفعت ستة جيوش روسية بقيادة جوكوف عبر خطوط الألمان والرومانيين شمالي ستالينغراد وجنوبها، وبعد أربعة أيام، التقيا على الجانب الآخر من المدينة، مطوّقين باولوس. قوبل الاقتراح المنطقي من الجنرال بتنفيذ انسحاب تكتيكي بالرفض من هتلر.

ما الذي يمكن فعله؟ وعد غورينغ أن تُنزل لوفتفافه



أعلى: مدفعية ألمانية تقصف ستالينغراد. أسفل: جنود ألمان يتحركون لتطويق لينينغراد.





أعلى وأسفل: القصف الألماني دمّر ستالينغراد، لكن الجيش الأحمر استخدم الأنقاض في بناء دفاعاته.





أعلى وأسفل: مدنيون استطاعوا «بصعوبة» العيش بين أنقاض ستالينغراد.







أعلى: باولوس يتأمل الخرائط.



قوات الصاعقة تتحرك في

جنود روس مع رشاشات مطلع الشتاء، 1942.





مدفعية روسية خارج ستالينغراد.



جندي ألماني يحفر في الثلج، شتاء 1942.



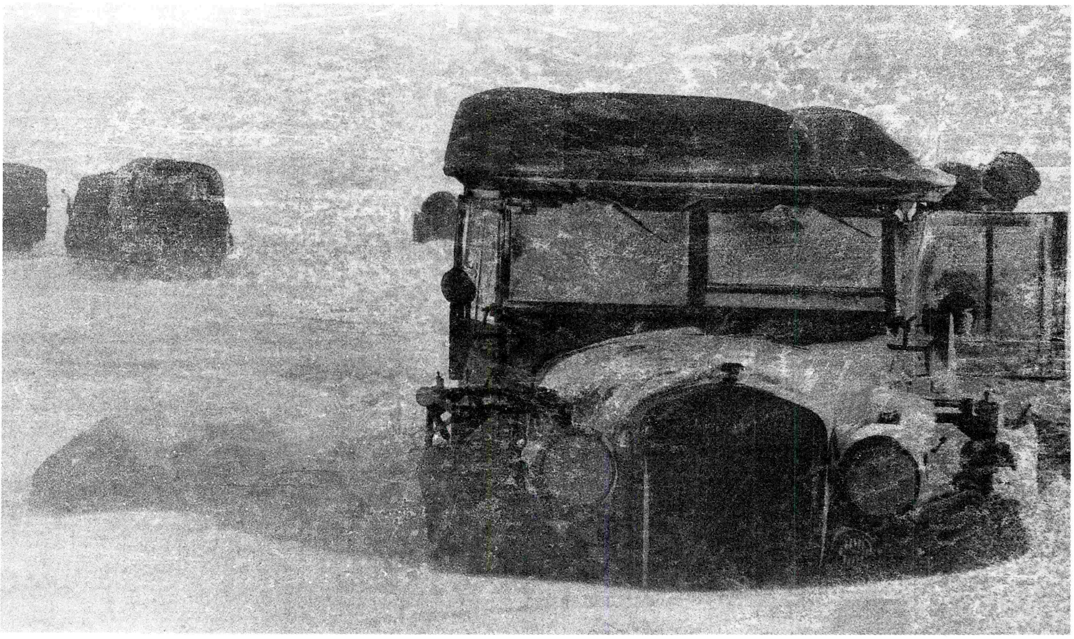
رتل إمداد ألماني يعاني مشكلة.

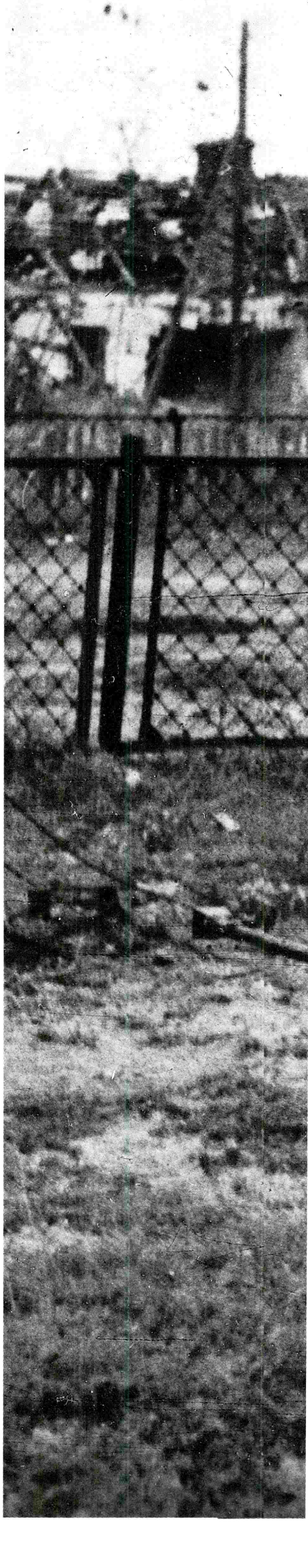




مقابل: ستالينغراد، كانون الأول 1942 - الهجوم المضاد لجنود الجيش الأحمر.

أسفل: «الجنرال الشتاء» يضرب الجيش الألماني.





إمدادات، إنما أفسد الطقس السيئ خطته. اقترب الجنرال مانشتاين مع قوة إنقاذ من الدبابات، لكنه اضطر إلى التوقف على بعد 30 ميلاً، وبرغم هذا رفض هتلر التفكير في انسحاب.

بحلول العام الجديد فات الأوان بأي حال. استسلم باولوس، الذي رُقّي بنحو غامضٍ وقتئذ إلى مارشال، في 31 كانون الثاني مع 24 جنرالاً و91,000 جندي ألماني. تبع ذلك ثلاثة أيام حزن في ألمانيا، وقال هتلر: «لقد انتقل إله الحرب إلى الطرف الآخر». لكن بدأت شكوك جدّية تنتاب قادته بشأن إدارته الحرب.

بعد أسبوعين، استعاد الروس السيطرة على خاركوف - فقط ليخسروها مجدداً في آذار؛ لأن التضحية بجيشهم السادس قد منحت الألمان وقتاً ليعيدوا تجميع أنفسهم.

شهدت الجبهة الروسية في ذلك الوقت بعضاً من أسوأ المجازر في التاريخ. عانى كلا الجانبين سيطرة مركزية مارسها استبداديان بعيدان. لم يكن هتلر أو ستالين مستعداً لقبول عمليات انسحاب، وأدّت



الجنرال فون مانشتين.



أعلى: جنود سوفييت عند كورسك، تموز 1943.　　مقابل: دبابة ت– 34 روسية تحترق.

هذه الصلابة الإيديولوجية إلى كارثة رهيبة على الحياة البشرية. مرة بعد أخرى، توفي آلاف من أجل تحقيق أهداف يائسة أو دفاعاً عن مواقع ميئوس منها. كانت روسيا بعدد سكانها الضخم، على كل حال، أكثر قدرة على تحمّل تلك الخسائر، في حين عانى الألمان عائقاً آخر أيضاً. حل البريطانيون شفرات تفاصيل خططهم ونقلوها مباشرة إلى القيادة السوفييتية، لذا عندما بدأت عملية هتلر الضخمة الآتية؛ القلعة، في صيف 1943 بمشاركة نحو 2500 دبابة و900,000 رجل انتشروا على جبهة طولها 100 ميل، كان الجيش الأحمر مستعداً لها.

لقيت القوات الشمالية بقيادة المشير غونثر فون كلوج مقاومة شرسة فوراً، برغم أن جنود إس إس بقيادة مانشتاين قد حققوا بعض التقدّم في الجنوب. حانت اللحظة الفاصلة في المعركة خارج كورسك في 12 تموز، حين اشتبكت 700 دبابة بقيادة الجنرال هرمان هوث مع 850 ت43–س بقيادة المارشال بافل روتميستروف، وهُزم الألمان شر هزيمة. في اليوم الآتي شنَّ الروس هجوماً مضاداً على خطوط الألمان، وجعلوهم يتراجعون 150 ميلاً. كانت الخسائر الألمانية مخيفة: 70,000 رجل، و1400 طائرة، و1500 دبابة. حدّدت تلك المعركة بداية ما سيصبح تراجعاً طويلاً ومنظماً إلى برلين.



عاصفة الصحراء

حملة شمالي أفريقيا



مقارنة بصراع الموت الضخم على الجبهة الروسية، كانت المعارك في شمالي أفريقيا صغيرة نسبياً. برغم هذا، كان لها أهمية إستراتيجية ورمزية كبيرة لدى كل من تشرشل وهتلر.

استمر حصار طبرق وحاميتها الأسترالية البطلة بقيادة الجنرال ليزلي مورسهيد وقتاً طويلاً حتى صيف 1941. برغم تلقي الأستراليين إمدادات من البحرية الملكية، التي نالت نصيبها من الغواصات الإيطالية والقاذفات الألمانية، أمسى وضعهم بحلول خريف ذلك العام يائساً. لفك الحصار، شن البريطانيون عملية الصليبي، مستهدفين الدبابات الألمانية حول سيدي رزق، وقد حققوا نجاحاً بنحو عام، إذ لم تبق إلا 40 دبابة فقط، فغادر رومل المنطقة وأُنقذت طبرق.



أعلى: الفيلق الأفريقي يتحرك. مقابل: «جرذان الصحراء» تنزع ألغاماً بحراب البنادق.





لكن في الشهور الأولى من 1942، بدأ الجنرال الألماني يستعيد الأراضي التي خسرها، وفي أيار شنَّ هجوماً جديداً على غزالة. كان مصمماً على احتلال طبرق وإحباط أي هجوم بريطاني جديد. وجدت حامية طبرق، المكوّنة آنذاك من جنود جنوب أفريقيين يدعمهم أفراد احتياط بريطانيون وهنود، نفسها تتعرّض بسرعة لضغط شديد. في 20 حزيران 1942، شنّت قاذفات ستوكا والدبابات الألمانية هجوماً مشتركاً على المدينة، التي انهارت دفاعاتها في ثلاث ساعات فقط، وفي اليوم الآتي أُرغمت الحامية كلها المكوّنة من 35,000 جندي على الاستسلام. باستثناء سقوط سنغافورة، كانت تلك على الأرجح أسوأ هزيمة بريطانية في الحرب. شعر هتلر بسعادة غامرة ورقّى روميل إلى مشير.

طارد المشير روميل الجيش البريطاني الثامن من طبرق إلى مرسى مطروح، ثم إلى العلمين قرب الحدود المصرية. حثَّ بعض مستشاري روميل على توخّي الحذر – لكنه لم يكن رجلاً حذراً: كان

مقابل: مدافع 15 سم ألمانية.   أسفل: مدافع 6 – بوصة بريطانية.







فريق دبابة ألمانية خارج طبرق.





كانون الثاني 1942 – رومل في بنغازي.



أوكنلك يتريّث للتفكير في مقر قيادته في القاهرة.



قوات أسترالية في طبرق.



جنود بريطانيون يحاولون إخراج شاحنة من الرمل.

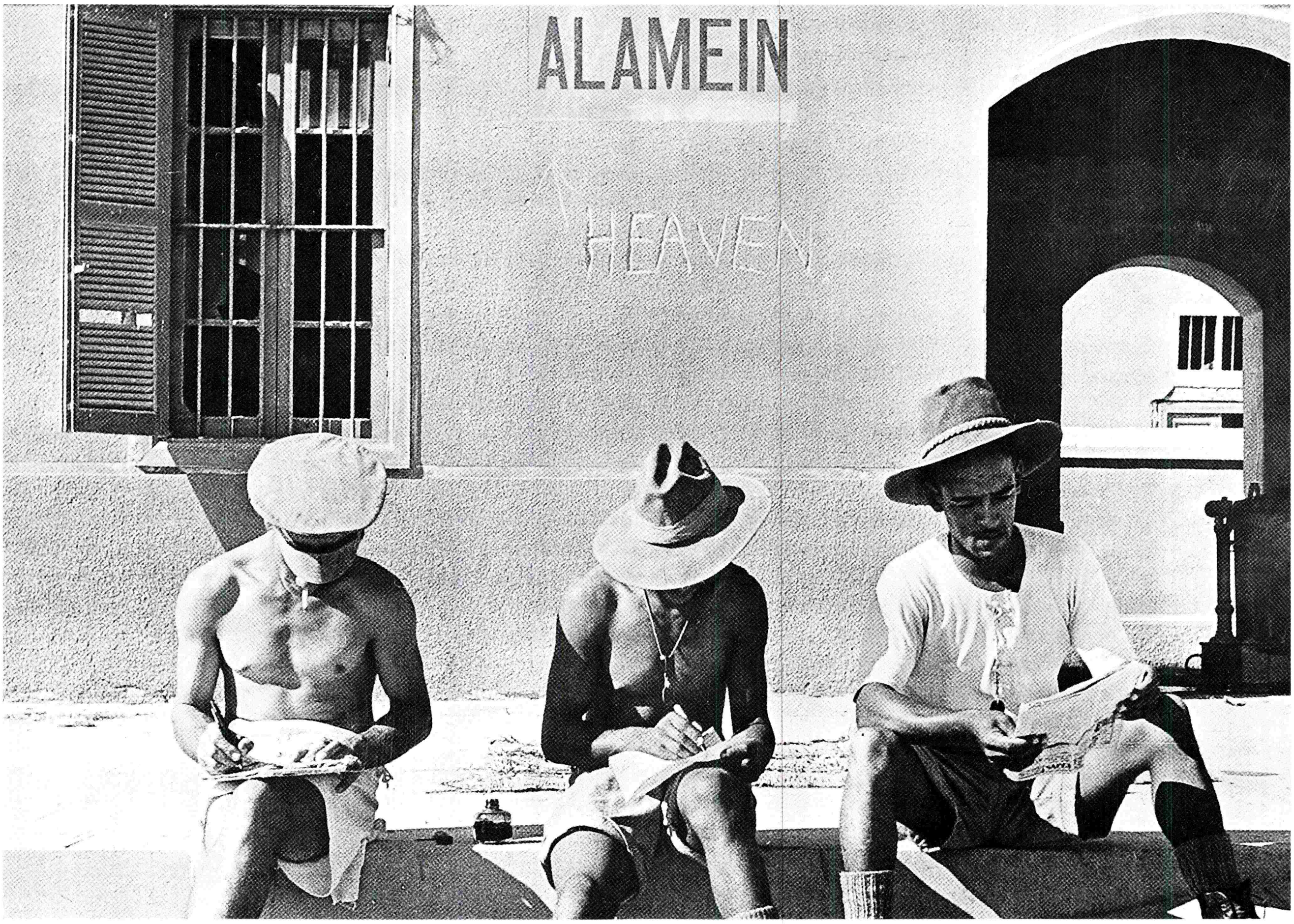


أسرى حرب بريطانيون يغادرون طبرق بعد يوم من سقوط المدينة.

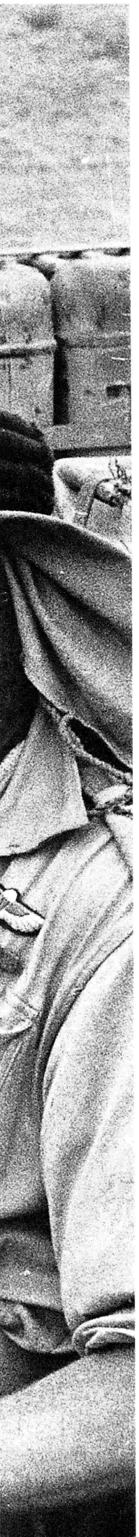
يوجد غالباً على خط الجبهة في وسط المعركة، يحفّز جنوده على التقدّم. قال: «لم يفز أميرال قط بمعركة بحرية من الشاطئ».

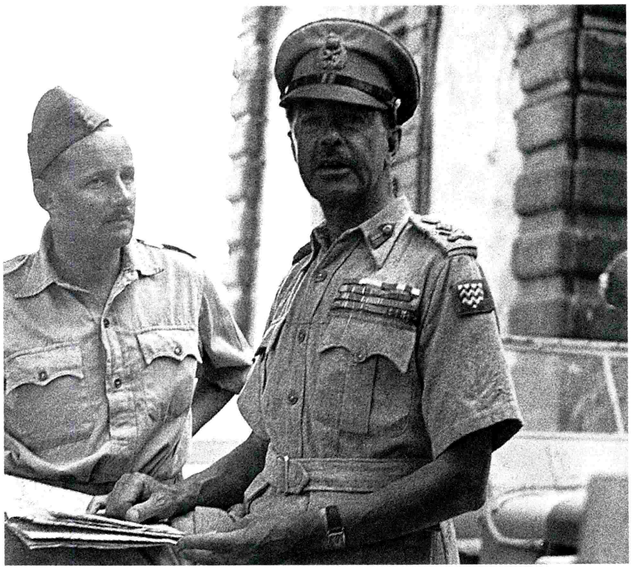
جهّز سكان القاهرة والإسكندرية أنفسهم لوصول الفيلق الأفريقي، وسافر موسوليني نفسه جواً إلى ليبيا، ولحقت به بزّته البيضاء في طائرة خلفه، استعداداً لدخول القاهرة منتصراً. أبحر الأسطول البريطاني إلى خارج الإسكندرية متجهاً إلى البحر الأحمر. كتب رومل إلى زوجته في 30 حزيران: «100 ميل أخرى فقط إلى الإسكندرية». لكن جنوده أُصيبوا بالإرهاق بعد أن قطعوا 300 ميل في أسبوع.

تبعد العلمين 60 ميلاً فقط عن الإسكندرية، لكن تضاريسها تجعلها مثالية للدفاع، إذ يحدّها البحر من الشمال ومنخفض القطارة غير السالك تقريباً من الجنوب. بدأت المعركة الأولى هناك في 30 حزيران 1942، وطوال تموز تقدّمت قوات الحلفاء والمحور وتراجعت؛ إلا أن قوات المحور تكبّدت خسائر فادحة.



جنود أستراليون يكتبون إلى الوطن من «الفردوس».





ألسكندر: قائد إقليمي جديد، صيف 1942.

أوقف هجوم أوكنلك المضاد في 21 تموز تقدّم رومل – لكنه لم يفعل أكثر من ذلك. سافر تشرشل جواً إلى مصر في 4 آب، يقلّب في ذهنه محاسن ومساوئ تغيير القيادة البريطانية. عند وصوله، عزل أوكنلك وعيّن الجنرال السير هارولد ألكسندر قائداً عاماً مكانه. لقي الجنرال غوت؛ خيار تشرشل الأول لقيادة الجيش الثامن، حتفه في تحطّم طائرة في اليوم الآتي، ما جعل الجنرال السير برنارد مونتغمري يسافر جواً من إنكلترا ليتولّى قيادة تلك القوات.

قضى الجانبان باقي آب في إنشاء تحصينات دفاعية وحقول ألغام. تجاهل مونتغمري طلبات متكرّرة من تشرشل بالهجوم، إذ عرف أن طرق إمداده أكثر أمناً من خصمه، وعزّز بهدوء قوته. رد مونتغمري على رسائل تشرشل نافدة الصبر: «إذا بدأ الهجوم في أيلول، فسيبوء بالفشل. إذا انتظرنا حتى تشرين الأول، أضمن نجاحاً كبيراً». بحلول 23 تشرين الأول، كان الحلفاء قد جمعوا 1000 دبابة، و2000 مدفع، و700 طائرة، و150,000 رجل.



مونتغمري، معتمراً قبعة أسترالية، يصل قرب العلمين.



دورية من القوات الخاصة الجوية البريطانية تعود بعد ثلاثة شهور خلف خطوط العدو



دبابة بريطانية مدمّرة خارج العلمين، تموز 1942

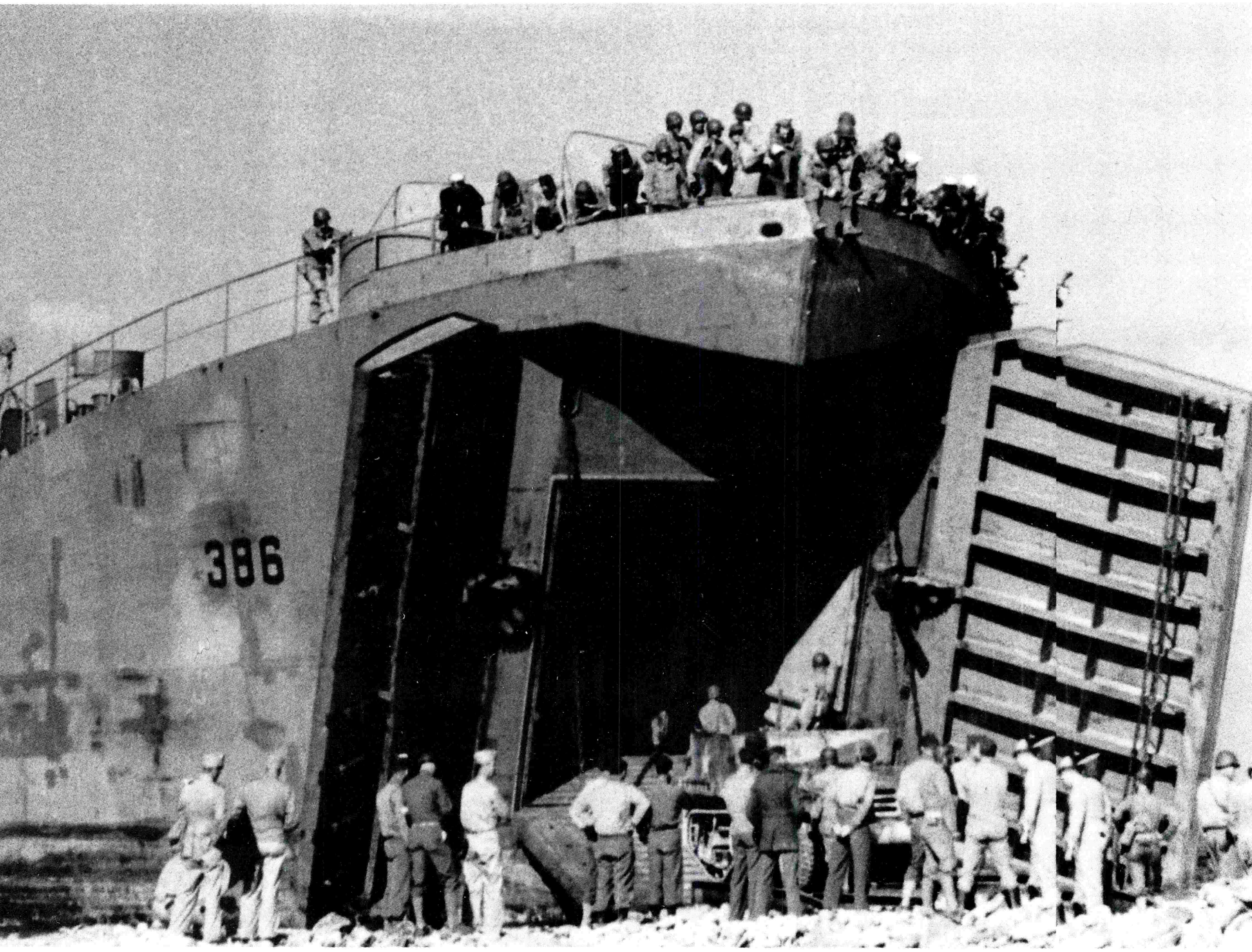


حزيران 1942: تدمير مخزن أسلحة قرب الحدود الليبية.



دبابات غرانت «أمريكية الصنع» بريطانية تتقدّم في العلمين.

عند 9,40 من مساء ذلك اليوم، فتح أكثر من 1000 مدفع النار على طول جبهة تمتد 40 ميلاً. بغطاء منها، فتح المشاة طريقاً للدبابات عبر حقول الألغام، وبدأ هجوم شامل في صباح اليوم الآتي. تكبّد اللواء البريطاني المدرّع التاسع خسائر فادحة، لكن مونتغمري أصرّ أن كل شيء يسير وفقاً للخطة. كان تفاؤله مبرراً، وألحق اشتباك بالدبابات في 2 تشرين الأول عند تلة العقاقير أضراراً كبيرة بالمدرّعات الألمانية، وتوفي الجنرال شتومه؛ قائد الفيلق الأفريقي بالوكالة، في أثناء غياب رومل في إجازة مرضية، بسبب نوبة قلبية في المعركة. اتصل هتلر هاتفياً بـ رومل في النمسا



وأمره بالعودة إلى ليبيا، لكن الألمان كانوا قد خسروا المعركة آنذاك. أصدر «ثعلب الصحراء» تعليمات إلى الفيلق الأفريقي لتنفيذ انسحاب كامل.

قُتل نحو 13,500 جندي بريطاني ومن الكومنولث في الاستيلاء على العلمين، لكن مونتغمري قد قلب الوضع رأساً على عقب في شمالي أفريقيا. في 15 تشرين الثاني رنّت أجراس الكنائس في بريطانيا أول مرة منذ بداية الحرب (كانت مخصصة قبل ذلك للإنذار من الغارات).

قبل أسبوع من النصر، كان جنود من الحلفاء قد نزلوا شمالي أفريقيا الفرنسية في غزو مشترك ضخم عُرف باسم «عملية الشعلة». تنازع البريطانيون والأمريكيون والفرنسيون الأحرار بشأن المشروع بعض الوقت، وأربك الفرار المدهش للجنرال الفرنسي هنري جيرو من معسكر

لأسرى الحرب في ألمانيا المفاوضات الحسّاسة بين قادة حكومة فيشي المحلية والجنرال الأمريكي مارك كلارك، الذي وضعته غواصة على الشاطئ لإقناعهم بعدم المقاومة. في ذلك الوقت، لم يكن لهروب جيرو تأثير يذكر على قوات فيشي، ومضى الإنزال قدماً من دون أن يلقى مقاومة كبيرة.

دعت الصحافة المتعاونة مع العدو في باريس حكومة فيشي إلى إعلان الحرب على الحلفاء، لكن بيتان راوغ، وأخبر نائبه في شمالي أفريقيا الأميرال جان دارلان باتخاذ أي إجراء يراه ملائماً.

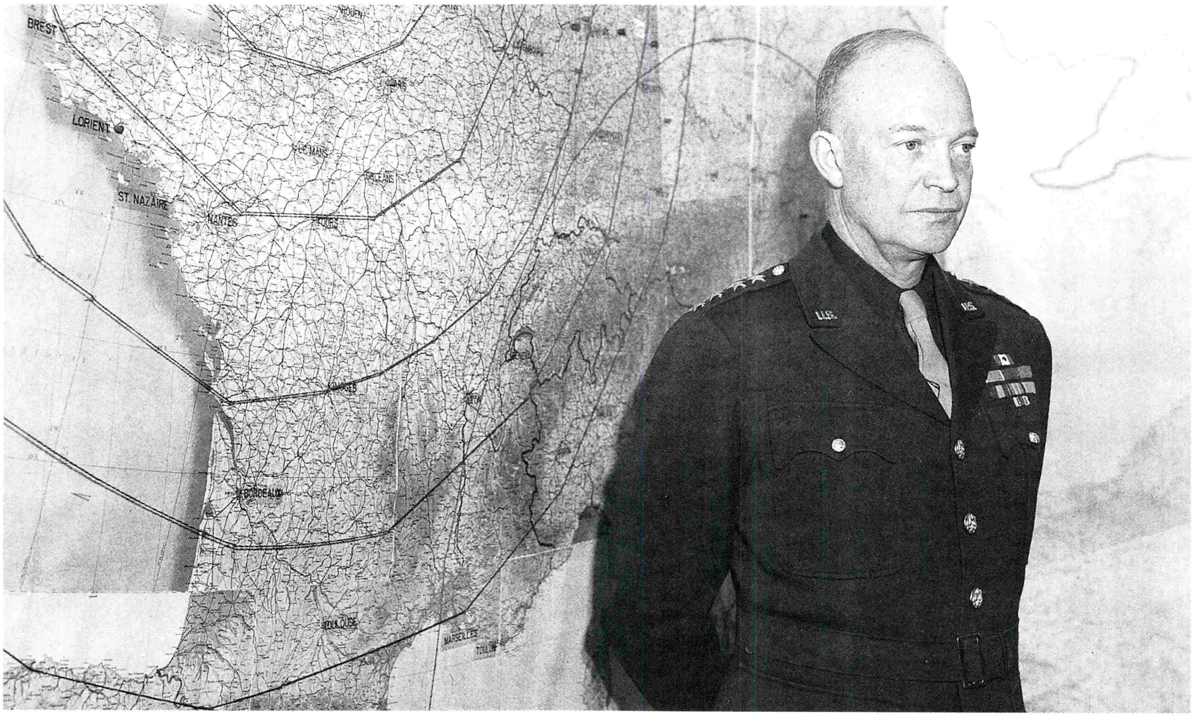
غضب هتلر، واختار لحظة إنهاء اتفاقه مع بيتان: انتشرت قوات ألمانية في جنوبي فرنسا. رداً على ذلك، أغرقت حكومة فيشي الفرنسية أسطولها الراسي في تولون، وقرّر دارلان التعاون مع الحلفاء، وعُيّن مفوضاً سامياً في شمالي أفريقيا، لكن أحد أنصار الملكية الفرنسية اغتاله بعد ذلك بوقت قصير.

في بداية 1943، برغم معاناة رومل من نقص كبير في العدد والعتاد، إلا أنه استمر في شن سلسلة هجمات مضادة جريئة لإضعاف معنويات الحلفاء في غربي ليبيا وتونس. ارتبكت بنية القيادة الأنغلو-أمريكية الجديدة بسهولة. كتب قائد الحلفاء؛





جنود أمريكيون ينزلون على شاطئ تونس.



أيزنهاور في مقر قيادته.



أسرى إيطاليون في تونس، ربيع 1943.



جنود فرنسا الأحرار يدخلون تونس.

الجنرال دوايت د. أيزنهاور: «أظن أن أفضل طريقة لوصف عملياتنا حتى الآن أنها قد خرقت كل مبدأ معروف للحرب، وتتعارض مع كل الطرق العملياتية والسَوقية الموجودة في الكتب، وستنتقدها بمجملها كل صفوف ليفنورث وكلية الحرب في الأعوام الخمسة والعشرين المقبلة».

ألغت هذه الآراء السلبية أي إنزال وشيك للحلفاء في شمالي أوروبا. يجادل مؤرّخون أن تلك كانت رمية من غير رام: شجّعت القائد العام الألماني ألبرت فون كسلرنك على إرسال تعزيزات إلى تونس، التي لم تعد متوافرة لصد الحلفاء حين جاؤوا لغزو صقلية لاحقاً ذلك العام.

لحسن الحظ، كانت جيوش المحور قد استنفدت تقريباً مخزون وقودها، وامتلك الحلفاء تفوقاً كاسحاً بمعايير العتاد والقوة النارية. فشل هجوم مضاد ألماني في آذار – ما جعل رومل يغادر أفريقيا من غير رجعة. في 8 أيار دخل الحلفاء تونس، وأسروا 130,000 من جنود المحور. قدّم الجنرال ألكسندر تقريراً إلى تشرشل: «نحن أسياد ساحل شمالي أفريقيا».



نهاية الرحلة – أسير حرب ألماني تحت الحراسة الأمريكية.

قصف المدن

الحرب الجوية فوق أوروبا

في 1941، كان القصف البريطاني على ألمانيا لا يزال ضعيفاً نسبياً، ولم يكن ممكناً تنفيذ غارات دقيقة في الليل. بدا القصف النهاري مستحيلاً من دون تغطية من مقاتلات، وحدثت خسائر من القوى الجوية أكثر مما قُتل من الألمان بادئ الأمر: عُدَّ القصف آنذاك إحدى الطرق القليلة التي يمكن أن ترد بريطانيا بها على العدو، وبرغم عبر الحرب الخاطفة، ظنّت قيادة القاذفات أن غارات جوية ستضعف المعنويات الألمانية. ليلة بعد أخرى، قامت طائرات ويلنغتون وهاليفكاس التابعة لسلاح الجو الملكي بالرحلة الخطرة عبر بحر الشمال وعبر نيران مدفعية مضادة لها لإلقاء حمولاتها على مدن ألمانية.

في تشرين الثاني 1941، صدر أمر بإيقاف الهجوم مؤقتاً، وبقي حلم قصف ألمانيا حتى تستسلم ماثلاً في الأذهان. خُصصت موارد صناعية ضخمة في بريطانيا وأمريكا للإستراتيجية، في حين نُحّيت جانباً احتياجات أخرى أكثر إلحاحاً، مثل خوض الحرب مع يو—بوت في الأطلسي.



قاذفة ويلنغتون من سلاح الجو الملكي مع أفراد فريقها.



القلاع الطائرة ب17 – الأمريكية فوق ألمانيا.

بحلول بداية 1942، زُوّدت القاذفات البريطانية بمعدات توجيه لاسلكية لمساعدتها على تحديد أهداف بدقة أكبر. لكن توجيهاً صدر في عيد الحب أكّد أن سياسة القصف الجديدة تستهدف:

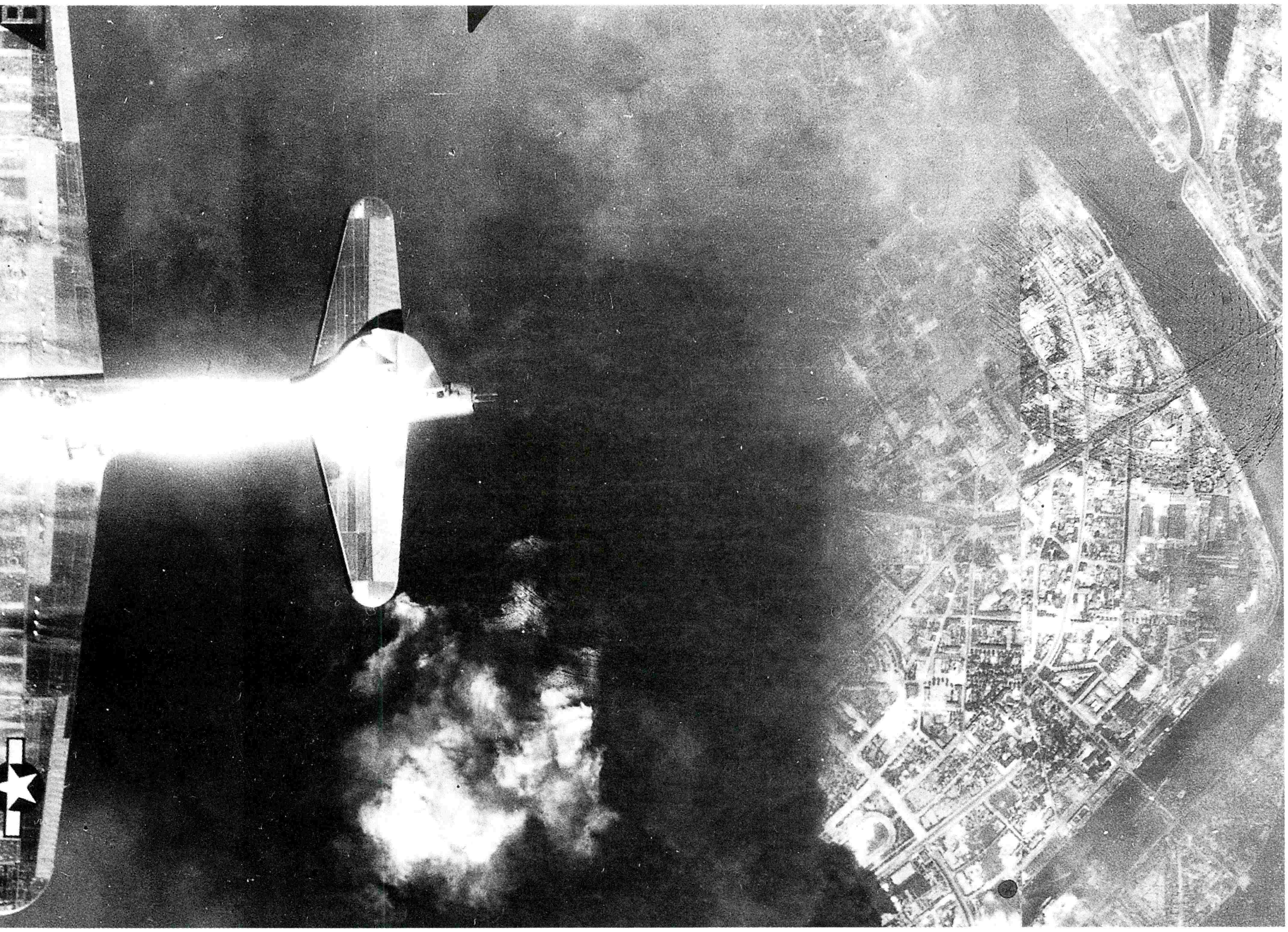
تحطيم معنويات العاملين في الصناعة، لا تقويض القدرة الصناعية الألمانية بحد ذاتها.

عُيّن السير آرثر هاريس، الذي قد درس الأساليب المعتمدة من لوفتفافه في أثناء الحرب الخاطفة، مسؤولاً عن قيادة القاذفات قبل بضعة أيام. ابتكر مع نظرائه الأمريكيين المتمركزين الآن



فنيو قنابل وميكانيكيون يعملون على ويلنغتون.





قاذفات ب- 17 في غارة قصف نهارية.

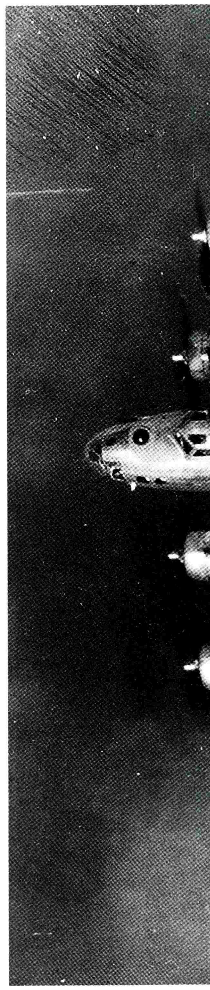
في قواعد جوية بريطانية إستراتيجيات جديدة، وتوثقوا من قدرتهم على الانتصار في الحرب من الجو. بدأ هاريس عمله بأمر لتنفيذ غارة على بلدة لوبيك التاريخية. قال هاريس لاحقاً: «لم تكن لوبيك هدفاً مهماً، إنما بدا لي أن تدمير بلدة صناعية متوسطة الأهمية أفضل من الكدح لتدمير مدينة صناعية كبيرة». فقد نحو 15,000 مدني منازلهم.

تبع الغارة على لوبيك أربع غارات على روستوك في نيسان، وفي أيار نفّذت قاذفات أولى الغارات الألف التي استهدفت كولن. أُسقطت أربعون قاذفة، إنما ما لم يعلمه الشعب البريطاني أن المدينة عادت للعمل بنحو طبيعي مجدداً في أسبوعين. عرف هاريس أن الغارات غير مجدية، إنما جادل أنها تمرين جيد لغارات لاحقة، وجعلته أسطورة إضعاف المعنويات في المدن الألمانية



يخصص جهداً أكبر وأفراداً أكثر للمشروع. بحلول صيف 1942، تطوّرت الدفاعات الجوية الألمانية ما جعل قيادة القاذفات تخسر نسبة 3,5٪ من الطائرات في كل مهمة.

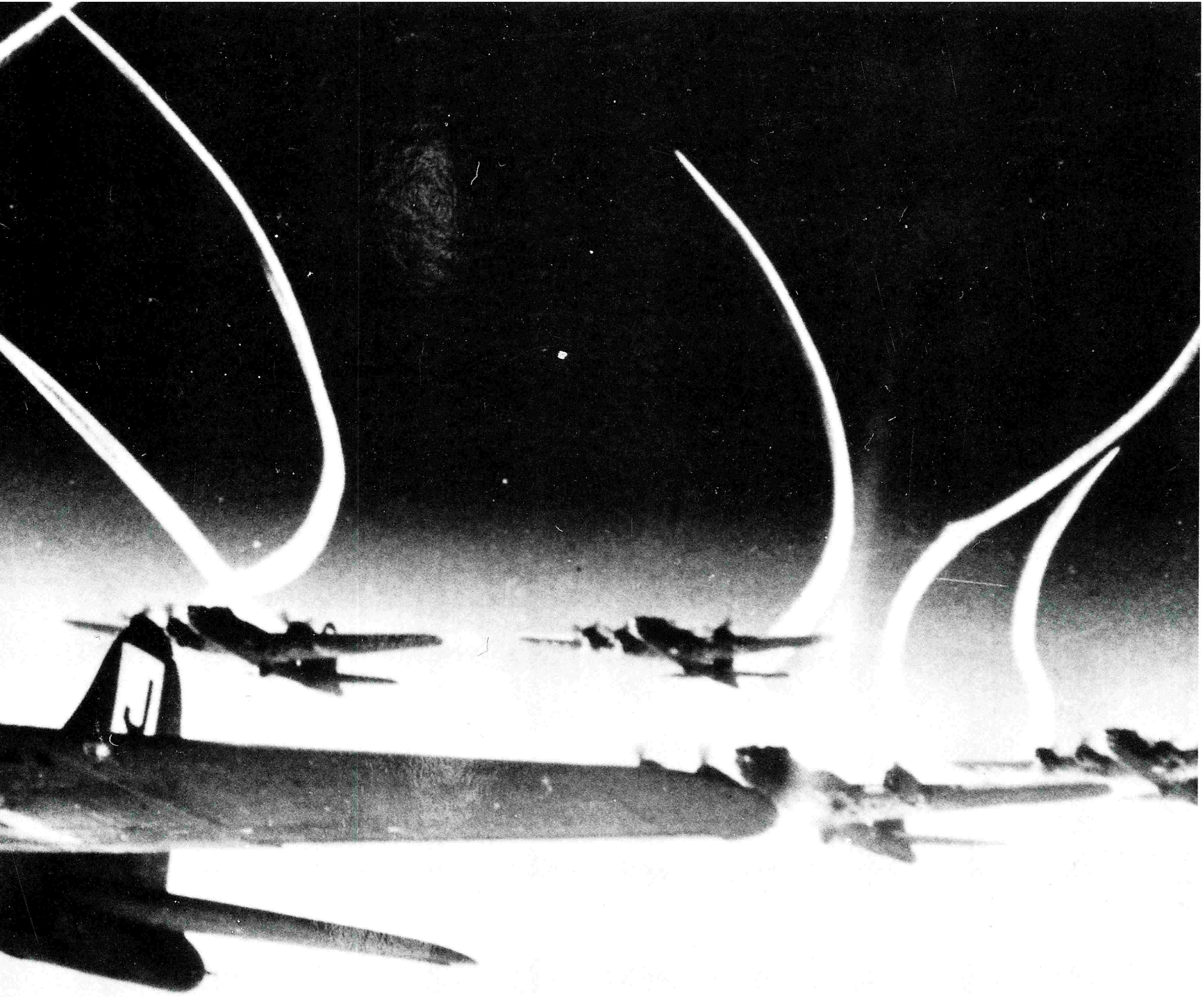
في مؤتمر الدار البيضاء، اتفق روزفلت وتشرشل على قصف أهداف المحور على مدار الساعة - لانكستر البريطانية تحلّق ليلاً والقلعة الطائرة ب17- الأمريكية تطير نهاراً. كانت برلين هدف 50,000 طن من القنابل في 1943 وحده، إنما عندما وصلت غارات القصف الإستراتيجي إلى ذروتها، بلغ الإنتاج الصناعي الألماني أوجه أيضاً، تحت إشراف مهندس هتلر ألبرت شبير؛ الوزير النازي المسؤول آنذاك عن الإنتاج الحربي.

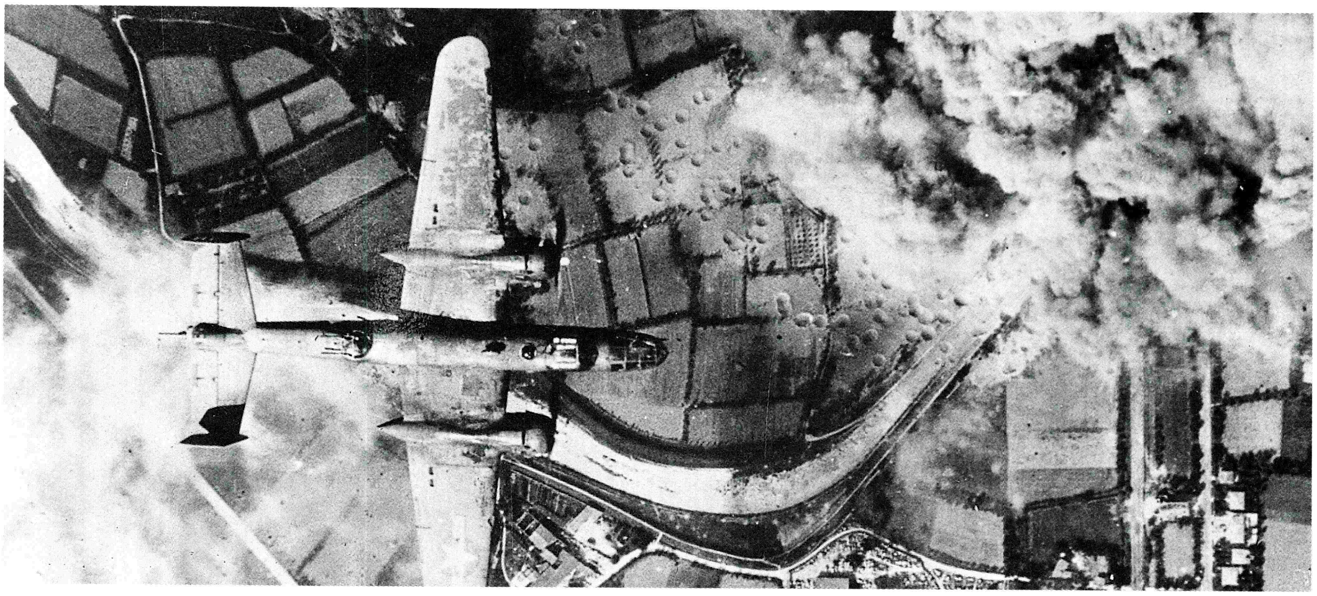


في تلك المرحلة، إذاً، كان للغارات تأثير بسيط على القاعدة الصناعية في ألمانيا، باستثناء ضربات جريئة من سلاح الجو الملكي على الرور الصناعي من آذار إلى تموز 1943 - غارات «هدم السدود» التي استخدمت فيها السرية 617 «قنابل وثّابة» تجريبية من ابتكار د. بارنز واليس لتدمير ثلاثة سدود رئيسة وغمر الوديان أسفلها بفيضانات. أُسقطت ثماني قاذفات من 19 شاركت في المهمة.



أعلى: المشير آرثر هاريس قائد سلاح الجو. أسفل: أفراد من القوات الجوية يتلقون تعليمات.

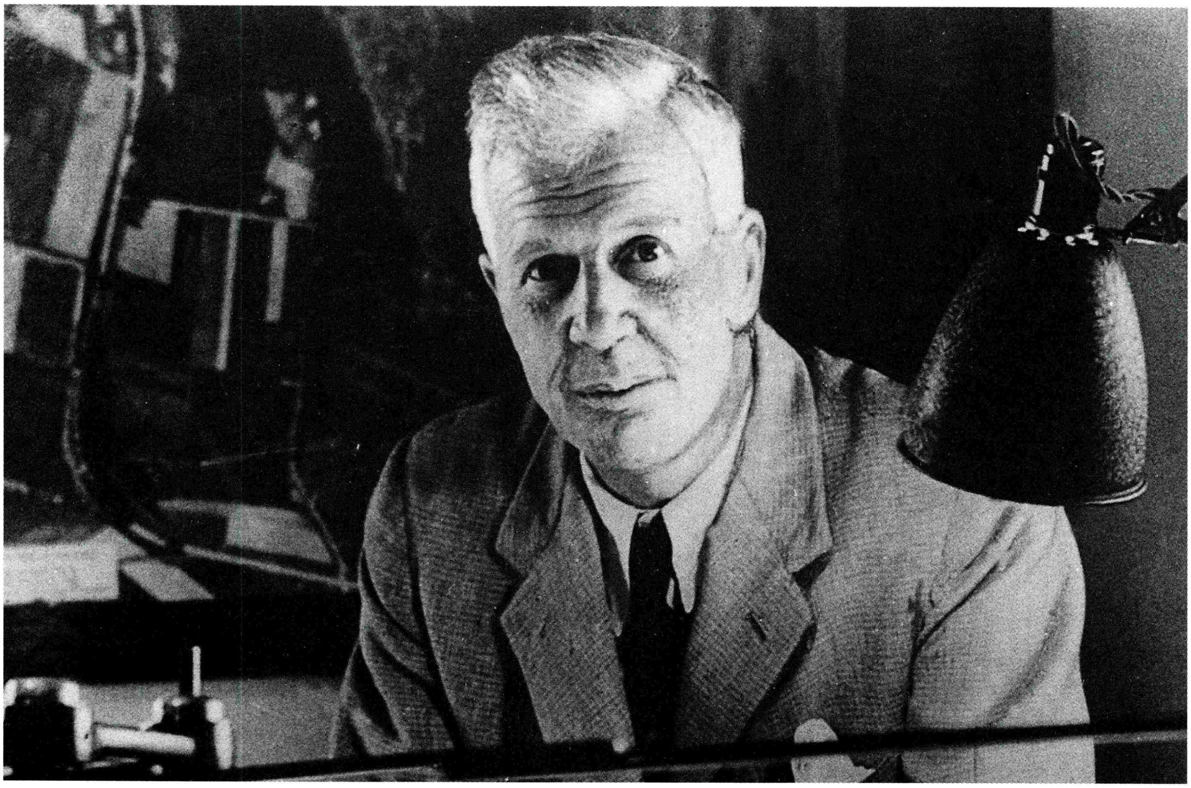








تشكيل من قاذفات ب17– تتحدّى نيران مدفعية وهجوماً جوياً لتلقي حمولاتها.



د. بارنز واليس – مبتكر القنبلة الوثّابة.

بعد تموز، أصبح ميناء هامبورغ الهدف الرئيس للحلفاء، وتعرّض إلى 33 غارة. جرت أكبرها، وتدعى عملية عمّورة، في الساعات الباكرة من 28 تموز، وبرغم أنها لم تدم إلا 43 دقيقة فقط، إلا أن مزيج القنابل الحارقة وظروف الطقس الجاف أنتج عاصفة نارية حرقت ثمانية أميال مربّعة من المدينة وقتلت 42,000 شخص – أكثر من عدد الإصابات البريطانية في كل الحرب الخاطفة. برغم هذا، عادت مصانع المدينة إلى العمل في بضعة أسابيع.

في تشرين الثاني 1943، تحوّل الاهتمام إلى برلين، ما أسعد ستالين وأراح تشرشل من ضغط السوفييت من أجل فتح جبهة ثانية فوراً. كانت الخسائر تبلغ آنذاك أكثر من خمسة في المئة، على كل حال، ما أوهن معنويات قيادة القاذفات، في حين تكبّدت القوة الجوية الأمريكية الثامنة خسائر أكبر من ذلك.

كانت الفاعلية العسكرية لحملة القصف محل تساؤل آنذاك من قادة هاريس، في حين شكّك بأخلاقيتها رجال الكنيسة – أبرزهم أسقف تشيتشستر؛ جورج بيل، الذي فقد ترشّحه ليصبح




أعلى وأسفل: دمار كولن، بعد استهدافها من قاذفات بريطانية وأمريكية.



مشرّدون ألمان يستعدون لمغادرة كولن.

رئيس أساقفة كانتربري نتيجة ذلك. حتى تشرشل راوده شك بشأنها، وسأل بعد مشاهدة فيلم عن القصف من الجو: «هل نحن وحوش؟ هل نتجاوز الحد كثيراً بهذا؟»).

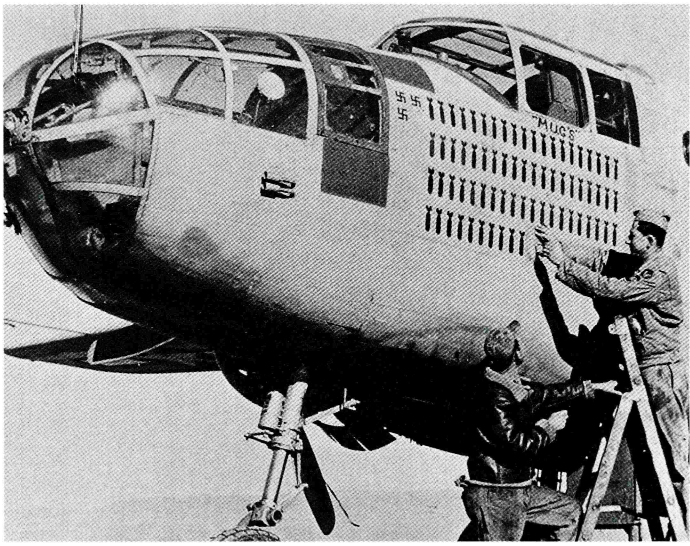
بحلول بداية 1944، اضطر هاريس إلى طلب دعم المقاتلات ليلاً لقاذفاته. كان الجيش الجوي الثامن يستخدم آنذاك مقاتلته بعيدة المدى الجديدة؛ موستانغ، لهذه المهمة، وقد ركّز هجماته النهارية على مخازن النفط والمصانع العسكرية الألمانية - أخّر ذلك كثيراً تطويرَ وإنتاج الطائرة النفاثة والغواصات بعيدة المدى الألمانية الجديدة.

استعداداً لجبهة ثانية مستقبلاً، ركّزت غارات القصف البريطانية والأمريكية على تدمير النقل الألماني في فرنسا. كانت الخطورة هناك، كما رآها تشرشل، هي أن قصفاً من دون تمييز سيغضب



أعلى: أنقاض برلين.   أسفل: مصنع دايملر–بنز بعد غارة.





أعمال صيانة بين مهمات على ليبراتور.



مدافع إي إي ألمانية.



ب17– أصابتها نيران مدفعية مضادة الطائرات.



معمل رينو في بيانكور بعد غارة للحلفاء.

السكان الفرنسيين: يجب أن تكون المهمات ببساطة دقيقة. لكن برغم التخطيط التفصيلي، نزلت قنابل كثيرة بعيداً عن الهدف. في نيسان 1943، لقي نحو 228 مدنياً فرنسياً حتفهم في غارة أمريكية على مصنع رينو خارج باريس، في حين قتل هجوم آخر من القوات الجوية الأمريكية على مصنع طائرات قرب أنتويرب نحو 1000 مدني، وفيهم 326 تلميذاً.

نجحت الغارات على مدن ألمانية في نقل دفاعات جوية ألمانية من الجبهة الروسية، إنما عند التفكير في الأمر لاحقاً، سنجد أن القصف الكثيف أو «المرعب» كانت له عواقب إستراتيجية سلبية أساساً. عندما تجمّع مدنيون في ملاجئ تتعرّض للقصف بالقنابل، لم تتداعَ عزيمتهم مثل الأبنية في الخارج، إنما على العكس. زادت مشاهدة موت الأبرياء – عجائز ونساء وأطفال – كراهية الناس لطائرات الحلفاء في الأجواء. حقّقت آلة الدعاية النازية لهذا السبب نصراً بعد آخر.

«البطن الرخوة»

عمليات إنزال الحلفاء في المتوسط

منذ أن أمعن التفكير في الإستراتيجية العسكرية بوصفه أمير البحرية في أثناء الحرب الكبرى، صدّق تشرشل أن أوروبا غير مستعدة لهجوم من الجنوب، وقد قاده هذا الرأي إلى إطلاق حملة جاليبولي في 1915، وجعلته أيضاً يعزّز الدفاعات اليونانية في 1941. في أيار 1943، عندما كان يحدّق إلى الخرائط في واشنطن مع رئيس هيئة الأركان المشتركة، حثَّ مرة أخرى على إطلاق حملة في المتوسط – أي غزو إيطاليا عبر صقلية وشمالي أوروبا عبر النمسا.



العربة البرمائية الأمريكية دي-يو-كي-دبليو، أو «البطة»، تنزل على شاطئ صقلية.



جنود بريطانيون ينتظرون الإنزال.

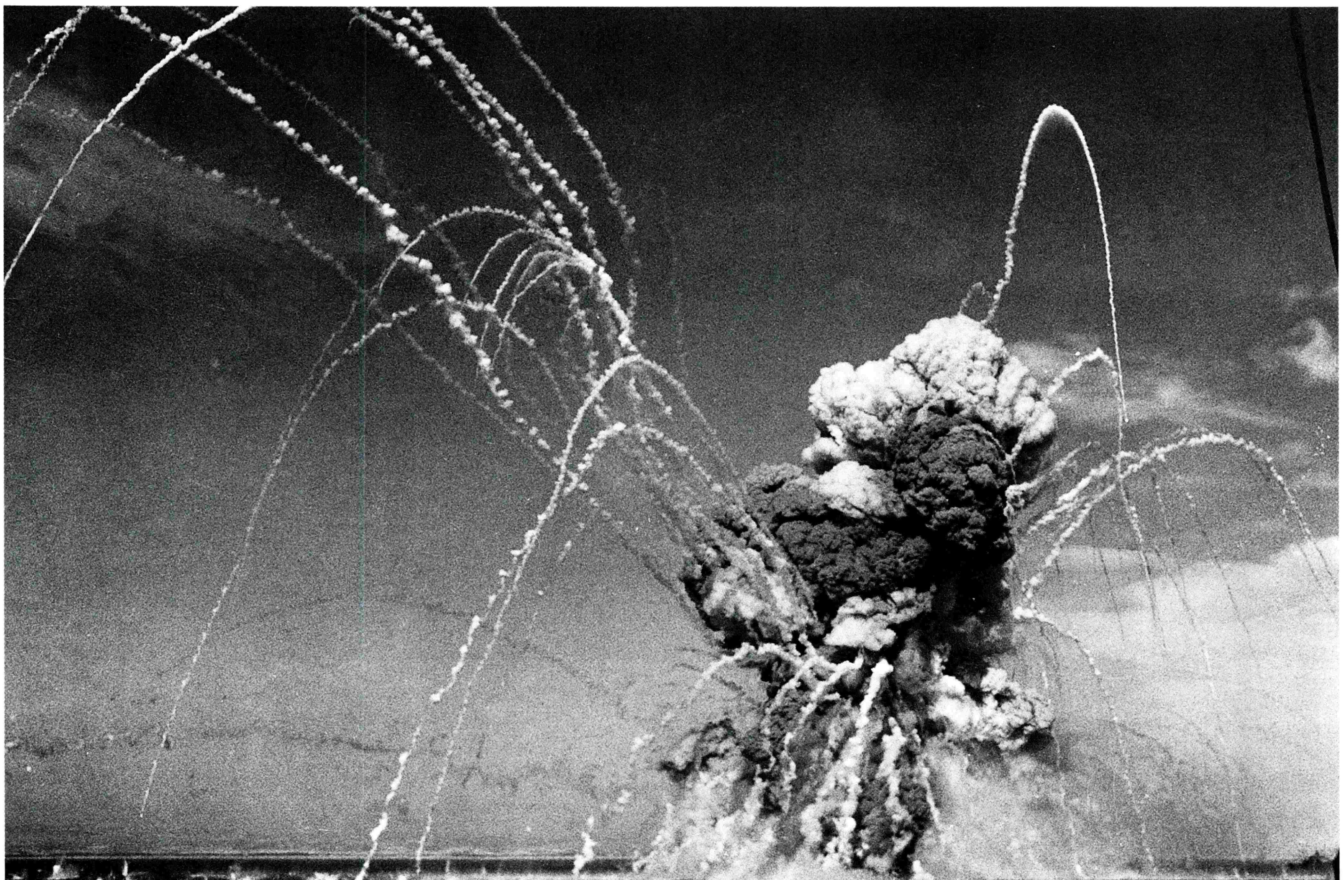
كان الجهد الحربي الإيطالي قد قُوّض كثيراً آنذاك، ولم يبق الكثير من قوة موسوليني العسكرية، ومع النصر في شمالي أفريقيا فُتح البحر المتوسط مجدداً لقوافل الحلفاء. عندما ذهب السفير الياباني لرؤية موسوليني في 1942، كل ما استطاع قوله له هو: «أيها الدوتشي، أنت منهك، مرهق جداً، مريض كثيراً».

في تلك المرحلة دفعت الأمواج «الرجل الذي لم يكن أبداً» – جثة بزي ضابط بريطاني تحمل وثائق مزيفة تدل على تخطيط الحلفاء غزو اليونان وسردينيا – إلى إسبانيا، وقد يكون نجح في خداع الاستخبارات النازية. سواء حدث ذلك أم لا، نزلت قوات مونتغمري، في 10 تموز 1943، المكوّنة من نصف مليون رجل في صقلية من دون مقاومة تقريباً، في حين واجه الأمريكيون، على كل حال، مقاومة شرسة. في الوقت نفسه، تطوّر نزاع بين مونتغمري والجنرال الأمريكي العنيد جورج باتون بشأن الإستراتيجية، لذا حصل بعض التأخير قبل أن تتمكن قوات الحلفاء من احتلال باليرمو ومسينة في آب. في ما يشبه دنكيرك مصغّرة نفّذتها 70 سفينة بحرية صغيرة و50 قارب مطاطي، تمكّن كثير من جنود



دبابات شيرمان بريطانية تنزل على الشواطئ.

أسفل: قاذفات تهاجم سفينة شحن أمريكية.





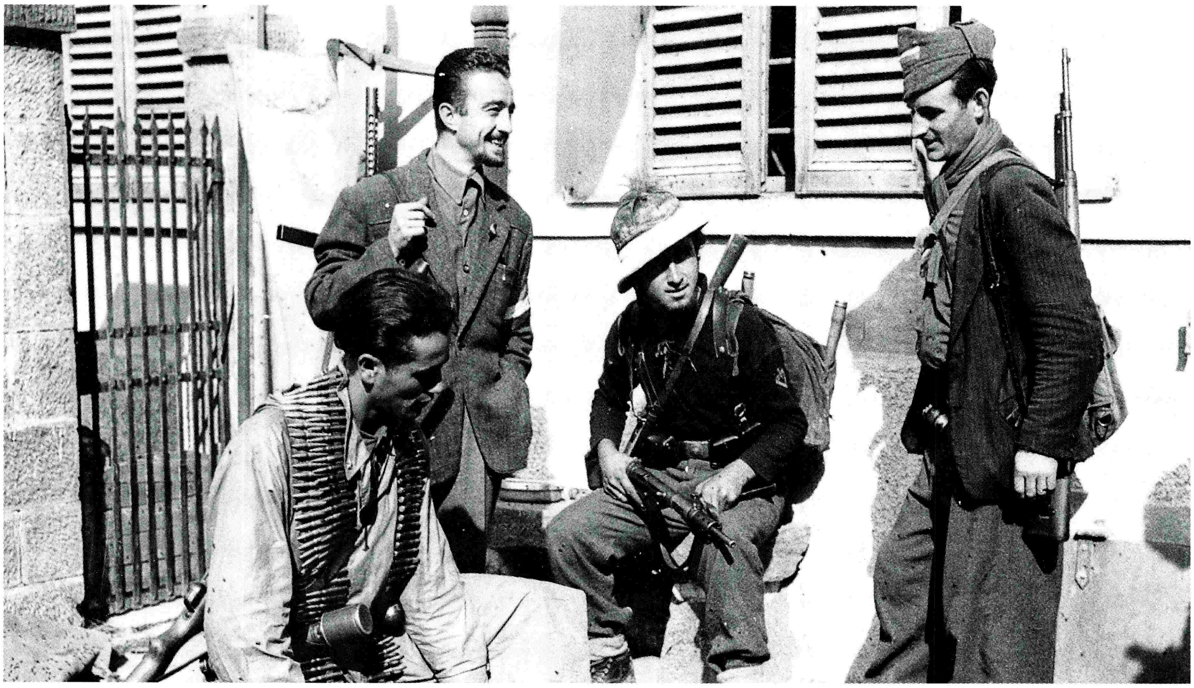
سفن تحترق في القسم الصقلي من باليرمو.



الجنرال باتون يصدر أوامر في صقلية.



مدافع هاوتزر أمريكية تقصف قوات المحور المنسحبة.



أنصار من صقلية.



جندي أمريكي في برولو، صقلية.

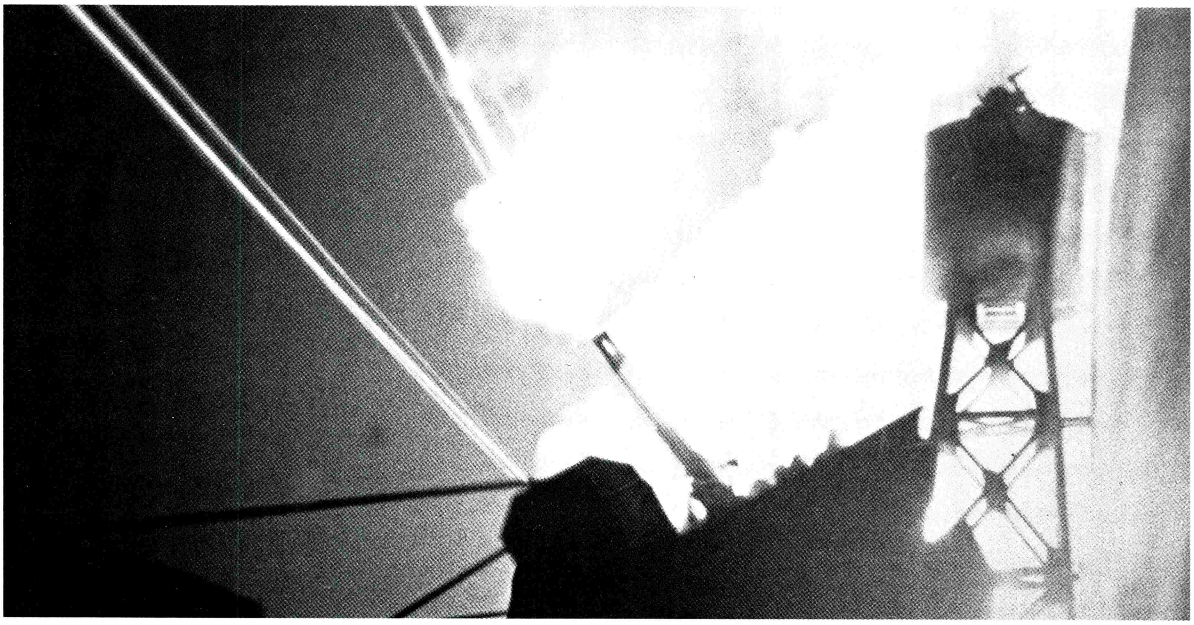
المحور من الهرب إلى البر الرئيس مع معدّاتهم.

كان هتلر وموسوليني قد اجتمعا في 19 تموز، والأخير لا يزال مريضاً وبالكاد تكلم. لم يواجه ببساطة غزواً فقط إنما انهياراً اقتصادياً أيضاً – شلّ إضرابان كبيران تورينو وميلانو. بعد أقل من أسبوع، عزله الملك فيكتور عمانويل الثالث وعيّن المشير بييترو بادوليو مكانه. هُرّب موسوليني خارج القصر ونقلته سيارة إسعاف إلى جزيرة بونزا «من أجل سلامته»، وبين ليلة وضحاها تقريباً اختفت الفاشية من إيطاليا.



كسلرنك يناقش دفاعاته الإيطالية.

شعر هتلر بقلق عميق: اعترض عملاؤه مكالمة بين روزفلت وتشرشل يناقشان فيها شروط استسلام إيطاليا. أُرسل رومل إلى ممرات الألب وزُوّد كسلرنك بتعزيزات في جنوبي إيطاليا.



ساليرنو تتعرّض لقصف من سفن حربية أمريكية.

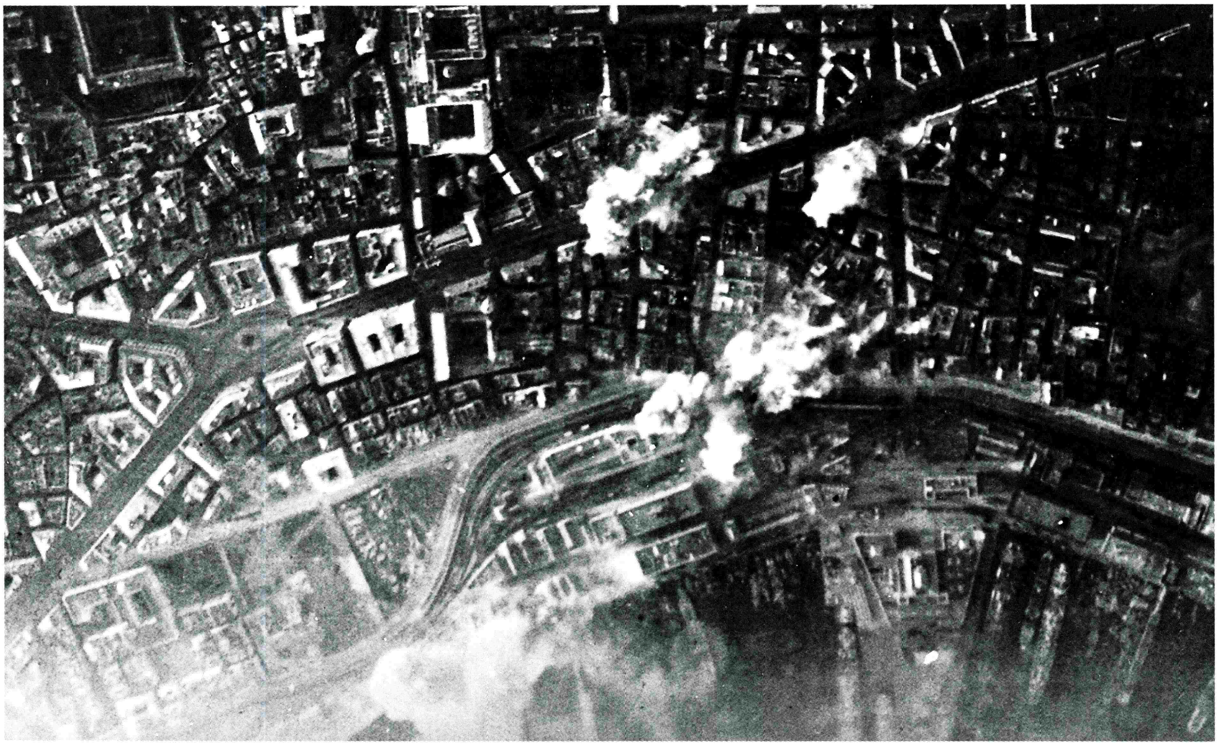


حاملات مدرّعات بريطانية تصل الشاطئ قرب ساليرنو.



الجنرال الأمريكي مارك كلارك على رأس جسر ساليرنو.





نابولي تتعرض لغارة جوية.

بحلول بداية أيلول، تحصّن الألمان جيداً، وفي 8 أيلول أعلن الحلفاء بنحو غير متوقع «استسلام» القوات الإيطالية – برغم أن الإيطاليين لم يتلقوا أوامر بذلك. في الوقت نفسه، كانت قوة إنزال كبيرة للحلفاء تبحر نحو شواطئ ساليرنو.

لم يكن الجنود الإيطاليون يُحسدون على مصيرهم، فقد نزع حلفاؤهم السابقون أسلحتهم، ولم يعاملوهم أفضل من منشقين. في كيفالونيا في اليونان قتلت إس إس أكثر من 1600 جندي إيطالي، وغرق 3000 آخرين أُرسلوا إلى ألمانيا للسُخرة حين استهدف الحلفاء سفينتهم بطربيد. بحلول نهاية أيلول 1943، كان 100,000 جندي إيطالي في اليونان قد أُرسلوا إلى معسكرات العمل القسري في ألمانيا، وأُرغم بادوليو والملك الإيطالي على الفرار إلى باري. استطاع باقي الأسطول الإيطالي فقط الإفلات، وأبحر لينضم إلى البريطانيين في مالطا.

عند منتصف ليل 9 أيلول، بدأ الجيش الأمريكي الثامن بقيادة كلارك الإنزال على ساليرنو، وقابلته ست فرق بقيادة كسلرنك. كانت المقاومة في البداية شديدة جداً حتى كادت العملية تنتهي بالإخلاء. أعطبت القنابل الموجهة الألمانية الجديدة السفينة الحربية البريطانية ورسبايت، التي كانت تدعم الإنزال، وأغرقت البارجةَ الإيطالية روما (تحارب إلى جانب الحلفاء آنذاك)،



أعلى: إفراغ إمدادات في أنسيو. أسفل: إنزال شاحنات وجرّافات أمريكية على شاطئ أنسيو.



ونجحت قوات كسلرنك في الاستيلاء على ميناء البحرية الإيطالية في تورنتو.



حقّقت عمليات إنزال أخرى في المتوسط نجاحاً أسرع، فقد انسحب الألمان من كورسيكا أمام قوات فرنسا الحرّة، في حين استولى الأمريكيون على كابري. لكن تعزيزات ألمانية على جزيرة رودس اليونانية أحبطت إنزالاً بريطانياً هناك.

في 12 أيلول، أنقذ مظليون ألمان موسوليني المرهق من جبل غران ساسو، حيث تحتجزه الشرطة الإيطالية. سافر جواً ليلتقي هتلر، وأعلن جمهورية فاشية جديدة في شمالي إيطاليا المحتلة آنذاك من قبل ألمانيا، وكان لديه سبب ليأمل أن يحقق الألمان النصر في بلاده. برغم أن الحلفاء استولوا على نابولي في 1 تشرين الأول، إلا أنهم منذ ذلك التاريخ حتى نهاية 1943 لم يتمكنوا من التقدّم إلا 70 ميلاً فقط. قال تشرشل غاضباً: «يصبح ركود الحملة كلها على الجبهة الإيطالية شائناً». حظي كسلرنك، الذي كان يتوقع هجوماً على روما من الجو والبحر – ربما أرغمه ذلك على التخلي عن الجنوب – بالفرصة لتعزيز دفاعاته.

تلقّى الحلفاء أنباء أسوأ، فقد أقنع تأخرهم هتلر بتعزيز قدرات كسلرنك، لكنهم كانوا يتخذون قرارات ذات مضامين مهمة أيضاً على المدى البعيد. سلّح الأمريكيون في جنوبي إيطاليا المافيا مجدداً، التي اقتلعها الفاشيون من جذورها (تبقى قوية هناك حتى هذا اليوم). أطلقت مجموعة



أعلى وفوق: فرق رشاشات أمريكية خارج أنسيو.



مونتي كازينو قبل تدميره.

مقاومة إيطالية في روما حملة لخلع الملك أيضاً، ولم يُمنح الروس مكاناً في لجنة الإدارة الأنغلو– أمريكية لإيطاليا المحتلة – أرسى ذلك سابقة خطرة للسيطرة على أوروبا الشرقية بعد الحرب.

قائد آخر استفاد بفاعلية من الاستسلام الإيطالي هو جوزيف بروز تيتو؛ السياسي الشيوعي اليوغسلافي الناجح، الذي نزع أسلحة القوات الإيطالية واستولى على معدّاتها. سيطر توتو والعقيد درازا ميالوفيتش آنذاك على 250,000 رجل ما جعل ثمانية فرق ألمانية تبقى في يوغسلافيا. كان تشرشل، بناءً على نصيحة ابنه راندولف، يدعم تيتو؛ لأنه أكثر فاعلية من العقيد، في حين دعم الأمريكيون، والأغرب ستالين، ميالوفيتش.



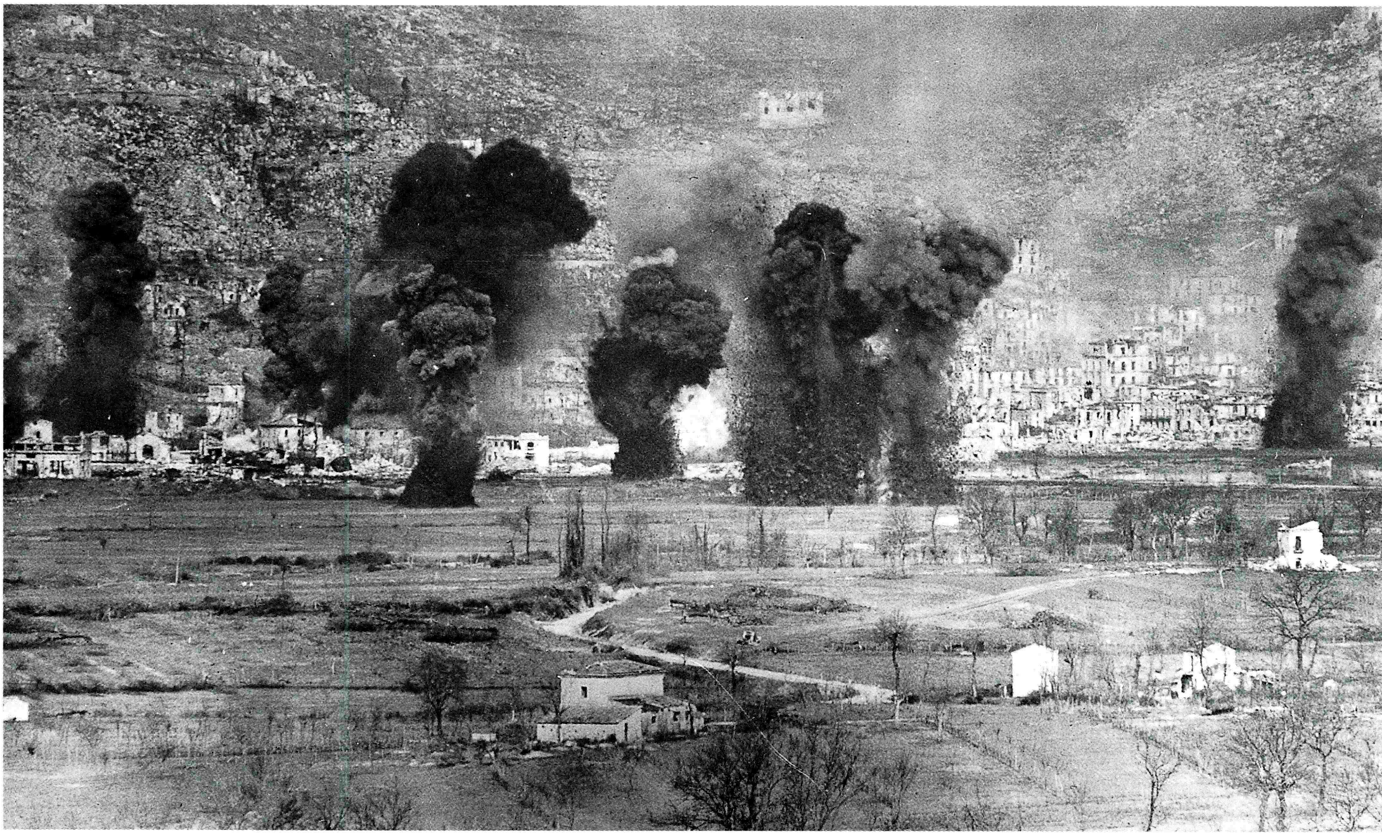
جندي بريطاني بين أنقاض مونتي كازينو.

في تلك الأثناء، كان الجيش الأمريكي الخامس يتقدّم غربي إيطاليا في حين زحف الجيش البريطاني الثامن، بقيادة السير أوليفر ليس آنذاك، من الشرق، وقد استغرق الأمر وقتاً بالتأكيد. في الشهور الأولى من 1944، أعاقت الدفاعات الألمانية المتمثّلة في «خط غوستاف» جنوب روما تقدّم الحلفاء. نجح إنزال عند أنسيو في كسر حالة الجمود (قُتل 13 جندياً فقط على الشاطئ)، إنما مرة أخرى لم يحسم جنرالات الحلفاء أمرهم، وبسرعة تعرّض الهجوم كله للخطر حين دفع كسلرنك تعزيزات إلى المنطقة.

كان دير مونتي كازينو العتيق يقع في وسط تقدّم الحلفاء، الذي ظنَّ ألكسندر أن الألمان قد حصّنوه. في 13 شباط،



أعلى: سرية هاون بريطانية في أثناء العمل. أسفل: قصف على منطقة مونتي كازينو.





مسعفون بريطانيون ينقذون جرحى على نقّالات في مونتي كازينو.



الدير بعد استسلام جنود ألمان.



جنود من نيوزيلندا مع أسرى ألمان، مونتي كازينو.

أُلقي 400 طن من القنابل على الدير، فحوّلته إلى أنقاض. استفاد الألمان، الذين مُنعوا من دخول الدير، من الأنقاض في تعزيز دفاعهم. تكبّد الحلفاء خسائر جسيمة في ثلاث هجمات، إنما سيطروا على الموقع الحصين أخيراً في أيار 1944، بعد أن تلقّى الفيلق البولندي صدمة الرد الألماني في حين استطاعت قوات فرنسا الحرة، بقيادة الجنرال جوان، التسلّل عبر الجبال خلف الموقع المستهدف.



بادوليو في بريينديزي.

لكن تردّد الحلفاء أخّر مجدداً التقدّم في إيطاليا. عقد كلارك العزم على أن يكون أول الواصلين إلى روما (فعل هذا في 4 حزيران)، ما سمح للألمان المنسحبين بتعزيز خط دفاعي آخر شمال العاصمة.

كانت الحملة الإيطالية تضعف المعنويات من وجهة نظر الحلفاء: واجهوا عند كل نهر، وكل سلسلة تلال، قتال مؤخرة ألماني ماهر، ما زاد من نسبة الفرار.





عمليات إنزال للحلفاء جنوب روما، كانون الثاني 1944.

بحلول نهاية 1944، على كل حال، سيطرت القوات الكندية على رافينا - برغم أنها لم تصل آنذاك إلى بولونيا أو وادي بو كما خططت - واستعدّت للاندفاع شمالاً إلى النمسا. لكن هجوماً مضاداً ألمانيا في 26 كانون الأول، ونقل خمس فرق أخرى للحلفاء إلى الجبهة الغربية، أرغم البريطانيين والأمريكيين على الدفاع والتشبّث بمواقعهم حتى ربيع 1945.



مارك كلارك يصل إلى روما «المدينة المحرّرة».

مقاومة العدو والتعاون معه

الأنصار والأنظمة الصورية في أوروبا المحتلة

بحلول نهاية 1941، وقعَت أوروبا كلها من ضواحي موسكو إلى البرانس ومن كريت إلى الدائرة القطبية، باستثناء السويد وسويسرا المحايدتين، في أيدي النازيين. كانت معاملة الشعوب المهزومة قاسية دائماً، إنما يعتمد مدى ذلك على أصولها العرقية.

عدَّ النازيون كل السلافيين دون البشر، مثلاً. برغم الدعاية التي تتكلم عن «تحرير» الروس من الشيوعية، لم يكن النازيون مهتمين إلا باستغلال الشعوب السوفييتية. قال قائد إس إس؛ هاينريش هيملر: «لا يهمني ازدهارهم أو تضوّرهم جوعاً حتى الموت إلا من وجهة نظر حاجتنا إليهم على أنهم عمّال عبيد لحضارتنا. لا أبالي إطلاقاً بكل الأشياء الأخرى».

عُدَّ الدانمركيون والنرويجيون والهولنديون، من جهة أخرى، جرمانيين. خضعت النرويج وهولندا إلى حكم مفوضين مدنيين، في حين طالب هتلر بتعيين مرشّحه رئيساً للوزراء في الدانمرك بعد عدم رد الملك الدانمركي على التهنئة بعيد ميلاده الثاني والسبعين.



مقاتلو المقاومة الفرنسية في بوردو.

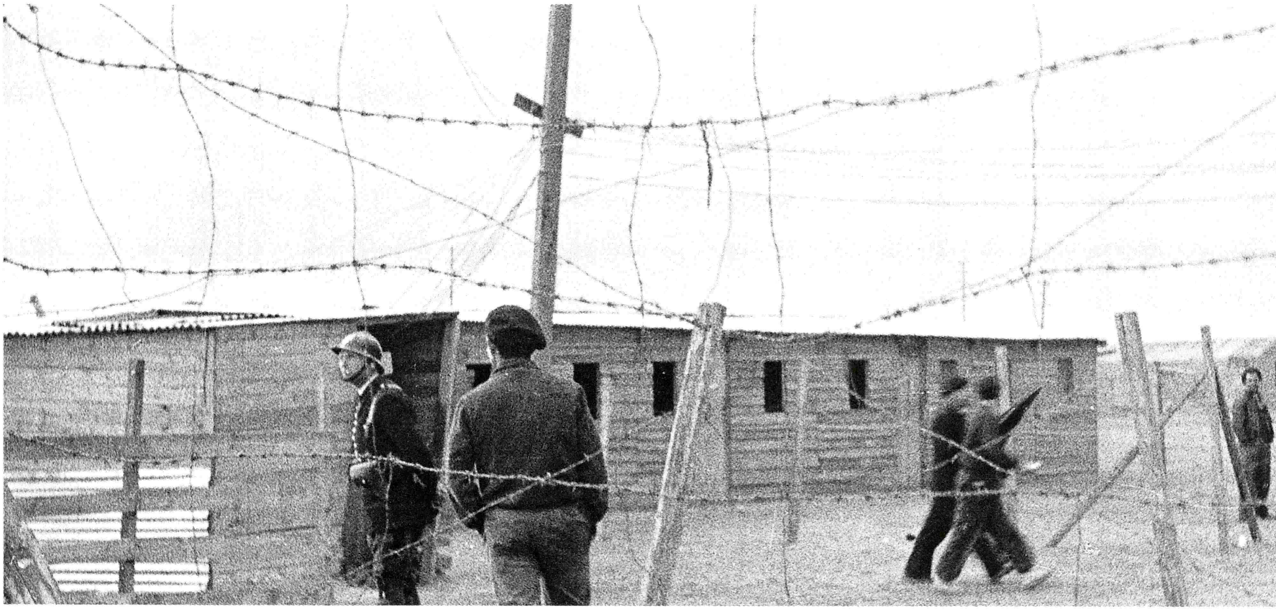


هيملر يزور معسكر اعتقال في داخاو.

في معظم الدول المُحتَلة لم يكن التأييد المحلي كبيراً للنازيين. تقلّد فاشيون نرويجيون وهولنديون مثل كفيشلينغ وأنطون موزر السلطة، إنما لم يكونا محبوبين أبداً، حتى هتلر عاملهما بازدراء (وصف كفيشلنيغ بأنه «خنزير مطاطي منفوخ يصدر زعيقاً عالياً، ثم ينهار»).

برغم استعداد بعض الفاشيين المحليين لدعم الجستابو أو الانضمام إلى إس إس، إلا أنهم كانوا قلّة عموماً. عند نهاية الحرب، قُبض على هؤلاء الرجال وخضعوا لمحاكمة، أو اختفوا ببساطة مثل القائد الفاشي الفرنسي مارسيل ديت.





معكسر اعتقال بإدارة حكومة فيشي في جنوبي فرنسا.

لكن الألمان احتاجوا إلى متعاونين لإنجاح احتلالهم. طرح ذلك أسئلة صعبة على الناس العاديين، الذين اضطروا إلى تحديد أين تنتهي الحياة «العادية» ويبدأ التعاون مع العدو. كان الانضمام إلى المليشيا سيئة السمعة في فرنسا تعاونٌ واضح، في حين إن التعامل اليومي مع الألمان غلطٌ أقل وضوحاً. يضاف إلى هذا أيضاً النساء المحليات اللواتي رافقن الجنود الألمان، فقد خيّم الظلام على الأخلاق آنذاك واضطر الأفراد إلى تلمّس طريقهم بأفضل طريقة ممكنة. برغم هذا، عندما أصبح واضحاً أن الألمان قد لا ينتصرون في الحرب بالنهاية، لجأت الشعوب المُحتَلة إلى نماذج مختلفة من المقاومة.

منذ البداية، اتخذت المقاومة شكل إشارات رمزية أو عصيان مدني. رُسمت شعارات على الجدران، في حين رفضت الأغلبية الساحقة من النرويجيين ممارسة الرياضة؛ لأنهم لم يرغبوا أن يرتبطوا بإدارة الرياضة النازية. كانت الكنائس غالباً في طليعة الاحتجاج السلمي، فقد «استقال» كل الأساقفة النرويجيين بعد أن أوقفت الشرطة حشوداً تستمع إلى عظة مضادة لـ كفيشلينغ في كاتدرائية تروندهايم، وأفتى كبير الأساقفة الكاردينال البلجيكي فان روي أنه «لا يجوز للكاثوليك التعاون على إنشاء نظام استبدادي، وهم ملزمون فعلاً بالعمل مع أولئك الذين يقاومون مثل هذا النظام». لاحقاً في الحرب، مُنع أعضاء الشرطة النازية في بلجيكا من متابعة



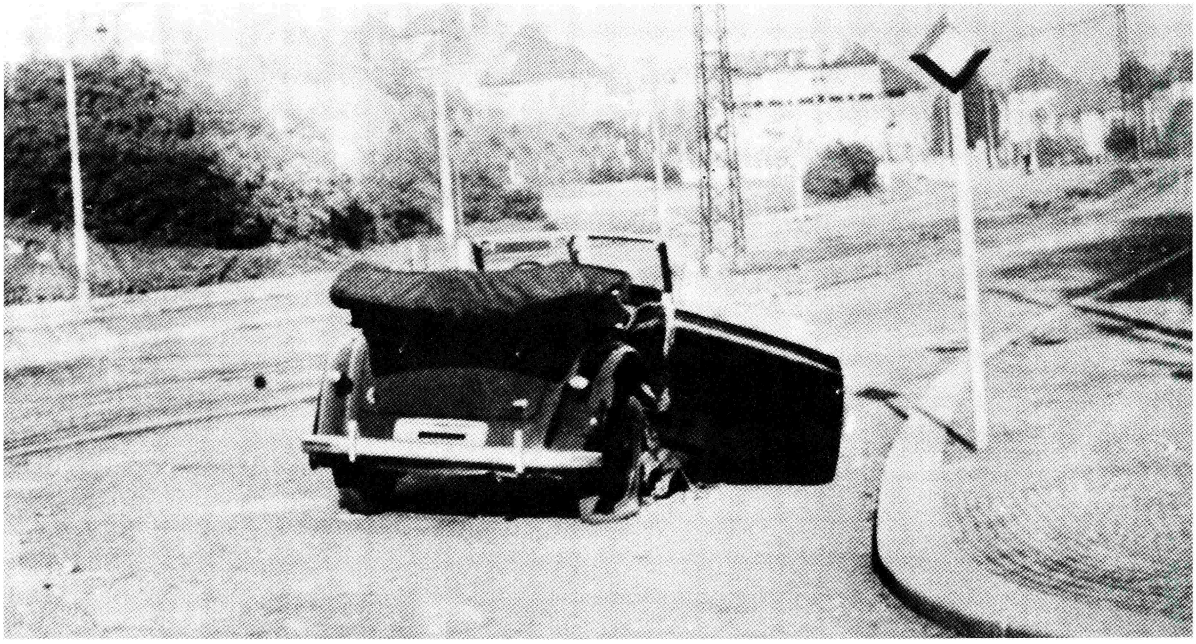
مخرّبو المقاومة يتوثّقون من حطام قطار في الألب الفرنسية.



«سيارة إسعاف» للمقاومة تنقل جرحى من «خط الجبهة».



عرض متعاون دانمركي في الشوارع.



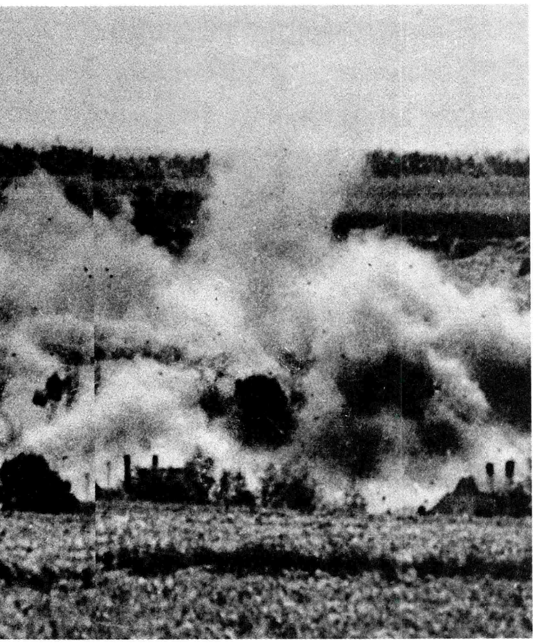
أيار 1942: سيارة هايدريش بعد محاولة اغتياله في براغ.

الطقوس الدينية، وقد حُرم القائد الفاشي البلجيكي ليون ديجريل كنسياً في 1943 بعد شجار بالأيدي مع قسّه المحلي.



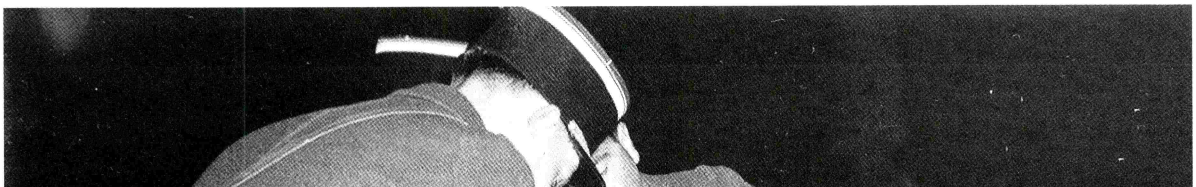
ضحايا إس إس، أورادور سور غلان.

دوّن غوبلز في مفكّرته في آذار 1942: «يجب اقتلاع اليهود من أوروبا، بتطبيق أقسى الأساليب إذا كان هذا ضرورياً. لن تقوى حكومة أخرى أو نظام آخر على حل عالمي مثل هذا». أحجم الناس أحياناً عن التعاون بسبب «الحل النهائي» النازي. في شباط 1941، جرى إضراب كبير في هولندا بعد اعتقال يهود، في حين هدّد الملك الدانمركي بالتنحي إذا أُقرَّ تشريع معادٍ للسامية في بلاده. في كرواتيا، طالب رئيس أساقفة زغرب الحكومة المتعاونة مع النازيين بتوكيد شائعات الترحيل. وبعد أن كشفت بي بي سي مصير 700,000 يهودي بولندي في نشرة إذاعية في حزيران 1942، ظهرت مقاومة حتى في ألمانيا: اعتُقل القسّان كارل فريدريش ستلبرينك وديتريش بونهوفر وأُعدما لاحقاً لإدانتهما الصريحة للنظام.





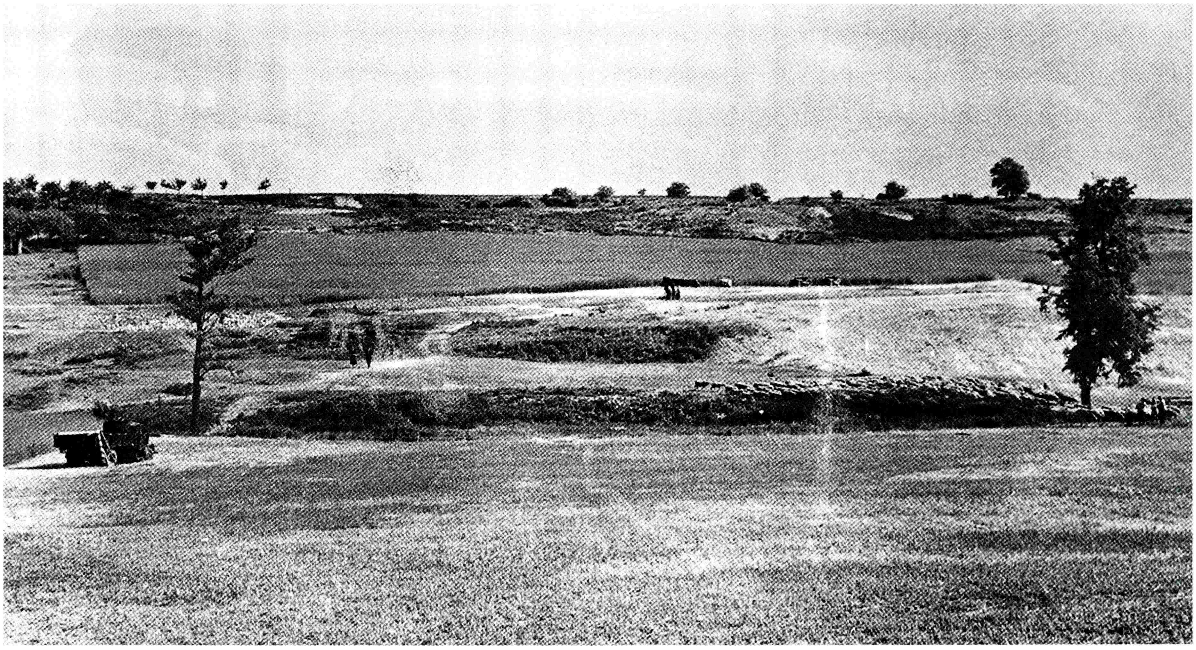
تفجير ليديتشي في تشيكوسلوفاكيا بالديناميت انتقاماً من محاولة اغتيال هايدريش (قبل وأثناء وبعد).



عصبُ عيني متعاون قبل إعدامه، فرنسا.





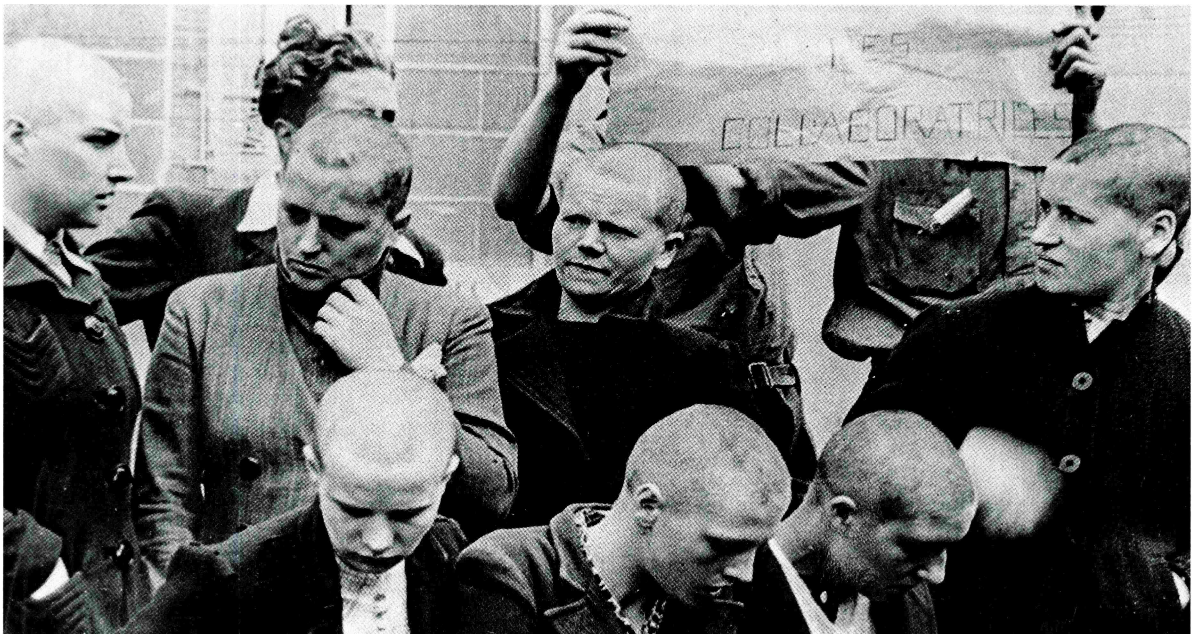


ثم كانت هناك الأخبار السرّية، التي تبثّها الخدمة الأوروبية من بي بي سي والإذاعة السويسرية. اشترك ما يصل إلى 12,000 بلجيكي في إنتاج 300 صحيفة سرّية – نُشرت الأولى منها بعد يوم من استسلام القوات البلجيكية. في فرنسا نُشرت 1000 صحيفة وكرّاس على الأقل في أثناء الاحتلال، في حين وصل توزيع الصحف السرية الدانمركية إلى 10 ملايين. حتى في ألمانيا، وصل





حلق شُعُور نساء فرنسيات لـ«مرافقتهن العدو»

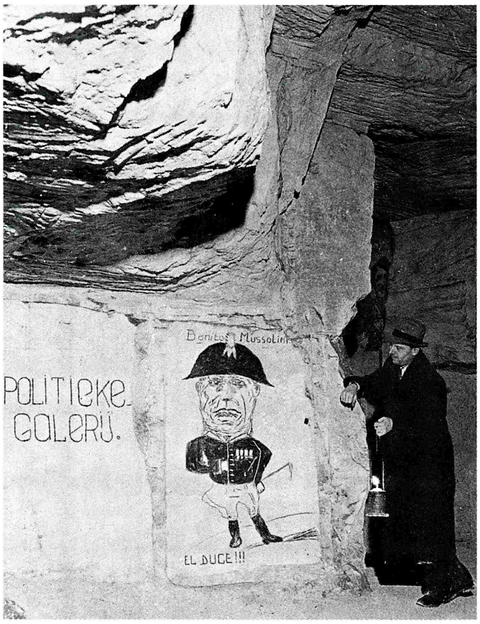


عدد مستمعي بي بي سي مع اقتراب الحرب من نهايتها إلى 10 ملايين شخص – برغم أن عقوبة ذلك كانت الموت.

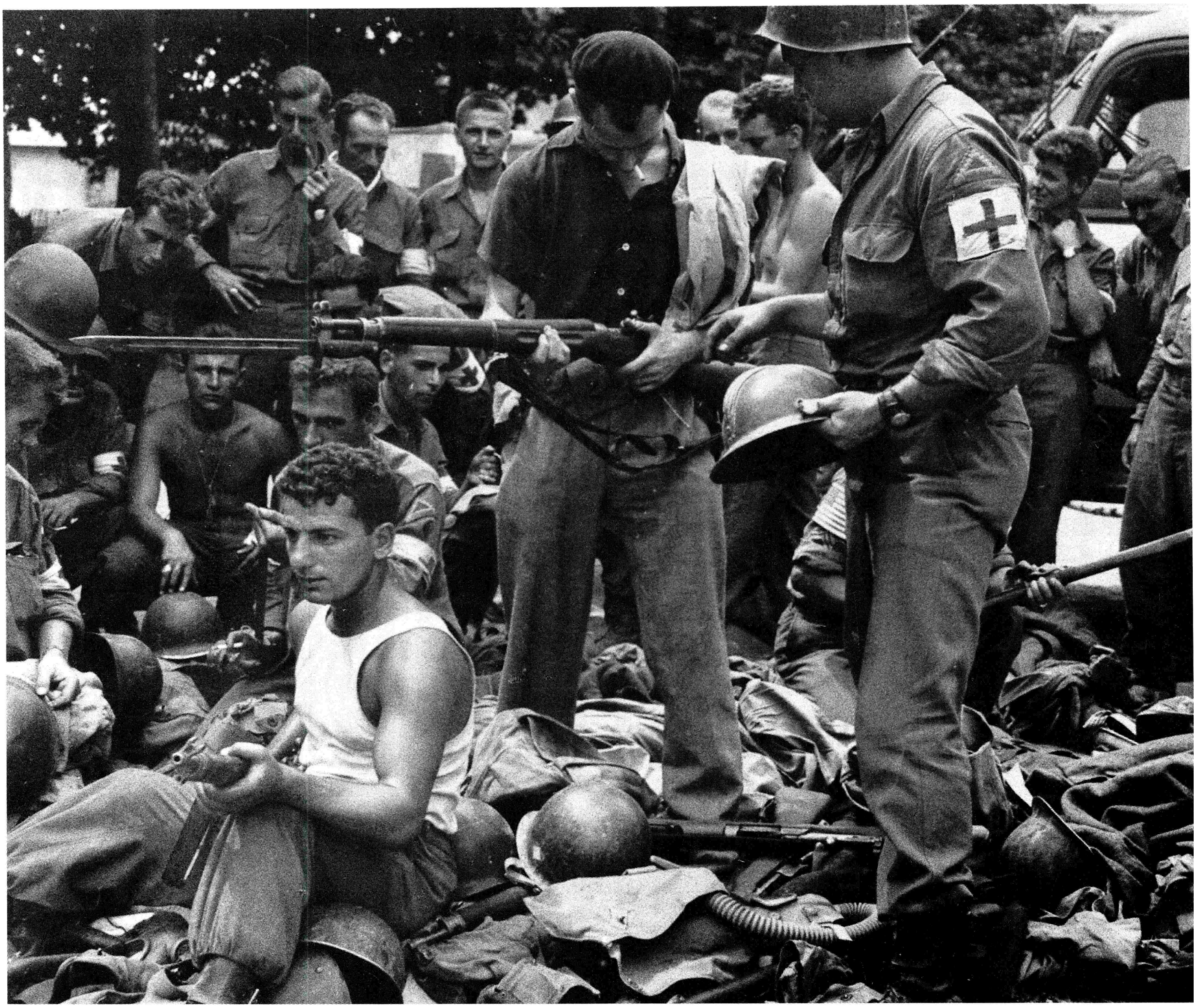


إذا أردنا تحديد سياسة نازية واحدة شجّعت المقاومة، بأي حال، فستكون التجنيد للعمل القسري في مصانع ألمانية. فضّل كثير من الشباب التواري عن الأنظار حيث تعلّموا صنع متفجرات من مواد كيميائية مسروقة أو معدّات ألقاها البريطانيون أو الأمريكيون من الجو. في بريطانيا نفسها، دُرّب أفراد المقاومة في مدارس خاصة وأُمّنت طرق للدخول إلى أوروبا والخروج منها لقادة المقاومة وطيّاري الحلفاء الفارّين من هناك. تحمّل آلاف المدنيين الأوروبيين مخاطر جمّة للمساعدة بتنفيذ أعمال تخريب.

كانت المقاومة الصريحة أو التخريب تتطلّب شجاعة كبيرة: واجه كل من أُمسك به الموتَ المؤكد، وقُدّمت «عبر» وحشية من الأبرياء. أمست عمليات الانتقام تلك وحشية بازدياد مع مضي الحرب قدماً. في فرنسا، استخدم الجنرال فيلهلم كايتل (شُنق لاحقاً بوصفه مجرم حرب) أمره سيئ الصيت «الليل والضباب» لتحديد نسبة انتقام بقتل 100 مدني مقابل كل ألماني يموت، و50 لكل ألماني يُجرح: عند نهاية الحرب كان 30,000 رهينة فرنسي على الأقل قد لقوا حتفهم رمياً بالرصاص. في أيار 1942، بعد اغتيال رينهارد هايدريش؛ الحاكم النازي القاسي لتشيكوسلوفاكيا المُحتَلة من قبل ألمانيا، هُدمت مدينة ليديتشي بالديناميت وقُتل كل من فيها أو رُحّل منها ليكون «عِبرة» لغيره. ضمّت قائمة الضحايا الآخرين 642 مدنياً هم سكان القرية الفرنسية أورادور سور غلان، الذين ذبحتهم وحدة إس إس بعد إنزال النورماندي في 1944.



كهوف سرية استخدمتها المقاومة الهولندية.



مقاتلو المقاومة الفرنسية ينظّفون أسلحتهم ويتلقون عناية طبية.

بحلول بداية 1944، خاضت بعض مجموعات المقاومة معارك مباشرة مع الألمان. قاتل أكثر من 400 رجل من القوات الفرنسية في الداخل، مثلاً، أسبوعاً في جبل موشيه قبل أن يُهزموا. ظهرت مجموعة أخرى في فيركور، قرب غرونوبل، ظناً منهم خطأً بنحو مأساوي أن إنزالاً جوياً للحلفاء بات وشيكاً. برغم تلك الكوارث، وبحلول حزيران ذلك العام استطاعت المقاومة الفرنسية تزويد الحلفاء بما يعادل 15 فرقة خلف خطوط العدو. في الشهور الآتية، سيلاحقون فلول النظام النازي وينتقمون بسرعة من كثيرين تعاونوا معه.

التحرير



الحلفاء يتقدّمون على كل الجبهات.

يوم الهجوم

الإنزال في نورماندي

في تشرين الثاني 1943، وافق ستالين أخيراً على لقاء روزفلت وتشرشل في طهران. كان روزفلت مصمماً على التوصل إلى اتفاق مع الروس – حتى إذا عنى ذلك إزعاج صديقه القديم تشرشل. بدأ المؤتمر بنوع من الترقّب، فقد بُحَّ صوت تشرشل تماماً، وأُرغم على الاستماع إلى ستالين ينتقد بقسوة شيانغ كاي شيك وإلى روزفلت يهاجم ديغول. سأل روزفلت بعد ذلك ستالين عن أفضل السبل برأيه لهزيمة الألمان بسرعة، ورد الزعيم السوفييتي من دون تردّد إطلاقاً بأن إنزال الحلفاء يجب أن يكون في شمالي فرنسا. استطاع تشرشل التعبير عن انزعاجه: سيكون لفشل مثل ذلك المشروع عواقب وخيمة. في النهاية تمكّن روزفلت من إقناعه أن نجاح الإنزال سيقصّر الحرب أعواماً.



جنود الحلفاء يتدرّبون في إنكلترا قبل يوم الهجوم.



جنود أمريكيون ينطلقون نحو الشاطئ، نورماندي 6 حزيران 1944.

في الشهور الستة الآتية أو نحو ذلك، خُطّط لـ عملية نورماندي بتفاصيل دقيقة في لندن وواشنطن، في حين حُشدت قوات ضخمة جنوبي إنكلترا – 10,000 طائرة، وأكثر من 4000 مركب إنزال، و1500 سفينة حربية. عُيّن أيزنهاور قائداً أعلى.

لكن كان يجب حل عدد من الخلافات بشأن الإستراتيجية قبل أن تمضيٍ العملية قدماً. رفض قادة أمريكيون فكرة ديغول بالاستفادة من المقاومة الفرنسية لتكون بديلاً عن الغارات الجوية على نظام النقل الألماني في فرنسا وبلجيكا. أدّى هذا إلى إثارة غضب بين الفرنسيين، الذين سيخسرون 3000 مدني في 48 ساعة فقط عند نهاية أيار 1944. لكن بحلول ذلك الوقت كانت السكك الحديدية الفرنسية قد دُمّرت، مثل معظم جسور السين ولوار.

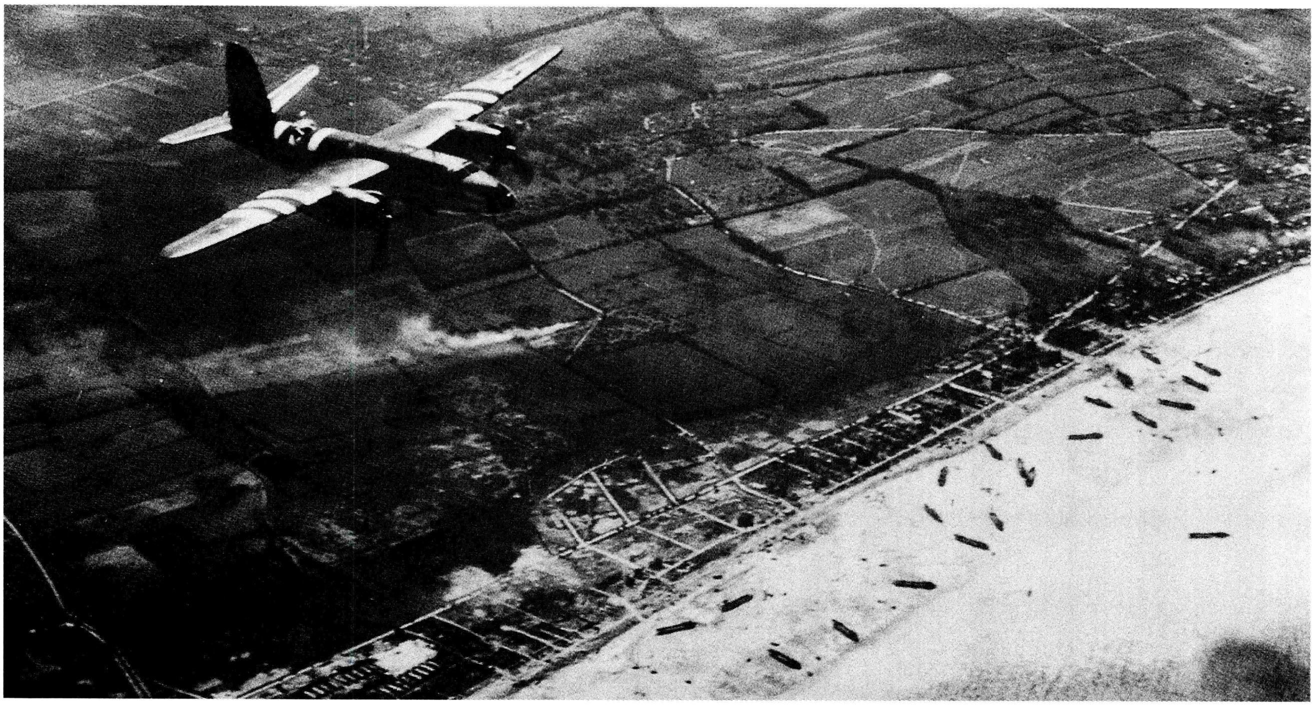
واجه الحلفاء بعدها مشكلة تحديد مكان الإنزال. كانت باد كاليه الأقرب، في حين إن نورماندي أقل تحصيناً، واتُفق في النهاية على الأخيرة، إذ أوضحت المعلومات الاستخباراتية أن الألمان مقتنعين برأس جسر كاليه. للتوثق من عدم تغير قناعة الألمان، قُصفت كاليه بكثافة وأُرسل



أيزنهاور: القائد الأعلى للحلفاء.



صورة استطلاعية لشاطئ شيربورغ قبل يوم الهجوم.



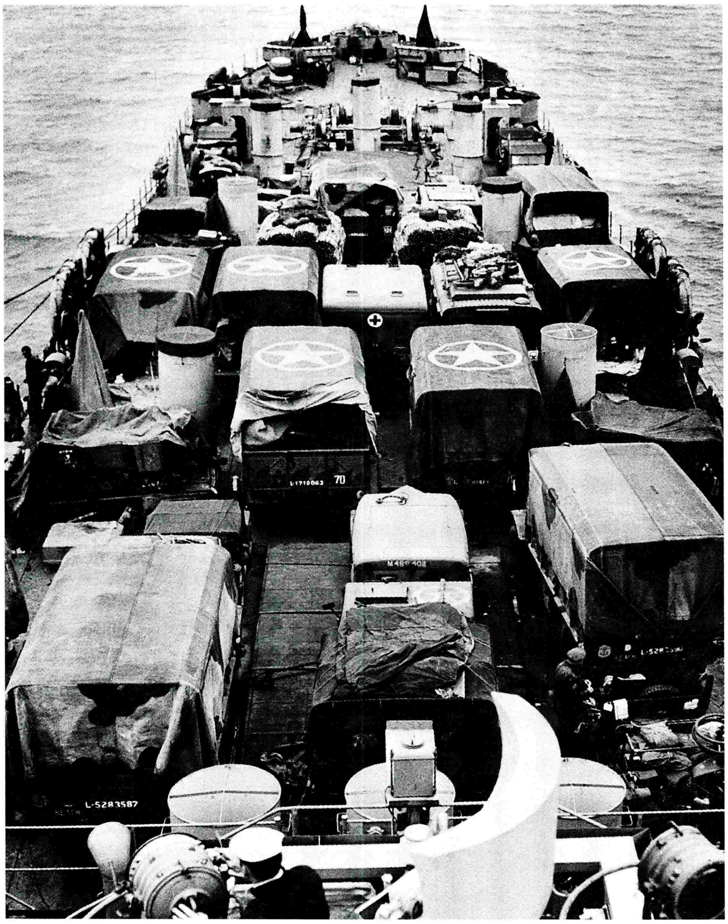
ماراودر أمريكية تعود من مهمة قصف فوق نورماندي.





طائرات شراعية أمريكية في شبه جزيرة شيربورغ.

جيش زائف تحت «قيادة» الجنرال باتون ليتخذ من كنت مقراً له. في الواقع، كان الجنرالات الألمان منقسمين بشأن الموضوع، إذ ظنَّ فون رونتشتيت؛ القائد العام في أوروبا الغربية، أن الإنزال سيكون في باد كاليه، في حين اعتقد رومل؛ المسؤول عن الدفاعات الساحلية، أنها ستكون نورماندي، وبسبب هذا الخلاف، انقسمت القوات الألمانية بين الاثنين. مع اقتراب 5 حزيران، يوم الهجوم، انتاب الألمان شعور زائف بالأمان بسبب عاصفة هبّت على القنال، ما جعل حتى رومل يغادر مع زوجته في إجازة إلى ألمانيا.





أعلى: تيدر؛ مشير سلاح الجو الملكي
يسار: شاحنات أمريكية تعبر القنال.
أسفل: مظليون أمريكيون.





شاطئ أوماها: إنزال إمدادات من سفن النقل.

في الواقع، أخّر الطقس السيئ الغزو 24 ساعة فقط. في ليلة 5 حزيران، توقفت الريح فجأة، وعند 9,30 مساءً بثّت بي بي سي رسالة سرية تضمّنت أمراً إلى المقاومة الفرنسية للبدء بتعطيل مزيد من خطوط السكك الحديدية في البلاد. جرت نحو 1000 هجمة ناجحة، برغم أن إس إس انتقم بنحو بشع في الأيام الآتية من القرى التي اشتبه في تورّطها في ذلك. عند 11,55 مساءً، نزل أوائل المظليين البريطانيين على بعد ستة أميال شمال كاين – وكان الاجتياح قد بدأ.

بحلول نهاية اليوم الآتي، استطاع أسطول ضخم من سفن الإنزال وضع 156,000 رجل على الشاطئ في خمسة مواقع من نورماندي، وتعرّض هؤلاء إلى نيران ألمانية أقل من المتوقع





أعلى ومقابل: إنشاء رؤوس جسور ساحلية، نورماندي.



العناية بالجرحى على شاطئ أوماها


LST 1009
A23



جنود أمريكيون يسيطرون على المرتفعات المطلّة على شاطئ أوماها.

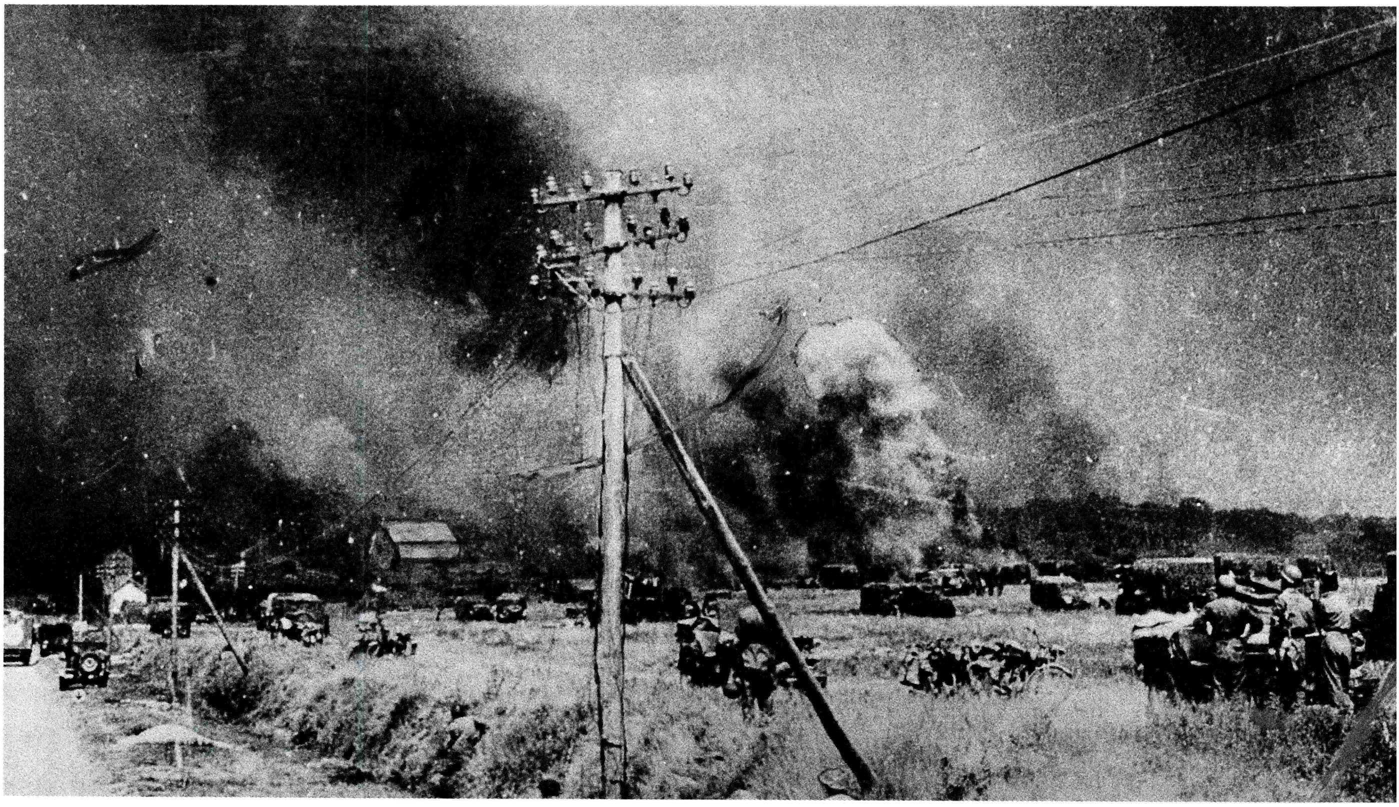


أوائل أسرى الحرب الألمان في نورماندي.



تحرير شيربورغ.

باستثناء حالة واحدة فقط. برغم ذلك، حدث تشابك مروري معقّد وغرق عدد من الجنود بعد أن غمرت مياه البحر مراكب إنزالهم، وحدثت بعض النكسات الأخرى. فشل البريطانيون والكنديون في الاستيلاء على كاين في اليوم الأول (استغرق الأمر شهراً وسُوّيت المدينة من العصور الوسطى بالأرض في العملية)، في حين أخطأ الأمريكيون بإحدى نقاط إنزالهم على الشاطئ ما أدّى إلى تأخير كبير في تحرير شيربورغ. ثم من 19 إلى 22 حزيران، أعاقت إحدى أسوأ العواصف في أوروبا في 40 سنة التقدّم من رؤوس جسور الشاطئ.



أعلى: معركة كاين.   مقابل: جنود كنديون يتحرّكون بين أنقاض كاين.



حصيلة اشتباك ناري على إحدى طرق نورماندي.





تموز 1944: هتلر يتفحّص الملتجأ بعد محاولة اغتياله.

لكن عموماً حققت عملية نورماندي نجاحاً مدهشاً. بعد تعزيز عمليات الإنزال، عرف قادة الحلفاء أنه سيكون مستحيلاً تقريباً على الألمان تحريك قواتهم من شمالي فرنسا. من ناحية أخرى، كان رد الألمان مرتبكاً، وعندما سُئل فون رونتشيت «ماذا يجب أن نفعل؟»، رد: «ننهي الحرب! ماذا أيضاً!»، ما جعل هتلر يعزله لانهزاميته.



القاضي فرايزلر يصدر أحكاماً على متآمري تموز.

عُزل روميل من القيادة فجأة أيضاً في أثناء تعافيه من جروح أُصيب بها نتيجة استهداف إحدى مقاتلات الحلفاء سيارته الرسمية. كان متورطاً في محاولة العقيد فون شتاوفنبرج البطولية لاغتيال هتلر في 20 تموز: لكن القنبلة لم تنجح إلا في جرح الفوهرر. خُيّر روميل بين الانتحار و»محكمة الشعب»، فاختار قتل نفسه.

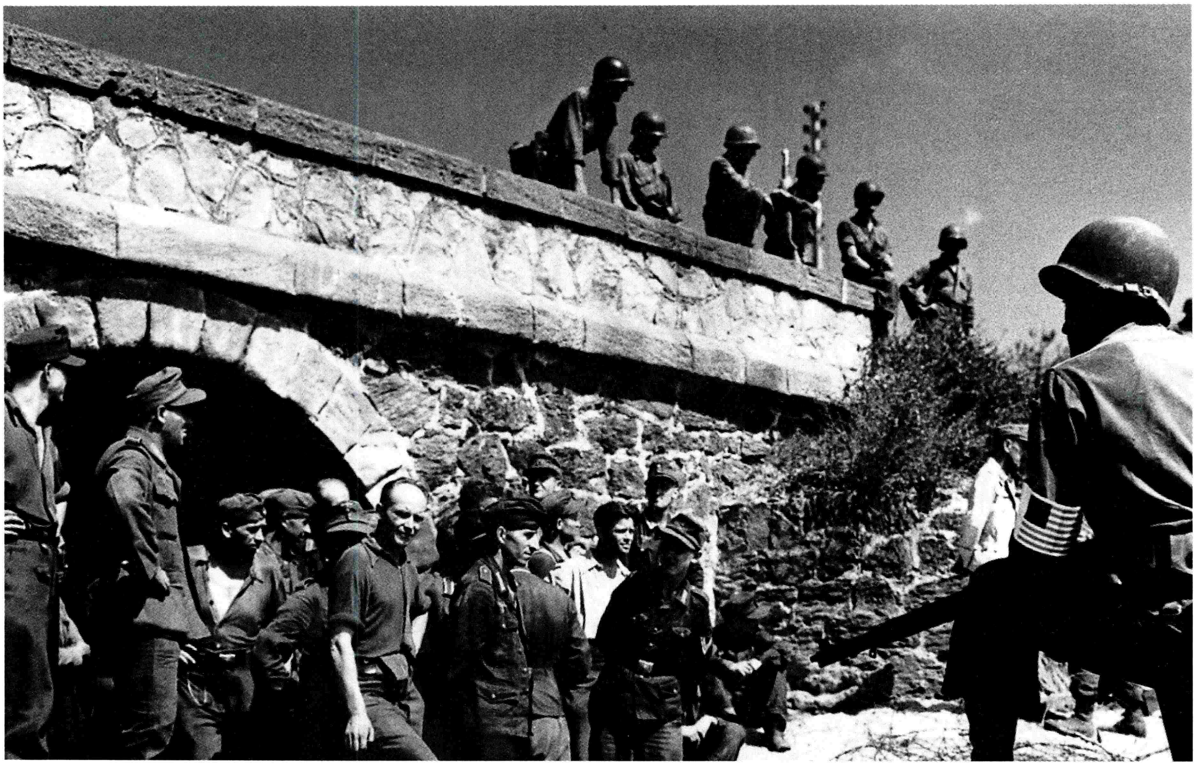
في نورماندي دفع الحلفاء مرتين عدداً كبيراً من الفرق الألمانية نحو الفخ – استطاعوا



تشرشل يراقب الإنزال في جنوبي فرنسا.



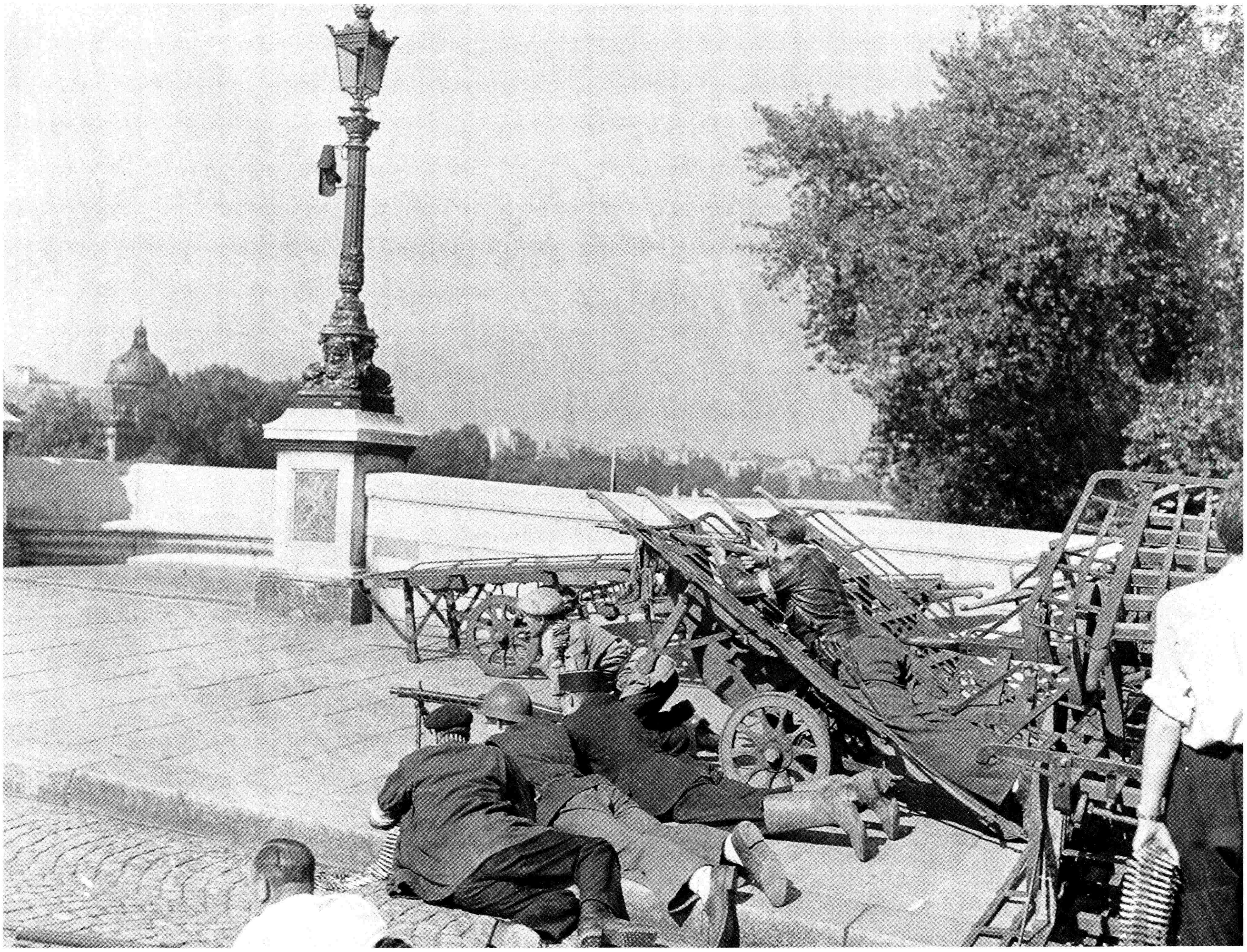
من المدمّرة البريطانية كيمبرلي.



أسرى ألمان في جنوبي فرنسا.



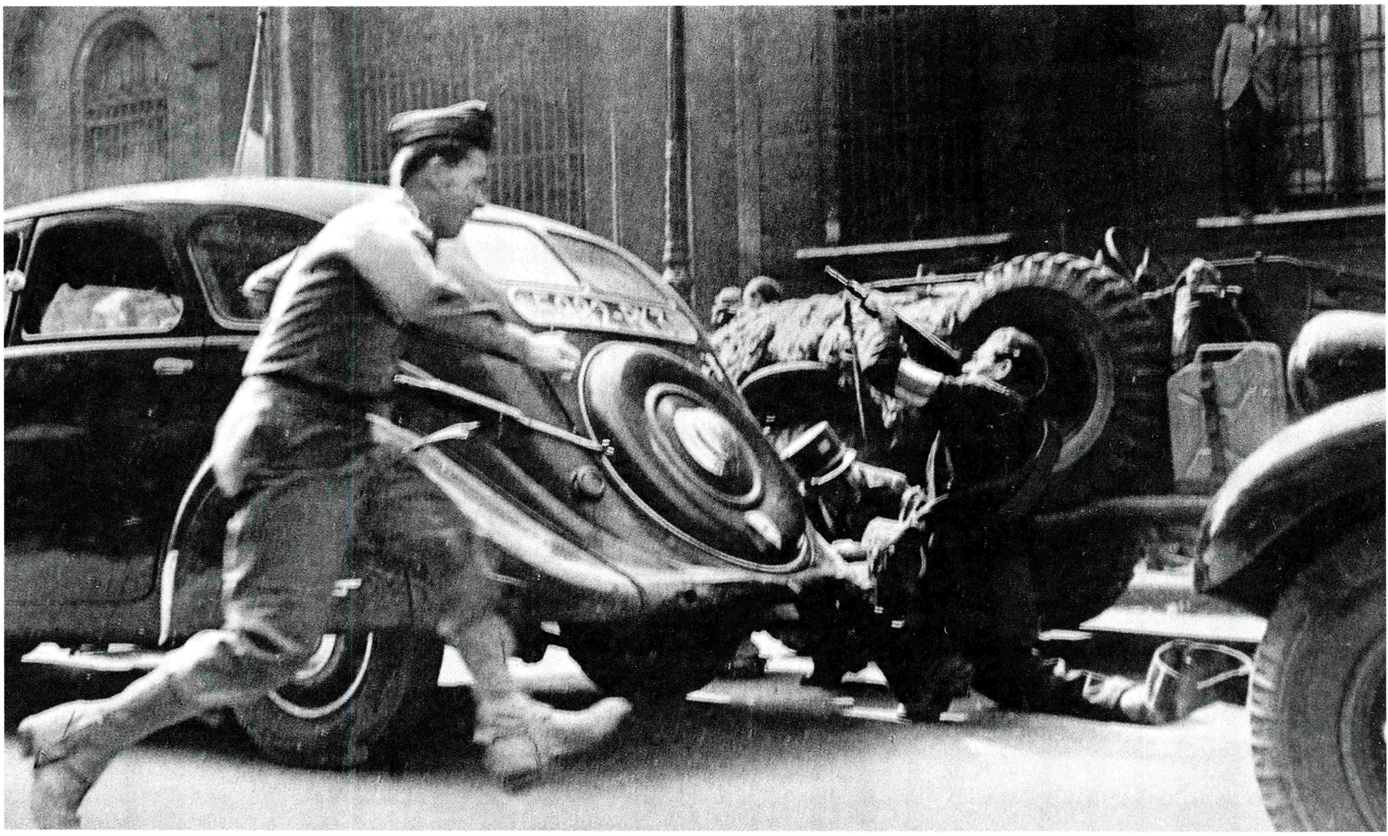
تحرير آكس.



آب 1944: باريسيون يتصدّون للمحتلين.

أسر نحو 50,000 رجل. اتُهِم المشير فون كلوج بمحاولة التفاوض على استسلام قواته حين استُدعي إلى برلين، فانتحر بدلاً من مواجهة غضب هتلر. عُثِر على ملحوظة فوق جثته تقول: «لقد عانى الشعب الألماني سَقَماً لا يوصف، وقد حان الوقت لوضع حد لتلك الفظائع».

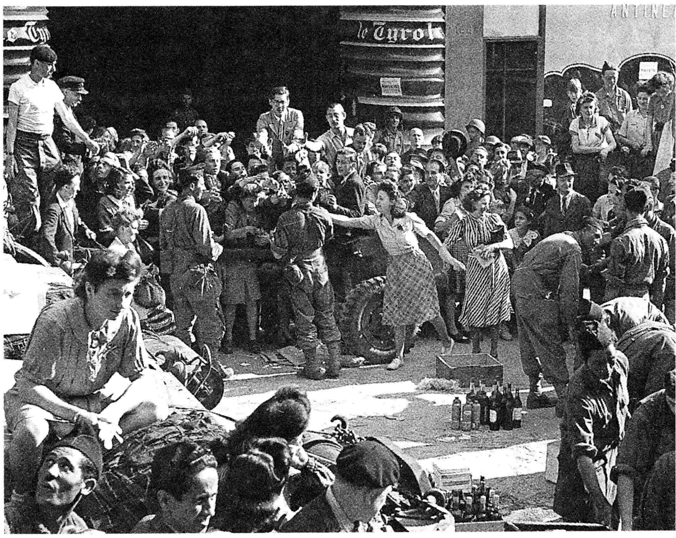
أضحت أجزاء من شمالي فرنسا محرّرة آنذاك: لقد حان وقت إنزال الحلفاء في الجنوب. جرت عملية السندان في 15 آب، وجرى إنزال 50,000 من جنود الحلفاء على الريفييرا الفرنسية. في اليوم ذاته، أُجهزت خطط أيزنهاور لتجاوز باريس بنشوب مقاومة في المدينة. تجاهل ديغول تعليمات القيادة العليا الواضحة وأمر الفرقة الفرنسية المدرعة الثانية بقيادة الجنرال لكلير بتحرير العاصمة. أرسل لكلير، غير واثق مما يجب فعله، قوة متقدّمة وأمرها بالاندماج مع قوات أمريكية



باريس: مقاتلو المقاومة يقبضون على قنّاص ألماني.

إذا وصلت إلى الضواحي أولاً. تريّث أيزنهاور – فقط حتى انتهاء هدنة مؤقتة بين القائد الألماني؛ الجنرال ديتريش فون شولتز، والمقاومة المحلية. بعث هتلر برقية إلى الخائف شولتز: «يجب ألا تسقط باريس في أيدي العدو إلا كومة أنقاض».

لكن محب فرنسا شولتز لم تكن لديه نية تدمير باريس، واستسلم حين وصلت قوات لكلير في 25 آب. ورد آنذاك نبأ اقتحام جنود إس إس غرفة المشير بيتان في الفندق ونقله أسيراً إلى بلفورت. كان بيتان يخطط للذهاب إلى باريس بنفسه لينقض الهدنة، وأفسح اختطافه المجال للجنرال ديغول، الذي أعلن نفسه رئيس فرنسا من على درجات قصر بلدية باريس. تبع ذلك عرض احتفالي بهيج عبر الشوارع، برغم خطر بعض القنّاصين الألمان الموجودين هناك. بحلول نهاية 26 آب 1944، بعد أربع سنوات من الاضطهاد القاسي، أصبحت مدينة النور حرّة مجدداً.



أنصار يبدؤون حفل التحرير.



ديغول ولكلير وجوان في باريس.



حشود باريسية تجتمع حول سيارة ديغول.

المد الأحمر

تقدم جيوش ستالين

منذ معركة كورسك في صيف 1943، بدأ الجيش الأحمر يتقدّم بثبات إلى الحدود الروسية. لكنه كان تقدماً دموياً وبطيئاً: واجه مقاومة عنيفة في كل مكان ولم يحدث أن انهارت خطوط الألمان مرة واحدة.

لم يكن مشاة الجنرال جوكوف مدرّبين كفاية وعانوا نقصاً في الإمدادات، وعاشوا على أي شيء يمكن أن يغنموه أو «يحرّروه» في أثناء التقدّم. قال قائد ألماني في تقرير له: «يحمل الجنود الروس أكياسهم على ظهورهم مملوءة أرغفة خبز يابس وخضاراً نيئة جمعوها في أثناء سيرهم من حقول وقرى. تأكل الخيول القش من سطوح البيوت – لا تأكل شيئاً آخر إلا نادراً». بدا أن التضحية بجنود الجيش الأحمر سهلة: كانت طريقة جوكوف في إزالة حقول ألغام العدو ببساطة جعل هؤلاء يمشون فيها. في الحرب الوطنية الكبرى، كما دعاها ستالين، لقي نحو 90٪ من كل الشباب الروسي بين عمري 18 و21 سنة حتفهم في المعارك.

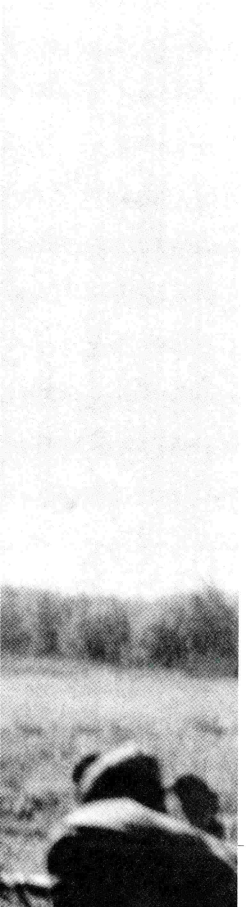


الروس يخترقون دفاعات ألمانية خارج لينينغراد.



أعلى وأسفل: ألمان منسحبون يحرقون بلدة جيتومير الأوكرانية.







أعلى وأسفل: دبابات ت34– تتقدّم على الثلج في الشرق.





جنود الجيش الأحمر يندفعون عبر حقل قرب نهر فيستولا في أوكرانيا.



الجنرال الروسي، نيكولاي فاتوتين



جثث بولندية قرب كاتين، نيسان 1943.



ت34- تتقدّم قرب لفيف

لم تكن تصل إلى وكر الذئب من الجبهة الروسية إلا أنباء سيئة. لم يبقَ لدى هتلر إلا أن يتمنّى بنحو بائس أن ينهار التحالف ضده. كانت هناك، طبعاً، أمور يختلف عليها ستالين وروزفلت وتشرشل، وإحداها هي مستقبل بولندا. في نيسان 1943، اكتشف الألمان جثث 4000 ضابط بولندي قتيل في كاتين: بدا محتملاً أن تكون شرطة ستالين السرّية قد اقترفت المذبحة. أثار ذلك غضب الحكومة البولندية في المنفى. كان واضحاً أنه بعد هزيمة الألمان في بولندا، لن يكون ممكناً التوفيق بين أهداف القادة البولنديين الشرعيين وما يسعى الجيش الأحمر إلى تحقيقه. اضطر روزفلت أن يحثَّ تشرشل الغاضب على إبقاء الأمر سراً لمصلحة التحالف.

في كانون الثاني 1944، عندما فُكَّ الحصار عن لينينغراد أخيراً، بدأ التقدّم الروسي يتسارع. في آذار، دخل الجيش الأحمر رومانيا وبحلول نهاية أيار كان قد طهّر القرم واستعاد كل الأراضي السوفييتية تقريباً. في أواخر حزيران، بالتزامن مع فتح الجبهة الثانية في فرنسا، شنّت نحو 160 فرقة سوفييتية هجوماً على معاقل الألمان القوية حول مينسك، وفي أسبوع أُسر 350,000 جندي ألماني، وتداعت الخطوط الألمانية أخيراً. اندفعت الجيوش الروسية عبر الثغرة، وتحرّكت غرباً نحو بولندا، وفي 1 آب توقفت في ضواحي وارسو.

تبع ذلك إحدى تلك الحلقات المأساوية من الحرب، من الآمال المرتفعة والخيانة، التي قوّضت كثيراً العلاقات بين الشرق والغرب. عزم البولنديون في لندن على اتّباع مثال ديغول في باريس وتحرير عاصمتهم، وعدّوا وصول جنود سوفييت إلى ضواحي وارسو إشارة إلى «الجيش الوطني» لإشعال ثورة في المدينة.



قوات سوفييتية تعبر نهراً بولندياً.





روس يتقدّمون على طول الساحل في ليتوانيا.

روس يتقدّمون على طول الساحل في ليتوانيا.



مدافع روسية ذاتية الدفع تتحرّك عبر غابة في البلطيق.



روس يهاجمون جنوداً ألماناً في بيت ريفي قرب لفيف.



الجيش الأحمر في ضواحي وارسو.

لسوء طالع القائد البولندي بور كوموروفسكي، طُلب من الروس البقاء في أماكنهم. يبدو مرجّحاً أن الأمر جاء مباشرة من ستالين، الذي أراد – وفي ذهنه النظام العالمي ما بعد الحرب – أن تُسحق المقاومة البولندية قبل أن يستولي على البلاد. تذرّع بحقيقة أن ثلاث فرق ألمانية جديدة قد استُدعيت للدفاع عن المدينة بإمرة القائد الكفوء والتر موديل.

احتجَّ البريطانيون والأمريكيون، إنما لم يسمح ستالين حتى باستخدام المهابط السوفييتية لنقل إمدادات جواً إلى المقاتلين البولنديين المحاصرين، الذين تهاجمهم وحدات إس إس من كل الجهات. أبلغ تشرشل ستالين: «مثل هذا التصلّب يبدو ... متبايناً مع روح التعاون بين الحلفاء الذي نوليه جميعاً أهمية كبيرة في كلٍ من الحاضر والمستقبل».

وافق الزعيم الروسي أخيراً على السماح بإنزال إمدادات للبولنديين في 9 أيلول، وحلّقت أكثر من 300 طائرة للتحالف يقودها طيّارون بولنديون وبريطانيون وأمريكيون فوق وارسو. لكن



أعلى: قنّاصان بولنديان في أثناء ثورة وارسو. أسفل: الجيش البولندي السري.



ستالين عزل أولئك الجنرالات البولنديين في الجيش الأحمر الذين حاولوا الاتصال بالمتمرّدين في ضاحية شزرناكوف قرب وارسو، وفي بداية تشرين الأول منع مرة أخرى الحلفاء من استخدام مطارات سوفييتية.

كانت العواقب وخيمة على البولنديين في جيوب المقاومة في وارسو: لقي 15,000 مقاتل حتفهم وقُتل نحو 200,000 مدني انتقاماً بعد التمرّد. حدّد ذلك البداية الحقيقية لعلاقات «باردة» بين الشرق والغرب.

في سلوفاكيا، سحق النازيون تمرّد الشيوعيين بقسوة، ما جعل دولاً أخرى أكثر حذراً، بأي حال، وانتظرت وضوح النوايا الروسية قبل أن تبدأ العمل ضد الألمان. في 23 آب، بعد معرفة أنه لم يعد بمقدور هتلر السيطرة على البلاد، أعلن الرومانيون أنهم لم يعودوا حلفاء الألمان إنما الروس. استولى جنود الجيش الأحمر على حقول نفط بلويشت الثمينة، وتقدّموا إلى بوخارست، وفي أسبوع قتلوا 105,000 جندي ألماني. في 12 أيلول وافق الرومانيون على دفع 300 مليون دولار تعويضات للاتحاد السوفييتي.



أعلى: جنديّ قاذفة لهب ألماني يحرق مبنى في وارسو، محولاً الغيت إلى جحيم (في الصفحة المقابلة).

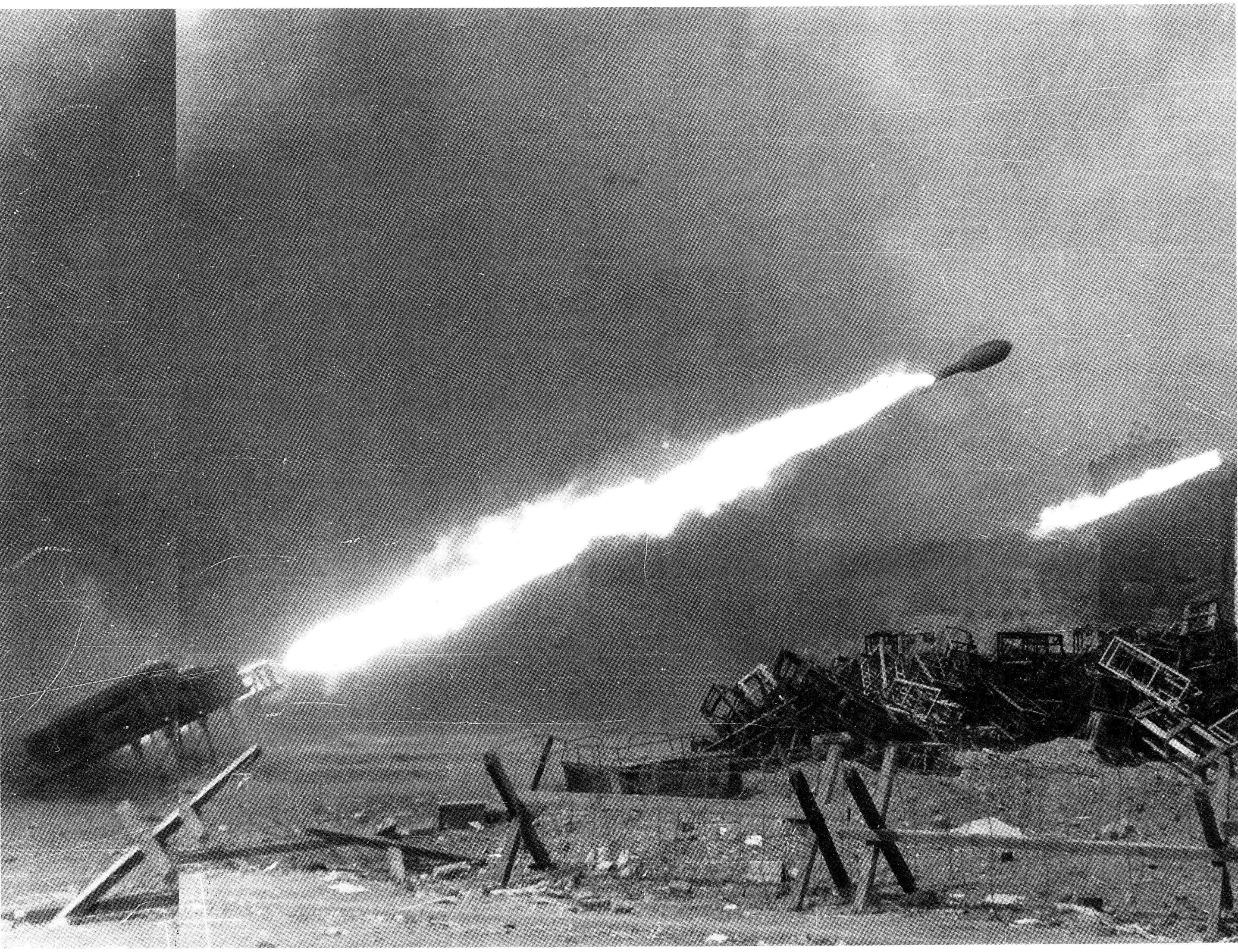




الجيش الوطني البولندي يخوض معركة.



ضباط ألمان يناقشون تكتيكات في وارسو.



قاذفات صواريخ ألمانية تستهدف غيت وارسو.

قبل عشرة أيام، عقد الفنلنديون أيضاً صلحاً مع الروس، وتوصلوا إلى اتفاق سيحافظ على فنلندا ديمقراطية في أثناء الحرب الباردة. في بلغاريا، التي بقيت خارج الحرب النازية ضد روسيا، لم تكن النهاية سعيدة تماماً. أعلن ستالين، التوّاق إلى الأرض، الحرب عليها ببساطة في تشرين الأول ما أرغم البلغاريين على القبول بشروطه.

في هنغاريا، أحبط الألمان محاولة لتغيير الولاء باعتقال رئيس الوزراء؛ الأميرال ميكلوش هورتي، وعدّه أسيراً وتنصيب حكومة موالية للنازيين. في 30 تشرين الثاني، وصل الجنرال



تشرين الأول 1944: بور كوموروفسكي يستسلم في وارسو.

الروسي مالينوفسكي إلى ضواحي بودابست على رأس 64 فرقة روسية ورومانية. قبل بضعة أسابيع فقط، اعتُقل 50,000 يهودي وسيقوا نحو النمسا. قال أدولف آيخمان؛ مهندس «الحل النهائي»: «يداي طويلتان ويمكن أن أصل إلى يهود بودابست أيضاً». بقيت المدينة محتلة حتى شباط 1945.

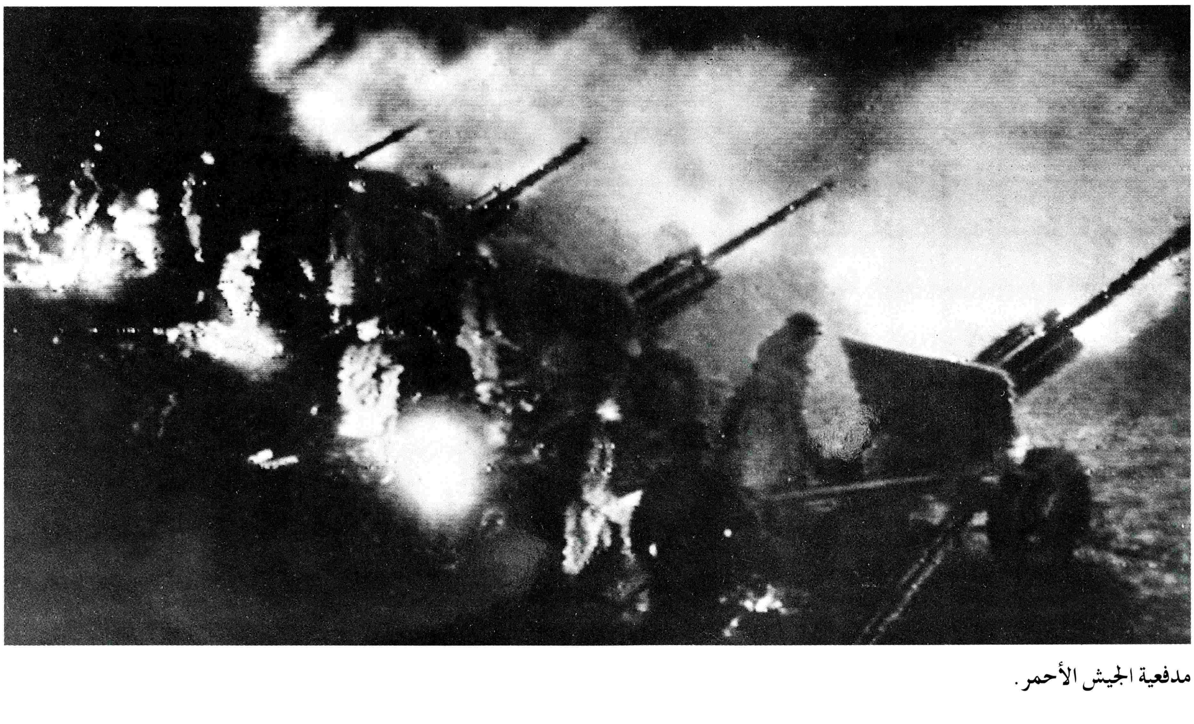
في يوغسلافيا، دخلت قوات روسية بلغراد في 19 تشرين الأول 1944. لكن تيتو، بدعم من البريطانيين والأمريكيين - سيصبح شوكة في حلق السوفييت في العقود الآتية (توكيد لصحة موقف ستالين، ربما، بعدم التدخل لإنقاذ الأنصار البولنديين) - كان قد أقام حكومة مستقلة هناك. في اليونان، بدأت قوات هتلر الرحلة الخطرة إلى ألمانيا المستعدة للمعركة آنذاك.



موديل، خصم جوكوف في بولندا.



فرق روسية مضادة للدبابات في شرقي بروسيا.



مدفعية الجيش الأحمر.



الحملة إلى الراين

الحلفاء يجبرون الجيوش الألمانية على التراجع

في أواخر 1944، بدا وضع هتلر يائساً. برغم أن الدعاية النازية تعزّزت بإصرار الحلفاء على استسلام ألمانيا غير المشروط، إلا أن موارد الألمان كانت قد استنفدت تقريباً، وأسلحتهم السرية – قنابل طائرة وصواريخ ومقاتلات نفّاثة – لا يمكن أن تعكس نتيجة الحرب. محبطاً ومرتعشاً من المرض، أنشأ هتلر جيش الشعب للدفاع عن ألمانيا، مكوّناً من كل الرجال اللائقين بدنياً بين 16 و60 عاماً.

لكن التقدّم الغربي آنذاك كان يتسارع. عَبَر جيش باتون الثالث الميز عند فردان في 31 آب، وبعد أربعة أيام، في الذكرى الخامسة لإعلان بريطانيا الحرب، اجتازت الفرقة البريطانية الخاصة المدرّعة 75 ميلاً عبر بلجيكا وصولاً إلى بروكسل. اتجهت دبابات بريطانية أخرى نحو أنتويرب، في حين جرى إنزال مظليين بلجيكيين لمساعدة المقاومة البلجيكية. بحلول 10 أيلول،



جنود ألمان معتقلون في الرابعة عشرة من أعمارهم.



جسور عائمة أمريكية ستُمد فوق الراين.

سيطر الأمريكيون على حصن إبين إيميل، الذي لعب دوراً حاسماً في اجتياح 1940. بعد يومين، استسلمت لو هافر للحلفاء.

لكن تقدّم الحلفاء تباطأ؛ بسبب ضعف خطوط إمدادهم، قبل الوصول إلى أنتويرب. صرخ باتون على أيزنهاور حين نفد الوقود من دباباته في 31 آب: «يستطيع رجالي أكل أحزمتهم، لكن دباباتي تحتاج وقوداً».



أعضاء من شباب هتلر بعمر 13 عام يشاركون في القتال.



أسرى حرب ألمان في بلجيكا.

كان مزاج قادة آخرين من الحلفاء حاداً أيضاً، فقد تنازع مونتغمري والجنرال الأمريكي برادلي بشأن التكتيكات، وحاول أيزنهاور التوسّط بينهما. انتهت محاولة طموحة للتقدم في هولندا نحو ألمانيا، عُرفت بعملية ماركت جاردن [حديقة السوق]، بكارثة حين حاول مظليون بريطانيون ومن الكومنولث تأمين الجسر فوق الراين إلى آرنم. أُنزل هؤلاء فوق فرقتين مدرّعتين ألمانيتين، ونظراً إلى أسلحتهم الخفيفة لم يستطيعوا مقاومة هجوم الدبابات طويلاً، وأُسر الآلاف منهم.

كان لفشل ماركت جاردن عواقب سيئة. دعت الحكومة الهولندية في المنفى إلى إضراب عمال السكك الحديدية لإنجاح العملية، وأدّى هذا إلى قيام الألمان بعمليات انتقام وحشية وتحصين الجزء الشمالي من البلاد. في أثناء الشتاء البارد، مات نحو 15,000 شخص هولندي جوعاً، وحافظ الآخرون على حياتهم بتناول شوندر سكري وبصلات خزامى، وضاعت فرصة أخرى

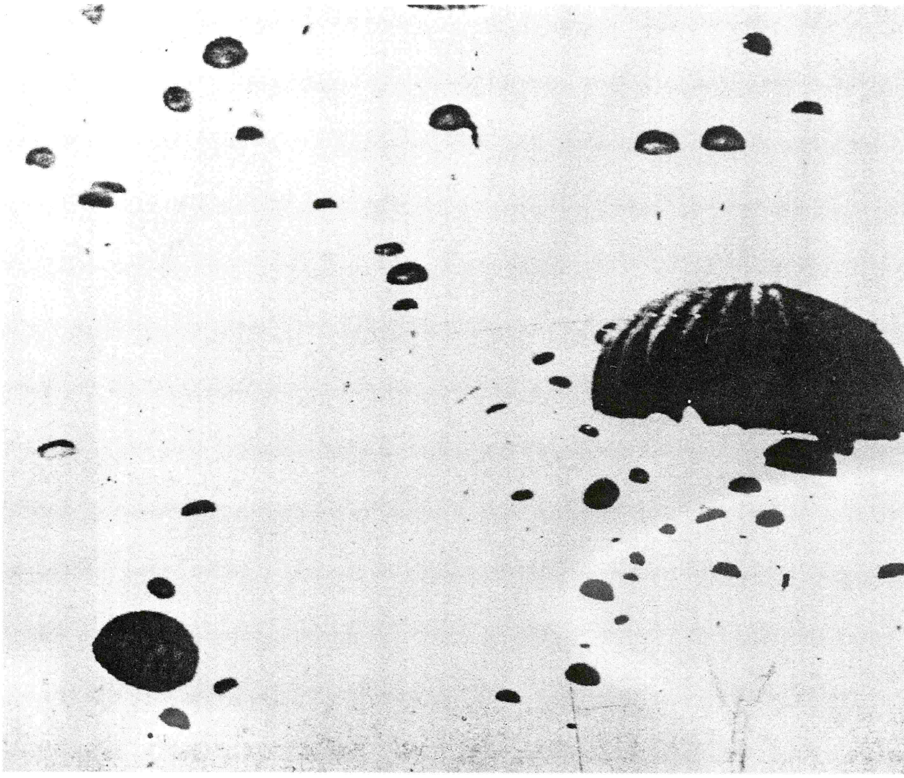


تمويه دبابة أمريكية في لوكسمبورغ.



تذخير رشاش مغطّى بالثلج في بلجيكا.





مظلّيون بريطانيون ينفّذون إنزالاً فوق آرنم.



جسر آرنم بعد فشل عملية ماركت جاردن.



جنود بريطانيون جرحى يستسلمون في آرنم.



جنود بريطانيون في خندق يراقبون الغابة قرب آرنم.



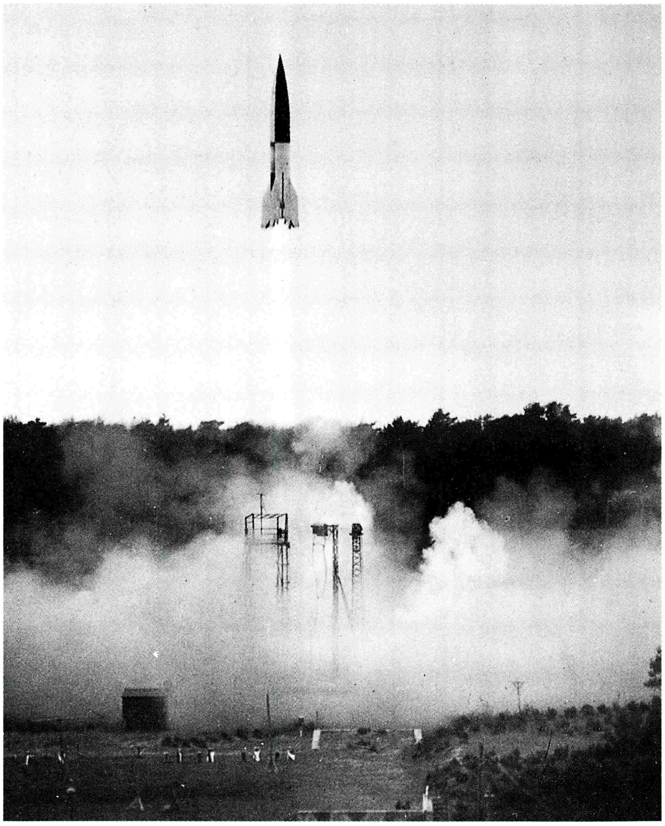
مصنع الزيوت التركيبية في تسايتز بعد غارة جوية.

لإنهاء الحرب بسرعة أيضاً. لو أن الحلفاء كانوا مستعدين تماماً لدعم عملية آرنم (اعترض كثير من القادة عليها)، لربما استطاعوا تحقيق اختراق في جنوبي ألمانيا وإنقاذ حياة الآلاف، وضمان أن تكون كل من برلين الشرقية وبراغ في عالم الديمقراطية.

وفقاً لما جرى، كان الحلفاء يتمتعون فعلاً بعدد من الميزات الحاسمة مقارنة بأعدائهم. بالاستفادة من آلات فك شفرة إينغما، كانوا يقرؤون الرسائل وقت يشاؤون تقريباً، وأخبرتهم إحداها أن لوفتفافه تعاني نَقصاً بالوقود. نتيجة ذلك، وُجّهت غارات قصف الحلفاء آنذاك على مصانع الزيوت التركيبية ومخازن الوقود الألمانية. ضُربت أيضاً قواعد القنابل الطائرة – سبب رئيس لقلق البريطانيين والبلجيكيين والهولنديين. كان قد أُطلق آنذاك نحو 2,754 قنبلة في1 على بريطانيا، مثلاً، قتلت 2,752 شخصاً – قتيل واحد تقريباً لكل قنبلة – ولم يكن هذا شيئاً يُذكر مقارنة بالقدرة التدميرية المحتملة لصواريخ في2 البالغ وزنها 11 طناً. في تشرين الأول وتشرين الثاني 1944، أُطلقت في2 نحو مدينة أنتويرب المحرّرة آنذاك، مسبّبة دماراً هائلاً: قُتل نحو 4000 مدني و700 جندي للحلفاء.



صاروخ في2 ينطلق.

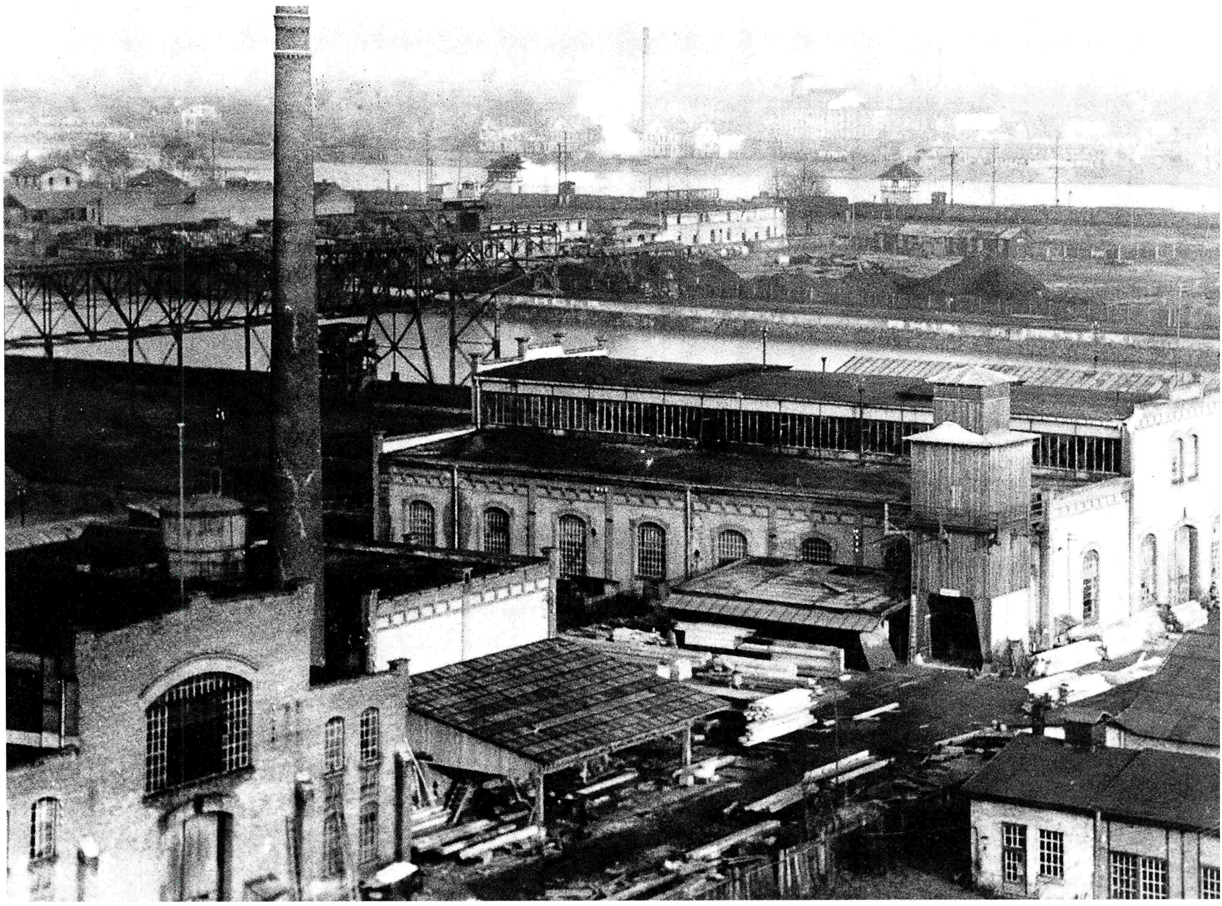


منطقة تجارب في2 بعد غارة جوية.

بحلول تشرين الثاني 1944، كانت معظم فرنسا وبلجيكا واليونان قد حُرّرت، وتجاوزت قوات الحلفاء الحدود الألمانية عند آخن، ويوجد أكثر من 2 مليون جندي للحلفاء في أوروبا الغربية. استلم أيزنهاور آنذاك دفة قيادة القوات البرية من مونتغمري.

في كيبك، كان تشرشل يحاول إقناع روزفلت باتخاذ موقف موحد بشأن مستقبل أوروبا، لكن روزفلت، الذي يكاد يبدأ حملة انتخابه رئيساً المرة الرابعة، تجاهل اقتراحاته. استطاعا أن يقرّرا فقط ألا تكون ألمانيا صناعية بعد الحرب وأن تتحوّل إلى بلد «زراعي ورعوي أساساً»، لكنّ كلاً من وزارة الخارجية الأمريكية ومجلس الحرب البريطاني اعترض على الفكرة.

بعد فشله مع روزفلت، سافر تشرشل جواً إلى موسكو للقاء ستالين نفسه، وكتبا على قفا مغلف اتفاقهما بشأن حصص «مصالحهما» في كل بلد محرّر. بعد اللقاء حثَّ تشرشل المُحرج ستالين على حرق المغلّف، خشية أن يبدو أنهما قد قرّرا مصير شعوب أوروبا بسهولة، فمازحه ستالين قائلاً: «لا، احتفظ به».



قذائف هاون عبر الراين على ستراسبورغ.



كانون الأول 1944: جرّافات أمريكية مدمّرة في أثناء الهجوم على أردين.



جنود صاعقة يفتّشون معدّات أمريكية في أردين. مقابل: يلوّح لتقدّم الألمان.

بنحو خاص، أراد تشرشل ضمان مستقبل اليونان، حيث يهدد 75,000 نصير مسلح بالسيطرة على البلاد. في محاولة أخيرة لتجنّب ما عدّه الشيوعية، سافر تشرشل بشجاعة إلى أثينا المملوءة قنّاصين في عيد الميلاد وحثَّ المقاومة على قبول سلطة رئيس الأساقفة دماسكينوس – الذي وصفه لاحقاً بأنه «مطران ماكر من العصور الوسطى».

على الجبهة الغربية، كان تأخّر الحلفاء قد منح هتلر فرصة ذهبية لالتقاط الأنفاس. أصرَّ على شن هجوم معاكس في أردين ضد خطوط الحلفاء وإرغامهم على التراجع إلى البحر. طمأن جنرالاته: «إذا استطاعت ألمانيا تحمّل بضع ضربات ثقيلة، فسينهار هذا التحالف الزائف بلمح البصر».

فشل مختصو حل الشفرات لدى الحلفاء في معرفة مكان الهجوم الآتي. كان مونتغمري قد أخبر جنوده أن العدو «لا يستطيع شن عمليات هجوم رئيسة»، في حين ذهب أيزنهاور في إجازة للعب الغولف. لكن في صباح 16 كانون الأول، والضباب يغشى قيادة الحلفاء الجوية، تسلّلت







جندي رشاش ألماني، أردين.



مستوعبات وقود أمريكية ملقية في بلجيكا.



أسرى أمريكيون في أثناء هجوم أردين.





دبابات شيرمان الأمريكية تنفذ هجوماً مضاداً خارج باستون.

مجموعات مغاوير ألمانية ترتدي الزي الأمريكي إلى خطوط الحلفاء، وأحدثت ارتباكاً كبيراً. وقع آلاف الجنود الأمريكيين –كثير منهم أغرار– ضحية الهجمات بالدبابات التي أعقبت ذلك.

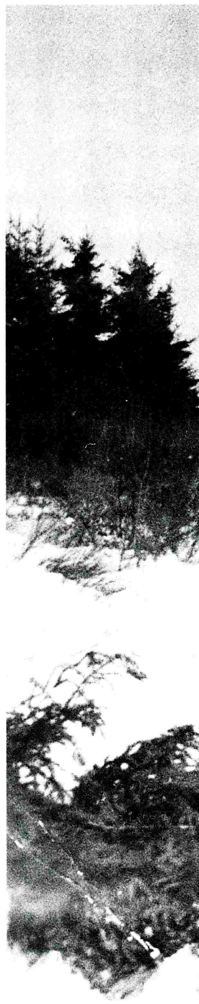
لكن قسوة وحدات إس إس الألمانية شدّت من أزر الأمريكيين. قتلت وحدة إس إس في 17 كانون الأول أكثر من 70 جندياً أمريكياً أُسروا في مالميدي، وبعد يومين في ستيفلوت، قتلت 130 مدنياً بلجيكياً «اتُهموا» بإيواء جنود أمريكيين.

بعد ذلك، أُوقف التقدم الألماني في بلدة باستون، حيث ردَّ القائد الأمريكي الجنرال أنطوني مكوليف بنحو شهير «مجانين!» على طلب ألماني بالاستسلام. خوفاً من فقدان برادلي السيطرة



أعلى: كانون الأول 1944 – قتلى مدنيون بعد المجزرة في ماليدي.   أسفل: بلجيكيون قتلتهم إس إس.









أدلّة على مذابح قرب باستون: جثث قُيِّدت أرجلها معاً وآثار رصاص في قفا الرأس.



الثلاثي الأمريكي: برادلي وأيزنهاور وباتون بين أنقاض باستون.



مونتغمري وأيزنهاور في لحظة اتفاق نادرة.

على القوات الموجودة شمال الألمان، سلّم أيزنهاور القيادة هناك إلى مونتغمري، الذي أغاظ الأمريكيين بوضع علم كبير للمملكة المتحدة على سيارته وقيادته عملية «الإنقاذ». حرّر الجنرال باتون باستون في يوم الصناديق [عيد القدّيس ستيفن في 26 كانون الأول] 1944، في حين وصل الجنرال ديغول، مخالفاً أمر أيزنهاور بالانسحاب، إلى ستراسبورغ.

لم يفشل هجوم هتلر المضاد على أردين بسبب مقاومة الحلفاء الشرسة فقط، إنما بسبب نقص الوقود أيضاً: أُرغم أفراد الدبابات الألمانية على هجر مركباتهم وشق طريق عودتهم شرقاً سيراً على الأقدام. من دون وقود، لم يعد بمقدور هتلر القيام بمحاولات جدّية لتفادي المحتّم. برغم هذا ستستمر الحرب في أوروبا أربعة شهور إضافية.

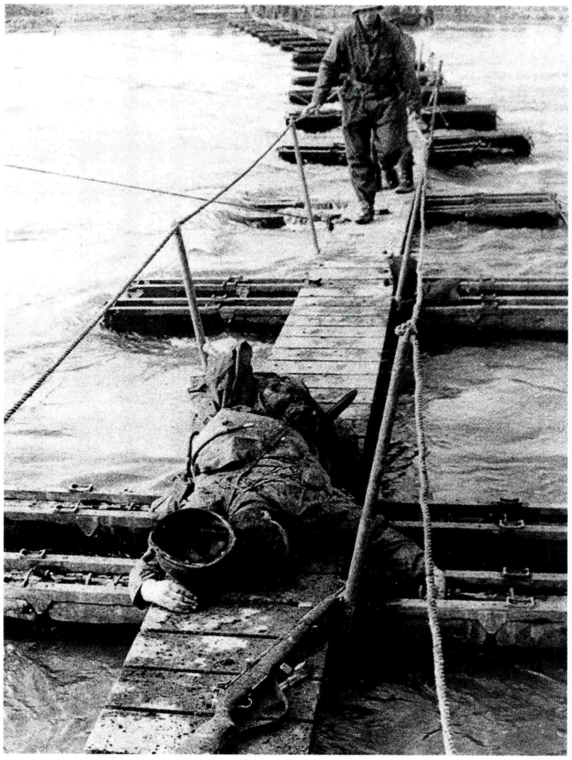
الرايخ يمسي رماداً

معركة برلين وموت هتلر

بناءً على طلب تشرشل، قدّم ستالين هجومه في الشرق أكثر من أسبوع لتخفيف الضغط على الحلفاء الغربيين بعد معركة الثغرة [أردين]. كانت الاستخبارات الألمانية قد توقّعت هجوماً روسياً في منتصف كانون الثاني 1945، لكن هتلر رفض تصديق ذلك. قال ساخطاً: «إنها أكبر خدعة منذ جنكيز خان. من المسؤول عن تقديم كل هذا الهراء؟». لم يعد لدى جوديريان إلا 50 فرقة مشاة للدفاع عن جبهة طولها 700 ميل.

برغم هطول الثلج، ومع نحو 200 فرقة تحت تصرفه، اندفع جوكوف وقادته إلى الأمام 300 ميل إلى ألمانيا. انهارت المقاومة أمامهم، وعرقل مدنيون هاربون تلك التعزيزات الألمانية التي يمكن إرسالها إلى خط الجبهة. لكن عند نهر أودر أمر ستالين جوكوف أن يتوقف ويتخلّى عن الاندفاع السريع إلى برلين الذي يخطط له. في تلك الأثناء، استولت جيوش روسية في الجنوب على بودابست أخيراً في 11 شباط – فقط لتتراجع إلى الخلف في آذار نتيجة آخر هجوم ألماني في الحرب.

عندما وصل الجنود السوفييت إلى ضواحي العاصمة الهنغارية، كان زعماء الحلفاء الثلاثة يضعون اللمسات الأخيرة على اتفاقهم في يالطا. غضب تشرشل مجدداً؛ لأن صديقه العجوز روزفلت (رجل يحتضر آنذاك) والعدو المحتمل ستالين قد أقاما مثل تلك العلاقات الودّية. وافق ستالين حتى على خطط الولايات المتحدة للأمم المتحدة. قال هاري هوبكنز؛ مستشار روزفلت: «صدّقنا حقاً في أعماقنا أن ذلك فجر اليوم الجديد الذي كنا جميعاً نتضرع له».



جنود أمريكيون يعبرون الرور.

مقابل: جنود ألمان مرهقون.





أعلى: شباط 1945: جنود أمريكيون في يوليش المسيطر عليها حديثاً آنذاك. أسفل: عبور الراين.





غداء بجانب النهر مع بروك ومونتغمري.

خشي رؤساء الأركان البريطانيون، المتشائمون دائماً، من أن تطول الحرب حتى تشرين الثاني: كان يجب الحفاظ على الوحدة بين الحلفاء. عندما أدركوا أن الأعمال القتالية قد تنتهي في وقت أبكر، تمنّى البريطانيون والأمريكيون أن يكون زعيماهما قد فاوضا بقوة أكبر بشأن قضية الأراضي التي يحرّرها السوفييت. بدا تشرشل بنحو خاص عاقد العزم على رؤية انتخابات حرّة في بولندا – فكرة لم تكن مقبولة إطلاقاً لـ ستالين.

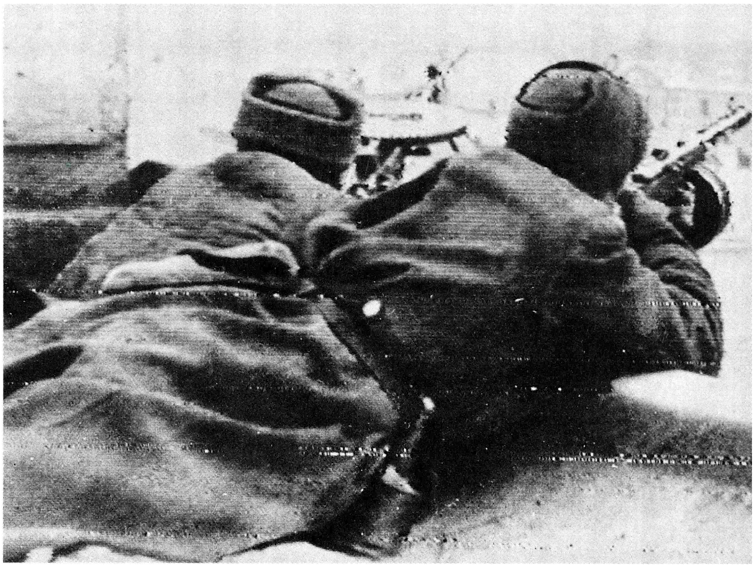
في تلك الأثناء، كان صبر السير آرثر هاريس من قيادة القاذفات قد نفد من الاستهداف المتواصل لمخازن الوقود الألمانية وحثَّ على العودة إلى القصف الكثيف للمدن الألمانية. كانت تلك آخر فرصة لتحطيم معنويات المدنيين، وإسدال الستارة على إحدى أحلك اللحظات في الجهد الحربي للحلفاء.

في 13 و14 شباط، هاجمت 1200 قاذفة بريطانية وأمريكية مدينة دريسدن التاريخية إنما غير المهمة إستراتيجياً، المملوءة آنذاك لاجئين من الجبهة الروسية. كان ممكناً رؤية الوهج من الحرائق

تشرشل يصل إلى الراين.







فوق ويسار: جنود روس في ضواحي بودابست.



نيسان 1945: الجيش الأمريكي التاسع يلتقي الجيش الأحمر في أبولنسدورف.



أيار 1945: روس وأمريكيون في ألمانيا – استراحة قصيرة قبل الحرب الباردة.

على بعد 200 ميل، واحترقت المدينة أسبوعاً، ولقي 40,000 شخص على الأقل حتفهم، وربما تفحّم 20,000 آخرون ولم يُعثر على جثثهم. نُقش على اللوحة التذكارية في مقبرة دريسدن: «كم عدد الموتى؟ من يعرف الجواب». حتى في ذلك الوقت، صدمت نتائج الغارة رؤساء أركان الحلفاء، وبخلاف ضباط بارزين آخرين، لم يمُنح آرثر «القاذفة» هاريس لقباً نبيلاً أبداً.

في البحر، كانت قوات الحلفاء البحرية لا تزال تدعم عمليات في إيطاليا وجنوبي فرنسا واستمرت في مرافقة قوافل إلى روسيا عبر القطب الشمالي والبحر الأسود. وصلت قوة يو–بوت إلى ذروتها في ذلك الوقت، وتكوّنت من 463 غواصة تعمل في مناطق مختلفة من الكرة الأرضية.

في بداية آذار 1945، أعلنت فنلندا ومصر وتركيا كلها الحرب على ألمانيا. لم ينفع الموقف الذي واجهه الألمان آنذاك إلا في زيادة تعصّبهم وقسوتهم. كانت عمليات إعدام أفراد من المقاومة الهولندية والمدنيين المتعاطفين لا تزال قائمة في تلك الأنحاء من هولندا الرازحة تحت سيطرة الألمان. بدأ هتلر اليائس تجنيد أطفال تقل أعمارهم عن 16 عاماً، ونقل معظم قواته من الراين إلى أودر لمواجهة «الهمجيين» الروس.

كانت الطريق ممهدة لعبور الحلفاء الغربيين الراين. في 7 آذار ، اكتشف باتون جسراً سليماً



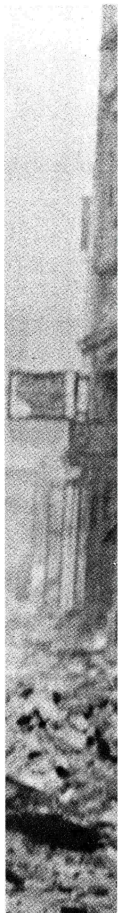
جنود أمريكيون يمشون عبر حطام بلدة ألمانية.



جنود أمريكيون في ضواحي كوبلنس.



المشير فون رونتشتيت وابنه أسيرين في آوغسبورغ.



على النهر في رماغن، وفي وقت قصير، أُنشئ رأس جسر حيوي على الضفة الأخرى، وقد عمل الأمريكيون على توسيعه في الأسابيع الآتية. في 23 آذار، عبر جيش بريطاني وكندي بقيادة مونتغمري في الشمال النهر أيضاً.

توقف تقدّم الحلفاء وقتاً قصيراً بعد ذلك، وبرغم أن تشرشل حثَّ أيزنهاور على المضي قدماً إلى برلين قبل أن يصل الروس إليها، كان الأخير أكثر اهتماماً بشائعات المقاومة النازية الأخيرة في بافاريا (التي لم تثبت صحتها أبداً). في أماكن أخرى، خاض الألمان قتالاً شرساً في أثناء تراجعهم، تاركين بلدهم مدمراً خلفهم. قال هتلر: «يجب خوض المعركة من دون التفكير بشعبنا».



فاشيون هنغاريون يستسلمون.

في 12 نيسان، توفي روزفلت، وظنَّ كل من هتلر وغوبلز أنهما نجيا بفضل معجزة في اللحظة الأخيرة (يقال إن وزير الدعاية أخبر الفوهرر عبر الهاتف: «الرب لم يتخلَّ عنا»)، لكن مطالب الحلفاء باستسلام غير مشروط تواصلت. طُوّق الجيش الألماني الرئيس أخيراً على الرور، حيث استسلم 300,000 في 18 نيسان بعد انتحار موديل؛ القائد العام. عقب احتفاله بعيد ميلاده في 20 نيسان، صرف هتلر أتباعه الباقين - غاضباً من محاولة بعضهم التفاوض على استسلام (كان هيملر يتكلم حتى إلى الصليب الأحمر، ويعدهم بإرسال عدد من



أنصار يعرضون جثتين مشوّهتين لـ موسوليني وخليلته؛ كلارا بيتاتشي.

اليهود إلى السويد بأمل إرضاء الحلفاء). لم يبقَ إلا غوبلز مع هتلر في ملتجئه في برلين.

بعد أسبوع، التقت القوات الأمريكية والسوفييتية عند تورجاو على الإلبه – لحظة صداقة قصيرة قبل بداية الحرب الباردة. أُطلقت قذائف مدافع ابتهاجاً في موسكو، وكان هناك رقص وغناء في ميدان تايمز في نيويورك. لكن الحلفاء الغربيين أدركوا آنذاك أن هدف ستالين هو ضم أكبر مساحة ممكنة من أوروبا الشرقية قبل استسلام الجيش النازي، فسرّعوا تقدّمهم. كتب تشرشل إلى أيزنهاور: «أظن أنه مهمٌ جداً أن نصافح الروس في أبعد نقطة ممكنة شرقاً»، وأمر مونتغمري بالتقدم بسرعة نحو هامبورغ والبلطيق في حين استولى الفرنسيون على شتوتغارت واندفع باتون نحو براغ.



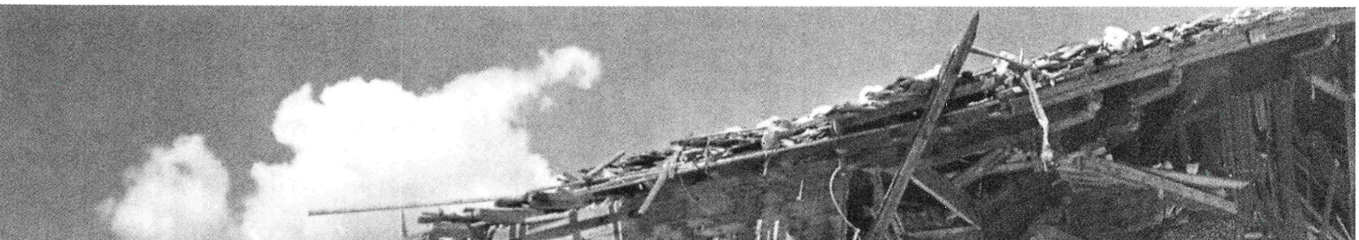
جسر هيندنبورغ في كولن.







جنود روس يدخلون لايبزيغ، شرقي ألمانيا.



منزل غورينغ المحطّم في مجمّع بيرشتسغادن.

كان ستالين قد أمر قواته بالتقدّم نحو برلين، وحثّ جوكوف على شن هجوم من الشرق وكونيف من الجنوب، فاندفع نحو مليوني جندي سوفييتي نحو العاصمة الألمانية. جلس هتلر، شاحباً ومرهقاً، منحني الظهر في ملتجئه، يداه ترتعشان، ويصرخ بين الفينة والأخرى بأوامر لا معنى لها ويحرّك فرقاً غير موجودة على الخريطة.

في إيطاليا، بدأت المقاومة الألمانية تنهار أيضاً: لقد عبر جنود الحلفاء بو أخيراً. أثار هذا النجاح ثورة عامة بين الأنصار الإيطاليين، الذين بدؤوا تحرير البندقية وجنوة. في تلك الأثناء، كان موسوليني يحاول التفاوض في ميلانو، حاملاً معه مبالغ طائلة من المال متمنياً أن تشتري له حريته. قرب بحيرة كومو في 28 نيسان، أسره أنصار إيطاليون مع خليلته كلارا بيتاتشي من قافلة ألمانية وأردوهما قتيلين، ثم شُوّهت جثتيهما ونُقلتا إلى ميلانو لتُعلّقا من الأقدام في الساحة الرئيسة.

استسلمت القوات الألمانية في إيطاليا أخيراً في 29 نيسان، وسلّم نحو 150,000 من المقاومة الإيطالية أسلحتهم إلى الحلفاء. في اليوم الآتي، دخل جنود أمريكيون ميونيخ، معقل النازية القوي سابقاً، واستُقبلوا بورود بيضاء. استولى ألمان غير نازيون بقيادة النقيب روبرت جيرنغروس على المحطة الإذاعية ومواقع رئيسة أخرى بعد قتال عنيف مع إس إس.

مدركاً أن النهاية قد اقتربت، أمر هتلر في اليوم عينه باعتقال غورينغ لمحاولته التفاوض مع الحلفاء وعيّن دونيتز خلفاً له، ثم تزوج إيفا براون وكتب وصيته. دوّن: «أكلّف قادة الأمة ومرؤوسيهم بالتقيّد التام بالقوانين العرقية، وأن يضطهدوا من دون رحمة المفسد العام لكل الشعوب؛ اليهودية العالمية».





دبابات ت34– ومدافع آي–إس–يو152– ذاتية الدفع سوفييتية في شوارع شرقي برلين.





يبتهج حتى أسير حرب ألماني بالنبأ.

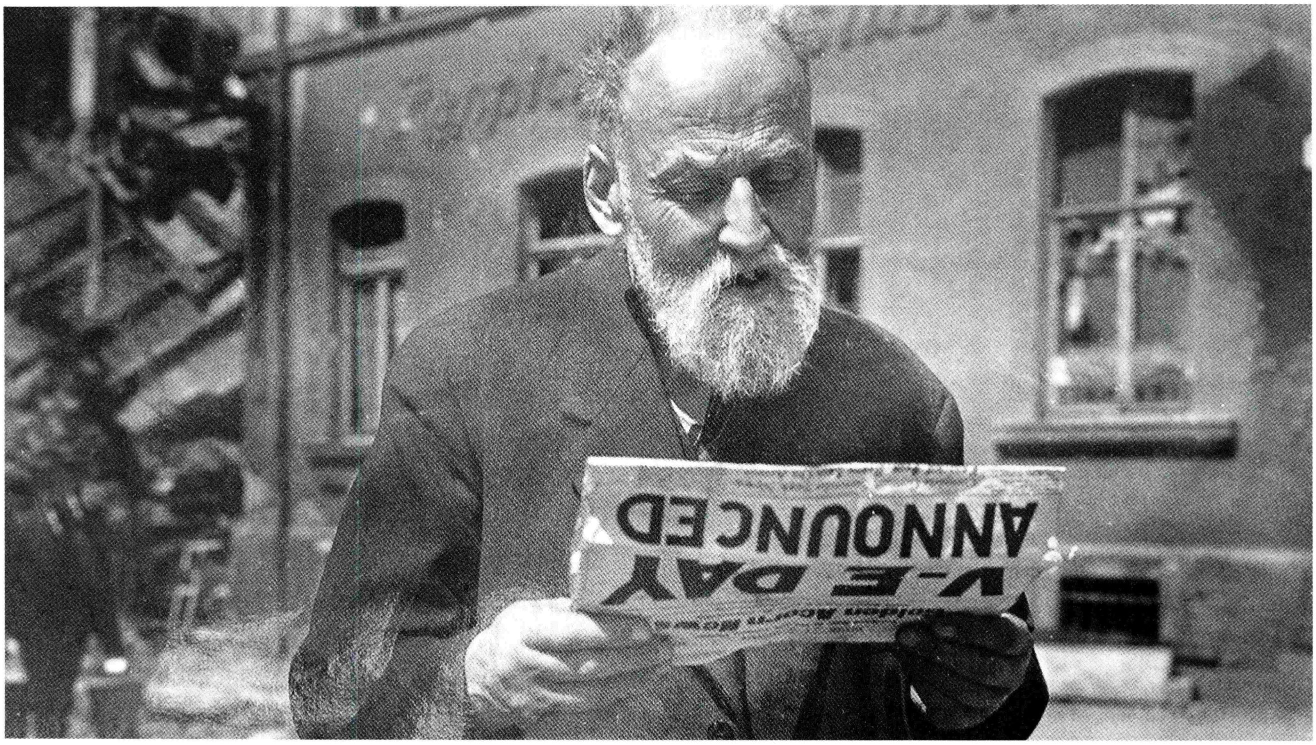
عند 3,30 بعد ظهر اليوم الآتي، 30 نيسان، ودّع هتلر موظفي مقره وأوصد باب غرفته، ثم أطلق النار على نفسه، في حين تجرّعت إيفا براون السم، ولم يُعرف تماماً حتى الآن ما حدث تالياً. في الرواية الألمانية، رُشَّ وقود على الجثتين وأُحرقتا، في حين زعم الروس، من ناحية أخرى، حصولهما على الجثتين وتصويرهما، وإتلافهما لاحقاً فقط. أياً يكن ما جرى، لم يخرج أي من الرفاتين إلى العلن أبداً.

في أرجاء المدينة، حذا غوبلز حذو هتلر وجعل أفراد أسرته كلهم يتجرّعون السم قبل أن ينتحر. بعد معركة أخيرة عند حديقة حيوانات برلين، استسلمت القوات الألمانية الباقية في المدينة. حاول دونيتز التفاوض على الاستسلام في الغرب ومتابعة القتال في الشرق، لكن أيزنهاور رفض الفكرة. في 4 أيار، استسلمت الجيوش الألمانية في



فوق: كينزل يوقّع استسلام الجيوش في الشمال في هيث لونيبورغ.

مقابل: رفع المطرقة والمنجل فوق رايخستاغ.



مدني ألماني يقرأ إعلان يوم النصر في أوروبا.   مقابل: تشرشل يحتفل في لندن.

الشمال إلى مونتغمري في هيث لونيبورغ. بعد ثلاثة أيام، وصل الجنرال يودل إلى رانس للتوقيع على الاستسلام غير المشروط الذي فرضه أيزنهاور على كل القوات الألمانية. في 8 نيسان؛ يوم النصر في أوروبا، كان هناك ابتهاج جماهيري غامر في كلٍ من ميداني التايمز وترافالغار.

لكن القتال في أوروبا لم ينته تماماً. في براغ، كان التشيكيون قد ثاروا ضد المحتلين النازيين، لكن منذ رفض الرئيس الأمريكَي الجديد هاري ترومان المخاطرة بحياة الأمريكيين من أجل أهداف «سياسية»، صدر أمر إلى باتون بالتوقف عند ضواحي المدينة. بانعطافة غريبة، حرّر المدينة من إس إس الجنرال فلاسوف وجيش التحرير الروسي، الذي كان يقاتل إلى جانب الألمان معظم الحرب، لكن ذلك فشل في إنقاذه وأتباعه من الموت: أُعدموا حين وصل جنود سوفييت في 12 أيار.

كاد يندلع قتال آخر حول تريستي، حين كان كلٌ من تشرشل وترومان مستعدين لاستخدام القوة حتى لا تسقط المدينة بين يدي تيتو. لكن من دون دعم ستالين، قرّر تيتو التوقف وغادر أنصاره المكان في 9 حزيران. واجه جيشا الشيوعية والقوى الديمقراطية بعضهما بعضاً آنذاك فوق أنقاض أوروبا المحرّرة وحطامها.


SWIMMING & PRIVATE
BATHS
GREAT SMITH St
SHELTER



المحرقة

اكتشاف معسكرات الموت

في بداية نيسان 1945، التقى جنود فرقة مدرّعة أمريكية خارج غوتا ما وصفوهم بأنهم «لاجئون مهزولون» على الطريق. قاد هؤلاء «اللاجئون» اليهود، حليقو الرأس والشبيهون بهياكل عظمية، الأمريكيين إلى أوردروف حيث توجد أكوام من الجثث بثياب مخططة. كان حراس نازيون فرّوا آنذاك قد أطلقوا النار على قفا رأس كل ضحية. زار الجنرال أيزنهاور المعسكر بعد ذلك بوقت قصير وشعر بصدمة كبيرة جعلته يتصل هاتفياً بـ تشرشل ليصف المشهد المروّع.

كان كل من لديه أدنى اهتمام بالأحداث الجارية آنذاك يعرف اضطهاد النازيين لليهود منذ بداية حكم هتلر. نقلت صحف من كل أرجاء العالم تقارير عن إرغام الطبقة الوسطى اليهودية – مثقفين، ورأسماليين، وأطباء – على الخروج من الحياة العامة. عرف الجميع أن النازيين يعتبرون العرب والأفارقة والسلافيين والشرقيين عموماً أونترمينشن (دون البشر)، وأنهم خصّوا اليهود بحقدٍ خاص. كتب منظّر نازي: «قسمات اليهودي تشبه الإنسان، إنما يعدُّ، فكرياً وروحياً،



بولندا – أسرى يُنقلون في شاحنات ماشية.



نزلاء معسكر بعد التحرير.



جنود أمريكيون يوزّعون لفائف تبغ في إحدى المعسكرات.

أدنى من حيوان».

كان هتلر قد حرم اليهود من المواطنية الألمانية وحقوق الإنسان الأساسية منذ 1935. لقد مُنعوا من الذهاب إلى حفلات موسيقية أو أفلام، أو قيادة السيارة، أو الجلوس على مقاعد المتنزهات أو شراء صحف، في حين كانت عقوبة الزواج من «آري» هي الموت. بلغت كراهية اليهود أوجها في كريستال ناخت («ليلة الزجاج المكسور») سيئة الصيت في 1938، التي جرت بعد أن اغتال شاب يهودي السفير الألماني إلى باريس. نُهبت آلاف الكُنس والشركات اليهودية وحُرقت تحت أنظار الشرطة.

أُنشئت معسكرات اعتقال مثل داخاو منذ بداية 1933، برغم أن سياسة الإبادة الجماعية لم تكن معتمدة بعد. انضم اشتراكيون، وشهود يهوه، ومثليون، وغجر ودعاة سلام إلى اليهود خلف أسلاك شائكة. لكن مع انتصارات هتلر في 1939–41، ازداد عدد اليهود الخاضعين للحكم الألماني إلى نحو 10 ملايين، وخطط هتلر لإعادة توطينهم في مدغشقر، برغم أن عشرات الآلاف كانوا قد قُتلوا في



ظروف داخل ثكنات معسكر.

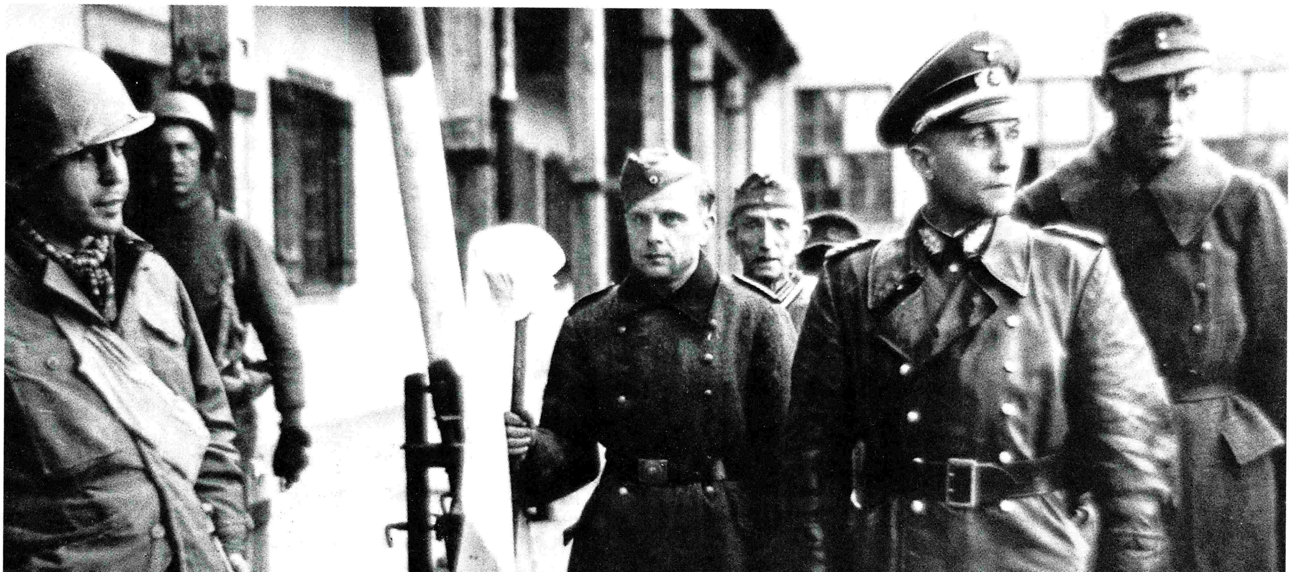




الدليل الرهيب: جثث في معسكر إبادة.



بقايا جدران معسكر في نوردهاوزن.



قائد معسكر اعتقال يصبح أسيراً.



طفل يهودي ناجٍ يغادر بوخنفالد إلى فرنسا – ثم إلى فلسطين.



في طريقهم إلى ديارهم: رومانيون ناجون من بوخنفالد في فيينا.





كانت آلة التصوير شاهداً لم يفزع.

تلك المرحلة في بولندا وروسيا. علّق الفوهرر: «بالقضاء على هذا الوباء، سنقدم للإنسانية خدمة لا يملك جنودنا فكرة عنها».

عند نهاية 1942 كشف هيملر ما وصفه بأنه «الحل النهائي» – إبادة كل العرق اليهودي في أوروبا. ستُنشأ معسكرات موت وتستفيد من تقنيات صناعية لـ»معالجة» اليهود. ستقترن أسماء تلك المعسكرات لاحقاً في الوعي البشري بتعذيب وحشي يعجز الكلام عن وصفه: داخاو، وتربلينكا، وأوشفيتز، وبلسن وأخرى كثيرة.

جُمع الضحايا، وقيل لهم إنه سيُعاد توطينهم وطُلب منهم جلب طعام يكفي رحلة ثلاثة أيام. نُقلوا بعد ذلك في شاحنات ماشية من دون ماء تقريباً، وتوفي عشرات الآلاف قبل وصولهم المعسكرات.

عند وصولهم إلى مقصدهم، قُسم الناجون إلى أصحاء وضعفاء، وعمل المعافون في السُخرة. لم يكن مأمول الحياة لهؤلاء السجناء يتجاوز ثلاثة إلى ستة شهور قبل أن يموتوا من الإجهاد، أو التضوّر جوعاً، أو وحشية حراس إس إس. من ناحية أخرى، معظم «الضعفاء» – نساء وأطفال وعجائز – أُرغموا فوراً على التعرّي والسير إلى «غرفة الاستحمام». كان غاز زيكلون–ب السام، الذي طوّرته شركة صيدلانية ألمانية كبيرة، يُضخ فوقهم، ثم «يعالج» أسرى آخرون جثث الضحايا، الذين ازرقّت وجوههم بسبب الاختناق، فتُقلع الأسنان الذهبية، ويُقص الشعر لحشو





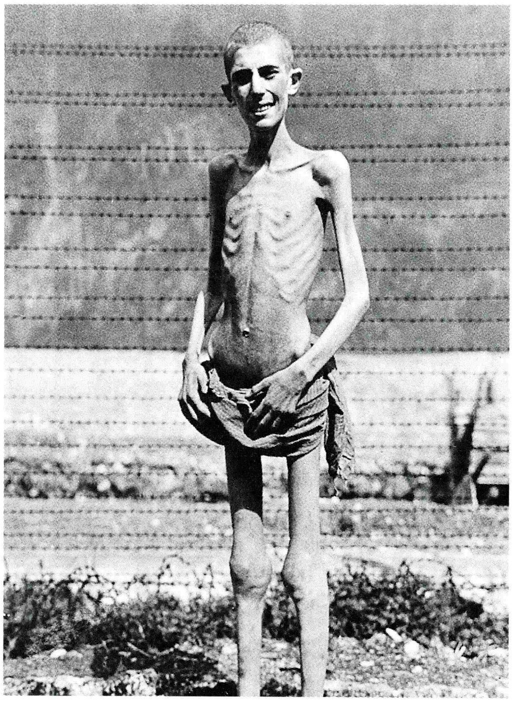
موتى ومحتضرون.



الفُرش، وتُرسل الثياب إلى ألمانيا لتوزيعها هناك. كانت العظام تُطحن لتصبح سماداً في حين يُستخدم الدهن البشري في صناعة الصابون.

كانت حقيقة المحرقة معروفة جزئياً للحلفاء، وفي كانون الأول 1942 أدان بيان مشترك لكل من بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفييتي، واللجنة الوطنية الفرنسية بقيادة الجنرال ديغول «سياسة الإبادة الوحشية بدم بارد». أُلقيت نشرات توضّح الفظائع على برلين في 1943.

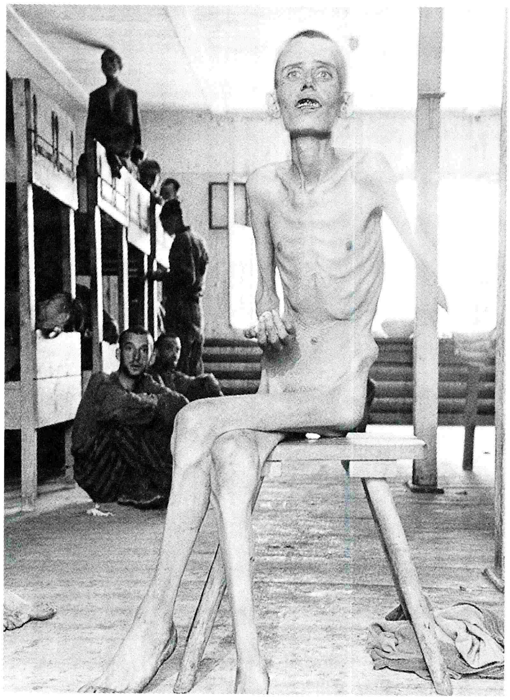
عندما بدأت كفّة الحرب تميل ضدهم، بدأ النازيون يقلقون بشأن العقاب من الحلفاء. قال هتلر غاضباً في بداية 1942، حين زار معسكر اعتقال: «يجب تسريع العملية كلها، تسريعها كثيراً». لكن بحلول الصيف الآتي، انتابت هيملر شكوك كافية بشأن المستقبل فأمر بتدمير ممنهج لأدلة الجريمة الجماعية. أُرغم عمّال سلافيون على زيارة مواقع الإعدام مجدداً، ونبش الجثث وحرقها بعد نزع أسنانها الذهبية أولاً.



ناجٍ – لكن إلى متى؟

كان رد الفعل اليهودي على هذا الجحيم الارتباك في البداية، حتى عندما كانوا يُنقلون، ورفض كثيرون التصديق أنهم يواجهون أي مصير أسوأ من العمل الشاق (كانت معسكرات الموت تُموّه غالباً على أنها معسكرات عمل). بدأت الحقيقة الرهيبة تظهر إنما ببطء فقط. كتبت آن فرانك البالغة من العمر 14 ربيعاً في مفكّرتها، حين اختبأت مع والديها وشقيقتها في أمستردام في 1944: «من قد ابتلانا بهذا؟ من جعلنا نحن اليهود مختلفين عن كل الشعوب الأخرى؟ من سمح بأن نعاني بنحو فظيع حتى الآن؟»، وقد توفيت في بلسن العام الآتي.

في صيف 1944، استطاع أربعة سجناء في أوشفيتز الفرار وتهريب تفاصيل عن المعسكر إلى سويسرا المحايدة.

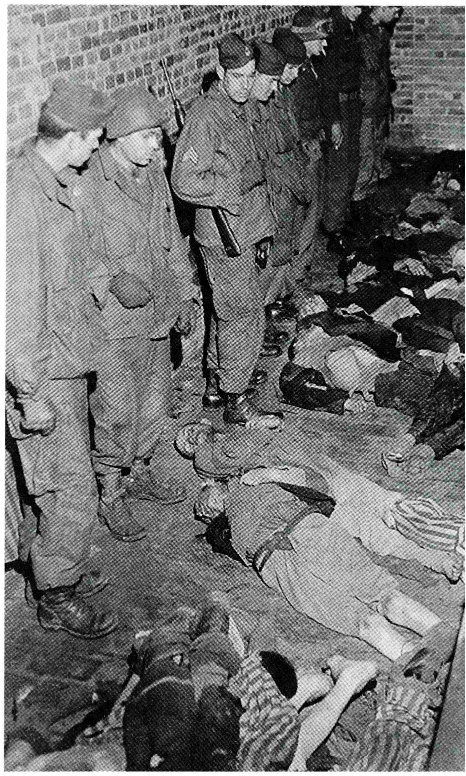


هياكل عظمية حية.

قرأ تشرشل وأنطوني إيدن وزير خارجيته التقارير برعب، لكن طلبهما بقصف خطوط السكك الحديدية رُفض؛ لأنه خطر جداً على سلاح الجو الملكي والقوات الجوية الأمريكية. ألقى الأمريكيون فعلاً منشورات على بودابست تحذّر الهنغاريين من معاقبة أي شخص مسؤول عن اضطهاد اليهود، وبعد يومين أوقف الأميرال هورثي عمليات الترحيل. لكن بحلول ذلك الوقت، كان 437,000 يهودي هنغاري قد أُرسلوا شمالاً.

عندما دخل الأمريكيون بوخنفالد في 11 نيسان 1945، وجدوا أن الحراس قد هربوا، وعثروا على آلاف الناجين الذين يتضوّرون جوعاً. بعد أربعة أيام، دخل البريطانيون بلسن، ووجدوا 35,000 جثة تشبه العصي و30,000 ناج هزيل، وفي الأسابيع الآتية توفي 300 يومياً من الجوع والحمى التيفيَّة. في 28 نيسان، وصل الأمريكيون إلى داخاو، وقُتل كل الحراس النازيين الـ500 بعدئذ بوقت قصير، إما بيد سجناء أو جنود أمريكيون غضبوا حين وجدوا 50 عربة قطار مملوءة جثثاً بجانب المحرقة.

يكوّن مصير ستة ملايين يهودي أوروبي، إضافة إلى مئات



جنود أمريكيون يواجهون الحقيقة.



بالكاد يحيون في أنقاض المعسكرات.



ألمان محليون يُرغمون على رؤية المقابر الجماعية.



إخراج جثث من حفر كلسية

آلاف الغجر، ومثليين ومنشقين سياسيين، إحدى أفظع قصص الرعب في التاريخ. لكن المحرقة لم تكن لتحدث من دون اشتراك فاعل من الشرطة وإداريين ومدنيين في عدد من الدول المُحتَلة. فشل البابا أيضاً في التدخل، خوفاً من عمليات انتقام ضد الكاثوليك الرومان.

ظهر بعض الأبطال الألمان، مثل أنطوان شيد وأوسكار شندلر، ولم يشارك كل شخص في الرايخ في مصير اليهود بالتزام الصمت. كتب غوبلز في مفكّرته في 1943: «كانت هناك بعض المشاهد المؤسفة في منزل يهود طاعنين في السن، حين اجتمع عدد كبير من الناس واصطف حتى بعضهم مع اليهود». فعلاً، جرت أفعال تمرّد كبيرة نيابة عن اليهود، فقد نظّم سكان أمستردام إضراباً عاماً لدعمهم في بداية 1941. بعد ضغط من رجال دين وسياسيين فنلنديين في بداية 1943، رفض مجلس الوزراء الفنلندي – برغم أن قواته كانت تقاتل مع الألمان في روسيا – أي عمليات ترحيل أخرى. في أيلول 1943، هرّب صيادون كل السكان اليهود تقريباً في الدانمرك عبر الماء إلى السويد (كان أحدهم عالم الذرة نيلس بور، الذي سيلعب لاحقاً دوراً رائداً في تطوير القنبلة النووية). كانت الأميرة أندرو؛ والدة الأمير فيليب، بين كثيرين خبؤوا يهوداً في بيوتهم في اليونان.





أسرى يحتفلون بعد التحرير.

الأطلسي

نهضة الإمبراطورية اليابانية وسقوطها



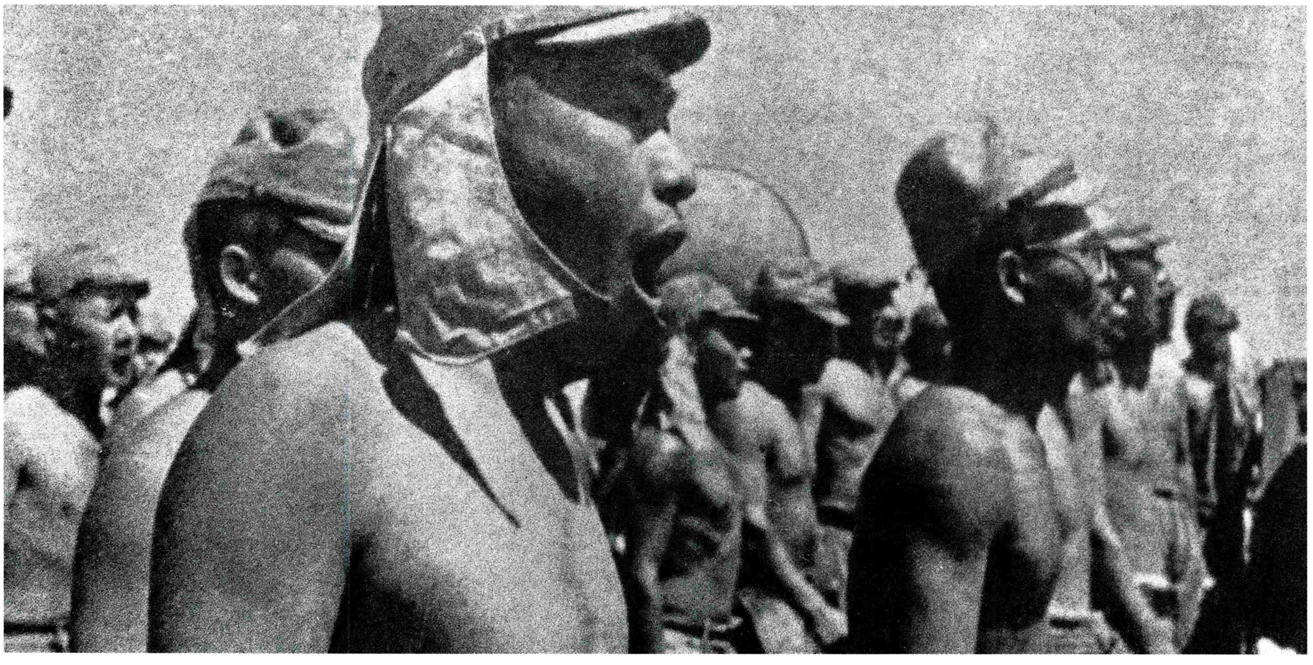


التوسّعية اليابانية

الحرب في الصين

يعرف اليابانيون الآن حقبة السياسة العسكرية والحرب التي انتهت بهزيمتهم في 1945 بأنها كوراي تانيما، أو «الوادي المظلم». لكن جذور حرب الهادئ بُذرت في وادٍ مظلم اشترك فيه معظم العالم. في 29 تشرين الأول 1929، انهارت قيمة الأسهم في ول ستريت في نيويورك، وبدأ تهور اقتصادي دام سنتين ونصفاً ستكون له عواقب عالمية ويصبح معروفاً باسم «الكساد الكبير».

في 1932، بمواجهة أسوأ انهيار اقتصادي في التاريخ، أعلن البريطانيون فرض مجموعة رسوم جمركية حمائية وشملوا مستعمراتهم بذلك، وفي العام الآتي، خفض فرانكلين روزفلت؛ الرئيس المنتخب حديثاً، قيمة الدولار وبدأ إجراءات لإنعاش الاقتصاد، غير آبه بشأن تأثير ذلك على دول أخرى. عانت بلدان لا تمتلك موارد طبيعية ومواد خام، مثل اليابان، وضعاً مريراً.



جنود يابانيون يتدرّبون.



اليابان، الثلاثينيات: الحياة العسكرية بدأت في عمر باكرة.

كانت اليابان تحدّث نفسها بسرعة كبيرة. في 180 عاماً منذ دخول أسطول أمريكي بقيادة العميد بيري ميناء طوكيو، جالباً عروضاً من تجارة العالم، حوّلت اليابان نفسها إلى قوة تجارية رئيسة، وقوة عسكرية مهيبة بعد الانتصار على الأسطول الروسي في معركة تسوشيما في 1905.

في الوقت نفسه، لاحظ قادة يابانيون رياء الإمبراطوريات البريطانية والفرنسية والهولندية القديمة في الشرق بسخط متزايد، وبدؤوا يحلمون بمستعمرات أجنبية خاصة بهم. حثَّ رئيس الوزراء غيتشي تاناكا – قائد مسؤول عن اضطهاد آلاف الليبراليين – في 1927: «تحت غطاء التجارة والسلع، تغلغلوا في باقي الصين. بعد أن نضع كل موارد الصين تحت تصرفنا، سنبدأ غزو الهند، وآسيا الصغرى، وآسيا الوسطى، حتى أوروبا». ربما كان البيان زائفاً، لكن قسماً كبيراً من النخبة الحاكمة آنذاك في اليابان شاطره الرأي.



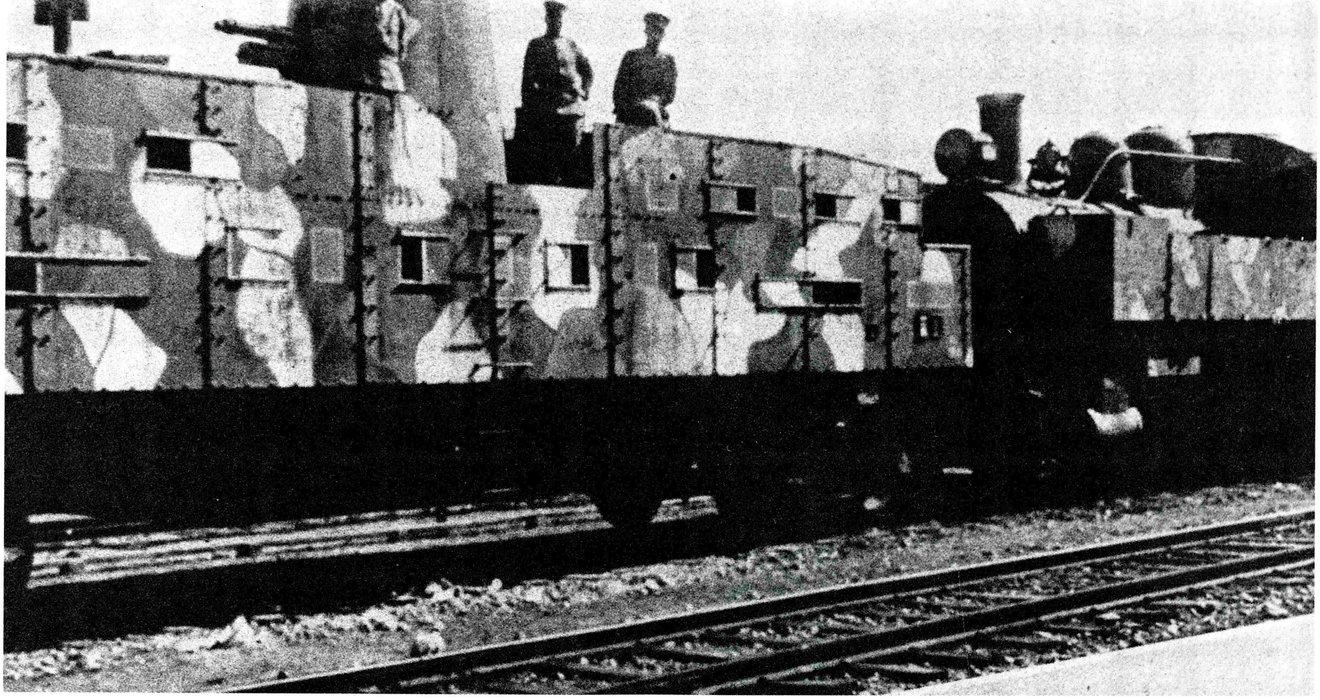
مناورات تحت راية الشمس المشرقة.

لكن بخلاف ألمانيا وإيطاليا، لم يحدث استيلاء مفاجئ على السلطة من قبل مستبدٍّ: تحوّلت اليابان ببطء نحو الاستبدادية. عموماً لم يكن الإمبراطور مشغولاً باتخاذ القرارات اليومية وسمح هذا الفراغ في السلطة لقادة الجيش بزيادة نفوذهم تدريجياً.



كانت النساء تُجنّدن أيضاً في القوات المسلحة.

في أيلول 1931، أمر بعض الضباط اليابانيين المسؤولين عن حماية السكك الحديدية في جنوب منشوريا بشن هجوم على الحامية الصينية في موكدن. بدأ اليابانيون يسيطرون في الشهور القليلة الآتية على كل منشوريا، التي حوّلوها إلى دولة مانشوكو الصورية. عندما هاجمت حشود صينية غاضبة أشخاصاً يابانيين في شنغهاي، قُصفت المدينة من الجو ستة أسابيع، فاحتجت عُصبة الأمم، إنما من دون جدوى.



قطار ياباني مصفّح في منشوريا.

لم تعاقب طوكيو إطلاقاً الضباط المسؤولين عن حادثة موكدن الأصلية، وعُدَّ ذلك موافقة ضمنية من الجيش. عندما أطلق شيوعيون بقيادة ماو تسي تونغ حرب عصابات ضدهم، اندفعوا جنوباً في الصين – ومجدداً لم يكن هناك انتقاد من طوكيو. في العام الآتي، جرى غزو كامل للصين: تضمّنت الأساليب المستخدمة في ذلك قصفاً بقنابل حارقة وعمليات اغتصاب وتعذيب واسعة النطاق.

كان القائد العام الصيني؛ شيانج كاي شيك، قد خاض معركة طويلة ومجهدة لتوحيد الصين والتخلص من القادة الإقطاعيين فيها. توافرت لديه قوات يبلغ تعداد أفرادها مليوني شخص إلا أنهم ينتشرون في بلد شاسع، ولم تكن لديهم أسلحة ثقيلة، وتحت تصرّفهم 300 طائرة حربية فقط. أخطأ شيانج، المشغول بحربه الأهلية ضد الشيوعيين، تقدير نوايا اليابانيين، فأمر بضبط النفس وعدم المقاومة، وعدَّ أن الحرب الوشيكة مع ماو تأتي في المقام الأول.

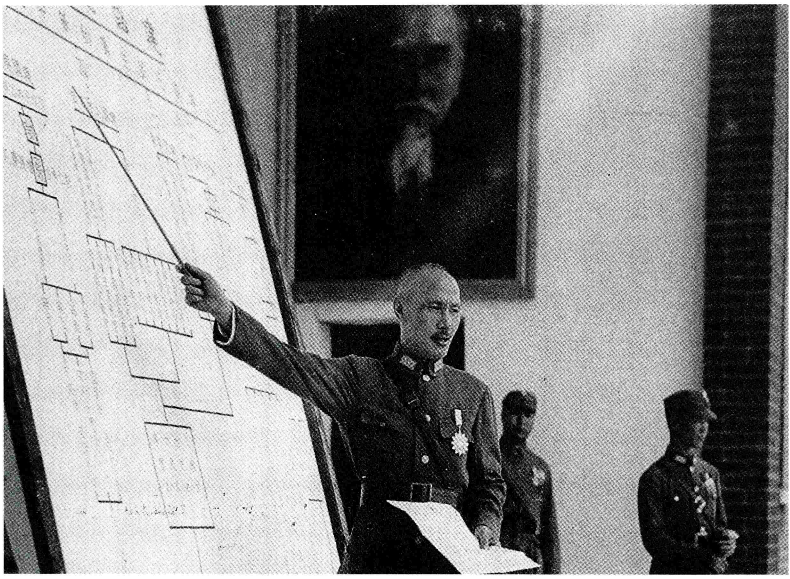


الإمبراطور هيروهيتو في عرض عسكري.

ترنّحت اليابان، في تلك المدة، على حافة فاشية قومية، وكان انتقاد العمليات في الصين عملاً خطراً: من 1912 إلى 1941، اغتيل ستة رؤساء وزراء يابانيين لتجاوزهم الخط الأحمر.



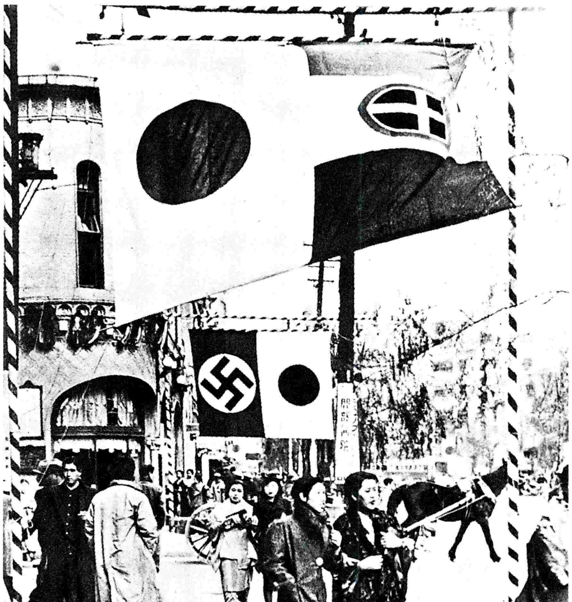
ماو تسي تونغ في منتصف الثلاثينيات.



شيانج كاي شيك يحاضر ضباطه.

مع محاولة الحكومة فرض نوع من السيطرة، أملت كين بي تاي؛ «شرطة التفكير»، حكماً أكثر قمعاً على حياة الناس العاديين، وراقبت كل ما تعدّه «غير ياباني» – عنى ذلك بازدياد أي شيء معتدل.

ثم في شباط 1936، هاجم ضباط في فرقة المشاة الأولى فجأة بعض الأشخاص الليبراليين الأكثر تأثيراً في المجتمع الياباني وقتلوهم، واستولوا على مقر رئيس الوزراء ووزارة الحرب. عندما أعلن الإمبراطور هيروهيتو أنه لا يوافق على ذلك، فشلت المحاولة الانقلابية، وأُعدم قادتها رمياً بالرصاص، إنما تواصلت النزعة نحو العسكرة.

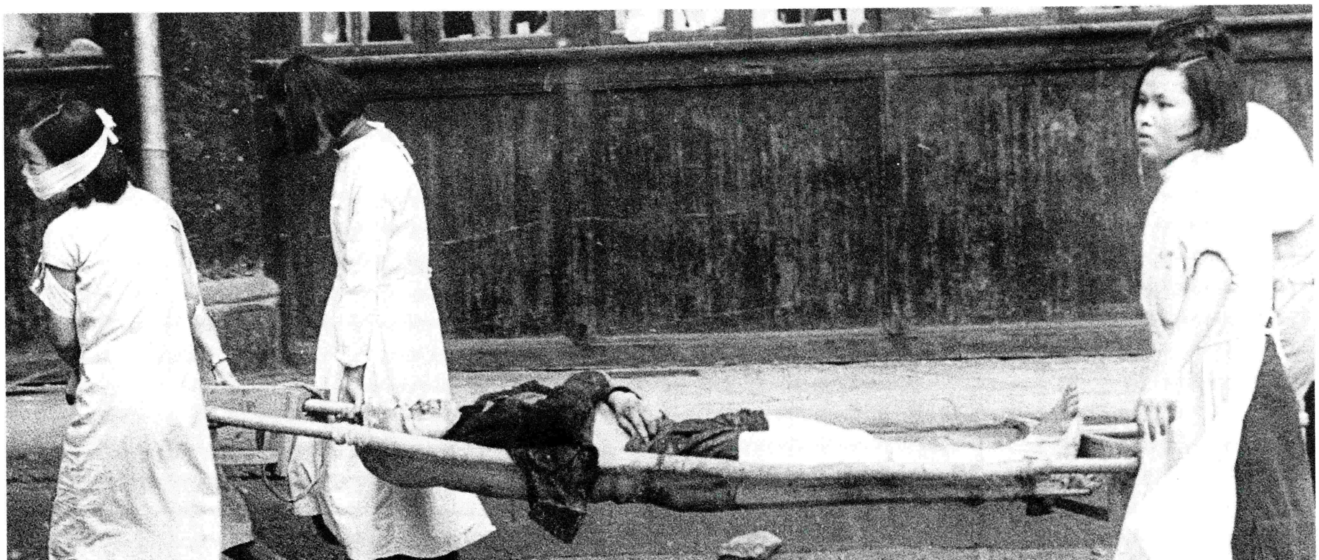


طوكيو تحتفل بالإتفاق النازي.

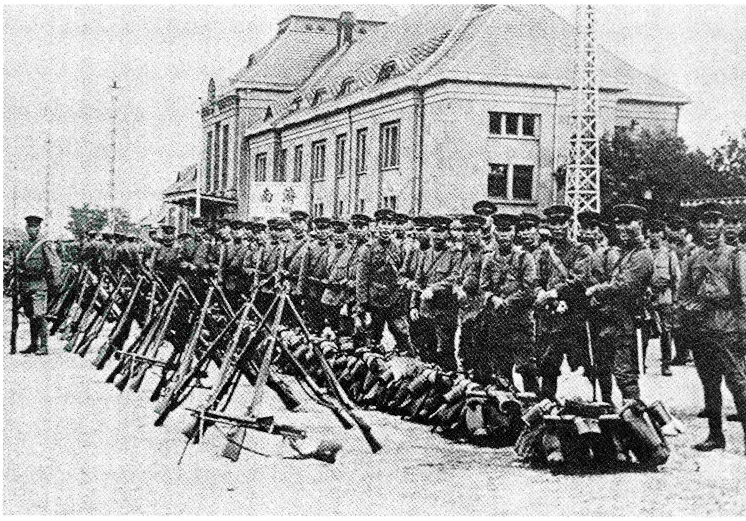
لاحقاً ذلك العام، وُقّع اتفاق الحلف المضاد للشيوعية، وضم ألمانيا واليابان أول مرة. وقّع موسوليني الاتفاق في العام الآتي، وبرغم أن ذلك لم يعنِ الكثير بالمعايير العملية، إلا أن الدعم المعنوي (أو اللاّ أخلاقي) من الفاشيين الأوروبيين شجّع الجيش الياباني على المضي قدماً في الصين. في تموز 1937، أرغم اليابانيون شيانج وماو على إقامة تحالف هش



«لجعلهم عِبرة»: جنود يابانيون يطعنون بالحراب أسرى حرب صينين.



مسعفون صينيون يحملون نقّالات بعد غارة يابانية.

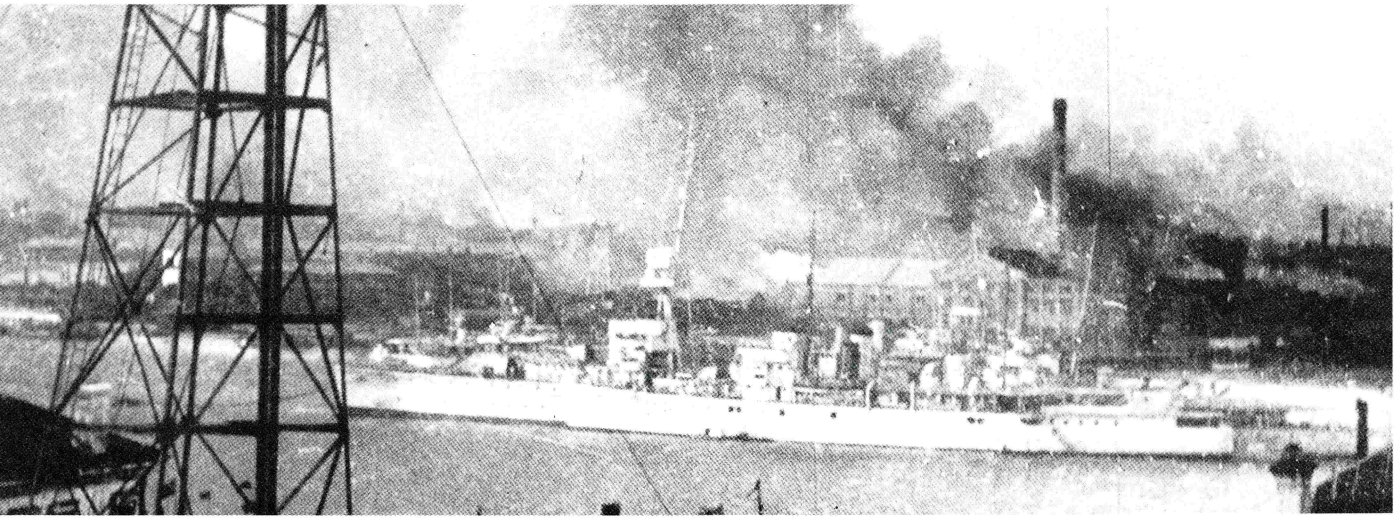


جنود يابانيون يصلون إلى جينان.



تشونغ تشينغ بعد قصف ياباني.



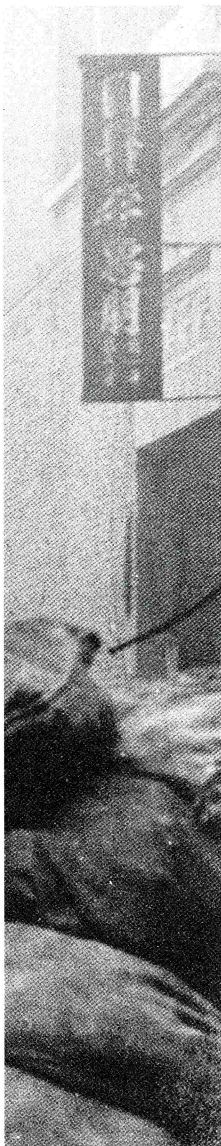


أعلى: آب 1937 – غارات جوية على شنغهاي. أسفل: جنود بحرية يابانيون في شوارع شنغهاي.





قتال شوارع في شنغهاي.





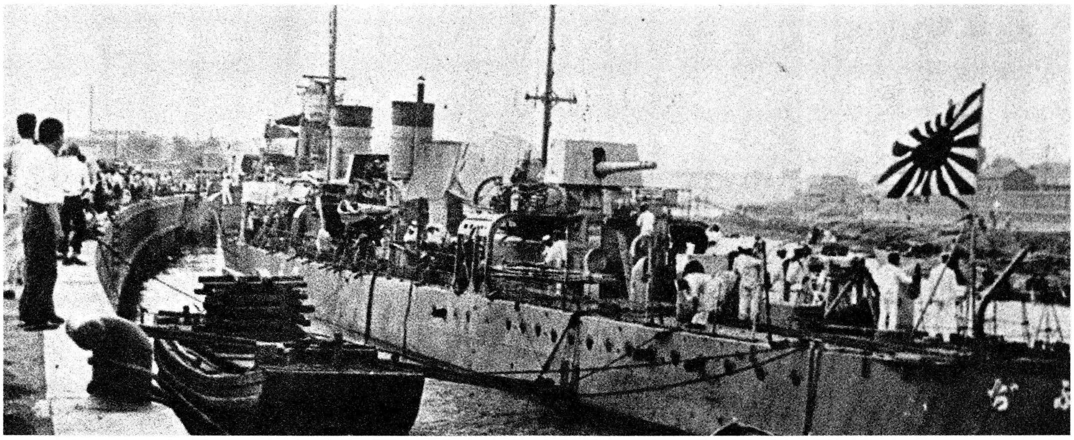
جنود يابانيون يندفعون فوق أنقاض شنغهاي.



عربة مصفّحة يابانية.



جنود يابانيون يمشون فوق حطام سكة حديد تيانجين–بيوكو.



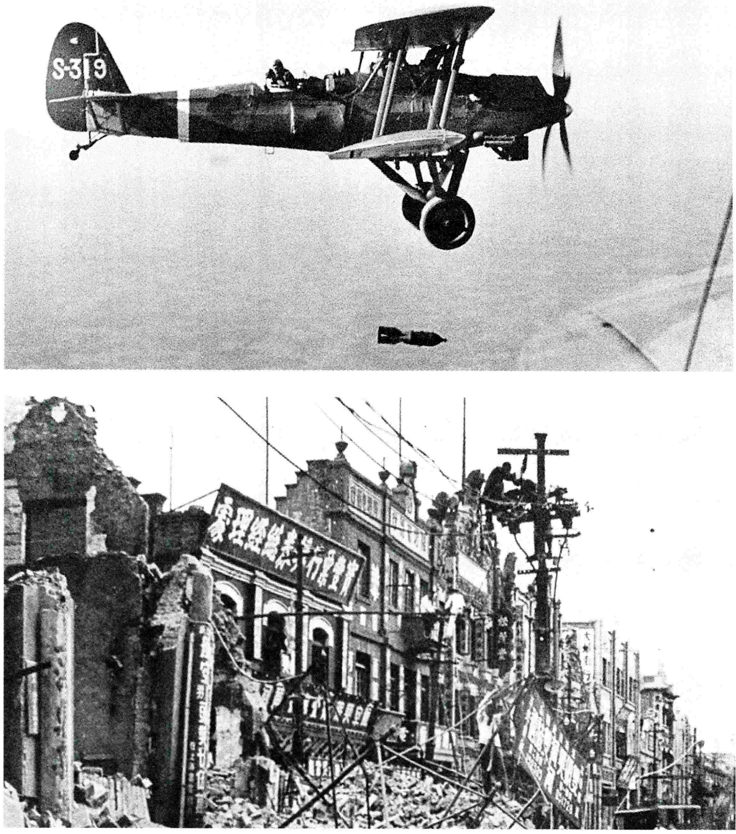
المدمّرة اليابانية تسوتا على نهر هاي–هو.

ومؤقت بينهما. احتل اليابانيون بسرعة مدينتي بكين وتيانجين، وفي آب نزل جنودهم خارج ميناء شنغهاي الحيوي، وفي الهجوم الذي أعقب ذلك، أُغرق الزورق الحربي الأمريكي باناي وجُرح السفير البريطاني. في محاولة لتقسيم البلد نصفين، اندفع اليابانيون حتى وصلوا إلى نهر يانغتسي، وفي 13 كانون الأول احتلوا نانجنغ؛ عاصمة شيانج، وارتكبوا فيها مذبحة كبيرة.

في شمالي الصين، أوقف هجوم مضاد غير متوقع شنّه شيانج على تايرزوانغ تقدم اليابانيين من منشوريا، ولقي فيه 20,000 منهم حتفه، وكانت أول هزيمة عسكرية كبيرة في تاريخ اليابان

الحديث. استمر التقدّم، على كل حال، وأُرغم قادة صينيون على تحطيم السدود على النهر الأصفر قرب تشينغ تشو، وغمر الإقليم كله وإغراق عشرات الآلاف، ما جعل التقدّم الياباني بطيئاً في بحر من الطين.

أخيراً، استولى اليابانيون على المدينتين المهمتين إستراتيجياً سوجو في الشمال وهانتشو في الجنوب – ضغطوا بفاعلية على الصينيين في كمّاشة ضخمة. في تشرين الأول 1938، احتلوا كانتون، التي أصبحت بديلة شنغهاي على أنها أهم منفذ تجاري للصين. وبحلول نهاية العام، استولى اليابانيون على كل الساحل الصيني، في حين انسحب شيانج إلى حدود التيبت.



قاذفة يابانية وتأثيرها.

كانت معاناة المدنيين مروّعة في أثناء تلك المرحلة الأولى من الحرب الصينية–اليابانية، وبرغم أن أرقام الإصابات غير دقيقة، إلا أن بعضهم يزعم أن عدد القتلى الصينيين بلغ 800,000، وأن ما يصل إلى 50 مليوناً (10٪ تقريباً من العدد الإجمالي للسكان) قد نزحوا من بيوتهم.

أُصيبت جماهير الأفلام الإخبارية القصيرة حول العالم بالرعب من صور المذبحة والوحشية. لم يستطع دبلوماسيون دوليون التوصل إلى أي تسوية لإيقاف النزاع: بدا أن العائق الأساس هو عدم إعلان اليابان الحرب. من ثم، لم يرغب الغرب ببساطة التورّط بفاعلية في النزاع.

غيّر الجيشان الصيني والياباني آنذاك إستراتيجيتهما: لجأ الأول إلى حرب عصابات واستنزاف، مدمراً خطوط إمداد اليابانيين حيث استطاع ذلك، في حين اعتمد الثاني سياسة الخنق البطيء – حصار موانئ وإغلاق طرق برية إلى الصين.

في صيف 1938، شنَّ اليابانيون أيضاً هجومين ضد الروس في منشوريا: صُدَّ كلاهما مع تكبّدهم خسائر كبيرة. أدرك إستراتيجيو الجيش الياباني أنه إذا كانت راية الشمس المشرقة ستُرفع في أي مكان آخر، فسيحدث ذلك إلى الشرق من بلادهم – المحيط الهادئ.

مقابل: لاجئون صينيون فارّون من القصف.

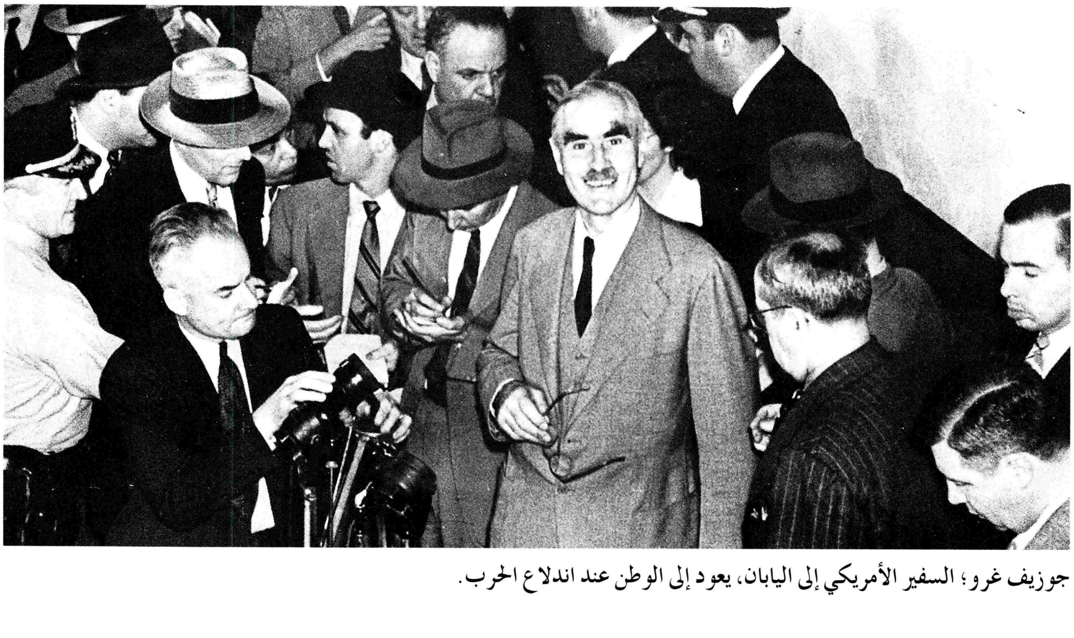


الحظر النفطي

الولايات المتحدة تعاقب العدوان الياباني

إذا كانت الحرب في أوروبا اشتعلت لأن سياسيين ضعيفي الإرادة أرادوا استرضاء عسكريين، فقد بدأت الحرب في الهادئ تحديداً؛ لأن أمريكا عقدت العزم على معاقبة العدوان الياباني. في آب 1941 فرضت الولايات المتحدة حظراً نفطياً على اليابان وجمّدت أصولها. كانت اليابان تعتمد تماماً تقريباً على مستوردات نفطية، وقد عدَّ شعبها، الذي غسلت دعاية عسكرية وعرقية دماغه، الحصار الأمريكي بمنزلة إعلان حرب.

قبل 1941 بوقت طويل، على كل حال، صدر عن اليابان إشارات واضحة عن نواياها في التوسّع نحو حقول النفط في الهند الشرقية الهولندية. عندما بدأت الحرب في أوروبا، أبقت الخيارات المتنوّعة إستراتيجيي اليابان العسكريين يتجادلون في مجالس الدولة. بدت المخاطر عالية لأولئك الذين نصحوا بتوخّي الحذر؛ بسبب الجو الهستيري في ذلك الوقت: إذا رجحت حجّتهم فسيواجهون الاغتيال، وإذا خسروا النقاش فستخوض بلادهم حرباً ضد إحدى أقوى الأمم على الأرض. قال السفير الأمريكي جوزيف غرو: «اليابان في حالة اضطراب سياسي يتميّز بحدّة غير معتادة».



جوزيف غرو؛ السفير الأمريكي إلى اليابان، يعود إلى الوطن عند اندلاع الحرب.



ماتسوكا؛ وزير الخارجية الياباني، يلتقي دبلوماسيي المحور في برلين.

لترجيح الكفة لمصلحة الحرب، دعم قادة جيش قوميون في تموز 1940 رئيس وزراء سابق في محاولته العودة إلى منصبه. كان معروفاً أن الأمير فوميمارو كونويه مصاب بوسواس المرض، ويضع بانتظام قناعاً مضاداً للجراثيم في اجتماعات كبيرة، وقد أدرك أن هزيمة فرنسا وهولندا في أوروبا، ومواجهة بريطانيا لغزوٍ محتمل، قد منحت بلاده فرصة فريدة للاستيلاء على ممتلكاتها في الشرق الأقصى.

في 27 تموز 1940، أعلن مؤتمر الارتباط الياباني – أعلى هيئة لرسم السياسة – «نظاماً جديداً» في الإقليم سيُدعى «مجال الازدهار المشترك لشرقي آسيا الكبرى»، وسيضم مالايو، وتايلندا، وبورما، والهند الشرقية الهولندية (المنطقة الغنية بالنفط التي تحظى باهتمام كبير من القادة اليابانيين). أُرسل الأسطول الياباني الرابع إلى غربي الهادئ؛ ليكون مستعداً للتحرّك ضد الهند الشرقية الهولندية، وبدأ إستراتيجيون وضع خطط لغزو مالايو والفلبين.

بحلول آب، كانت حكومة فيشي في فرنسا قد رضخت للضغوط ووافقت على السماح لقوات وطائرات يابانية بالتمركز في شمالي الهند الصينية. عندما اشتدَّ وطيس معركة بريطانيا،



آذار 1941: ماتسوكا مع فون ريبنتروب في برلين.

طالبت حكومة كونويه أيضاً أن يغلق البريطانيون طريق بورما – طريق الإمداد الوحيد إلى شيانج كاي شيك. تطلّع دبلوماسيون بريطانيون إلى دعم من الأمريكيين، لكنه لم يكن وشيكاً، لذا اتفقوا على تسوية يُغلق الطريق بموجبها ثلاثة شهور في أثناء فصل الرياح الموسمية.

ثم في 27 أيلول 1940، وقّع سابورو كوروسو؛ السفير الياباني إلى برلين، الاتفاق الثلاثي مع قوتي المحور الأخريين. كان الهدف تكوين تحالف دفاعي لدرء خطر إعلان أمريكا الحرب: إذا تحرّك روزفلت ضد عضو من المحور، فسيكون عليه مواجهة الجميع. تهلّل يوسوكه ماتسوكا؛ وزير الخارجية الياباني المتشدّد وصديق كونويه المقرّب منه: «لقد انتهت حقبة الديمقراطية».



الجنرال ياماشيتا يلتقي هتلر.

كان ذلك ما تريده الدبلوماسية اليابانية. أثار الاتفاق مع النازيين حنق روزفلت، الحريص على ألا يظن ناخبوه أنه يدعم البريطانيين بشأن طريق بورما، فحظر آنذاك تصدير وقود الطيران، وزيوت المحركات، والحديد الخردة والفولاذ إلى اليابان، وعرض أيضاً على شيانج كاي شيك قرضاً بقيمة 100 مليون دولار. في

تلك الأثناء، رفض الهولنديون تقديم إمدادات ضخمة من النفط طلبها اليابانيون، وفي 18 تشرين الأول أعاد البريطانيون فتح طريق بورما وبدؤوا محادثات دفاعية مع الأستراليين والهولنديين. لقد حصر اليابانيون أنفسهم في زاوية بمطالبهم المستحيلة: كانت مسألة وقت فقط قبل أن توهن تلك العقوبات الاقتصادية قوتهم.

عندما زار ماتسوكا برلين في ربيع 1941، التزم هتلر الصمت بشأن خططه للهجوم على روسيا، إذ لم يكن لدى الفوهرر نية مشاركة الغنائم مع اليابانيين، وشجّعهم بدلاً من ذلك على توجيه قواتهم ضد البريطانيين في سنغافورة. غير مدركٍ التوتر على الجبهة الشرقية، ذهب ماتسوكا إلى دياره عبر موسكو، ووقّع اتفاق حياد مع ستالين بقيَ ساري المفعول حتى الأسبوع الأخير من الحرب.

محادثات إضافية: ماتسوكا مع هتلر وفون ريبنتروب.





منتصف 1941: بعض اليابانيين لا يزالون يأملون في السلام.

برغم الاستعداد للحرب، بقي مكونويه يفضّل الحصول على ما يريده بدبلوماسية ذكية. اقترح لهذا السبب اتفاقاً في أيار 1941 على كورديل هول؛ وزير الخارجية الأمريكي – في الوقت نفسه زاد الضغط على الفرنسيين والهولنديين. بدت هذه المقاربة ناجحة، وفي حزيران 1941 فشلت مزيد من المحادثات مع الهولنديين بشأن مطالب للحصول على موارد إضافية من الهند الشرقية. في 24 تموز، رضخت حكومة فيشي الفرنسية لإنذار ياباني أخير وسمحت لهم باستخدام قواعدها الجوية في جنوبي الهند الصينية.

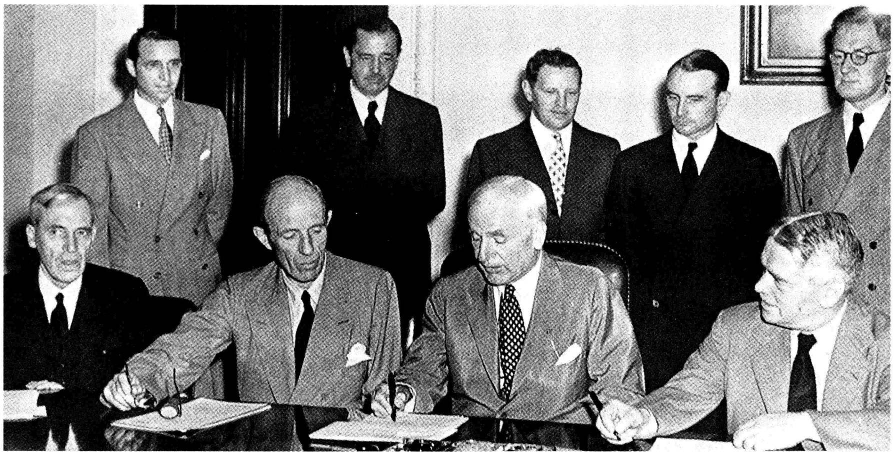
بضربة حظ، استطاع مختصو شفرة أمريكيون في تلك المرحلة تفكيك الشفرة «الأرجوانية» التي تُكتب بها معظم الرسائل الدبلوماسية اليابانية السرية، وكشفت الرسائل أن اليابانيين يستعدّون لحرب شاملة في جنوبي شرقي آسيا. بعد يومين من استسلام الفرنسيين، جمّد روزفلت الأصول اليابانية في الولايات المتحدة وفرض حظراً كاملاً على صادرات النفط، وحذا البريطانيون والهولنديون حذوه. هبطت واردات النفط اليابانية آنذاك بنسبة ٪99، ووفقاً لحسابات مجلس الوزراء الياباني المذعور كان اقتصادهم سينهار إذا لم يُرفع الحظر بحلول ربيع 1942.

في الواقع، كانت هناك ثغرات في الحظر تُركت للتوثّق من عدم دفع اليابانيين إلى موقف ميئوس منه. لكن آنذاك، بدأت الخطط التي وضعها بعناية وزير الخارجية الأمريكي كورديل هول تترنّح. برغم أن اليابانيين كان بمقدورهم المطالبة بالإفراج عن مبالغ محدّدة لشراء النفط، إلا أن دين آتشيسون؛ مساعد هول، رفض كل طلباتهم. الغريب أن الوزير لم يكتشف ذلك إلا في نهاية





الصحافة الأمريكية توّاقة إلى الأنباء.

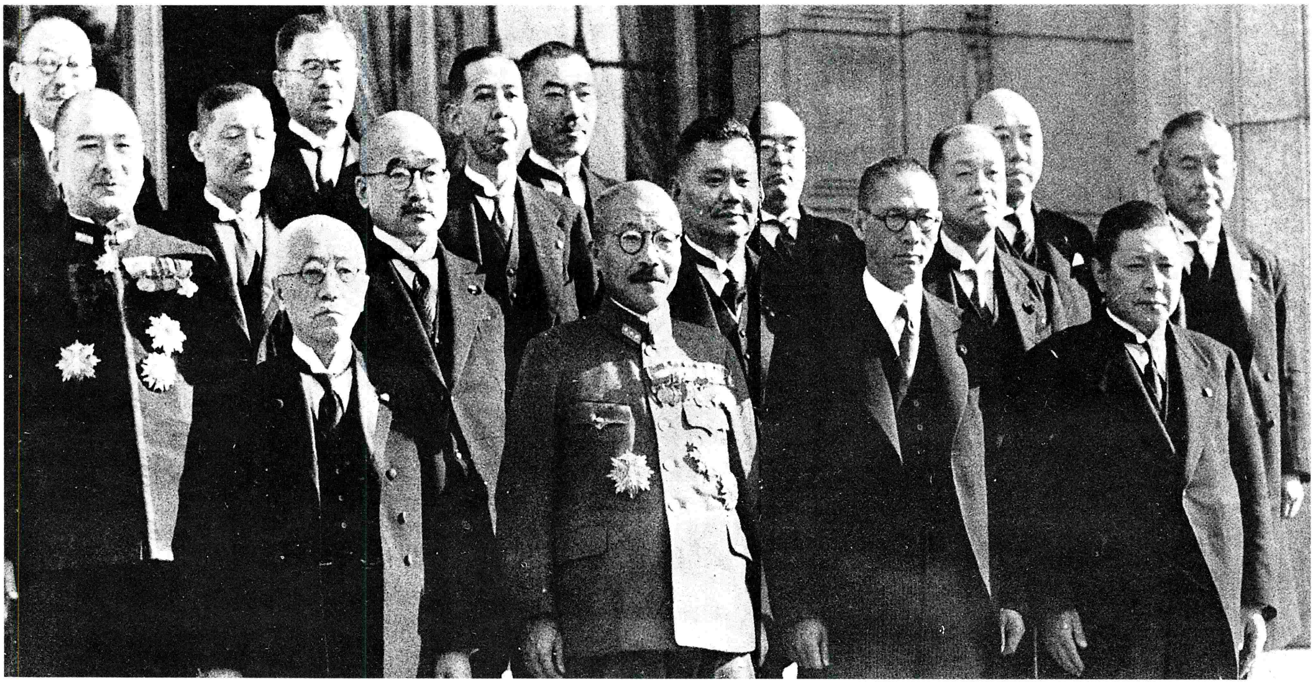


كورديل هول يوقّع أمر الحظر.

أيلول، وبحلول ذلك الوقت كان أي تساهل في القوانين سيبدو دعماً أمريكياً: خضع اليابانيون إلى حظر كامل.

في تلك الأثناء، كانت الانقسامات بين قادة عسكريين يابانيين قد بدأت تتلاشى، وقبلَ الجيش أخيراً رأي البحرية القائل إن غزو الهند الشرقية الهولندية سيكون حاسماً إن أرادت اليابان الحصول على النفط الذي تحتاج إليه. اتفقوا أيضاً أنه بعد الاستيلاء على الهند الشرقية، ستبرز حاجة إلى «حماية» من البريطانيين في سنغافورة والأمريكيين في الفلبين إن أرادوا نقله إلى الوطن بأمان. سيكون ضرورياً أن «تُحيّد» تلك القواعد – بدأ الوقت ينقضي.

طلب كونويه، الذي حاول يائساً آنذاك تفادي الحرب، اجتماعاً شخصياً مع الرئيس الأمريكي، لكن مستشاري روزفلت حذّروه أن كونويه لا يتمتع بسلطة كافية للالتزام بأي اتفاق



جبهة موحدة: صورة لـ توجو وأعضاء وزارة الحرب.

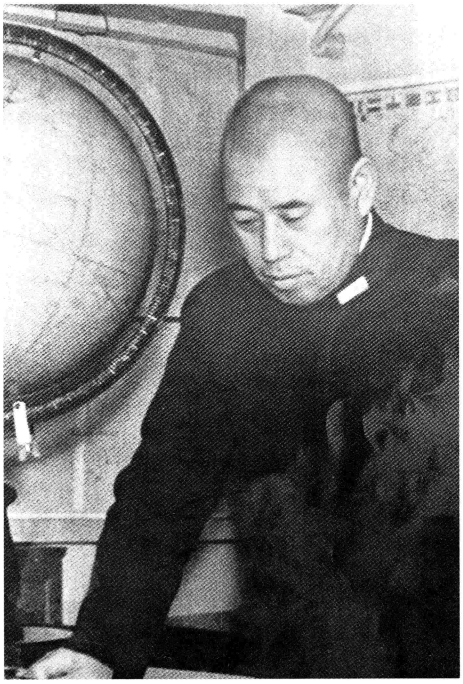
بشأن القوات المسلحة اليابانية، لذا رفض لقاءه. كان الرفض كافياً لعزل كونويه من السلطة، فاستقال في 16 تشرين الأول بناءً على نصيحة جدّية من وزير الحرب القومي هيدكي توجو.

كان توجو، المميز برأسه الحليق ونظارته، أحد السياسيين الذين تمتعوا بشعبية نادرة في اليابان، وأكثرهم تشدّداً أيضاً. عندما أصبح رئيساً للوزراء بدلاً من كونويه، تمنّى دبلوماسيون يابانيون أن تكون تلك إشارة إلى روزفلت بأنهم جادّون بشأن مطالبهم. برغم أن السلام لن يدوم إلا سبعة أسابيع أخرى، إلا أنها تميّزت بتبادل كثيف للرسائل الدبلوماسية.

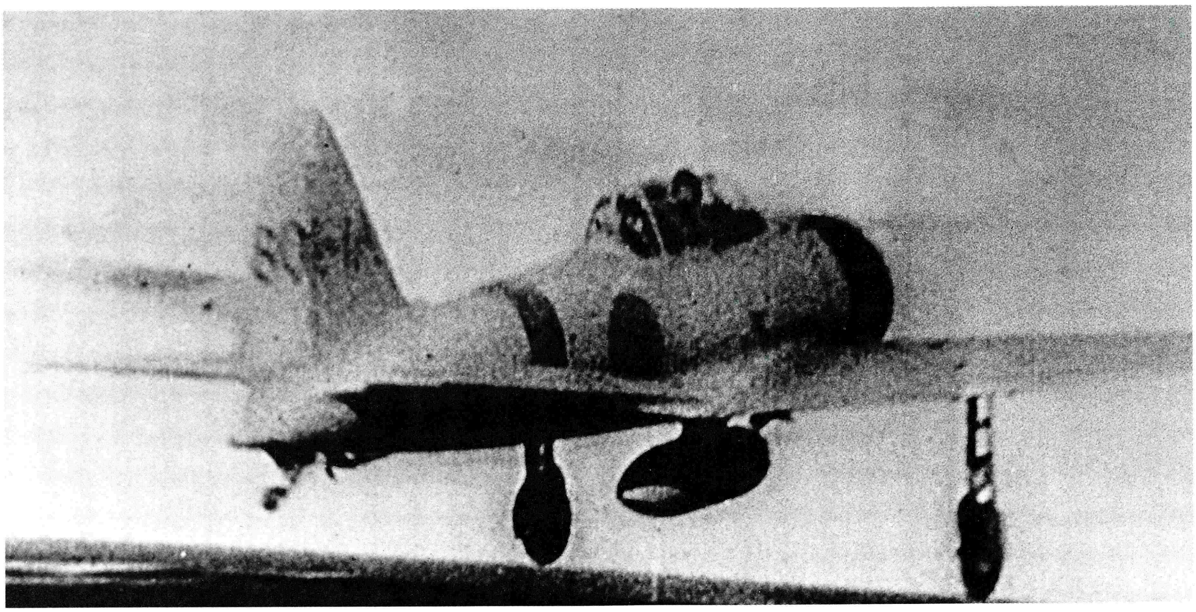
في محاولة أخيرة، عرض دبلوماسيون يابانيون اتفاقاً على الأمريكيين: إذا رفعت أمريكا الحظر على النفط وأوقفت دعمها للصينيين، فستنسحب اليابان من الهند الصينية. في الأيام الأخيرة من تشرين الثاني، قدّم كورديل هول مسودة عرض مضاد واستشار حلفاءه. وافق الهولنديون، إنما كان الأستراليون والبريطانيون أكثر حذراً، خاصة بشأن الاتفاق المقترح للحد من الإمدادات إلى الصينيين. أخبر تشرشل روزفلت أن شيانج سيجد نفسه مع «إمدادات ضئيلة»، فغضب هول وألغى الفكرة برمّتها. بدلاً من ذلك، أبلغ اليابانيين أنهم يجب أن ينسحبوا من الصين والهند الصينية مهما حدث، وأنه سيكون بمقدورهم الاحتفاظ بمنشوريا، لكن بخطأ دبلوماسي غريب آخر، نسي مفاوضون أمريكيون ذكر هذا.

عاد مفاوضون يابانيون إلى ديارهم ساخطين: بدت الحرب آنذاك محتّمة. كانت تقارير بريطانية تؤكد زيادة النشاط البحري الياباني في جنوبي شرقي آسيا، وقد قرّر خبراء عسكريون أن الضربة الأولى ستستهدف على الأرجح الفلبين أو سنغافورة.

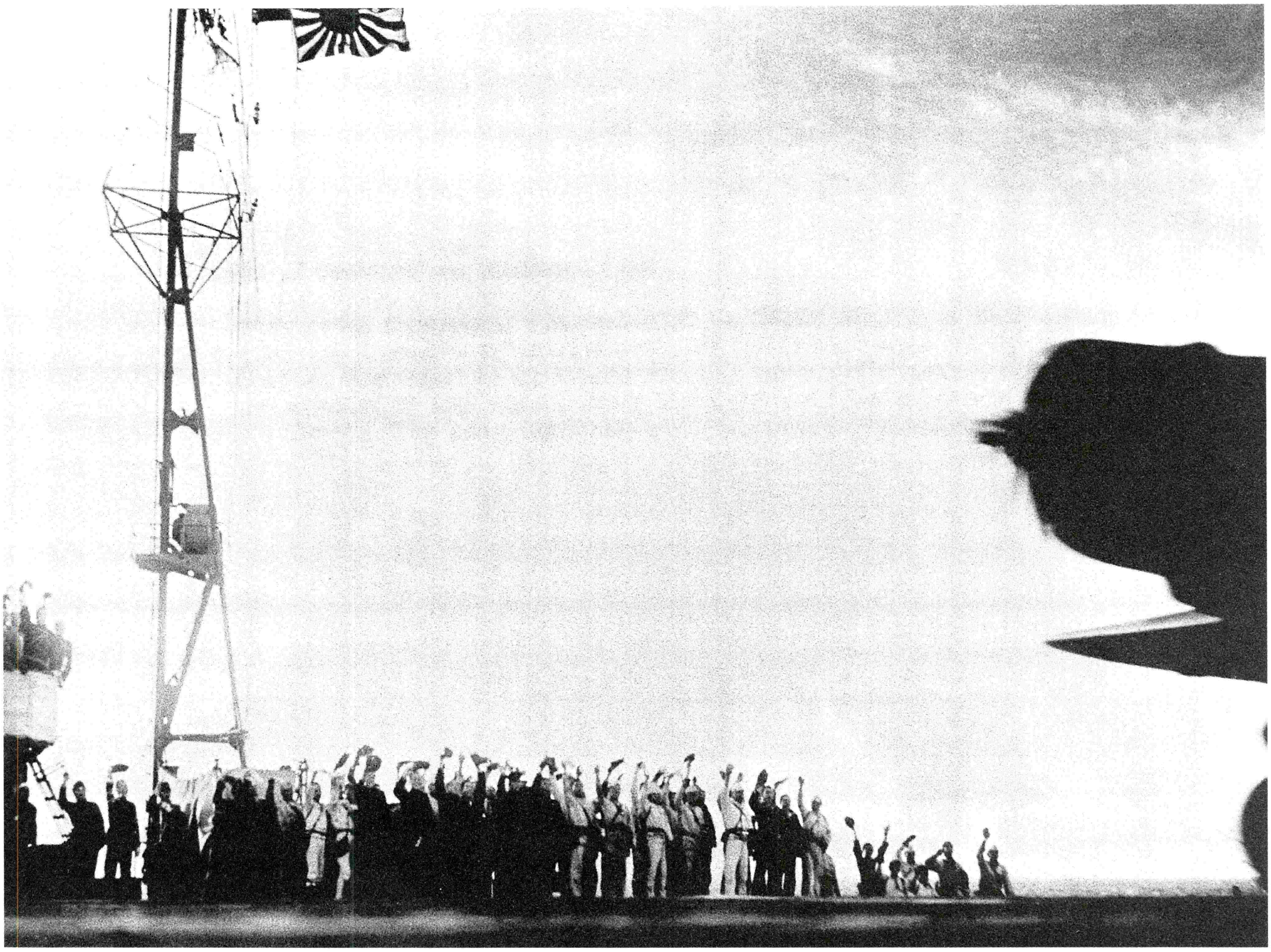
لم يتوقّعوا أن خطة الحرب اليابانية، التي تقضي بالاستيلاء على كامل «مجال الازدهار المشترك» بأسرع ما يمكن، تواجه خطراً رئيساً واحداً فقط: الأسطول الأمريكي الراسي في بيرل هاربر. قدّم الأميرال إيسوروكو ياماموتو الحل، وكان مؤيداً بارزاً أيضاً للقوى الجوية في البحرية اليابانية. مستلهماً الهجوم البريطاني الناجح على الأسطول الإيطالي في تارانتو، خطّط لاستخدام حاملاته وطائراته لتدمير الأسطول الأمريكي في ضربة مفاجئة. في 1 كانون الأول، أقرّ المجلس الإمبراطوري الياباني أن وجود البلاد معرّض للخطر، ووافق أعضاؤه على خطته. في نهاية الاجتماع، عبّر هيروهيتو الصامت عادة عن الرأي المتردّد القائل إن الحرب هي على الأرجح «أقل الشرّين».



ياماموتو: مهندس بيرل هاربر.



زيرو تُقلع لتنفيذ غارة على بيرل هاربر.



فريق حاملة طائرات يابانية يلوّحون متمنين حظاً طيباً لطيّاريهم.

في الواقع، عندما تكلم كان الأسطول الياباني قد أبحر منذ خمسة أيام. استطاع ياماموتو آنذاك أن يبعث رسالة إلى سفنه بالشفرة السرية – «تسلقوا جبل نيتاكا 1208» – تتضمّن أن الهجوم يجب أن يمضي قدماً. في 6 كانون الأول، اعترض مختصو شفرات أمريكيون جزءاً من رسالة شكاوى يابانية طويلة أُرسلت إلى سفارتهم في واشنطن، وطُلب منها تسليم الرسالة كلها عند 1 ظهراً في اليوم الآتي – أحد.

قال روزفلت حين رأى النص: «هذا يعني الحرب». لكنها كانت ليلة سبت، ولم تُنقل الرسالة الجزئية إلى الجيش الأمريكي وأركان البحرية. إضافة إلى هذا، لم يشك أحد في وقوع شيء جريء جداً مثل هجوم على بيرل هاربر. عندما استيقظت واشنطن في الصباح الآتي، كانت أولى قاذفات الطربيد تقلع من حاملات طائرات يابانية في المحيط الهادئ.

الشمس المشرقة



الإنتصارات اليابانية في الهادئ

«يوم شائن»

الهجوم الياباني على بيرل هاربر



بعث ياماموتو برقية إلى الأسطول المهاجم قبل أن يضرب بيرل هاربر: «تعتمد نهضة الإمبراطورية وسقوطها على هذه المعركة». لكن حتى في تلك المرحلة، لم يكن كل شيء يسير وفقاً للمخطط. لقد أُبلغ قائد أسطول الهجوم الأميرال تشويتشي ناغومو أن حاملات الطائرات الأمريكية لم تكن في مراسيها آنذاك، كما أوردت الاستخبارات، إنما في مكان آخر في الهادئ تقوم بمناورة تدريبية، وبرغم هذا، قرّر المضي قدماً بالهجوم. كانت هجمات ستُشنُّ أيضاً على قواعد أمريكية في جزر غوام، وويك، وميدواي في الهادئ، وعلى المعقلين البريطانيين القويين في سنغافورة وهونغ كونغ.



إحماء على رصيف إقلاع كيريو قبل الهجوم.



صورة جوية لـ بيرل هاربر قبل الهجوم الياباني.

بعد بزوغ فجر 7 كانون الأول 1941، أقلعت 423 طائرة يابانية من سطح ست حاملات طائرات من الأسطول الياباني. بحلول 7,55 صباحاً، أصبحت فوق بيرل هاربر، حيث يرسو أسطول المحيط الهادئ، وفيه ثماني بوارج أمريكية غير محمية بشبكات طربيد، مصطفة بأناقة جنباً إلى جنب – الإجراء المعتاد في وقت السلم. حمل كل طيار ياباني معه صور بطاقات بريدية رخيصة للقاعدة، مقسّمة إلى مربّعات لتحديد منطقة أهدافه.

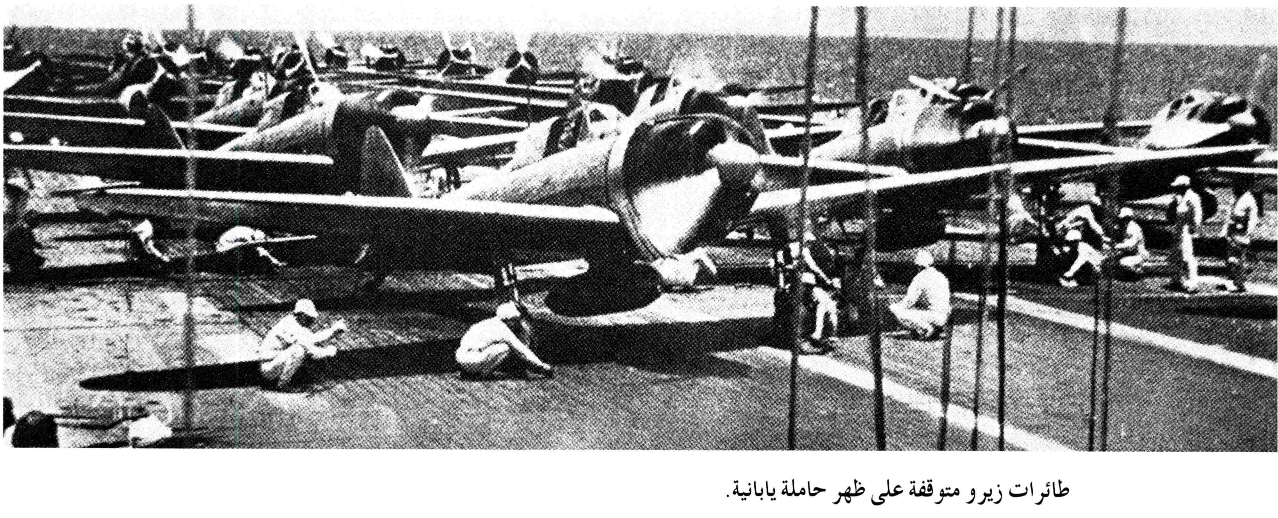


قاذفة طربيد يابانية فوق بيرل هاربر.

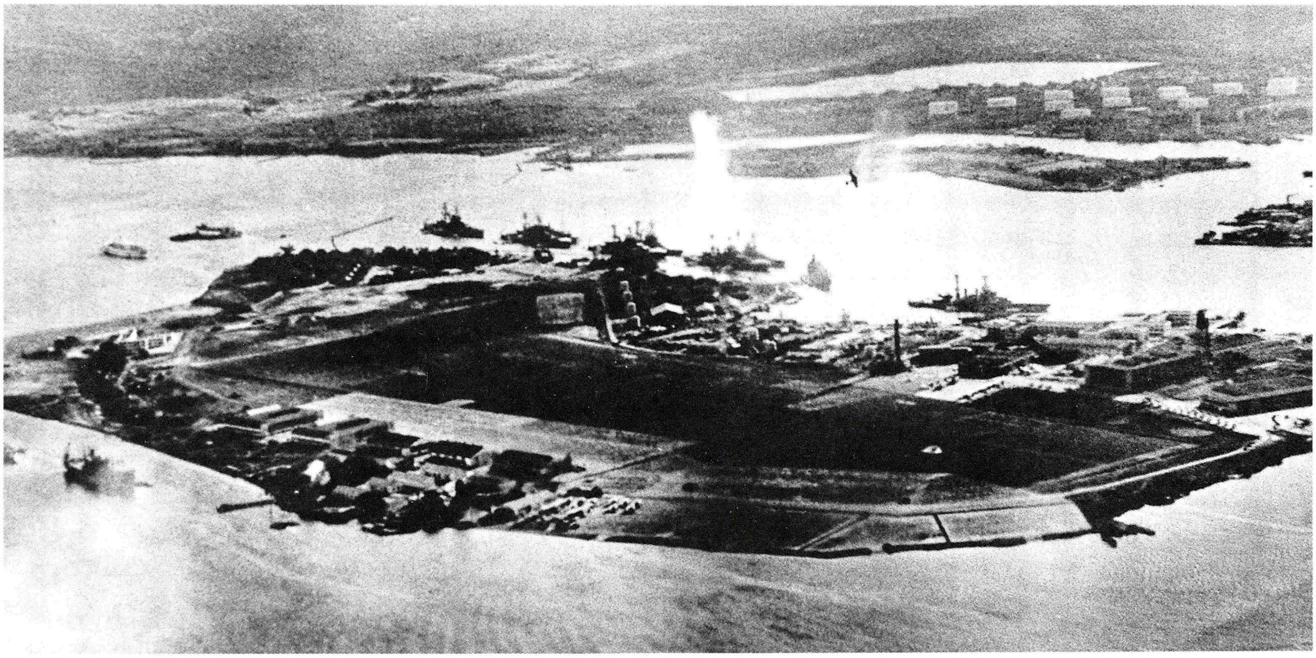


ناغومو: قائد الهجوم.

لم يكن الأمريكيون على أهبّة الاستعداد: كان رادار بيرل هاربر خارج الخدمة بسبب ذهاب الجنود إلى الكنيسة، ومخازن الذخيرة المضادة للطائرات موصدة. جرى الهجوم على دفعتين، وأحدثت القاذفات وطائرات الطربيد دماراً كبيراً في أهدافها الثابتة. بعد ساعتين، استقرت أربع بوارج أمريكية في قاع الميناء، وأُصيبت أربع أخريات بأضرار جسيمة، ودُمّرت 188 طائرة أمريكية أو أصبحت خارج الخدمة على الأرض، وقد قُتل أكثر من 3500 جندي أمريكي أو جرحوا. ظهرت سحابة من دخان زيتي معلقة فوق القاعدة يمكن رؤيتها من بعد أميال في البحر.



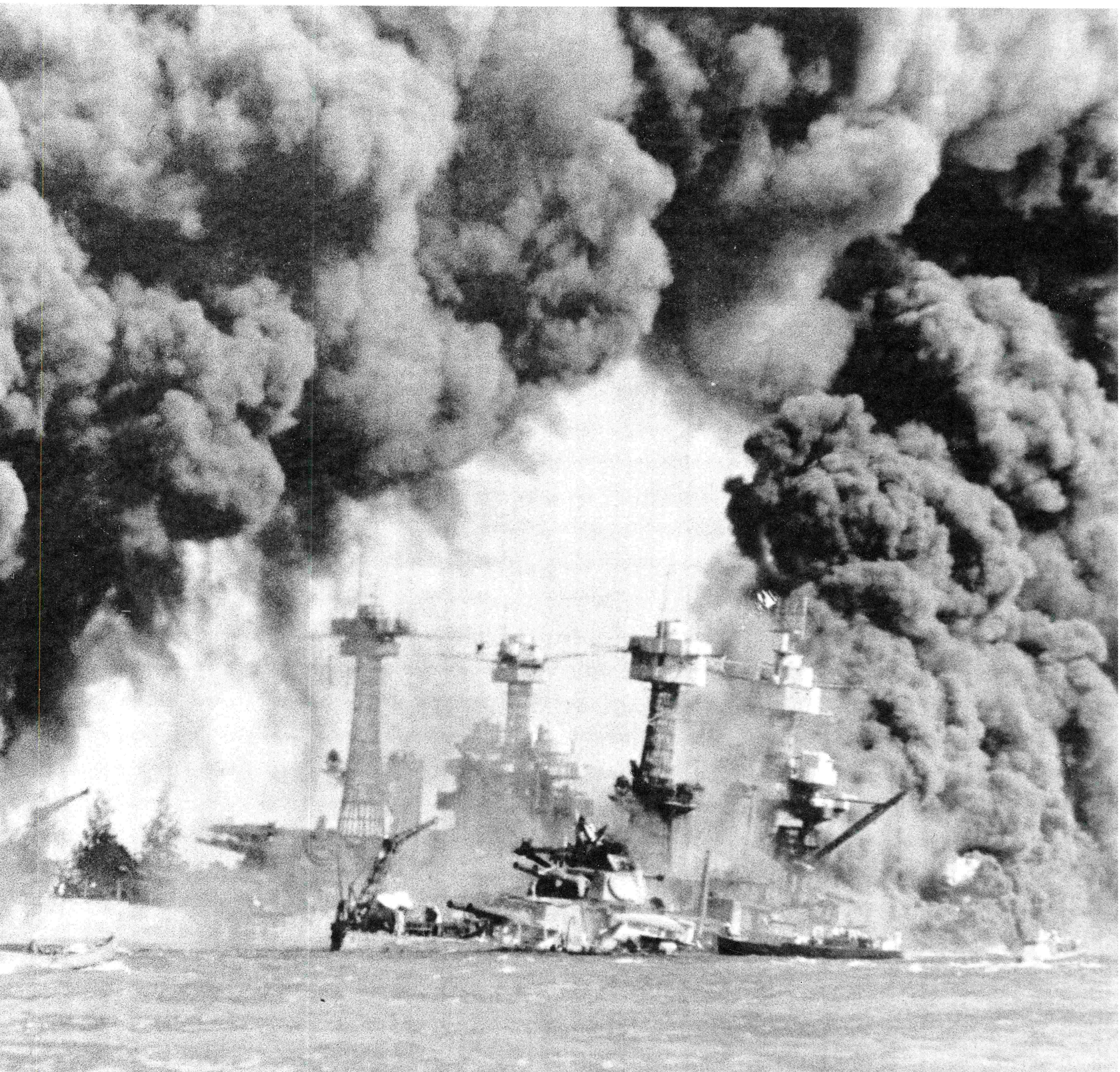
طائرات زيرو متوقفة على ظهر حاملة يابانية.



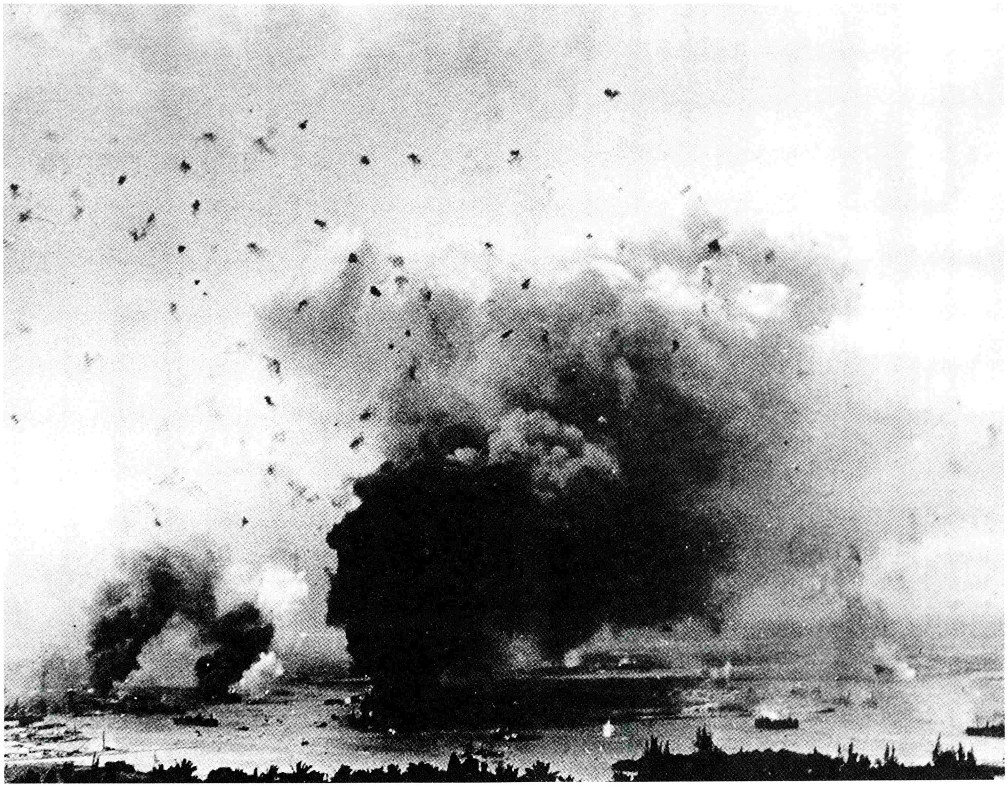
في أثناء الهجوم.



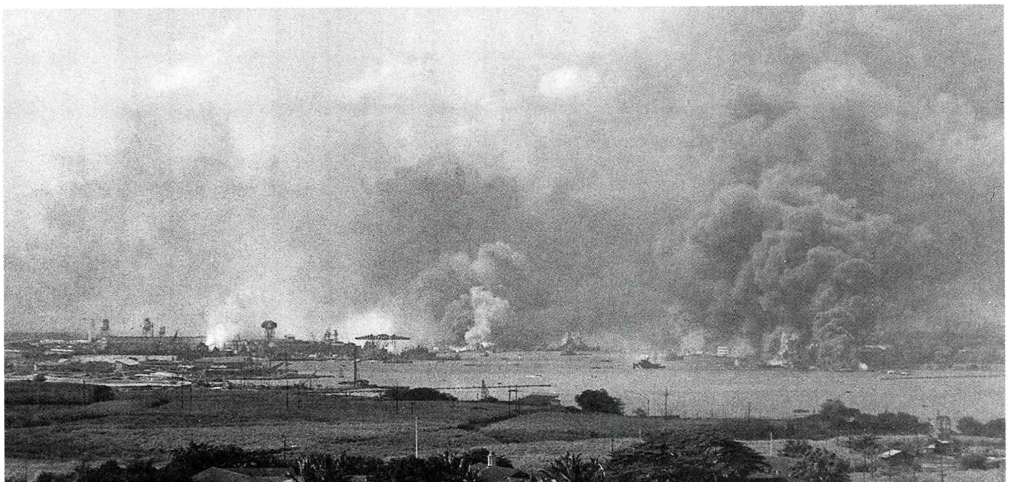
في أثناء الهجوم.



بوارج مدمّرة من أسطول الهادئ الأمريكي.



نيران مدفعية مضادة الطائرات فوق بيرل هاربر في أثناء الهجوم.

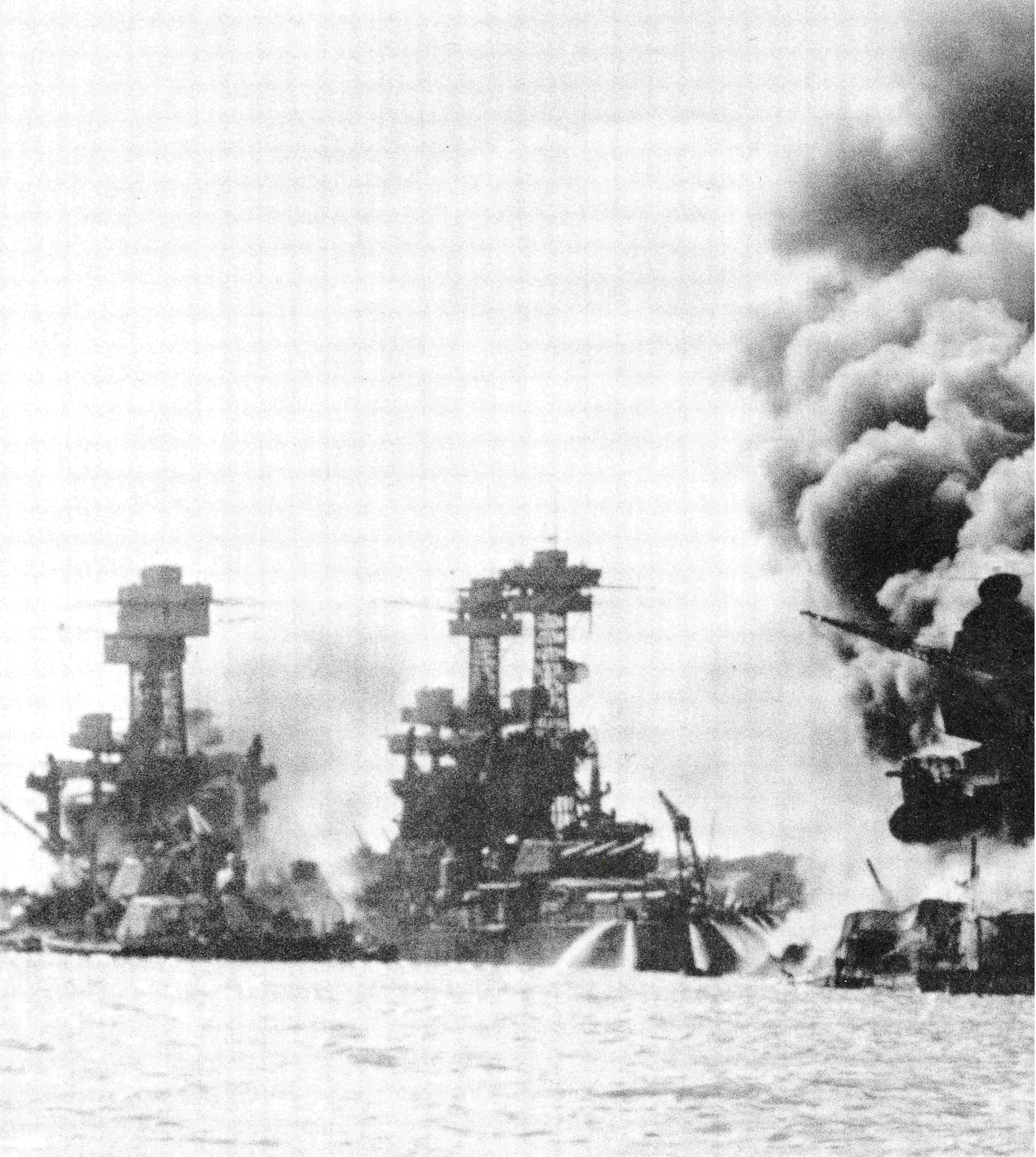


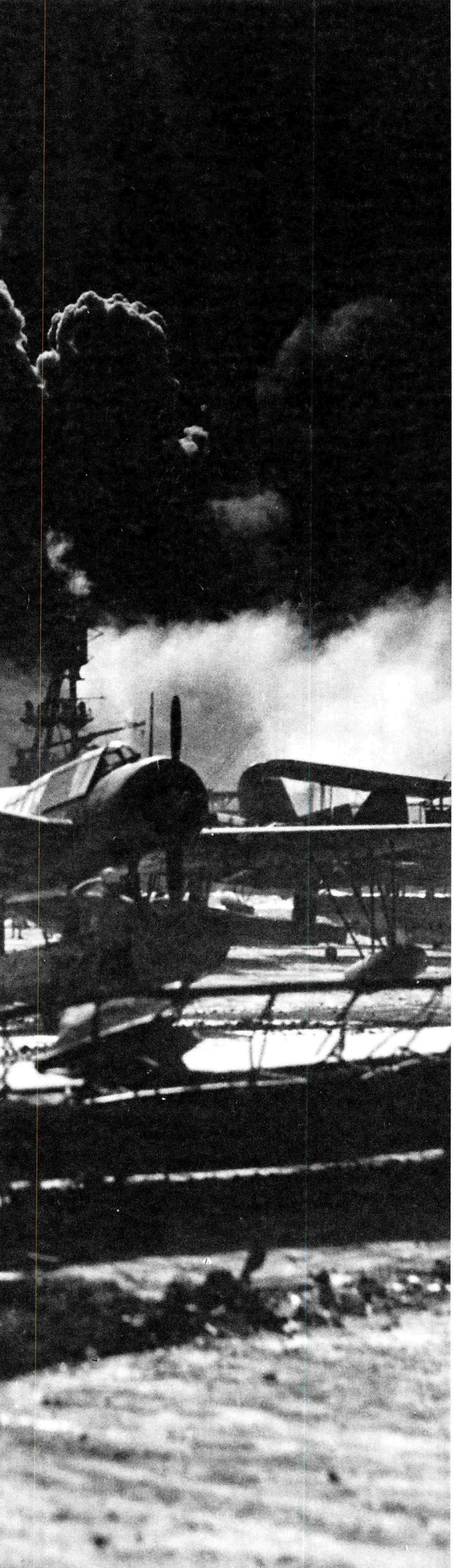
السماء خالية من المعتدين، لكن القاعدة لا تزال مشتعلة.

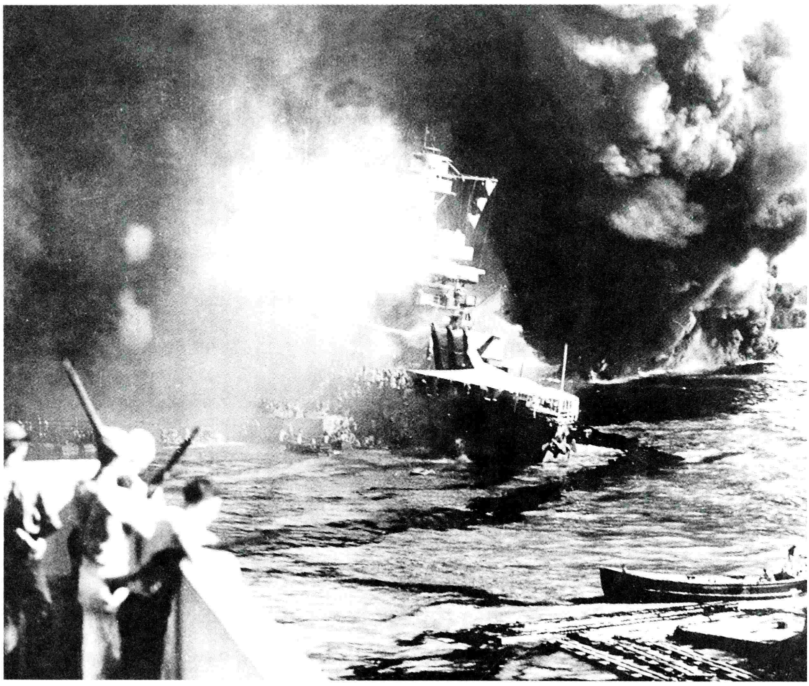




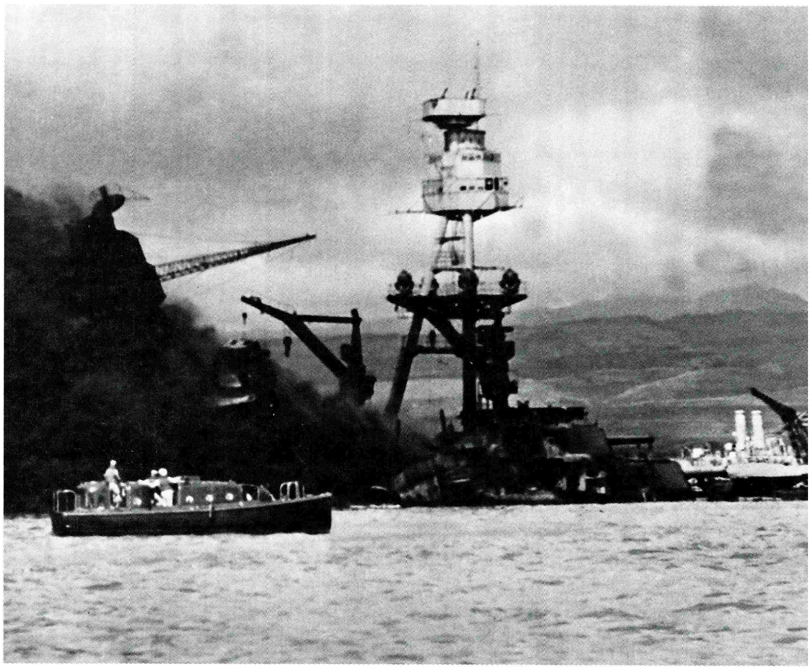
«كانت المفاجأة كبيرة إلى درجة أننا لم نتمكن من إسقاط إلا 29 طائرة مهاجمة فقط». قال قائد الأسطول الأميرال هازبند كيميل، الذي عُزل لاحقاً من القيادة: «إذا نحينا جانباً الغدر الذي لا يُوصف، فقد قام اليابانيون بعمل ممتاز». بعد 18 يوماً من الهجوم، كان لا يزال ممكناً إنقاذ بحارة أحياء من بدن البارجة المقلوبة ويست فيرجينيا.







أعلى وأسفل: حطام بارجتين أمريكيتين.

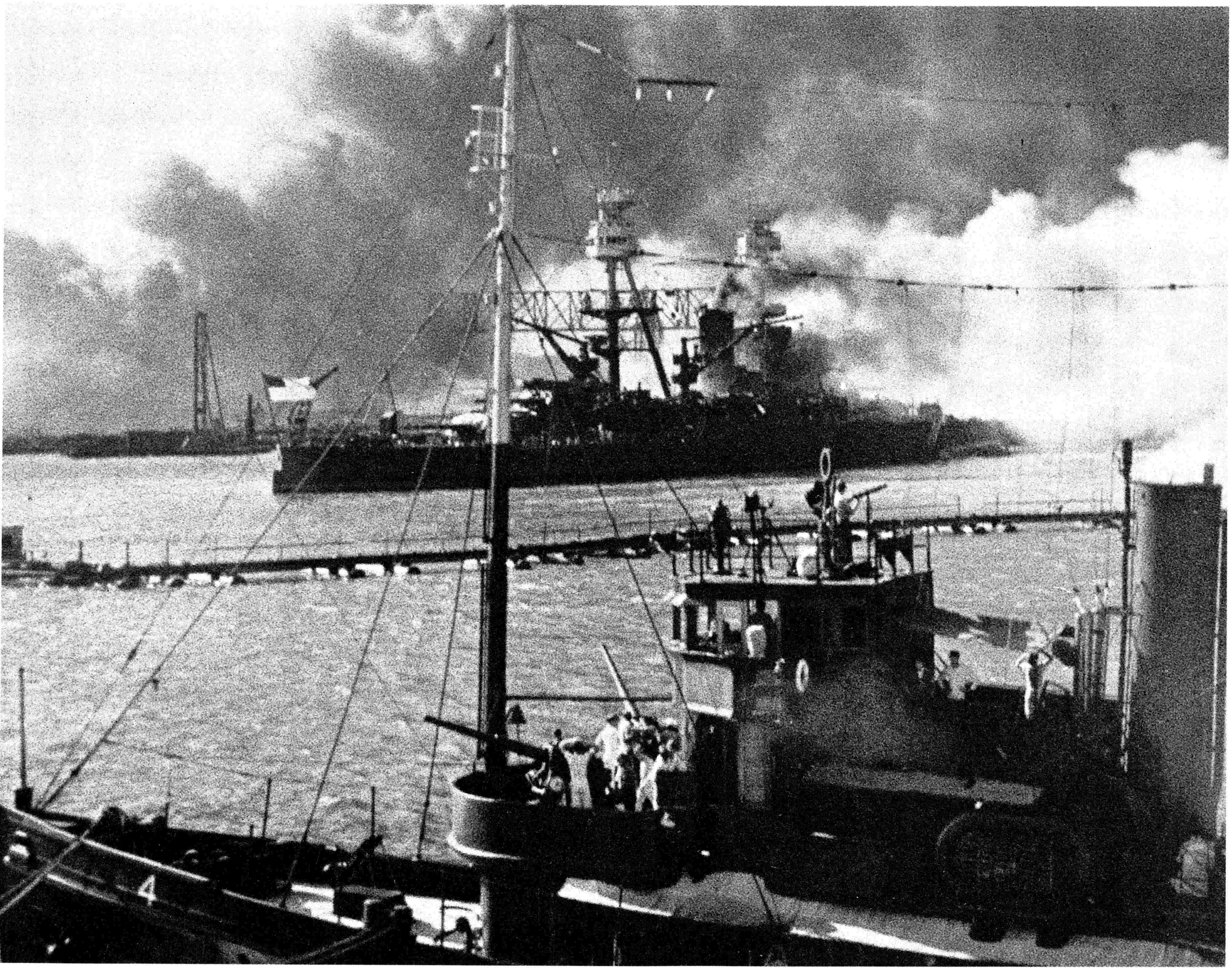


مقابل: قاعدة بيرل هاربر الجوية بعد الهجوم.





رجال إطفاء يحاولون إخماد الحرائق على السفينة كاليفورنيا.



بحارة أمريكيون ينظرون بيأس إلى بارجة مجاورة تحترق.



في إحدى الأحداث الغريبة في الحرب، كانت الحكومة اليابانية قد خطّطت في الواقع لإعلان الحرب على الولايات المتحدة قبل نصف ساعة من بدء الهجوم الجوي. كان دبلوماسيون في السفارة اليابانية في واشنطن يكدحون من أجل إتمام الترجمة، لكنهم تجاوزوا الوقت المحدد، وأرغم السفير الياباني الخَجل على تقديم الإعلان في أثناء الهجوم.

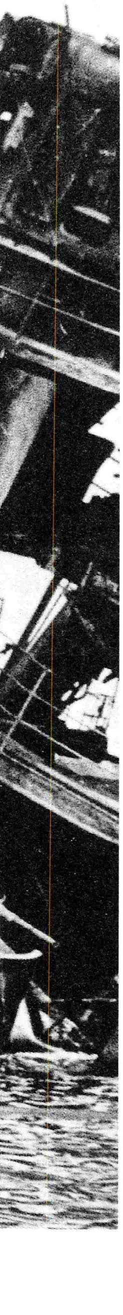
كانت تحذيرات من قادة مناوبين في البحرية الأمريكية في الهادئ، الذين شعروا من إشارات اعترضوها أن هناك هجوماً يابانياً عند الفجر في مكان ما، قد أُرسلت إلى واشنطن. لكن سلسلة من الحوادث الغريبة وسوء الفهم أدّت إلى عدم نقل تلك التحذيرات إلى بيرل هاربر في وقت ملائم (أرسلت الرسالة الحاسمة بالبرق التجاري، وأوصلها مراسل على دراجة نارية حين كانت أولى القنابل والطربيدات تنهال على المكان). كانت بعض تلك المشكلات غريبة جداً ما جعل

مجزرة في القاعدة الجوية في بيرل هاربر، مطار هيكام.









حطام طائرة بحرية أمريكية.



تذخير مدافع أمريكية مضادة للطائرات بين حطام مطار هيكام.



ميزوري.



الحظيرة رقم 11 في مطار هيكام.

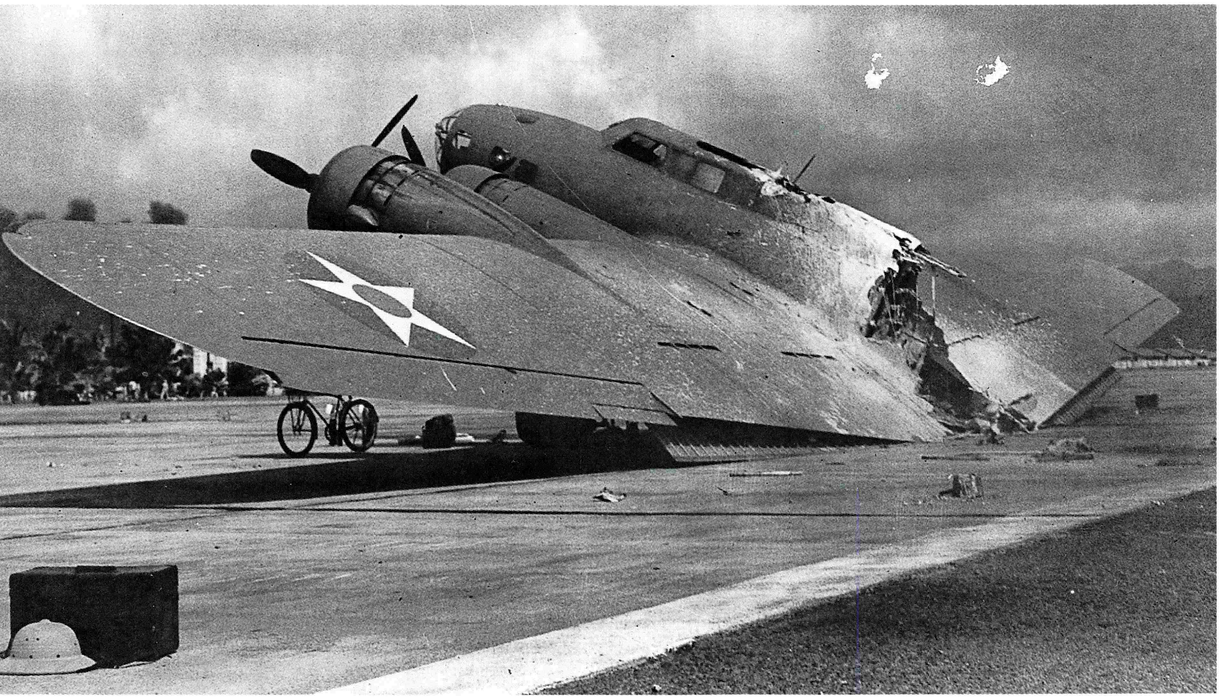
مؤرخين يزعمون أن الرئيس روزفلت أخّر متعمّداً التحذيرات من أجل أن تدخل أمريكا الحرب، لكن هذا يبدو غير محتمل إطلاقاً: يبدو أن عدم الكفاءة والرضا عن الذات هما السببان المرجّحان.

بعد يوم من الهجوم، خاطب الرئيس الأمة، وقال بصوت يرتعش غضباً: «أمس في 7 كانون الأول – يوم سيبقى شائناً لنا – تعرّضت الولايات المتحدة فجأة وعن سابق إصرار إلى هجوم من قبل القوات البحرية والجوية للإمبراطورية اليابانية. مهما تكن المدة التي سنقضيها للتغلب على هذا الغزو المتعمّد، سيتغلّب الشعب الأمريكي بقوته الفاضلة على المصاعب حتى تحقيق نصر كامل». في يوم الهجوم في طوكيو، كان توجو قد خاطب الشعب الياباني مستخدماً عبارات مشابهة، وقال: «أعدكم بنصر نهائي».





النظر إلى السماء تحسباً لهجوم آخر.



حطام قلعة طائرة.



سيارة مدنية في هاواي استهدفتها مقاتلات يابانية.



دفن جنود البحرية الأمريكية.



روزفلت يوقّع إعلان الحرب.

في تلك الأثناء في برلين، أثلجت قسوة الهجمات الجوية اليابانية صدر هتلر، لكنه لم يكن واثقاً كيف يتصرف بادئ الأمر. حسمت قصة غاضبة تتعلق بـ«استعدادات روزفلت السرية للحرب» في أوروبا القضية بالنسبة إليه: أعلن الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية في 11 كانون الأول، وتبعه موسوليني مباشرة. كان تبرير هتلر المفوّه للرايخستاغ: «لقد فُرض علينا تعديل تاريخي على نطاق منقطع النظير من قبل الخالق». من جانب روزفلت، لم يكن قد حسم بعد إعلان الحرب على ألمانيا في تلك المرحلة، برغم الضغط المستمر من تشرشل، إنما كان الأمر محتماً على الأرجح عاجلاً أم آجلاً. أياً يكن، لقد أشعل اليابانيون بتهوّر حرباً عالمية.

في منزله الريفي؛ تشيكرز [رقعة الشطرنج]، كان تشرشل يتناول غداءه حين أُبلغ بالهجوم، فنهض مسرعاً ليجهّز إعلان حرب – كما قد وعد روزفلت في حال حدوث اعتداء ياباني ضد أمريكا – في ذلك الوقت. صدر كل من إعلاني الحرب البريطاني والهولندي في اليوم الآتي. كان تشرشل مبتهجاً: لقد جُرّت أمريكا إلى النزاع، وبمساعدتها ستنتصر بريطانيا على الأرجح. كتب لاحقاً: «إذاً ... لن نُسحق، ولن يُوضع حد لتاريخنا. قد لا نضطر حتى إلى مواجهة موت أفرادٍ منا».

ابتهج اليابانيون كثيراً «بالنصر» في بيرل هاربر، لكن برغم الدمار الهائل الذي أحدثه الهجوم، إلا أن تأثيره لم يكن كما تمنّوه. لم تبرز مسألة الحاملات «المفقودة» فقط، إنما رفض ناغومو منح إذن لشن هجوم ثانٍ على الميناء – وسيثبت أن هذا حاسم في الشهور الآتية حين كدح الأمريكيون لانتشال وإصلاح سفنهم المتضرّرة. لم تكن مخزونات الوقود المدمّرة في هاواي ضخمة، وبقيت بيرل هاربر قاعدة بحرية أمريكية حيوية في الهادئ.

بنحو عام، اضطر اليابانيون آنذاك إلى التنافس مع القدرة الصناعية الأمريكية. بدا أن الأميرال ياماموتو؛ مهندس الغارة الجوية والواقعي جداً، يفهم العواقب المحتملة على بلاده. أخبر زميلاً بتجهّم: «حقيقة أننا حقّقنا نجاحاً صغيراً في بيرل هابر لا تساوي شيئاً. يجب أن يمعن الناس التفكير في الأمور، ويدركوا مدى خطورة الوضع الآن».

سقوط سنغافورة

بريطانيا تخسر ممتلكات إمبراطورية ضخمة



عندما كان طيّارو البحرية اليابانية يقصفون بعنف بيرل هاربر، تحرّك الجيش الياباني في جنوبي شرقي آسيا. بحلول وقت إعلان هتلر الحرب على الولايات المتحدة في 11 كانون الأول 1941، كان جنودهم قد نزلوا في شمالي مالايو والفلبين، واحتلّوا بانكوك، وهاجموا هونغ كونغ، ويخوضون في المياه لاحتلال سلسلة من جزر الهادئ، وفيها غوام.

لقد أهمل البريطانيون كثيراً دفاعات ممتلكاتهم في الشرق الأقصى: كان الجزء الأكبر من الموارد يُخصص لخوض الحرب في شمالي أفريقيا والبحر المتوسط. بدلاً من ذلك، اضطرت إدارتا المستعمرتين في هونغ كونغ وسنغافورة إلى الاكتفاء بالوعود، كما هي حال الأستراليين. لكن برغم أن البريطانيين كانوا يتوقعون هجوماً من اليابانيين، إلا أنهم أخطؤوا بنحو كبير في تقدير

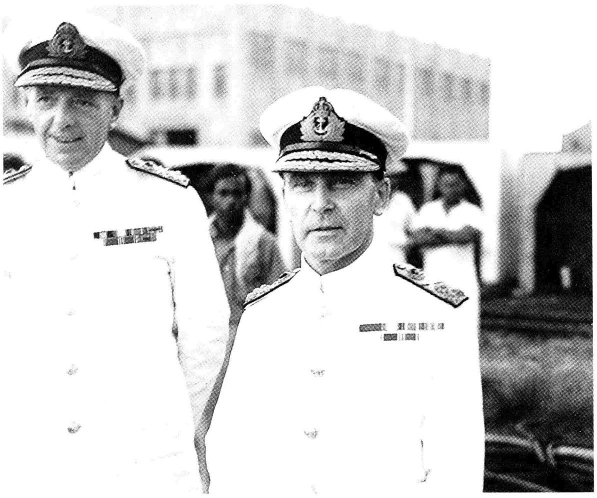


القادة البريطانيون يستسلمون في سنغافورة.



أسرى حرب بريطانيون، سنغافورة.

القدرة اليابانية على خوض حرب كبيرة. وصف السير روبرت بروك–بوبهام؛ القائد العام في ماليزيا، الجنود اليابانيين بأنهم «صنف دون البشر يرتدون بزّات رمادية قذرة». كان ذلك غروراً نتيجة عقود من عدم تحدّي الحكم الإمبريالي. عبّر قائد في الجيش البريطاني في مالايو أيضاً عن رأيه بأن بناء دفاعات سيكون سيئاً لمعنويات المحليين.

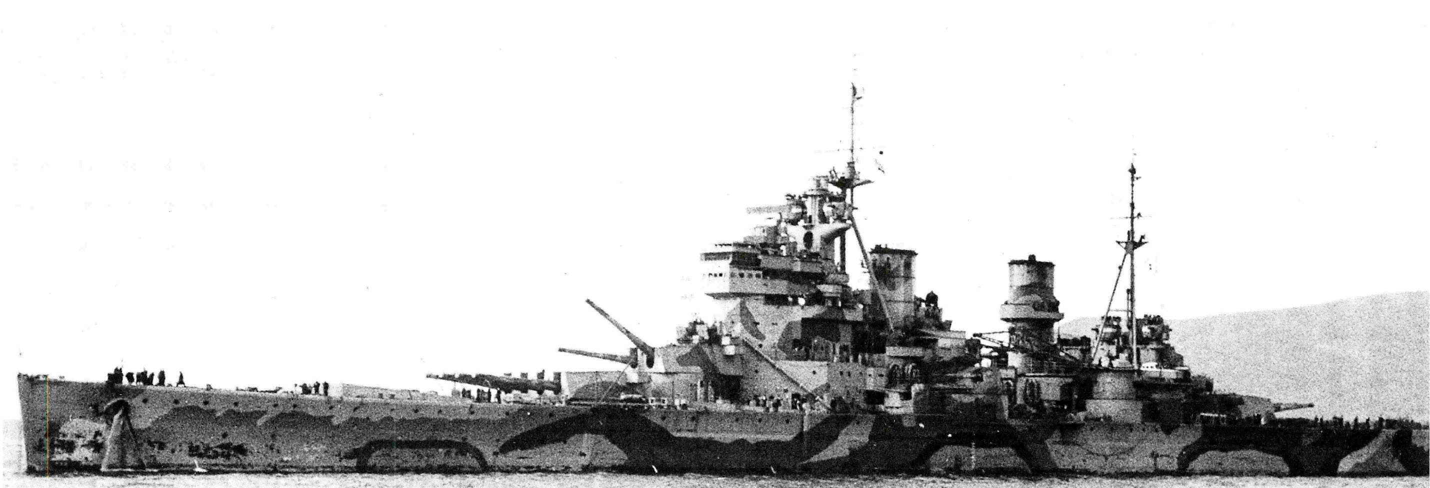


الأميرال فيليبس – خطأ تقدير قاتل.

اعتمد الدفاع عن سنغافورة على منع إنزال ياباني على شبه جزيرة مالايو إلى الشمال منها. لكن لم يكن مخططاً مثل ذلك الإنزال، لذا عُزّزت الدفاعات المواجهة للمحيط. في 8 كانون الأول (بعد ظهر اليوم نفسه الذي ظهر فيه جنود يابانيون خارج هونغ كونغ) نزل جنود بحرية يابانيون على شاطئين في جنوبي تايلندا وعلى شاطئ داخل مالايو في كوتا بهارو. أسرع توم فيليبس؛ الأميرال البريطاني، شمالاً مع البارجتين برنس أوف ويلز وريبلس للتصدّي للناقلات اليابانية. ظنَّ أنه سيكون خارج مدى القواعد الجوية اليابانية، لذا لم يكلّف نفسه عناء الاستعانة بتغطية جوية.

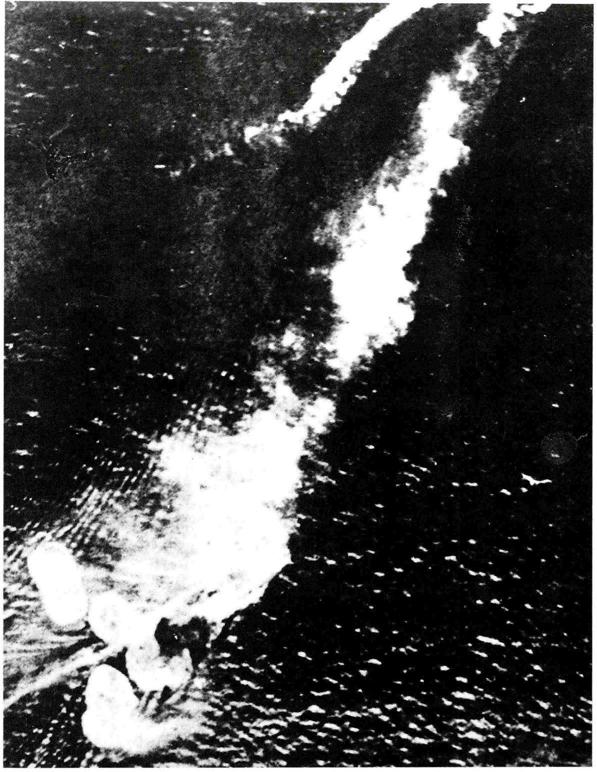
كان ذلك خطأ فادحاً، وبرغم أن فيليبس لم يجد أي سفن نقل، إلا أن غواصة يابانية رصدته، وفي 10 كانون الأول هاجمته أسراب قاذفات وطائرات طربيد يابانية تتخذ من تايلندا مركزاً لها: بحلول الظهر، غرقت كلتا السفينتين بعد تكبّدهما خسائر فادحة في الأرواح.

أظهرت خسارة برنس أوف ويلز وريبلس مدى تأثير سلاح الجو على الحرب البحرية، وأثبتت أيضاً أنه لا توجد قوة بحرية مهمة للحلفاء في الهادئ يمكنها مقاومة اليابانيين. كتب تشرشل



البارجة برنس أوف ويلز.

لاحقاً: «في كل الحرب، لم أشعر أبداً بصدمة أكبر من تلك. فوق كل تلك المساحة الشاسعة من المياه، تفوقت اليابان في حين كنا ضعفاء ومكشوفين».



برنس أوف ويلز تتعرض لهجوم.

كانت مراكز مستعمرات بريطانية تواجه، في تلك الأثناء، قصفاً من الجو (توفي أكثر من 600 مدني في غارة يابانية على بينانج في مالايو في 12 كانون الأول) وعرف المدافعون عن هونغ كونغ آنذاك أن القوات اليابانية قريبة جداً من كولون. برغم أن إستراتيجيين بريطانيين قد أدركوا أنه لا يمكن على الأرجح حماية هونغ كونغ، إلا أنهم أرسلوا كتيبتين كنديتين في محاولة يائسة أخيرة للدفاع عنها. عندما وصلوا، كان السير مارك يونغ؛ حاكم هونغ كونغ المرهق، يفكّر في مطالب اليابانيين باستسلام غير مشروط.



جنود ومهندسون يابانيون يتقدّمون نحو سنغافورة.

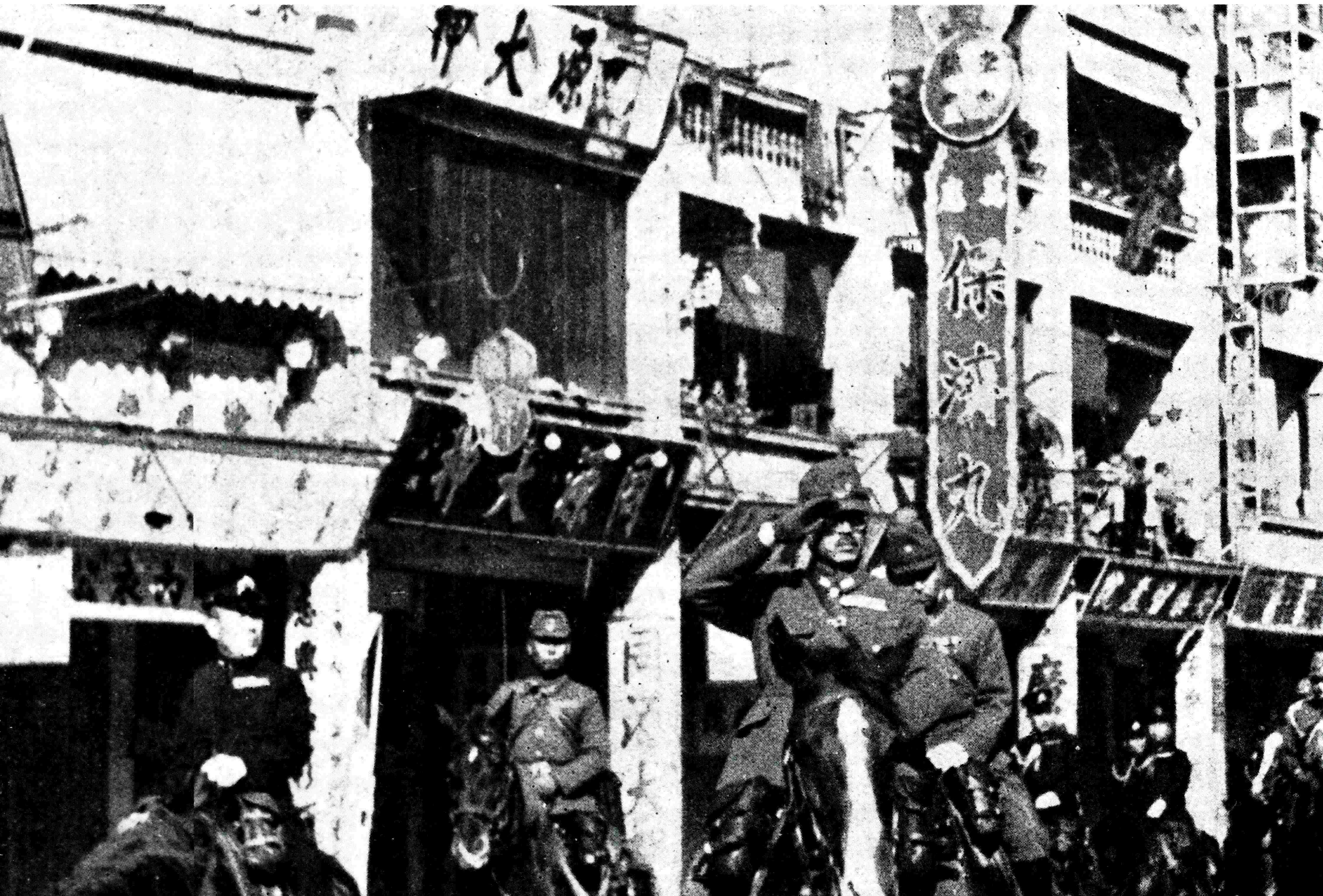


جنود يابانيون يركضون في هونغ كونغ.

في 18 كانون الأول، نزل اليابانيون على جزيرة هونغ كونغ، وعندما استسلمت المستعمرة أخيراً في عيد الميلاد 1941 وقَع 11,000 جندي أسيراً، وشاهد غربيون وحشية جنود الإمبراطور. رُبط أسرى معاً بحبال وطُعنوا بالحراب حتى الموت، وضمّت قائمة الضحايا موظفي مستشفيات و»لصوص«. أثار مصير المستعمرة موجات صدمة في الإقليم كله، واتضح أولَ مرة مدى طموحات اليابانيين وطبيعتها الحقيقية.

كتب جون كيرتن؛ رئيس الوزراء الأسترالي غاضباً إلى رؤساء أركان الحلفاء في 27 كانون الأول، وهو يمعن التفكير في دفاعات بلاده الضعيفة نسبياً: «نرفض قبول معاملة الصراع في الهادئ على أنه قطاع ثانوي من النزاع العام». لكن خسارة برنس أوف ويلز وريبلس كانت قد أضعفت كثيراً أيضاً قدرات سنغافورة الدفاعية. أُنشئت قيادة جديدة عُرفت باختصار «أبها» – أمريكية، بريطانية، هولندية، أسترالية – على عجل لمقاومة الحملة اليابانية في جنوبي شرقي آسيا، برغم أن القوات الموجودة تحت تصرفها كانت صغيرة بنحو مقلق. في البحر، لم يكن هناك إلا أسطول صغير فقط من طرّادات ومدمّرات وغواصات لتغطية مساحة شاسعة، من دون إشارات أو تقنيات مشتركة. لكن في أثناء كانون الثاني 1942، رافقت سفن «أبها» 45,000 جندي إلى مالايو، في حين نقلت حاملة الطائرات البريطانية إندوميتابل طائرات هوريكان لتعزيز دفاعات جاوة.

كان الجنرال تومويوكي ياماشيتا؛ قائد الهجوم الياباني على مالايو، قد قضى عيد الميلاد السابق في ألمانيا يدرس تكتيكات الحرب الخاطفة التي اعتمدها هتلر. لكن استعمال الدروع الثقيلة لم



قادة يابانيون يقومون بعرض عسكري في شوارع هونغ كونغ.

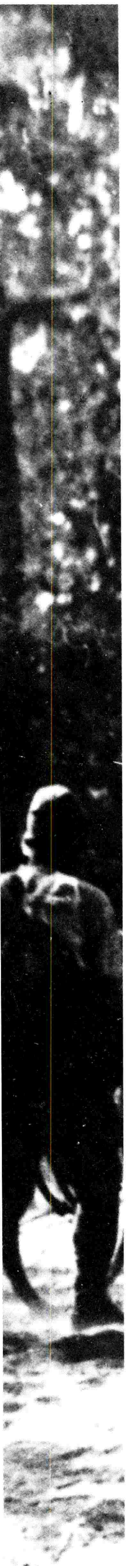
يكن ملائماً في التضاريس الحراجية الكثيفة غالباً في الشرق الأقصى. أجرى ياماشيتا تعديلاً يدل على الدهاء (ورخيصاً أيضاً): زوّد جنوده بدراجات هوائية. أتاحت سرعة الحركة على طول المسالك الضيقة في الأدغال، وكان ممكناً حملها عند الضرورة في القطاعات التي يصعب تجاوزها. بالتقدّم مباشرة عبر الغابات بدلاً من الطرق المحصّنة جداً، سعى جنوده إلى مفاجأة جنود بريطانيين ومن الكومنولث.

نجحت تكتيكات ياماشيتا بالتأكيد، وكان التقدم الياباني على ساحل مالايو الغربي سريعاً. عندما وصل السير الجنرال البريطاني أرشيبالد ويفل من أفريقيا ليتولّى قيادة قوات «أبها» في الإقليم كله، وجد 40,000 جندي بريطاني وهندي أنفسهم معزولين ومحاصرين في وسط مالايو. في 31 كانون



ياماشيتا: فاتح مالايو.

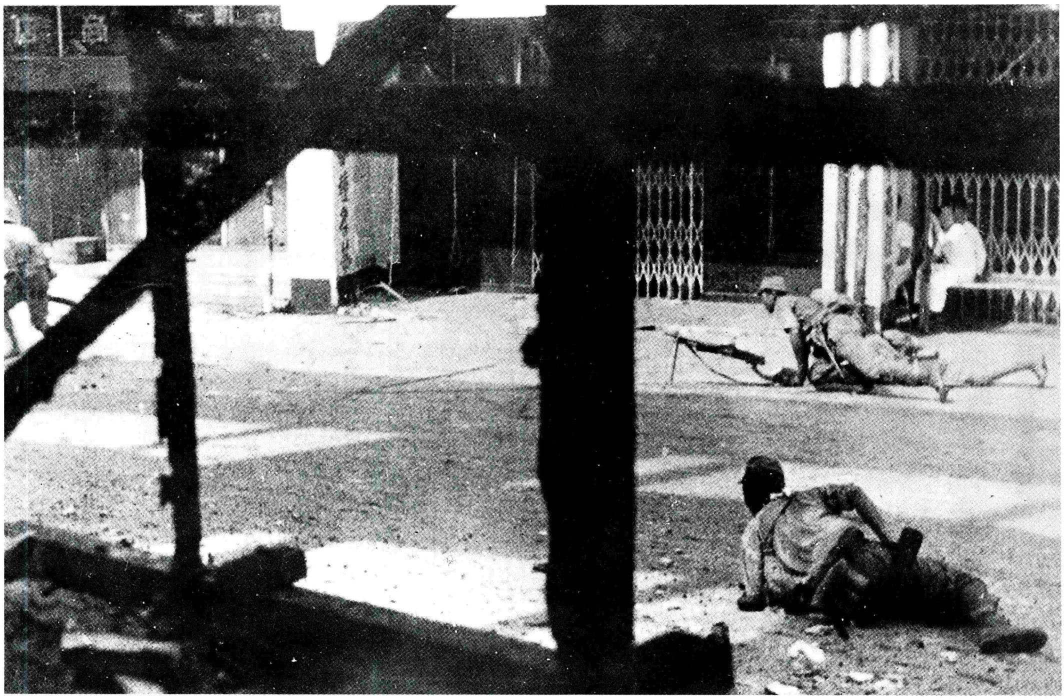






جنود يابانيون في مالايو.





أعلى وأسفل: جنود يابانيون في كوالالمبور، مالايو.





مفرزة مدفع جبلي يابانية.



أعلى وأسفل: «تمشيط» كوالالمبور.



الثاني، سحب آرثر بيرسيفال؛ القائد البريطاني في مالايو، كل جنوده إلى جزيرة سنغافورة، وانتظر الهجوم الياباني.

كان الاستيلاء على مالايو قد استغرق من ياماشيتا 45 يوماً، وكلّفه 4600 جندي فقط. بنحو مؤلم مثل خسارة المستعمرة نفسها، رفض تشرشل أن يصدّق أن سنغافورة نفسها يمكن أن تسقط وواصل إرسال تعزيزات. ثم في ليلة 8 شباط، عبر أوائل الجنود اليابانيين على زوارق قابلة للنفخ القناةَ التي تفصل سنغافورة عن البر الرئيس (سبح آخرون يحملون معدّاتهم على ظهورهم) وأُخذ المدافعون على حين غرة. بحلول فجر 9 شباط، كان 13,000 ياباني قد نزلوا هناك، وسلاح



تجريد جندي بريطاني من سلاحه في الغابة.


ERAL
POST
OFFICE

الجو الياباني يقصف المدينة بعنف. وصلت إلى القادة البريطانيين فجأة سلسلة مناشدات من لندن تحثّهم على «خوض المعركة حتى النهاية المريرة بأي ثمن».

قال ويفل في رسالة إلى المدافعين: «سمعتنا القتالية على المحك وشرف الإمبراطورية البريطانية». لكن في أثناء غارة جوية تعرّض لإصابة في ظهره نتيجة سقوطه عن السلالم فأُخرج من هناك على متن سفينة. تُرك بيرسيفال ليقطع وعداً لـ تشرشل بأن «يقاتل حتى آخر رجل»، إنما بعد أسبوع، ونتيجة تناقص مخزون الطعام والماء، اضطر إلى مواجهة حقيقة أن الاستسلام محتّم إن أراد تفادي مذبحة كاملة.

ذهب بيرسيفال شخصياً إلى ياماشيتا يحمل راية بيضاء، مصدّقاً أن بمقدوره ضمان معاملة إنسانية لأهل سنغافورة. كان ذلك أملاً زائفاً: تجمّع جنود يابانيون بسرعة وقتلوا 5000 مدني صيني بارز. فيما يتعلق بجنود بيرسيفال (32,000 هندي، و16,000 بريطاني، و14,000 أسترالي)، برغم الإبقاء على حياتهم، كانت معاملتهم مروّعة: بحلول نهاية الحرب، لقي أكثر من نصفهم حتفه

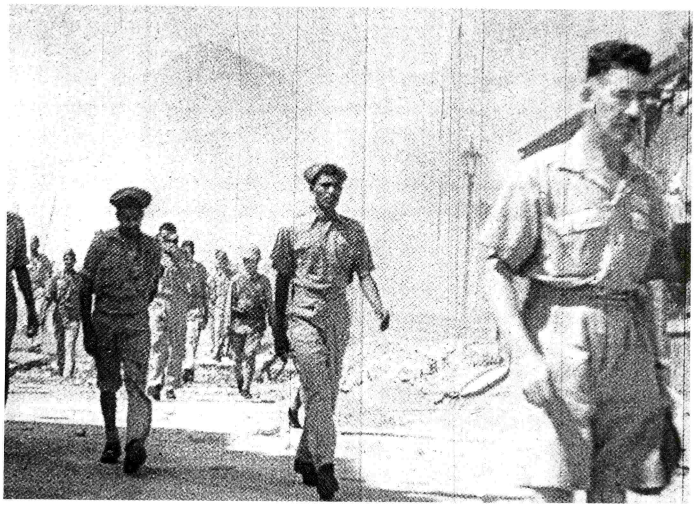


مقابل: عرض عسكري في شوارع سنغافورة.   أعلى: ياماشيتا يقبل الاستسلام.



أعلى وأسفل: أسرى حرب بريطانيون وهنود بعد انهيار المقاومة في سنغافورة.







في سجن شانغي سيئ الصيت، أو أُجبروا على العمل حتى الموت تحت الشمس.

لم تكن خسارة سنغافورة ضربة موجعة لكبرياء الجيش البريطاني فقط، إنما كشفت هشاشة الإمبراطورية أيضاً. كان كل ما استطاع تشرشل فعله هو حثُّ الشعب البريطاني على «إظهار الهدوء والاتزان، مترافقاً مع تصميم راسخ، أخرجنا في وقت غير بعيد من بين فكّي الموت». في اليابان، من ناحية أخرى، لقي الانتصار ترحيباً بابتهاج كبير، ووفقاً لأمر خاص، رفع كل منزل في البلاد راية الشمس المشرقة فوقه. لكن توجو أصبح غيوراً من الثناء الذي تلقاه ياماشيتا، وقد حظرت الإدارة العسكرية أي ذكر لاسمه لاحقاً. «نُفي» ياماشيتا نفسه إلى الحدود الخاملة تقريباً بين منشوريا اليابانية وروسيا، حيث بقي حتى 1944.

أسرى حرب يواجهون اعتقالاً قاسياً.



أسرى حرب بريطانيون يُرغمون على الانتظار في الشمس بعد الإستسلام.

الهجوم جنوباً

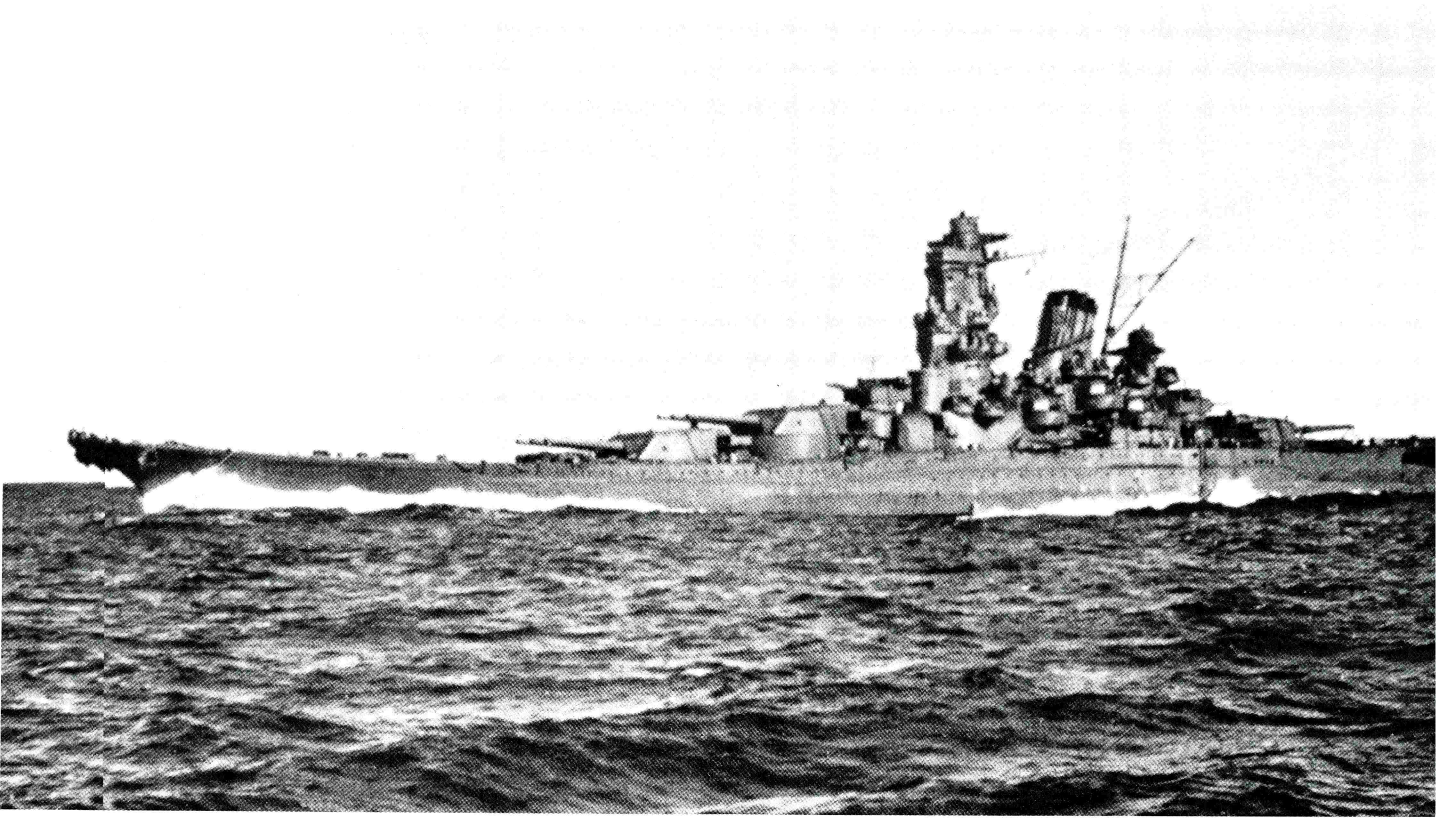
المكاسب اليابانية في جنوبي شرقي آسيا

في الهدوء المؤقت بين بيرل هاربر والفرصة لرد الضربة في الهادئ، أُصيب الشعب الأمريكي سريعاً بإحباط، وتطلّب الأمر رداً فورياً. كان العدو «المفترض» الوحيد في متناول اليد هم طبعاً الأمريكيون من أصل ياباني، وفي إجراءٍ قاسٍ أقرّه الكونغرس، مُنحت كل الأسر الأمريكية–اليابانية 48 ساعة لتبيع بيوتها وشركاتها وتنتقل إلى معسكرات احتجاز بعيدة، حيث ستبقى حتى نهاية الحرب. ربما بدا مفهوماً مثل تلك الهستريا العرقية نتيجة صدمة بيرل هاربر، إنما كانت ببساطة أيضاً خطأ فادحاً (اعتذرت الحكومة الأمريكية لاحقاً ودفعت تعويضات لكل الأسر).

في ذلك الوقت، كانت الإدارة الأمريكية أكثر اهتماماً بتعزيز الإنتاج الحربي. في الشهور الستة الأولى من 1942، طلبت حكومة روزفلت، بعد إلحاح من تشرشل وبيفربروك، شراء معدّات



غواصة أمريكية تقوم بدورية.



ياماتو البارجة اليابانية الجديدة القوية.

عسكرية تفوق قيمتها 100 مليار دولار - أكثر من كل الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة. عُيّن دونالد نلسن؛ نائب الرئيس لقطّاع المشتريات في سيرز روبوك، على رأس مجلس الإنتاج الحربي ومُنح سلطات واسعة.



شيمادا وزير البحرية.

برغم ذلك، بدا واضحاً أن الموارد اللازمة لشن حرب عبر مساحات الهادئ الشاسعة لن تتوافر قبل بعض الوقت. وجب إعادة بناء أسطول المحيط الهادئ الأمريكي - وسيواجه بحرية يابانية كانت تعدُّ حتى قبل الحرب ثالث أقوى أسطول في العالم. بفضل الأميرال ياماموتو، امتلك اليابانيون أيضاً إحدى أحدث أساطيل حاملات الطائرات وأفضل طيّاري البحرية تدريباً. في منتصف 1941، كانوا مشغولين بتطوير ثلاث من أقوى البوارج





مدنيون أمريكيون على جزيرة ويك يسيرون إلى معسكرات الأسر.



مظليو البحرية اليابانية في الهند الشرقية الهولندية.



جنود يابانيون يندفعون إلى الشاطئ شمالي بورنيو.



الجيش الاستعماري الهولندي.

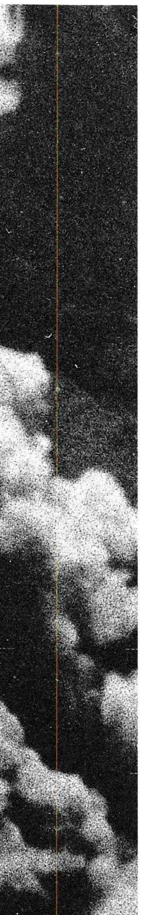
في العالم، ستُزوّد كل منها بمدافع ضخمة عيار 18,1 بوصة، وسينتهي العمل على الأولى منها؛ ياماتو، في بداية 1942.

لكن بحرية ياماموتو عانت سلسلة صعوبات أيضاً. من ناحية، لم تكن قد طوّرت بعد رادارا بحرياً عملياً - مشكلة سيثبت لاحقاً أنها مُكلفة جداً. ستعتمد كثيراً أيضاً على أسطولها التجاري لنقل النفط من مناطق احتلتها، وستكون تلك البواخر لقمة سائغة للغواصات الأمريكية - برغم أن مخطّطي البحرية اليابانية نسجوا خيالاً بأن الجنود الأمريكيين «رقيقون» جداً ولا يستطيعون تحمّل حياة الغواصات القاسية. ثالثاً، لم تكن الثقة كبيرة بأسطول غواصات اليابان، بعد فشله في تسجيل أي نقاط في الهجوم على بيرل هاربر. وأخيراً وليس آخراً، لقد عانت البحرية اليابانية نكسة باكرة: عند جزيرة ويك، أصبحت السفن المرافقة لقوة الغزو فجأة ضمن مدى المدفعية الساحلية للبحرية الأمريكية، وخسرت ثلاث مدمرات.

في كانون الثاني 1942، نفّذت البحرية الأمريكية أول عمل هجومي لها في حرب الهادئ، حين ضربت الحاملة إنتربرايز قواعد يابانية على جزر مارشال. لكن إنتربرايز تضرّرت في أثناء العملية، وانسحب الأمريكيون للتفكير في إستراتيجية مستقبلية.

عرض عسكري ياباني في كنداي في بحر سيليبس.



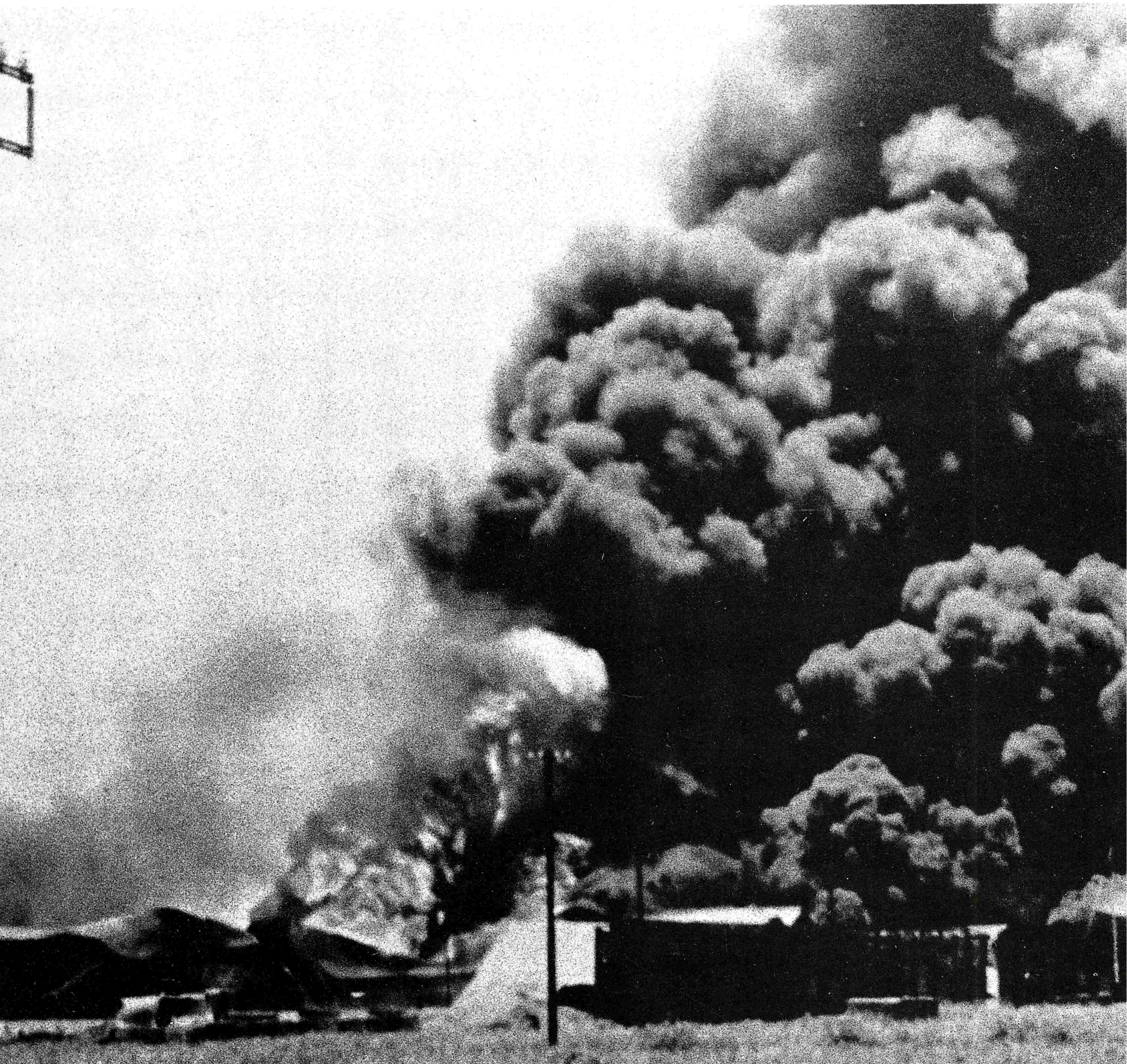




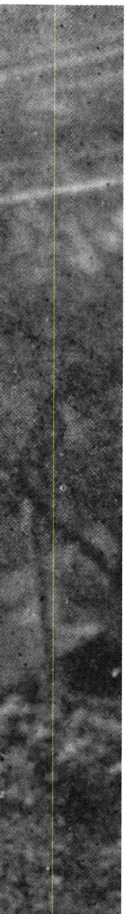
تثبيت اللافتات الجديدة باليابانية.

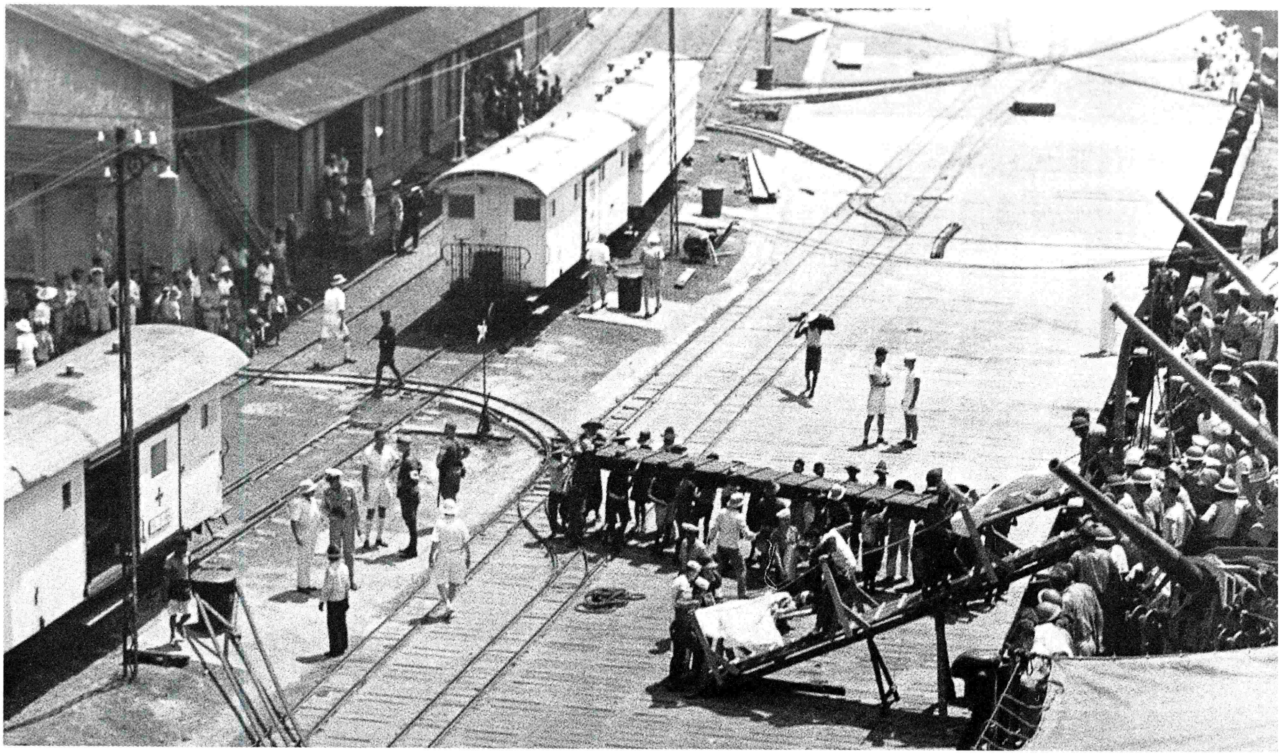
حدث الهجوم الياباني المتوقع على الهند الشرقية الهولندية الغنية بالنفط بسرعة بعدئذ، في 10 كانون الثاني، حين نزلت قوات بقيادة الجنرال إمامورا على تاراكان في بورنيو ومانادو في سيليبس، برغم أن طائرات وغواص ات هولندية هاجمت قوافلها. في 9 شباط، أبحرت قافلة يابانية من الهند الصينية متجهة إلى سومطرة، وفي أثناء مطاردتها خاضت قوات «أبها» بحرية سلسلة اشتباكات كارثية معروفة كلها بأنها معركة بحر جاوة.

كان التنسيق بين سفن أربع دول صعباً كفاية، ولم يكن كارل دورمان؛ الأميرال الهولندي قائد الحملة، يحظى بتغطية جوية أو مستعداً لفاعلية الطربيدات اليابانية الجديدة «بعيدة المدى». هاجمت طائرات يابانية القافلة في 4 شباط، وقد اضطرت إلى الانسحاب بعد تكبّدها خسائر

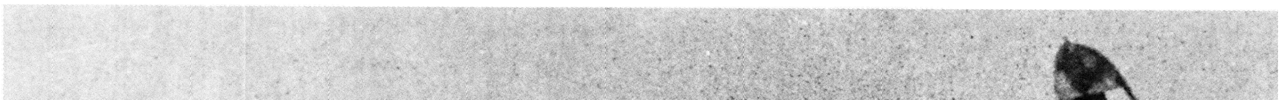


جندي ياباني يراقب احتراق خزانات نفط في تانجونغ، جاوة.





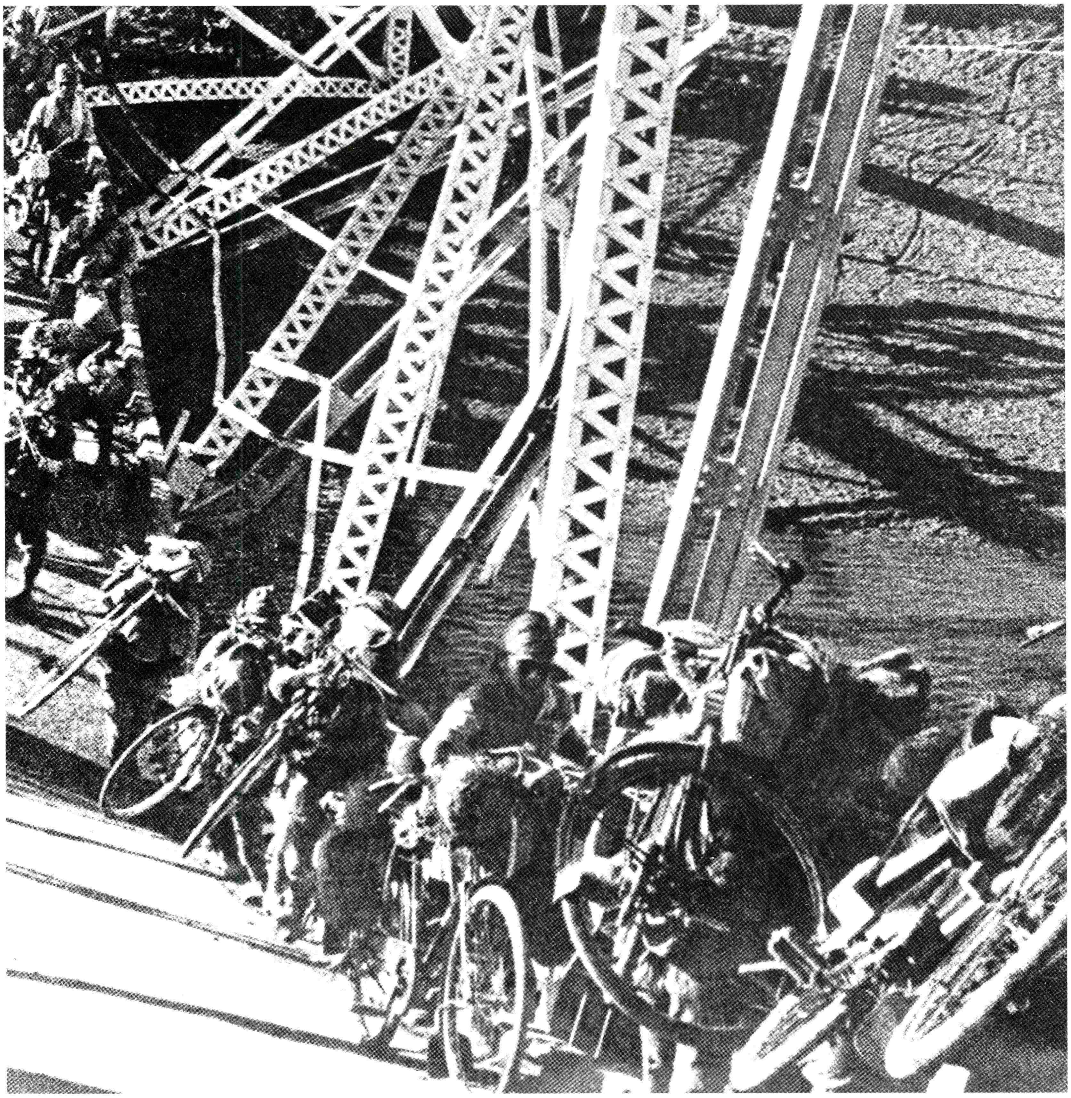
شباط 1942: جنود هولنديون جرحى يُنقلون إلى الشاطئ في جاوة.



مشاة يابانيون يركضون متجاوزين حطام طائرة بريطانية.



سكان بورما يحيّون جنوداً يابانيين حين دخلوا تافوي.



جنود درّاجات يابانيون يعبرون نهر بانغا.

فادحة. وجد دورمان نفسه بعيداً 800 ميل عن سومطرة حين بدأ الغزو الياباني في 14 شباط، ثم في 26 و27 شباط، خاض سلسلة اشتباكات مع سفن قوة الغزو اليابانية المتجهة إلى جاوة. جُرح دورمان نفسه حين أُغرقت بارجة الأميرال دي رويتر، ووقع بحّارته ضحية قاذفات يابانية، وبحلول 1 آذار قُضي على القوة كلها، وأحكم اليابانيون آنذاك سيطرتهم التامة على البحر.

احتُلّت المستعمرات الأوروبية في بورنيو الهولندية وغينيا الجديدة وسيليبس بعد ذلك. مرة أخرى، استطاعت فصائل صغيرة نسبياً من الجنود اليابانيين التغلّب على المدافعين، ومجدداً قُتل جنود أسرى هولنديون وبريطانيون وأستراليون بالرصاص أو طُعنوا بالحراب حتى الموت. في



آذار 1942: جنود يابانيون يصلون جزيرة كريسماس.



سبعة أسابيع سيطر اليابانيون أيضاً على مدغشقر، وتيمور، وسومطرة، وجاوة، وفي الأخيرة لم يواجه 25,000 جندي هولندي اليابانيين الغزاة فقط إنما عصياناً مدنياً واسع النطاق من قوميين انتظروا اليابانيين «المحرّرين». بحلول 8 آذار 1942، كانت قيادة «أبها» في الهند الشرقية الهولندية قد دُمّرت، ووقع نحو 100,000 جندي هولندي وبريطاني وأسترالي أسيراً (سيموت ربعهم تقريباً في الأسر).

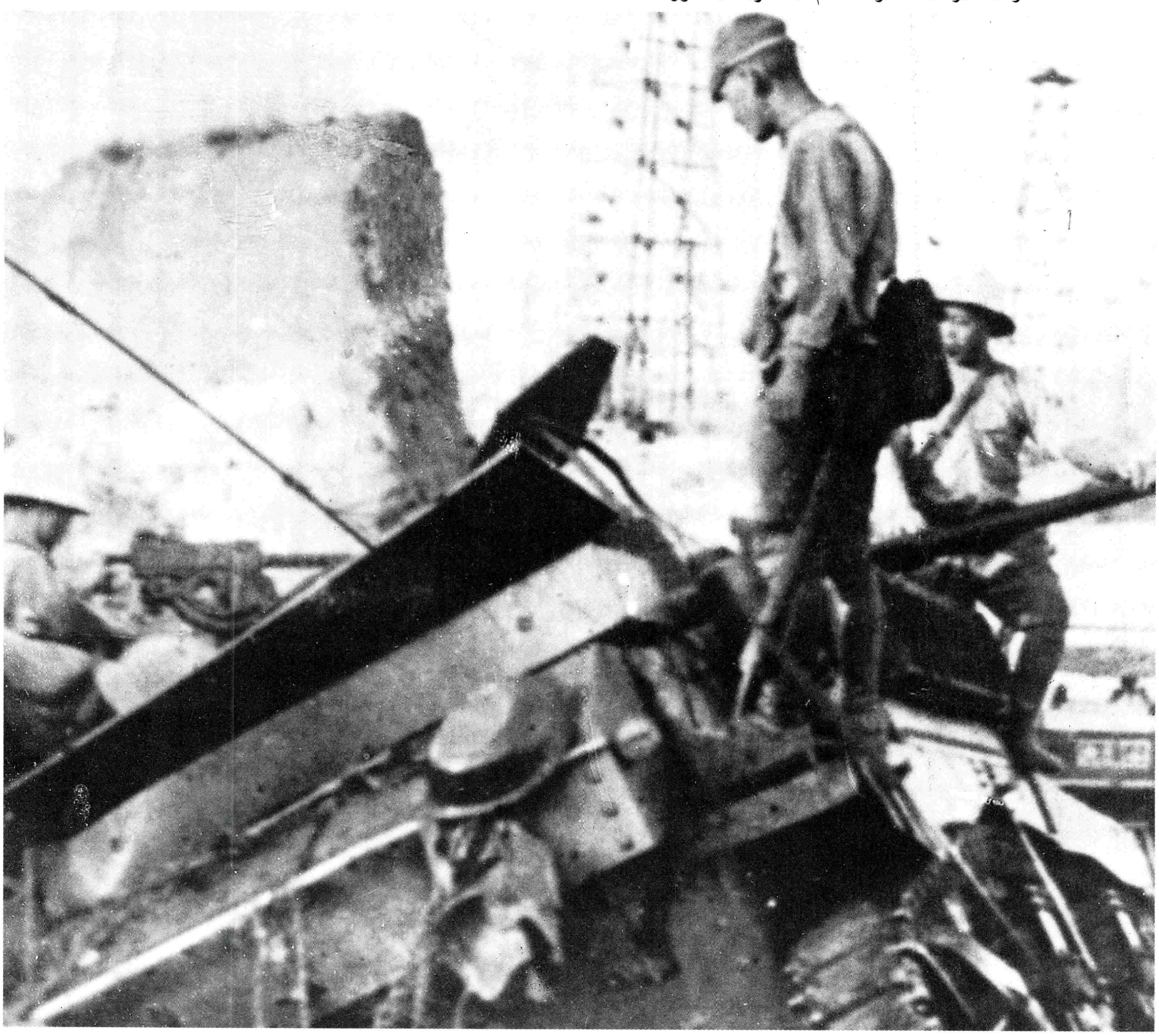
أضحى اليابانيون آنذاك حكّام نحو 100 مليون شخص في جنوبي شرقي آسيا، وتوسّعت سيطرتهم على البحر من الساحل الأسترالي (قُصفت داروين في 19 شباط) إلى خليج البنغال. هدّدوا قرب سريلانكا الأسطول البريطاني الشرقي المكوّن من خمس بوارج قديمة وثلاث حاملات طائرات، وقد حاول قائده الجديد؛ الأميرال السير جيمس سومرفيل، تجميل حقيقة أن سفنه عتيقة الطراز بنحو بائس حين قال: «يمكن عزف ألحان كثيرة جميلة بكمان قديم».



غزاة يابانيون يصلون بورما؛ المستعمرة البريطانية.

لكن سومرفيل كان بمقدوره الحصول على شِفرة البحرية اليابانية، وتلقّى تحذيراً أن أسطولاً قوياً من حاملات الطائرات قد خرج للبحث عنه، لذا استطاع قيادة أسطوله إلى مرسى سري في أدو على بعد 600 ميل جنوب غرب سريلانكا، وتفادى الهجوم الجوي الياباني على كولومبو في عيد الفصح 1942. لكن بعد ذلك بوقت قصير، تلقّت البحرية الملكية درساً آخر في ضعف السفن لهجوم جوي، فقد رصدت طائرات يابانية إحدى حاملاتها؛ هيرميس، في خليج البنغال وأغرقتها باستخدام 40 قنبلة في 10 دقائق فقط. دُمّر طرّادان للبحرية الملكية أيضاً، إحداهما دورستشاير التي وجهت الضربة القاضية إلى السفينة الحربية الألمانية بسمارك قبل عام.

جنود يابانيون يفحصون حطام دبابة بريطانية، بورما.



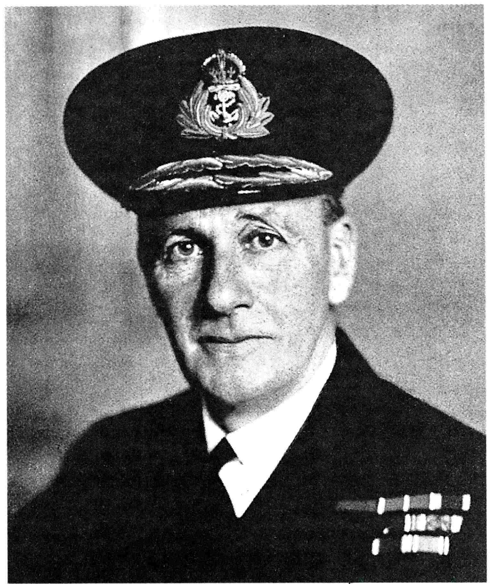


«محاكمة» يابانية لقرويين في غابة بورمية.



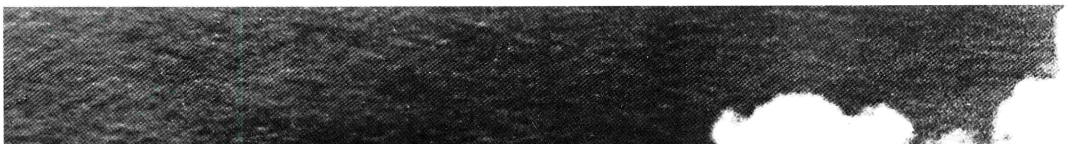
اليابانيون يستخدمون عمالاً محليين لمساعدتهم في التقدّم.



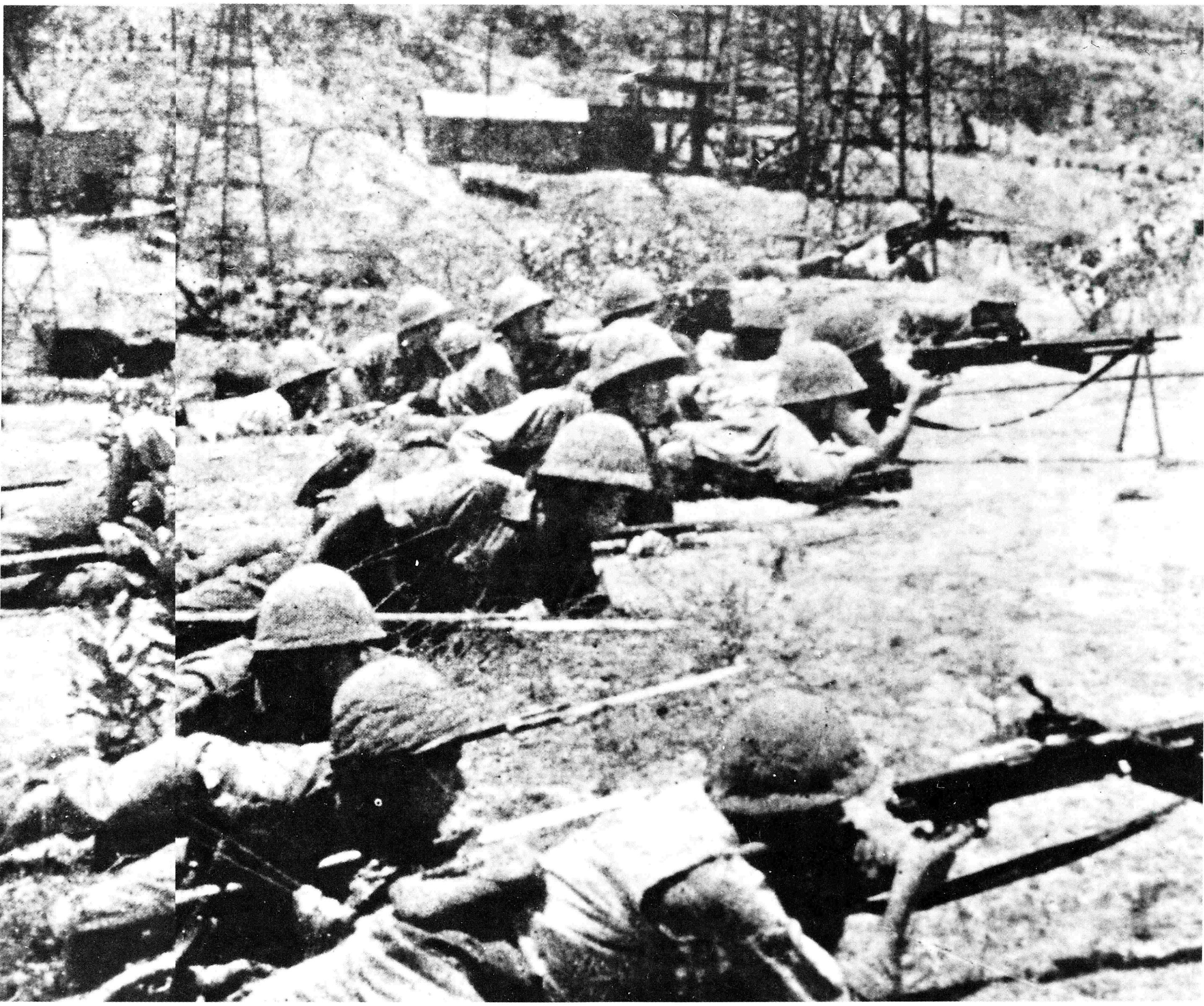


الأميرال سومرفيل.

بعيداً إلى الشمال، كانت كوارث أخرى تقع في بورما، حيث وصل 35,000 جندي ياباني في نهاية 1941. كانت بورما مهمة لاستمرار مقاومة الصينيين (كان الطريق منها خط إمدادهم الوحيد)، إنما عندما اقترب اليابانيون، بدأت الفوضى تعم في تلك المستعمرة البريطانية الثائرة آنذاك. بدأت شرطة رانغون تفقد سيطرتها عليها، فظهرت عصابات مسلحة وأعلنت دعمها لليابانيين، وعندما بدأت الغارات الجوية انهارت الإدارة المدنية. كان الأسوأ أن البريطانيين لم تكن لديهم إلا 16 طائرة للتصدّي للهجمات الجوية اليابانية، ولم يُزوّد فيلق المراقبة البورمي الذي أُنشئ على عجل بمحطات لاسلكية، ما أرغمهم على إرسال تقاريرهم باستخدام شبكات الهاتف العامة غير الفاعلة. أغضب ويفل؛ القائد العام في الهند أيضاً، شيانج كاي شيك حين رفض اقتراحاً بالدعم من جيشين صينيين؛



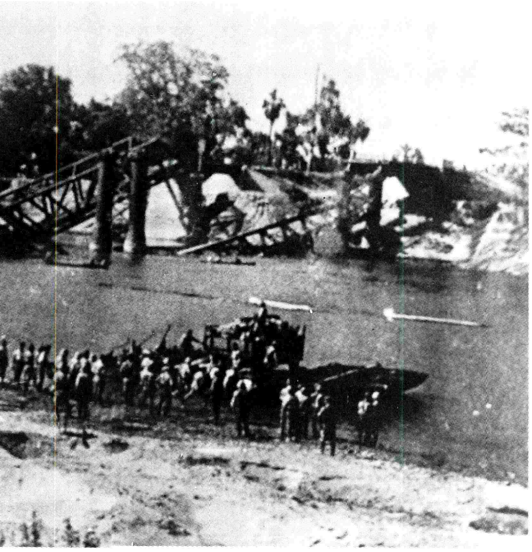
اللحظات الأخيرة للحاملة هيرميس



يابانيون يقتربون من حقول نفط بورما.

لأنهما جاءا من دون آليات نقل أو مؤن.

قاتل البريطانيون، الجدد تماماً على معارك الأدغال، إلى جانب جنود هنود وكورخا [جنود نيباليين] في شمالي البلاد حتى وجدوا أنفسهم مرغمين على التراجع فتجاوزوا نهر سيتانغ، ونسفوا الجسر في طريق انسحابهم. احتار قادتهم، في تلك الأثناء، بشأن إقامة تحصينات في رانغون أو ماندالاي. في تلك المرحلة وصل السير هارولد ألكسندر؛ القائد الأعلى الجديد، وقرّر



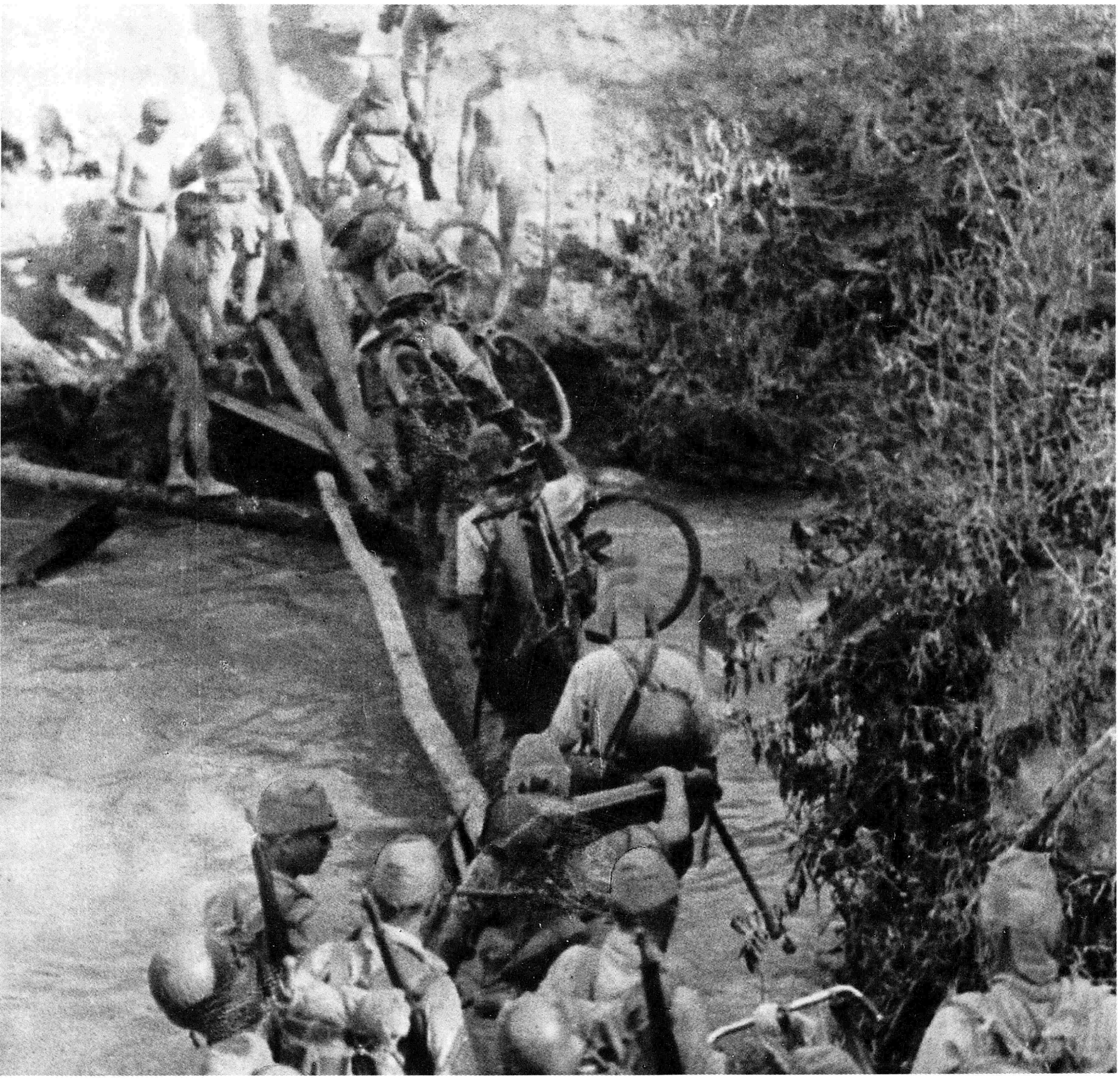




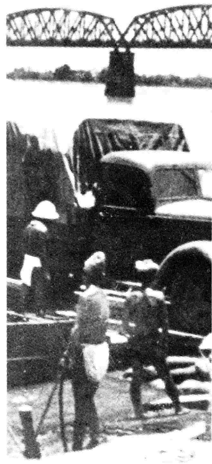
خط إمداد شيانج كاي شيك: طريق بورما.

(بعد أن هرب بشق الأنفس من مقر قيادته في رانغون) أن الدفاع عن الهند أولوية: يمكن التخلي عن بورما تماماً. عندما دخل جنود يابانيون أخيراً رانغون في 8 آذار، وجدوها خالية من الجنود البريطانيين.

عكس ألكسندر سياسة ويفل تجاه شيانج، لكن عندما وصل الجنرال الأمريكي ستيلويل إلى بورما على رأس الجيوش الصينية الموعودة، كل ما استطاع فعله كان تأخير التقدّم الياباني حتى







اليابانيون يعبرون أنهاراً بورمية في أثناء تقدّمهم.

فصل الرياح الموسمية في أيار – انتاب كل الغربيين أمل أنها ستوقف العمليات في الإقليم. في 29 نيسان، ذُعر كل من ألكسندر وستيويل حين سمعا أن اليابانيين قطعوا طريق بورما عند لاشيو، ولم يعد درب العودة إلى الصين سالكاً.

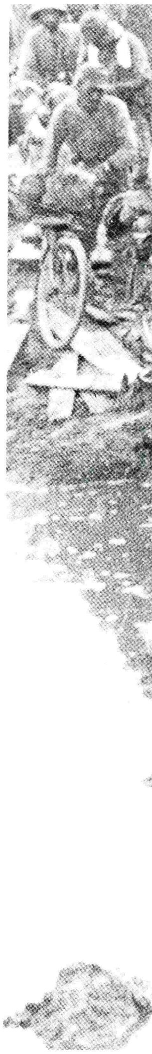
بدأ جنود بريطانيون وهنود وصينيون آنذاك سلسلة انسحابات مضنية سيراً على الأقدام شرقاً عبر التلال البورمية إلى الحدود الهندية. في 11 أيار، عبر 60,000 جندي من فيلق بورما



أعلى وأسفل: جنود يابانيون يعبرون نهر تشيندوين في أثناء الرياح الموسمية.

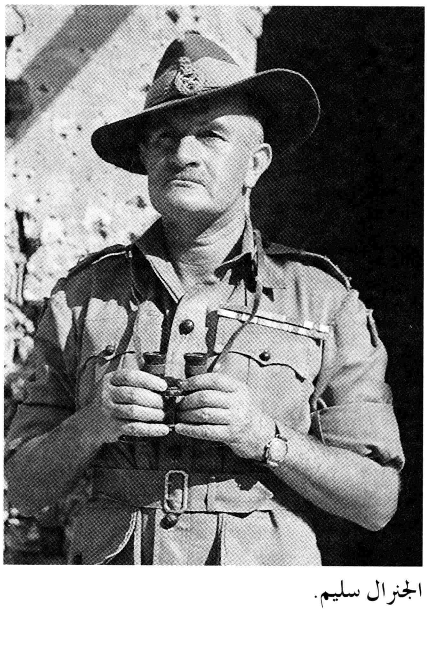






جنود حلفاء ينسحبون عبر تشيندوين.

بقيادة الجنرال ويليام سليم نهر تشيندوين لاجتياز مسيرة 1000 ميل عبر التلال إلى آسام، ليصلوا وقد تمزّقت أحذيتهم وأصبحت ثيابهم أسمالاً. تبع هؤلاء 100,000 صيني بقيادة ستيلويل، متجاوزين جثث لاجئين متفسّخة على طول الطريق، ووصلوا بعد أسبوعين بعد أن قطعوا آخر 150 ميلاً سيراً عبر ممرات جبلية زلقة، ليلقوا استقبالاً فاتراً من قبل السلطات البريطانية في الهند. كتب سليم: «كانوا مرهقين تماماً، والملاريا والزحار يفتكان بهم، ويستحقون معاملة أفضل من عدم الاهتمام أو المساعدة الضئيلة التي تلقوها». وافق ستيلويل: «تعرّضنا إلى هزيمة نكراء، وقد خرجنا من بورما وهذا مذل. يجب أن نكتشف سبب حدوث ذلك، ونعود ونسترجعها».



الجنرال سليم.



الهزيمة في الفلبين

استسلام الجيش الأمريكي

أُرسل دوغلاس مكارثر؛ أبرز جنرالات أمريكا – مرتدياً بزّة قد صممها بنفسه، وشعره مصبوغ بالأسود – ليتولّى قيادة القواعد الأمريكية الحيوية في الفلبين في صيف 1941. كان متوقعاً دائماً أن يشن اليابانيون هجوماً هناك، لكن عندما دارت رحى الحرب، تقوّضت دفاعات مكارثر بسرعة. بعد ساعات من الضربة الجوية على بيرل هاربر، تعرّض سلاح الجو الأمريكي في الشرق الأقصى إلى هجوم على قواعده في الفلبين ودُمّرت طائراته كلها تقريباً على الأرض. بضربة واحدة، سيطر اليابانيون على الأجواء فوق الجزر. في 10 كانون الأول 1941، بدأ أول الجنود اليابانيين من 57,000 رجل بقيادة الجنرال ماساهارو هوما النزول على حافة جزيرة لوزون.



كانون الأول 1941: هوما يصل الفلبين.



أيار 1942: أسرى حرب أمريكيون وفلبينيون في كوريجيدور.

كان حجم جيش هوما أقل من نصف قوات مكارثر، إنما جنوده أفضل تدريباً وأحسن تجهيزاً. لقد ركّز مكارثر أيضاً جنوده خارج مانيلا، ما عنى ألا يواجه هوما مشقّة في التغلب على الجنود الفلبينيين المنتشرين على الخط الساحلي تحسباً للغزو. عشية عيد الميلاد 1941، أرغم قصف جوي متواصل مكارثر على الانسحاب من مانيلا وإعلانها مدينة مفتوحة، فدخلها جنود يابانيون في 2 كانون الثاني 1942.

عقد مكارثر العزم على حفر خنادق دفاعية في شبه جزيرة باتان؛ قطعة أرض سبخة طولها 25 ميلاً وعرضها 20 ميلاً وتشرف عليها جزيرة كوريجيدور المحصّنة. أنشئ مقر قيادته على



في المقابل: أضرار القاعدة البحرية اليابانية في الكافايت على لوزون.



أضرار القاعدة البحرية اليابانية في كافايت على لوزون.



مقذوفات أمريكية مضادة للطائرات فارغة على كافايت.



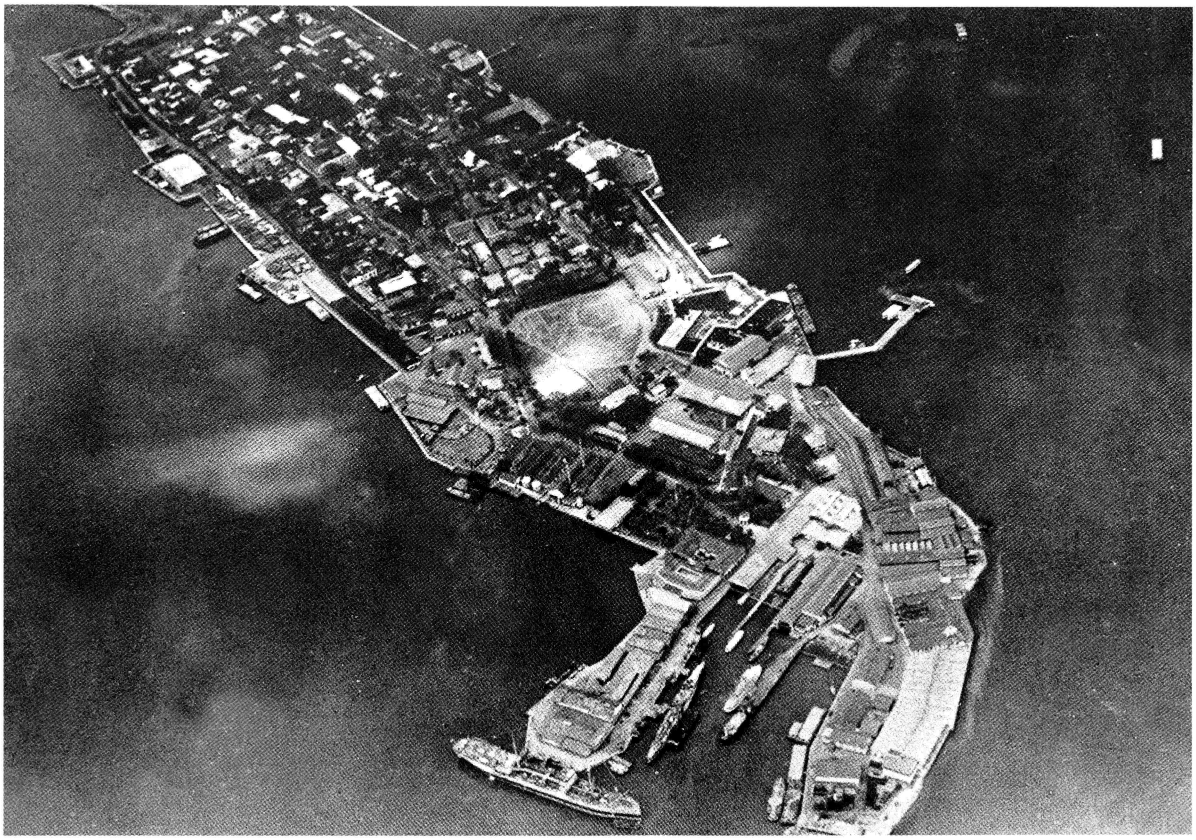


جنود يابانيون يهاجمون مواقع أمريكية في خليج سوبيك، خارج مانيلا.

الجزيرة، إلى جانب مانويل كويزون؛ الرئيس الفلبيني. في تلك الأثناء، خضع جنود أمريكيون في باتان إلى أول اختبار في الحرب الإستوائية، ولم يحاربوا اليابانيين فقط إنما أمراضاً مثل الدودة الشَّصِّية، والبري–بري، والزحار، والملاريا. خفّف مكارثر عن المدافعين المنهكين: «المساعدة في طريقها من الولايات المتحدة. لقد أرسلوا آلاف الجنود ومئات الطائرات».

لكن الجنرال كان مخطئاً، فقد سيطر اليابانيون آنذاك على الممرات المائية في الهادئ، وقدّر مخططون إستراتيجيون في واشنطن أنه لا يمكن مواصلة الدفاع عن الفلبين. كانت أي قوات أو معدّات أخرى تُرسل إلى هناك ستقع في يدي اليابانيين.

ساء وضع مكارثر، فقد وضع خططه الأصلية على أساس وجود 43,000 مدافع، لكنه وجد قطاع باتان الضيق مملوءاً آنذاك بنحو 100,000 جندي ولاجئ، وكانت الأمراض تعني أن بمقدور



قاعدة كافايت البحرية، مهجورة بمواجهة الهجوم الياباني.





مكارثر والرئيس كويزون في باتان.







لاجئون يغادرون مانيلا المحترقة.





أعلى وأسفل: جنود يابانيون في ضواحي مانيلا.





أعلى وأسفل: جنود يابانيون في مسيرهم خارج مانيلا.

ربع جيشه فقط القتال. من ناحية أخرى، واجه هوما مشكلة مماثلة، مع 10,000 جندي مريض ونقص فرقة واحدة بعد إرسالها إلى الهند الشرقية الهولندية. توقفت العمليات العسكرية وقتاً قصيراً.

في 11 آذار 1942، أمر روزفلت مكارثر بمغادرة كوريجيدور، وقد أعلن حين غادر على متن زورق طربيد إلى أستراليا: «سأعود». أدرك المدافعون؛ «الأوغاد المدافعون عن باتان» كما سُمّوا



شوارع مانيلا بعد قصف ياباني.





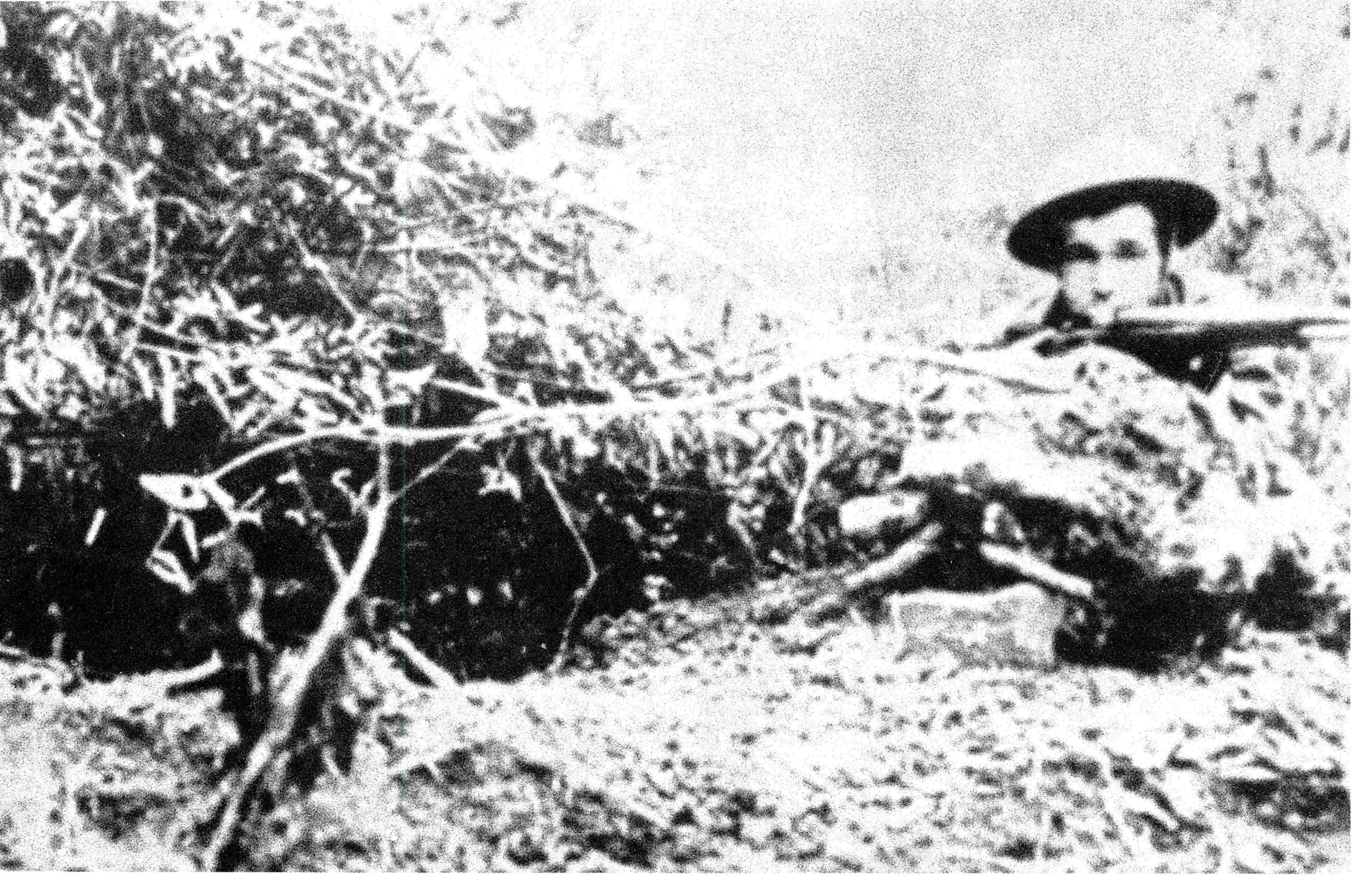
جنود يابانيون في باتان.



مستوطنة في باتان تعرّضت للقصف.



مستطلعون فلبينيون يعرضون سيف ساموراي استولوا عليه.



في الأسفل: مدنيون فلبينيون يستعدون لمغادرة بيوتهم.





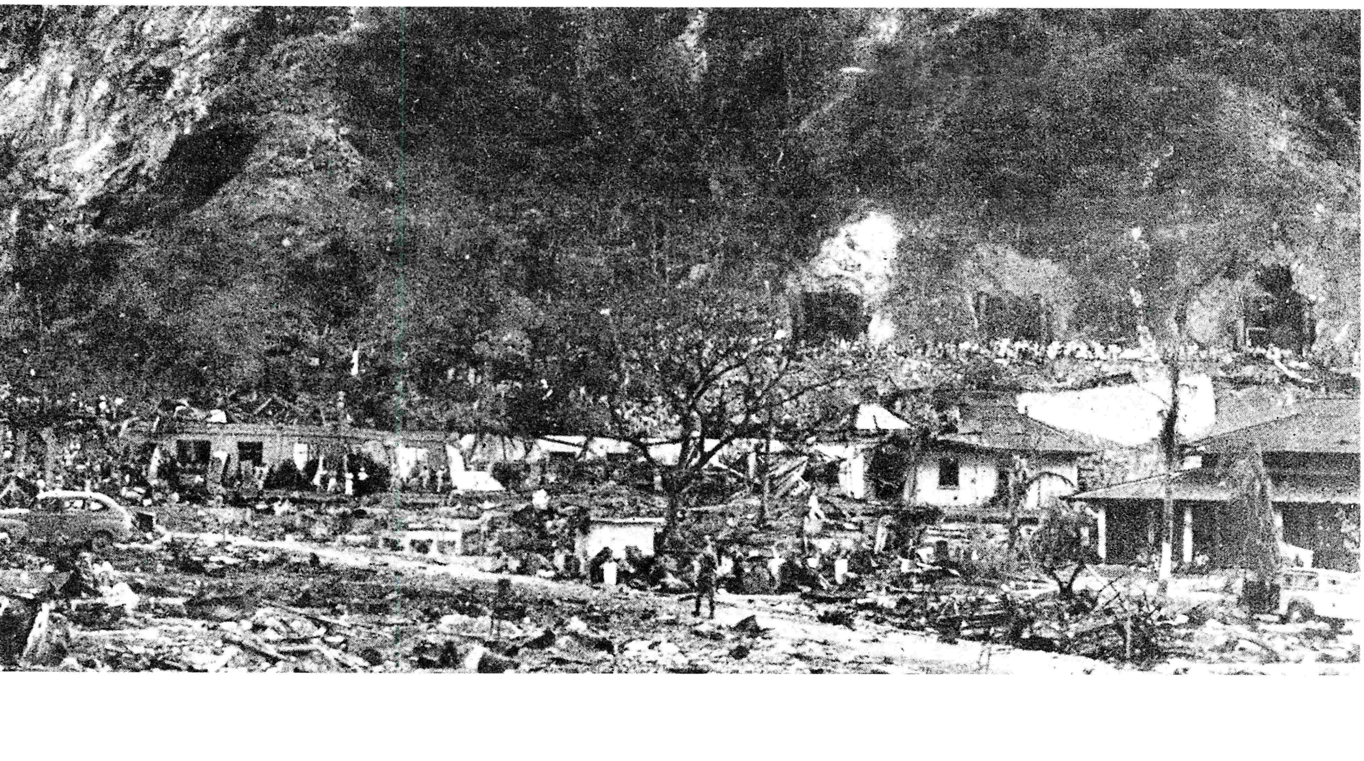
فلبينيون وأمريكيون يتمركزون في شبه جزيرة باتان.



مدفعية يابانية تعمل.



أعلى وأسفل: جنود يابانيون ينزلون على كوريجيدور.



آنذاك، أنهم أصبحوا بمفردهم، وتابعوا القتال شهراً آخر، وتناولوا كل ما يمكن أكله تقريباً على شبه الجزيرة؛ حمير وخيول وسحالي إغوانة. بحلول بداية نيسان، وصلت تعزيزات إلى هوما فهاجم مجدداً. استسلم الجنود الأمريكيون في 9 نيسان، بعد أن أنهكهم سوء التغذية والإرهاق ولم يعد بمقدورهم شن هجوم مضاد، تاركين خلفهم 15,000 أمريكي في قلعة كوريجيدور نفسها.

لا تبعد كوريجيدور أكثر من ميلين عن باتان، لذا عانت قصفاً متواصلاً تقريباً من المدفعية اليابانية (أُطلق عليها ما يصل إلى 16,000 قذيفة في يوم واحد). في 4 أيار، أصابت قذيفة مخزن قنابل الجزيرة، وفي اليوم الآتي حصل اشتباك بالسلاح الأبيض فوق جثث الموتى وجُرح الجنرال جوناثان وينرايت؛ نائب مكارثر، مدافعاً في الأنفاق تحت القلعة.



تدريب على رشاش في كوريجيدو.





أعلى ويمين: المدافع الثقيلة على كوريجيدور.



أيار 1942 – أمريكيون في نفق في كوريجيدور.



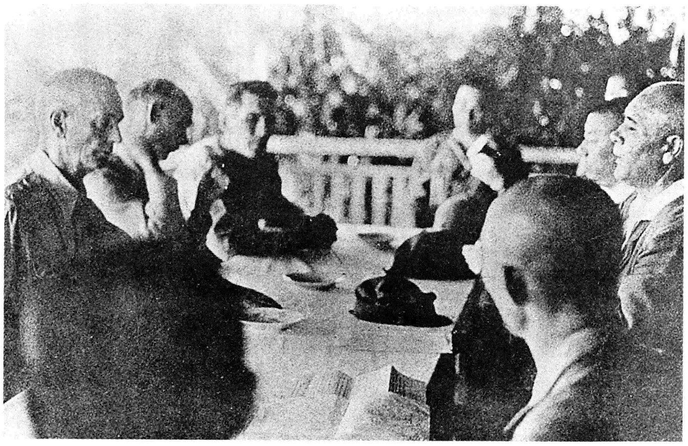
جنود أمريكيون يخرجون بعد الإستسلام.







في 6 أيار 1942، عرض وينرايت الاستسلام، مدركاً أن الموقف يائس. رفض اليابانيون قبول هذا حتى تستسلم أيضاً قوات الصاعقة التي لا تزال تقاوم على أجزاء أخرى من الجزيرة. أمر وينرايت باستسلام عام، خائفاً من حدوث مجزرة. برغم هذا، تابع بعض جنود الصاعقة الأمريكية القتال شهراً آخر، تحفّزهم رسائل من مكارثر في أستراليا.

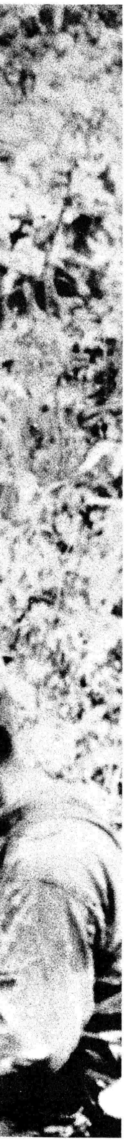


وينرايت يستسلم إلى هوما.

بانتهاء حملة الفلبين، مات أو أُسر 30,000 جندي أمريكي و110,000 فلبيني، مقارنة بقتل 12,000 جندي ياباني. أُسندت إلى الجنرال هوما مهمة العثور على قياديين فلبينيين للمساعدة في حكم الجزيرة، لكن كثيرين منهم رفضوا، وفيهم قاضي القضاة خوسيه آباد سانتوس: أُعدم بعد يوم من استسلام وينرايت. كان مصير الأسرى الأمريكيين والفلبينيين في باتان وكوريجيدور أفضل قليلاً.



وينرايت يذيع الإستسلام.



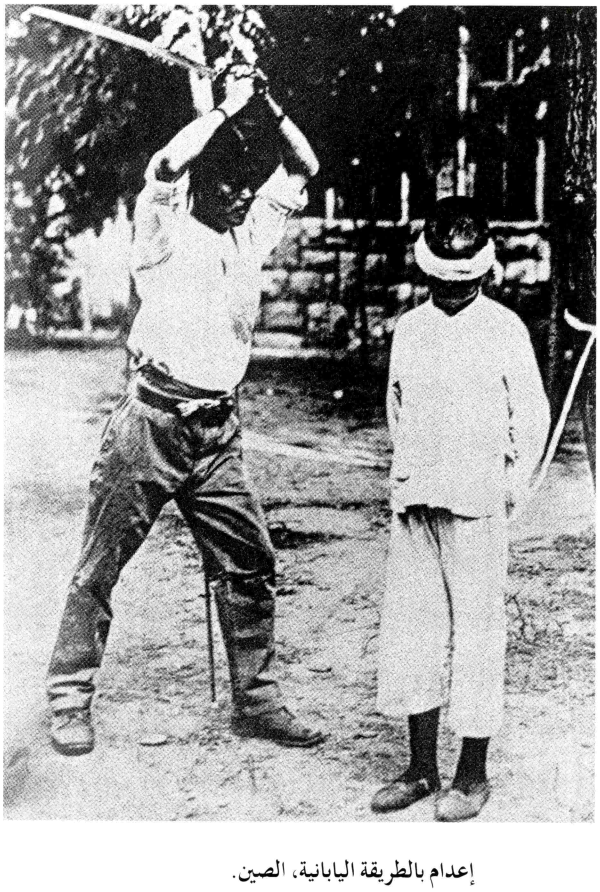
الفظائع اليابانية

جرائم إمبراطورية الشمس

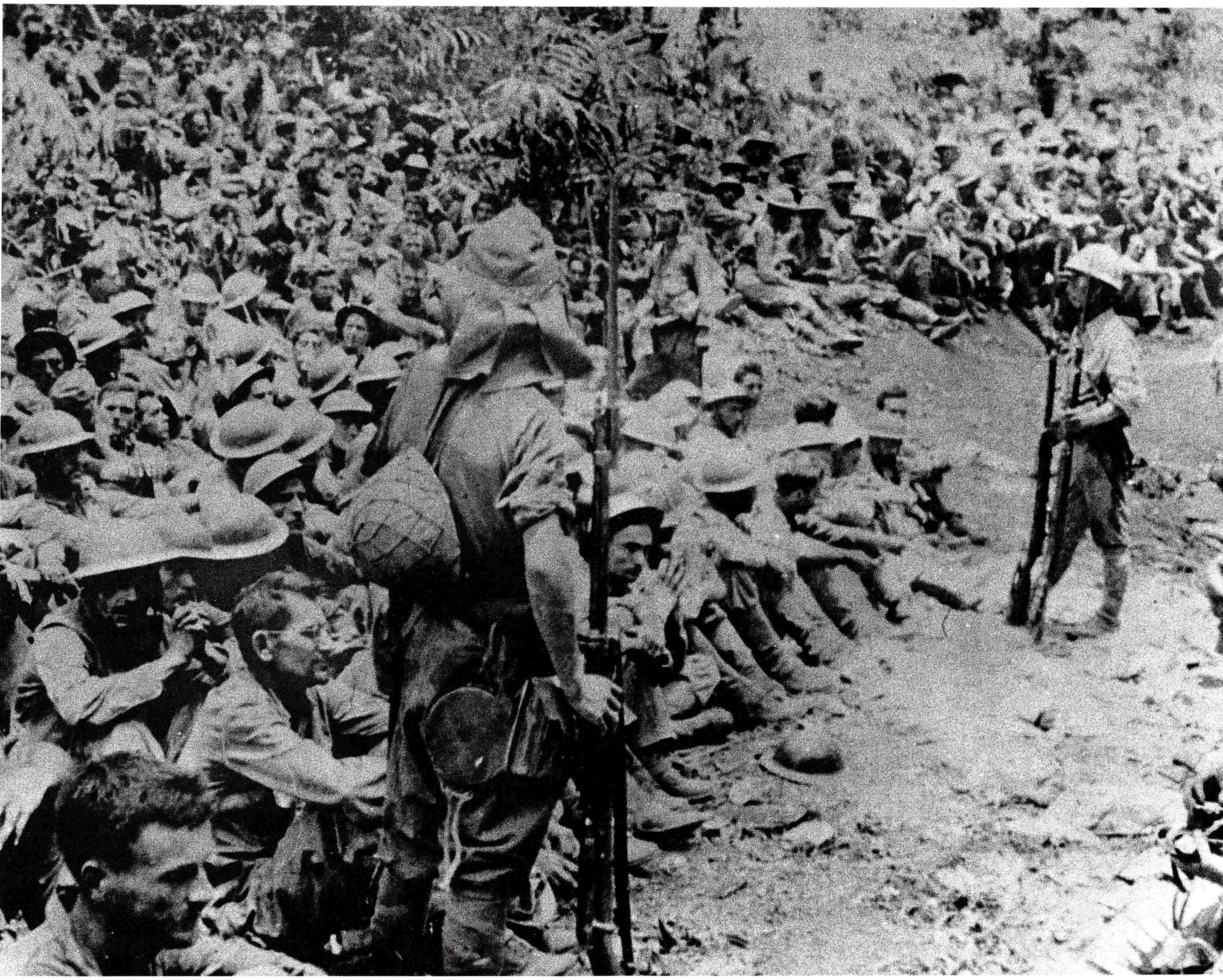
في ثلاثة شهور، كانت اليابان قد خرقت الحصار الأمريكي، وسيطرت على حقول النفط الهولندية وأفزعت الإمبراطورية البريطانية. تحكّمت آنذاك أيضاً بكل مطاط العالم و70٪ من قصديره، فاكتمل بذلك «مجال الازدهار المشترك»، وحقّقت إنجازاً عسكرياً استثنائياً.

لكن «الازدهار المشترك» كان تعبيراً دعائياً. حثَّ بث الإذاعة اليابانية السكان المحليين قبل وصول جيوشها: «احرقوا البيض في لهيب النصر». برغم البلاغة الخطابية، ارتكب اليابانيون الخطأ نفسه الذي اقترفه الألمان في روسيا. ربما تكون بعض الشعوب قد رحّبت بالتحرّر من الإمبريالية البريطانية، أو الهولندية، أو الفرنسية، أو الأمريكية، لكن «محرّروهم» اهتموا أساساً باستغلالهم.

برغم ذلك، صدّقت كثير من الشعوب المحلية الدعاية اليابانية في البداية. لم تعترض الحكومة التايلندية على استخدام اليابانيين أراضيها لمهاجمة شمالي مالايو، وحيّت حشود جنوداً يابانيين برايات وهتافات في جاوة وسومطرة، وأبدى كثير من القوميين الهنود استعدادهم للقتال ضد البريطانيين بإمرة اليابانيين. إضافة إلى هذا، مُنحت بورما والفلبين استقلالاً اسمياً تحت «الحماية» اليابانية، وفي إندونيسيا عمل القائد القومي أحمد سوكارنو، الذي أُطلق سراحه من سجن هولندي، مع إدارات يابانية لصياغة دستور الاستقلال. لكن هذه التنازلات اليابانية لحكم ذاتي محلي كانت ظاهرية لا حقيقية: القاعدة هي الهمجية الراسخة.



إعدام بالطريقة اليابانية، الصين.



استراحة قصيرة في مسيرة الموت إلى باتان.

إذا نسي فلبيني أن ينحني ثلاث مرات لجندي ياباني، فسيُشنق من أقرب عمود مصباح. في سومطرة، نفّذ اليابانيون قمعاً عنيفاً ضد حركة المقاومة السرية بقيادة أمير شريف الدين: من بين أولئك السومطريين الذين اعتقلوا، توفي نصفهم تقريباً بحلول نهاية الحرب. أُرغم مليون آخر من سكان جاوة وسومطرة على العمل القسري لبناء سكلة حديد بورما، ومات ثُلثهم تقريباً في أثناء ذلك. في 1943، عندما ثار أسرى صينيون ومحليون آخرون ضد الاحتلال في جسلتون؛ عاصمة بورنيو، هُدمت مئات القرى المحلية وعُذّب سكانها. بحلول نهاية سنة احتلالهم الأولى، قوّضت



قسوتهم التي لا يمكن تصوّرها كل التأييد تقريباً لليابانيين الذين تركوا خلفهم إرثاً مريراً لا يزال حياً حتى اليوم.

قد يكون النسيان طوى معاملة السكان الوطنيين في جنوبي شرقي آسيا نتيجة الغضب المبرّر من تعامل اليابانيين مع أسرى الحرب الغربيين. بخلاف النازيين، لم يكن لدى اليابانيين سياسة إبادة جماعية في معسكرات اعتقالهم، إنما اتصف سلوكهم بالتأثير نفسه. وفقاً للعقيدة العسكرية اليابانية المسمّاة بوشيدو، يسلّم الأسرى كل الشرف مع حريتهم، ويذهب مع الشرف كل حق بمعاملة إنسانية. دُهش اليابانيون من أسرى أمريكيين في باتان طلبوا إرسال أسمائهم إلى ديارهم حتى تعرف أسرهم أنهم أحياء. بسبب «عار» عدم القتال حتى الموت، كان أسرى الحرب الغربيين يُضربون بانتظام، ويُجوّعون، ويُحرمون من العناية الطبية، ويخضعون لتجارب طبية غريبة أو يعملون حتى الموت، في حين نُهبت صناديق الصليب الأحمر الخاصة بهم. كان البيض الذين يرفضون الانحناء لجنود يابانيين يُضربون ضرباً مبرّحاً – أو حتى أسوأ من ذلك. فيما يتعلق بالتهمة نفسها، كانت شُعُور رؤوس النساء البيضاوات تُحلق إذا لم تفعلن ذلك.



أسرى حرب أمريكيون في «مسيرة الموت».





«استراحة في مسيرة الموت».

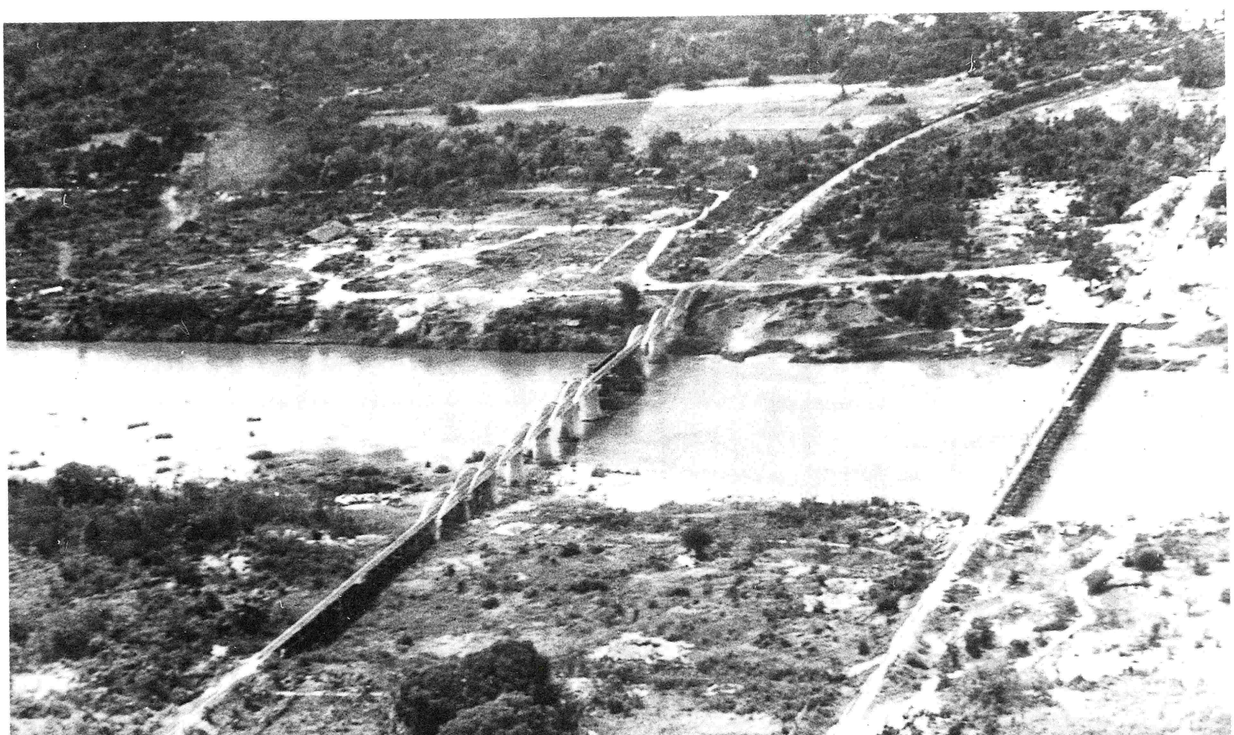
لم ينعم أحد بالأمن، وكان أطباء الحلفاء يُعاقبون إذا أصبح أحد الأشخاص المكلّفين بهم ضعيفاً ومعرّضاً للمرض بسبب تناول وجبة هزيلة من 8 أونصات أرز مرتين يومياً، في حين يُعامل كبار الضباط باحترام أفضل قليلاً. سُجن الحاكم البريطاني لـ هونغ كونغ من دون أي اتصال مع العالم الخارجي، ثم أُرغم على العمل راعياً للماعز وضُرب حين شرد القطيع. كان الجنرال بيرسيفال، الذي وقّع الاستسلام في سنغافورة، يُضرب لوجود أوساخ تحت أظافر أصابعه.

عندما استسلم اليابانيون في 1945، كان ٪27 من أسرى البريطانيين والكومنولث قد توفوا، في حين مات ٪37 من أسرى الحرب الأمريكيين.

لا يزال محفوراً في ذكريات الأمريكيين والفلبينيين الفظائع التي ارتُكبت بعد سقوط كوريجيدور. أُرغم أسرى مرهقون وجائعون على السير 60 ميلاً في حرارة شديدة، من دون



أعلى: أسرى حرب أمريكيون تحت الحراسة. أسفل: جسران في بورما بناهما عمّال من أسرى الحرب.

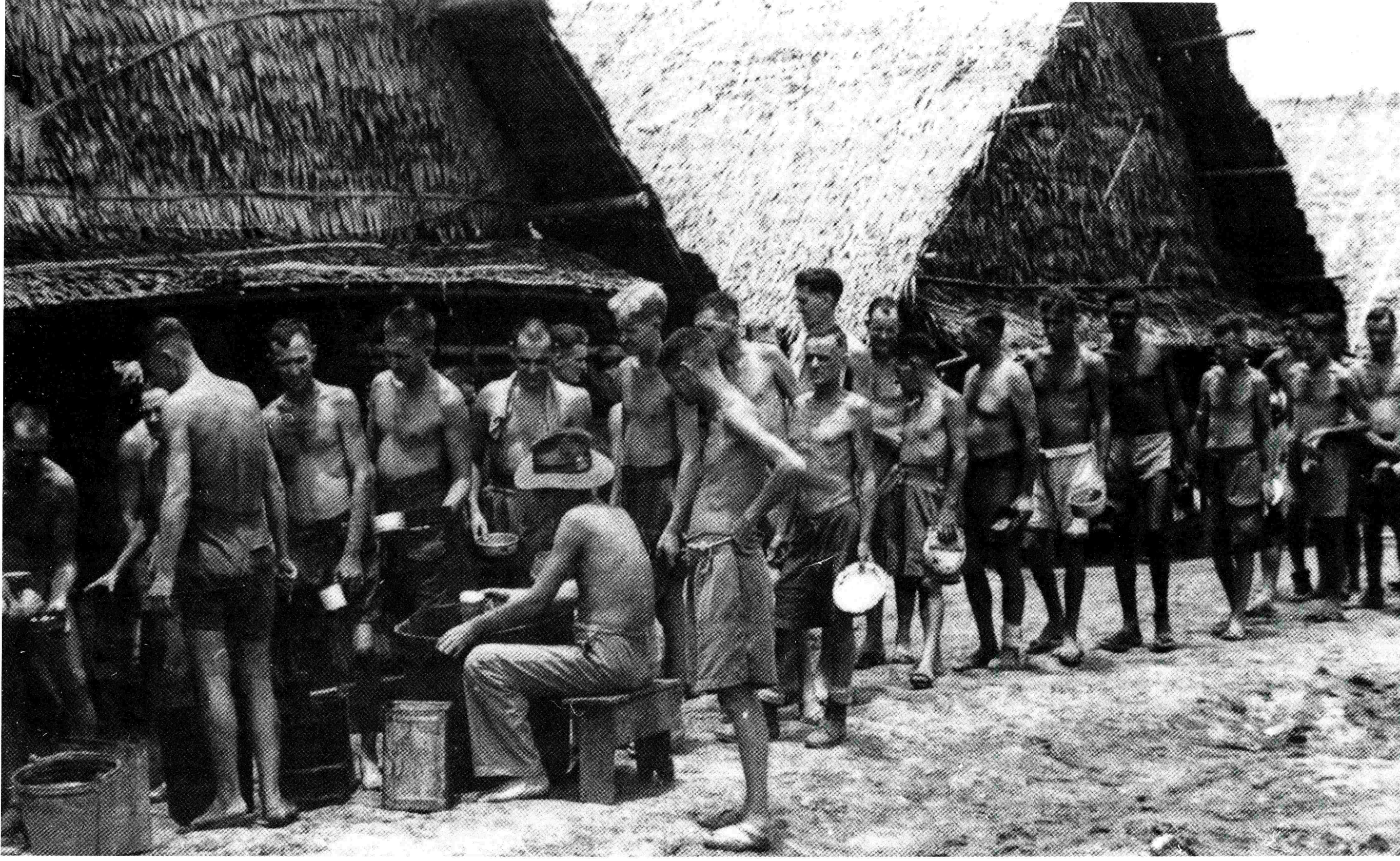


طعام ملائم أو ماء نقي (بال حرّاس يابانيون في الماء المالح قليلاً قبل أن يشربه الأسرى) من ماريفلز إلى سان فرناندو. أُطلقت النار على أولئك الذين سقطوا من شدّة التعب ولم يعد بمقدورهم متابعة الطريق، أو طُعنوا بحراب، أو تُركوا يموتون من التجفاف. لم يصل بين 10,000 و16,000 أسير إلى نهاية «مسيرة موت باتان»، وفي الأسابيع القليلة الأولى في معسكرات الأسر، توفي 16,000 فلبيني و1000 أمريكي آخرين.

كان جنود بريطانيون وأستراليون أسرى، من ناحية أخرى، قد شهدوا أهوالاً على طريق سكة حديد بورما. بعد هزيمتهم في معركة ميدواي في حزيران 1942، أصبح النقل بحراً صعباً بازدياد لليابانيين، الذين احتاجوا إلى إمدادات من أجل حملتهم في بورما، وعنى ذلك بناء طريق بري بين بانكوك ورانغون. وجب أن تعبر أي سكة حديدية ودياناً صغيرة كثيفة الأشجار وتلتف حول جبال يصل ارتفاعها إلى 5000 قدم: قدّر مهندسون يابانيون أن البناء سيستغرق خمسة أعوام من دون معدّات تشييد ثقيلة. لكن القيادة العسكرية اليابانية لم تكن تسمح بـ«الانهزامية»: طلبت أن تنتهي السكة بنهاية 1943. عمل نصف الأسرى لدى اليابانيين في الإقليم قسراً على السكة



عناية طبية في معسكر – من كتيب دعائي ياباني.



توزيع حصص الطعام في معسكر لأسرى الحرب.



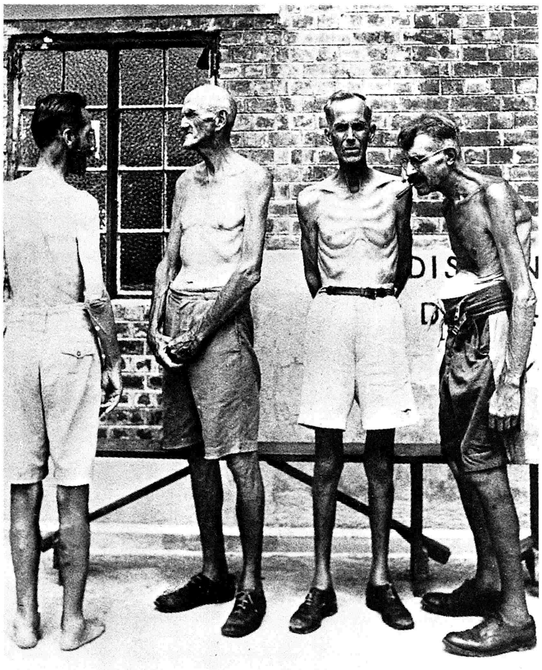
صورة دعاية يابانية عن وجبة عيد الميلاد في معسكر لأسرى الحرب (رُفعت الوجبة لاحقاً).



الظروف داخل معسكر اعتقال مدنيين.



معتقلون مدنيون يعانون بري-بري.



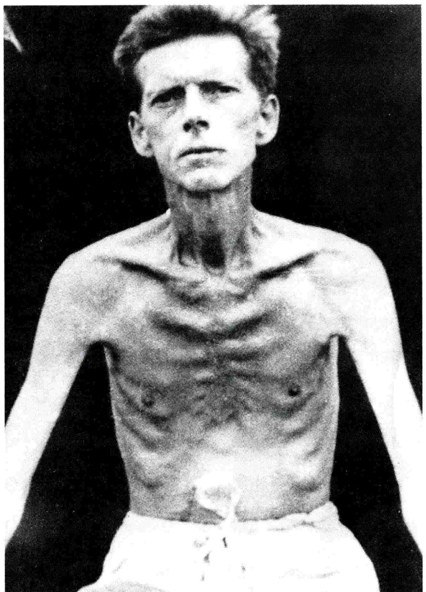
الحديدية – بريطانيون، وأستراليون، وهولنديون، وبعض الأمريكيين. أُرغم آلاف السكان المحليين على العمل أيضاً.

يوماً بعد آخر، وجد الأسرى أنفسهم مرغمين على النهوض قبل الفجر والعمل الشاق تحت الشمس المحرقة أو – في أثناء الرياح الموسمية – المطر والطين، والعودة بعد حلول الظلام فقط إلى أكواخهم المتداعية القذرة. أصبحوا نتيجة ضعفهم وسوء تغذيتهم عُرضة بازدياد للأمراض، وتوفي 13,000 منهم تقريباً في وباء كوليرا واحد، وقد حاول الحراس في إحدى المرات منع تمرّد بإطلاق النار ببساطة على المرضى. قال العقيد إدوارد دنلوب؛ طبيب أسترالي شاهد تلك الأحداث المروّعة إن التصميم على بناء سكة حديدية «لا يمكن أن يُعدَّ إلا جريمة بدم بارد ومن دون رحمة ضد الإنسانية، وواضح أنها متعمّدة». أُنجزت سكلة حديد بورما—تايلندا فعلاً بحلول 25 تشرين الأول 1943، إنما بتكلفة وفاة 50,000 أسير من الحلفاء. مات ما يصل إلى ربع مليون عامل سخرة من بورما، وجاوة، ومالايو، والصين، والهند أيضاً.



أعلى وفوق: معتقلون يعانون سوءَ تغذية حاد.

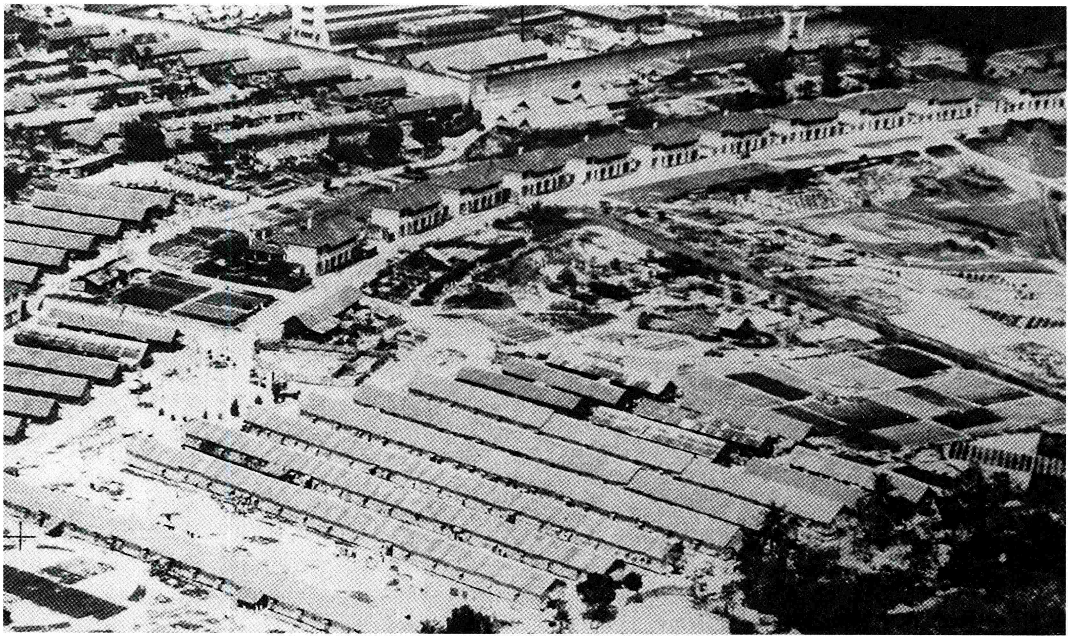




ناجٍ من معسكر اعتقال مدنيّين.

حتى نهاية الحرب، حاول اليابانيون، مثل إس إس المتراجعين في روسيا، إخفاء جرائم الحرب التي اقترفوها. في كانونِ الأول 1944، حُشِرَ أكثر من 1600 أسير هولندي وأمريكي وبريطاني أسيئ معاملتهم داخل سفينة لإبعادهم عن قوات أمريكية تتقدّم في الفلبين، فجُنَّ المئات من العطش، وعندما أُصيبت السفينة بطربيد وغرقت، أطلق يابانيون على متن باخرة أخرى النار عليهم من رشاشات. هناك قصص مرعبة أخرى. وُضع ما يصل إلى 150 أسيراً أمريكياً على إحدى الجزرِ الفلبينية في ملاجئ غارات جوية قبل وصول جنود أمريكيين، وأشعلت النار فيها. تعرّض أولئك الذين نجوا إلى الضرب حتى الموت أو دُفنوا أحياء. بنحو مشابه، عندما نزل جنود أمريكيون على جزيرة بالاوان للبحث عن أسرى في شباط 1945، لم يجدوا إلا مقابر جماعية. أنقذ هجوم قام به مغاوير أمريكيون على معسكر في لوزون 500 أسير حرب قبل أن يجريَ إعدامهم.

لم يتلقَّ العالم الخارجي معلومات كثيرة عن معاملة اليابانيين لأسرى الحرب (لم يُسمح لمفتشي الصليب الأحمر القيام بزيارات في «مناطق الحرب» اليابانية). لم تصل أولى التقارير عن مسيرة الموت إلى باتان حتى ربيع 1943، وإلى ذلك الوقت حُجبت الحقائق خوفاً من التأثير على معنويات المدنيين.



معسكرات سجن تشانغي، سنغافورة.



لاجئون فلبينيون بعد التحرير.

فعلاً، لم تظهر تفاصيل عن معظم الفظائع الرهيبة إلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها. في منشوريا، حيث سيطر الجيش الياباني منذ 1931، حقنت «وحدة مكافحة الأوبئة وإمدادات المياه» في جيش كوانتونغ أسرى عمداً بأمراض مميتة فيما يدعى أبحاثاً طبية. في سلسلة من التجارب المروّعة، شُرّح بعضهم أو غُلوا أحياء في حين خضع آخرون إلى أشعة إكس قاتلة أو نقل دم من خيول.

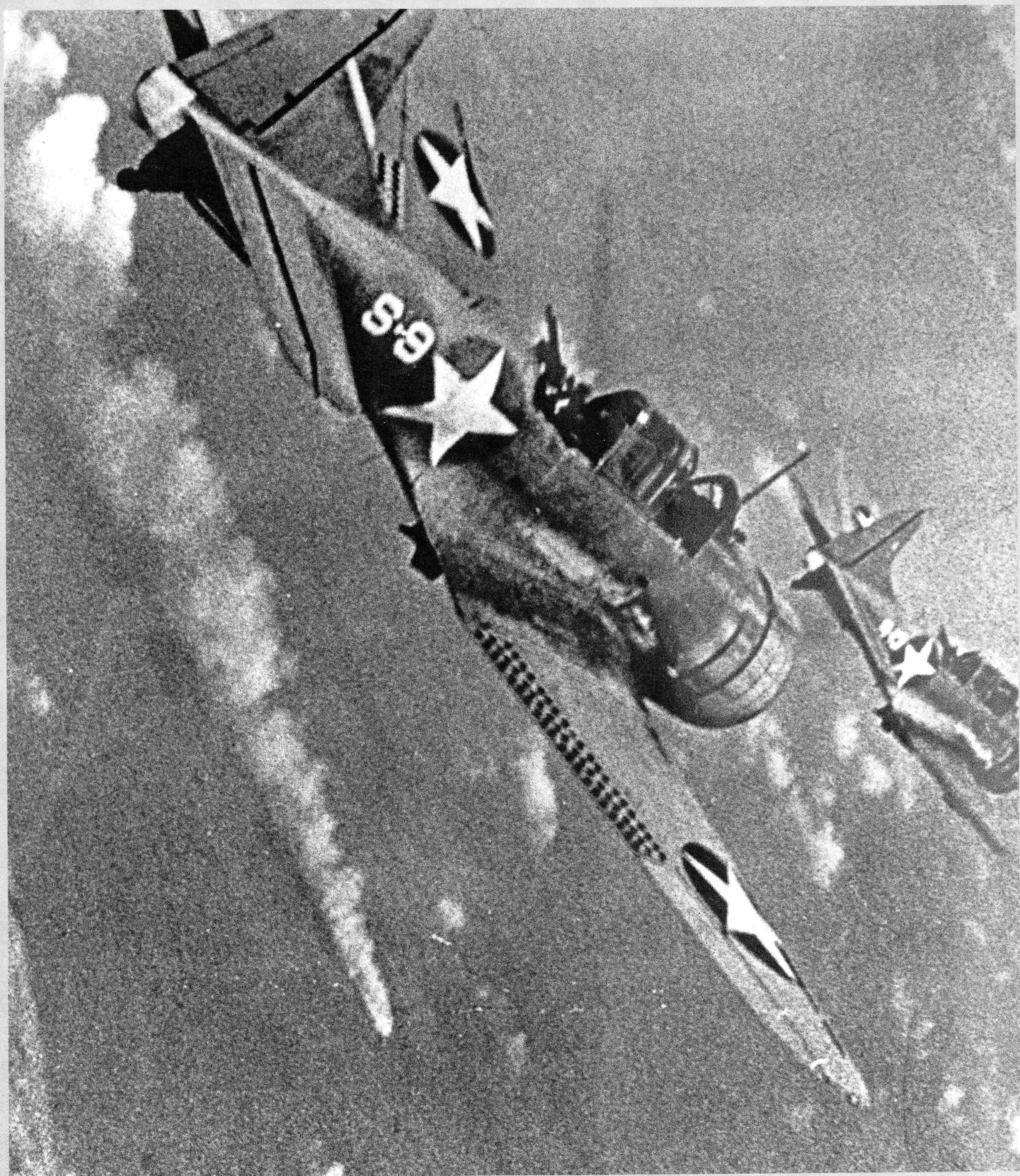
لا تزال المرارة والغضب من سلوك اليابانيين في أثناء الحرب موجودة في كل من الصين والغرب، وقد اضطلع الناجون بمهمة تذكير العالم بنحو مزعج بشرور إمبراطورية الشمس. كتب



أسرى حلفاء في طوكيو بعد التحرير.

أسير سابق في رسالة إلى تايمز (Times) اللندنية حين توفي هيروهيتو في 1989: «توجد أمامي قائمة بأسماء 300 أسير حرب ماتوا على جزيرة هاروكوم الصغيرة، في أقصى غرب إندونيسيا. منهكين ومهزولين، تلمّسوا طريقهم يومياً لبناء مهبط طائرات، ولم يُرحهم إلا الانغماس في الأمل، أو الاستسلام للمرض. توفوا في ظروف مهينة لا تُوصف. لم تلقَ مناشدات تقديم العون من الصليب الأحمر، التي زُعم أنها برعاية الأسرة الإمبراطورية اليابانية، إذناً صاغية وجاء الرد على أي ذكر لاتفاقية جنيف هستيرياً. لكننا استسلمنا وفقدنا بذلك كل حق بما يتفق مع التقليد العسكري الياباني».

الهجوم المضاد



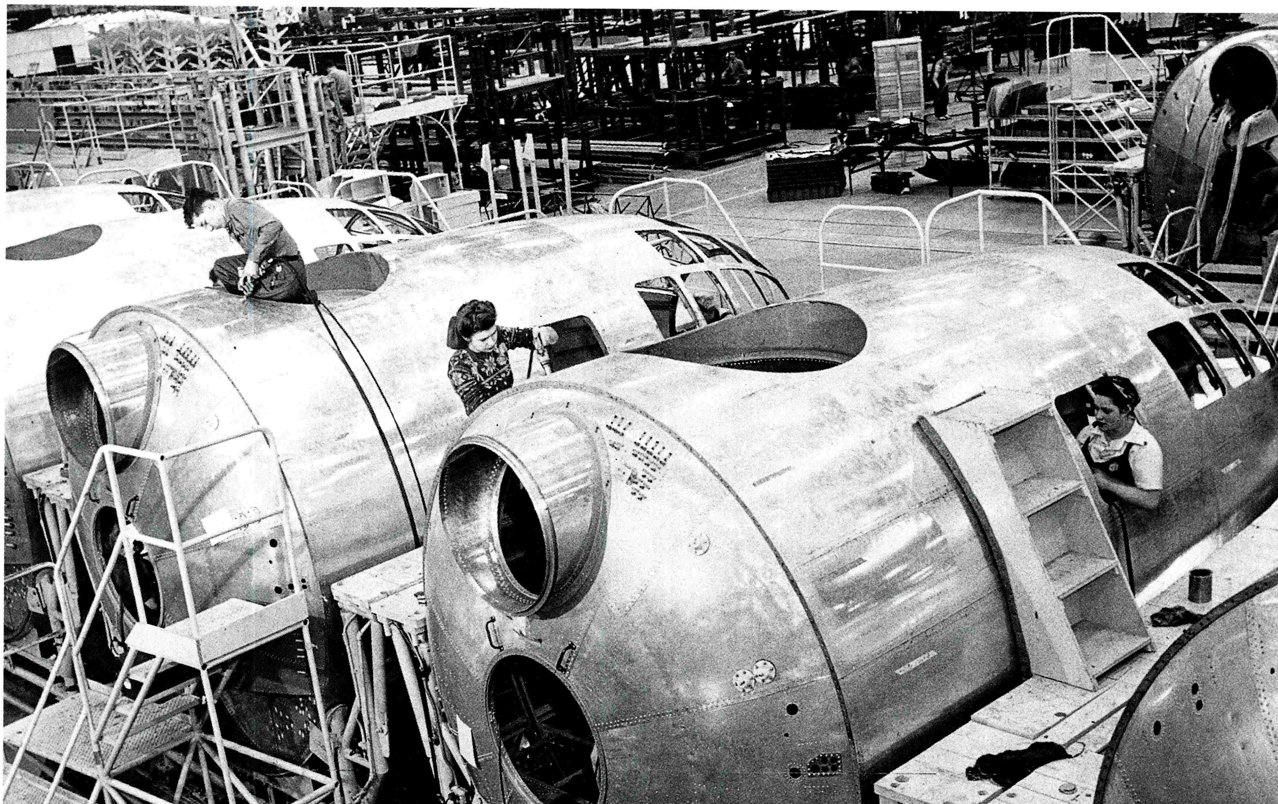
الحلفاء يردّون الصاع صاعين
للإمبراطورية اليابانية.



حشد القوة

آلة الحرب الأمريكية تزداد قوة

انتصرت اليابان في سلسلة غزواتها في الشرق الأقصى بتكلفة منخفضة نسبياً – 15,000 رجل، و380 طائرة، و4 مدمّرات. كانت السرعة عاملاً حاسماً، وركّزت الإستراتيجية اليابانية آنذاك على تعزيز مكاسبها قبل أن تستطيع الولايات المتحدة استعادة عافيتها بفاعلية لتشكّل تحدّياً جدياً لها في المحيط الهادئ. شاع أمل أيضاً أن انتصار النازيين على روسيا سيُرغم أمريكا على الجلوس إلى طاولة المفاوضات. في تلك الأثناء، كانت مهمة البحرية اليابانية التوثق من عدم وصول القوات الأمريكية إلى أستراليا وهاواي.



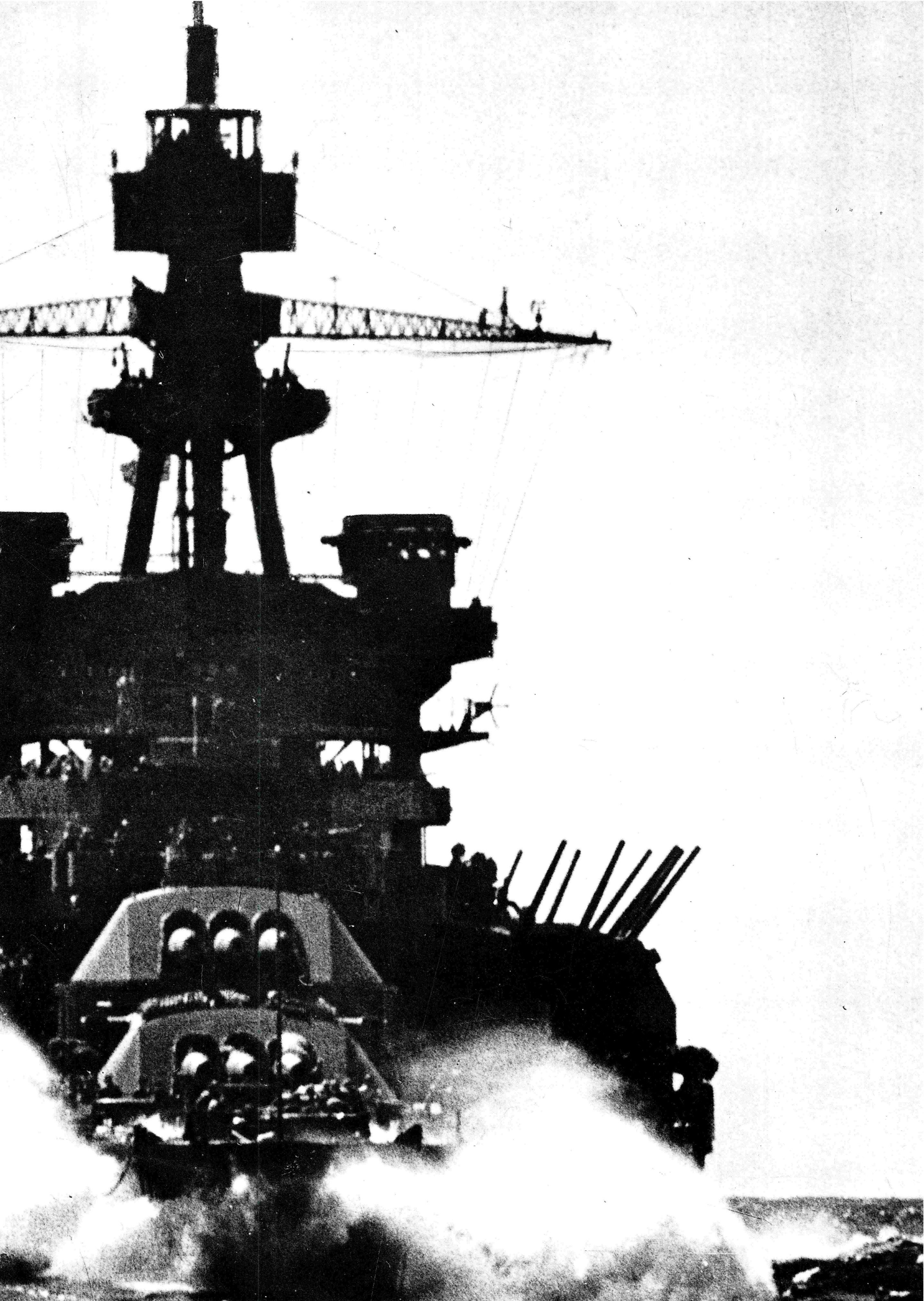
أقسام قمرة مكيّفة الضغط للقاذفة الجديدة ب29– تخرج من خط الإنتاج في مصنع بوينغ.



قسم المقدمة من ب29- يتشكّل.

برزت الحاجة إلى موارد ضخمة من أجل تلك العملية، وعندما أُخرجت آخر جيوب مقاومة الحلفاء من بورما والفلبين، جرى نقاش في طوكيو بشأن مدى إضعاف ذلك للجيش في الصين. برغم أن الجيش الياباني حقق انتصارات في مكان آخر، إلا أنه واجه برغم ذلك هجوماً متواصلاً من قوات ماو. كانت حملة «ثلاثة الجميع» - «اقتل الجميع، احرق الجميع، دمّر الجميع» - قد أثّرت بنحو مريع على السكان، إنما لم تكن لها أهمية إستراتيجية كبيرة في الصين الشاسعة. كان الشيوعيون يحشدون القرويين بفاعلية وعملوا خلف الخطوط اليابانية بطريقة قد فشل القوميون في إنجازها.

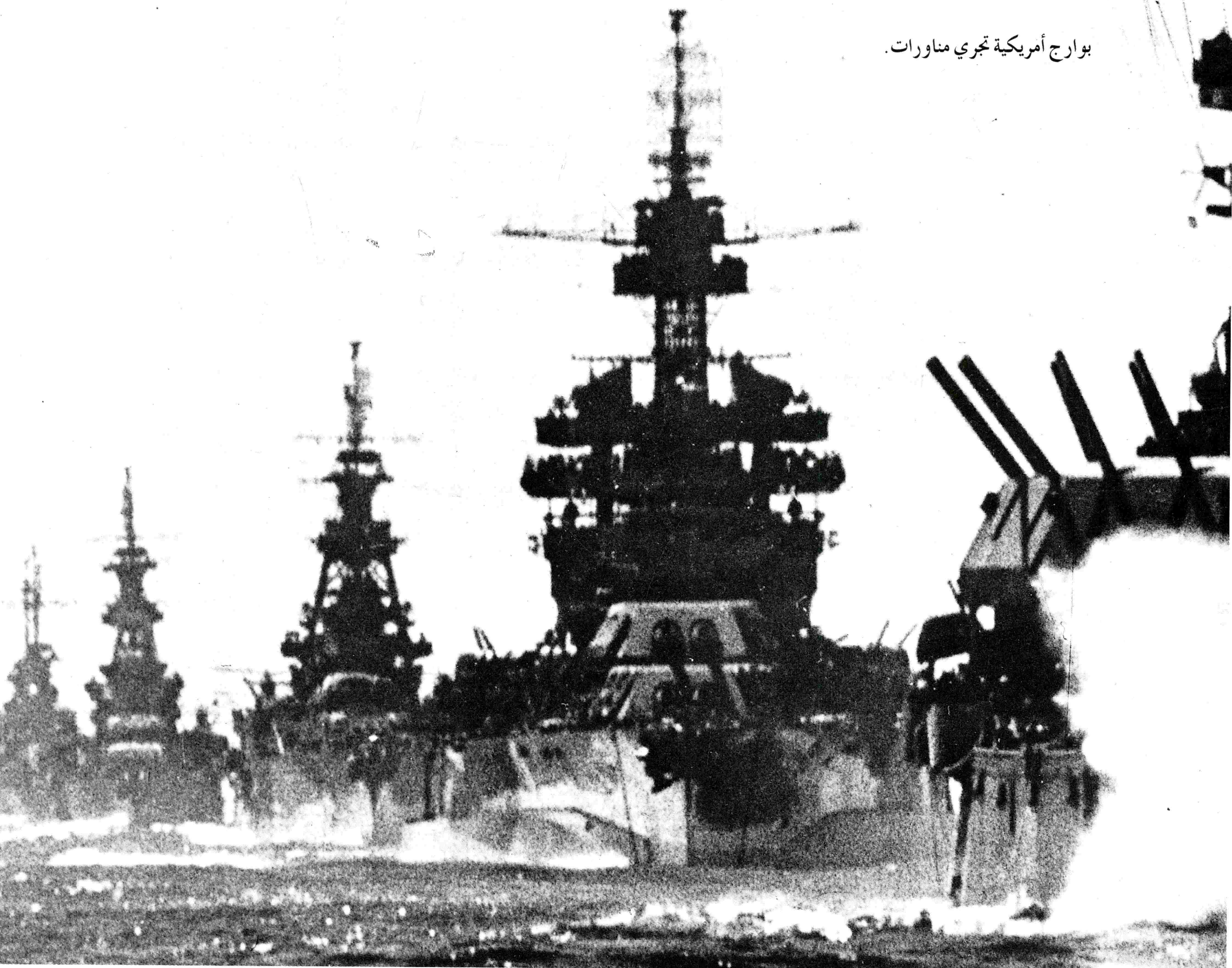
جلس شيانج نفسه في عاصمته شونغكينغ، متفادياً خوض معارك حاسمة، منتظراً أن يتعامل الأمريكيون مع اليابانيين نيابة عنه، ومحتفظاً بقوته لمواجهة ماو التي عرف أنها ستحدث بعد



انتهاء الحرب. قال: «اليابانيون مرض جلدي، والشيوعيون داء في القلب». لكن نظامه كان يتفكّك ببطء، والمناطق الصينية التي لا تزال تحت سيطرته تعاني تضخماً وفساداً كبيرين سمح للطبقات الثرية إبعاد أبنائها عن الجيش بالمال، لتملأ وحدات تجنيد أماكنهم بكل من استطاعت العثور عليه. توفي عدد كبير من المدنيين جوعاً في أثناء السير طويلاً للالتحاق بوحداتهم.

في الهادئ، كان الوقت ينفد لليابانيين، الذين عرفوا أن ثروة أمريكا الضخمة تُسكب آنذاك على المجهود الحربي. في ثورة الغضب القومية بعد بيرل هاربر، أعلن روزفلت خططاً لإنتاج 60,000 طائرة، و75,000 دبابة، ومليون طن من الشحن التجاري كل عام. لتحقيق الهدف، عملت النساء في المصانع في حين جُنّد الرجال. قُدّمت امرأة عملت على خط إنتاج طائرات، لُقّبت «روزي المبرشمة»، في حملة دعائية ضخمة على أنها قُدوة لجيل جديد من النساء الأمريكيات – صلبة وماهرة إنما أنثى.

عندما وصل مكارثر إلى أستراليا، مُنح وسام الشرف الأمريكي (احتاجت أمريكا أبطالاً في تلك المرحلة من الحرب). لكن الجيش الأمريكي الذي ينتظر قيادته في أستراليا لم يكن بالمستوى



بوارج أمريكية تجري مناورات.



المنشود على أنه قوة قتالية فاعلة. كان هناك 26,000 جندي و260 طائرة فقط: معظم العسكريين غير مدرّبين جيداً، وكثير من الطائرات تحتاج إصلاحاً. عمّق مكارثر؛ شخصية سريعة الغضب في أفضل الأوقات، انقسامات الحلفاء أيضاً برفضه ضم ضباط أستراليين أو هولنديين إلى حلقة قيادته.



نيمتز في جولة تفقّدية.

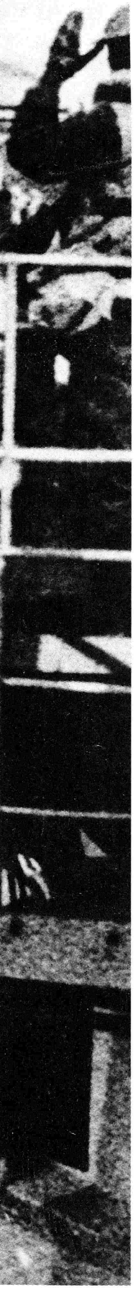
بعد تفكّك «أبها»، جعلت قيادة الحلفاء الجديدة البريطانيين مسؤولين عن سومطرة ومنطقة المحيط الهندي، في حين تولّى مكارثر القيادة في جنوبي غربي الهادئ وأسطول الهادئ الجديد، واستلم شيستر نيمتز قيادة المحيط الهادئ. كانت أفكار مكارثر ونيمتز مختلفة جداً، ونظراً إلى تداخل منطقتي قيادتهما، كانت النتيجة اختلافاً دائماً تقريباً بشأن توزيع الموارد. كتب مكارثر لاحقاً: «من بين كل القرارات الخاطئة في الحرب، ربما كان أسوؤها الفشل في توحيد القيادة في الهادئ».

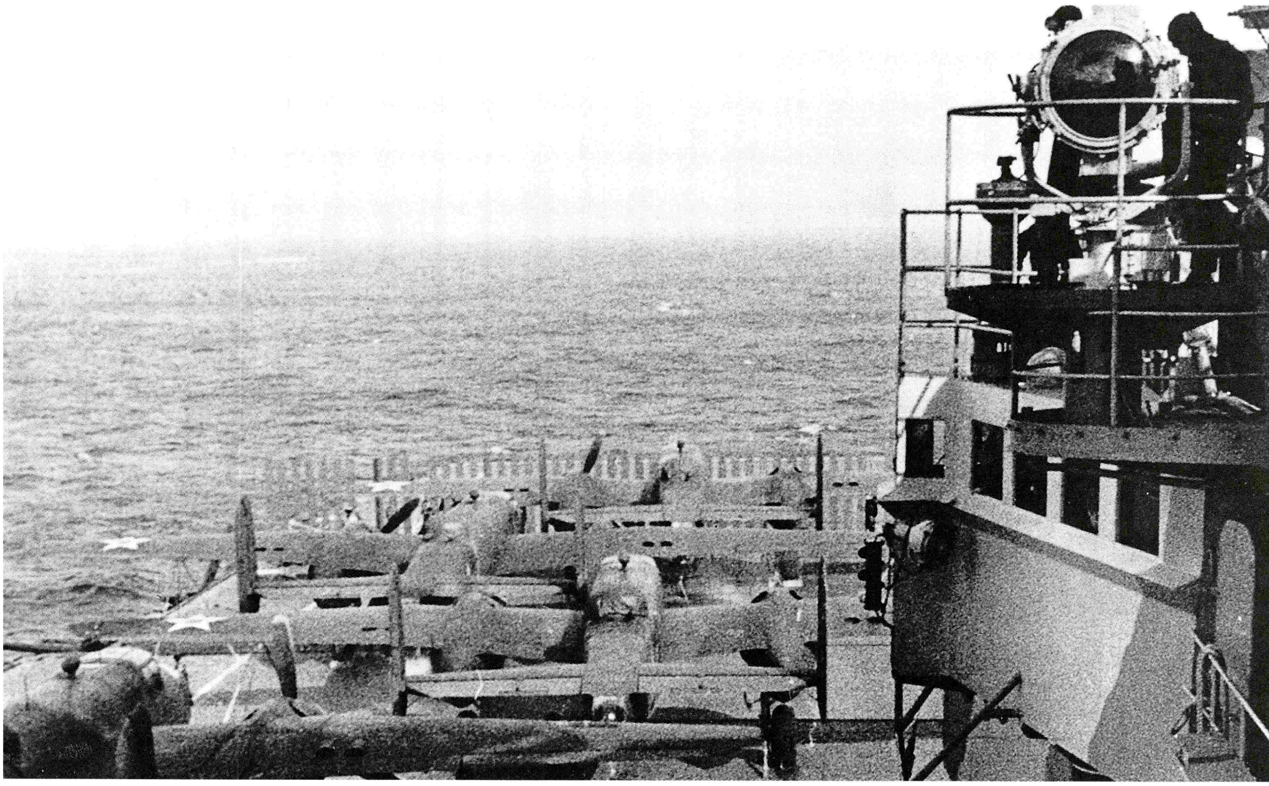


الأميرال هالسي «الثور» على جسر قيادة حاملة طائرات.



قبل الغارة على طوكيو: دوليتل يثبّت ميدالية على قنبلة على متن هورنيت، نيسان 1942.

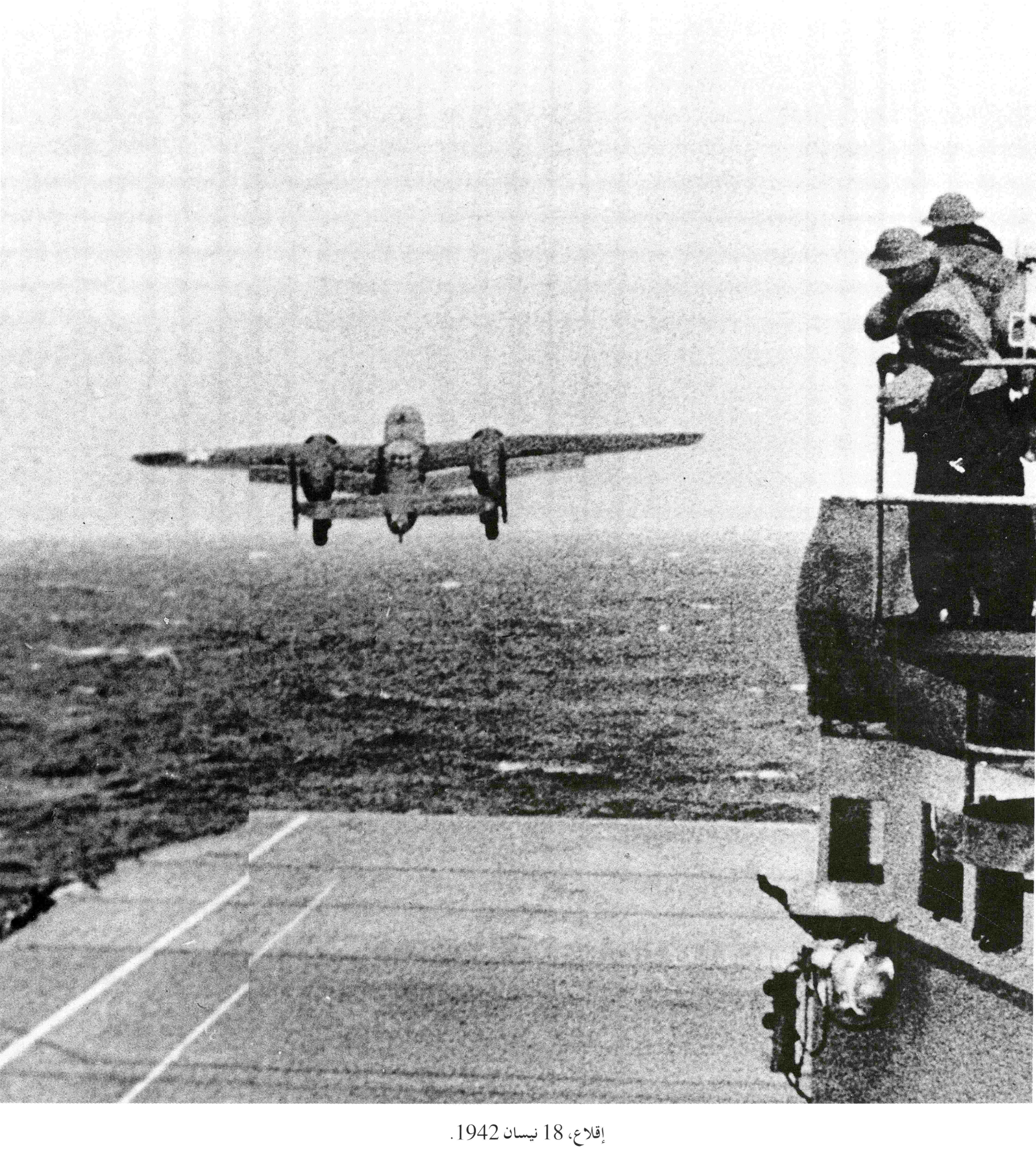




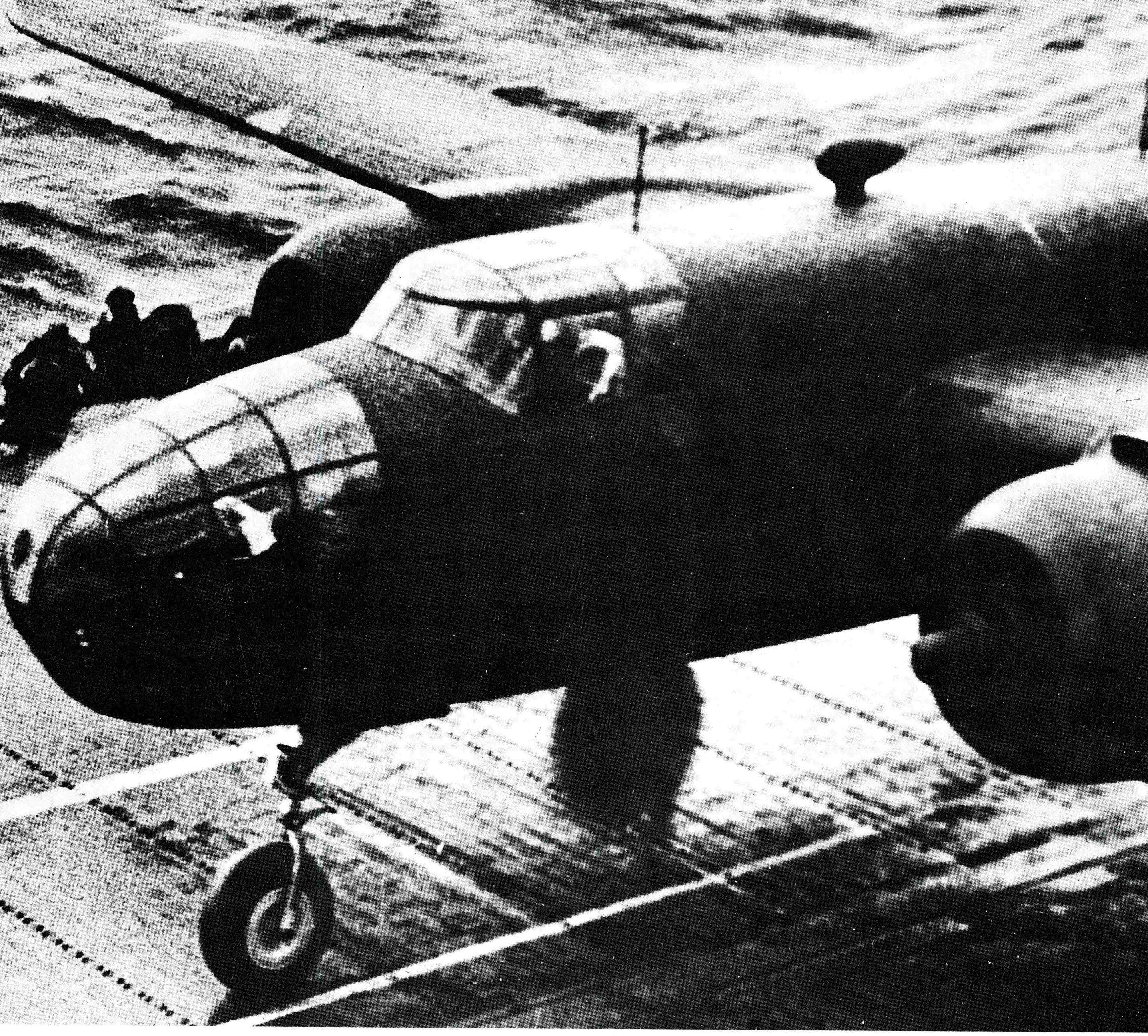
قاذفات على منصة طيران هورنيت.



ميتشر؛ قائد سلاح جو البحرية يتحدث مع دوليتل وطيّاري جيشه.



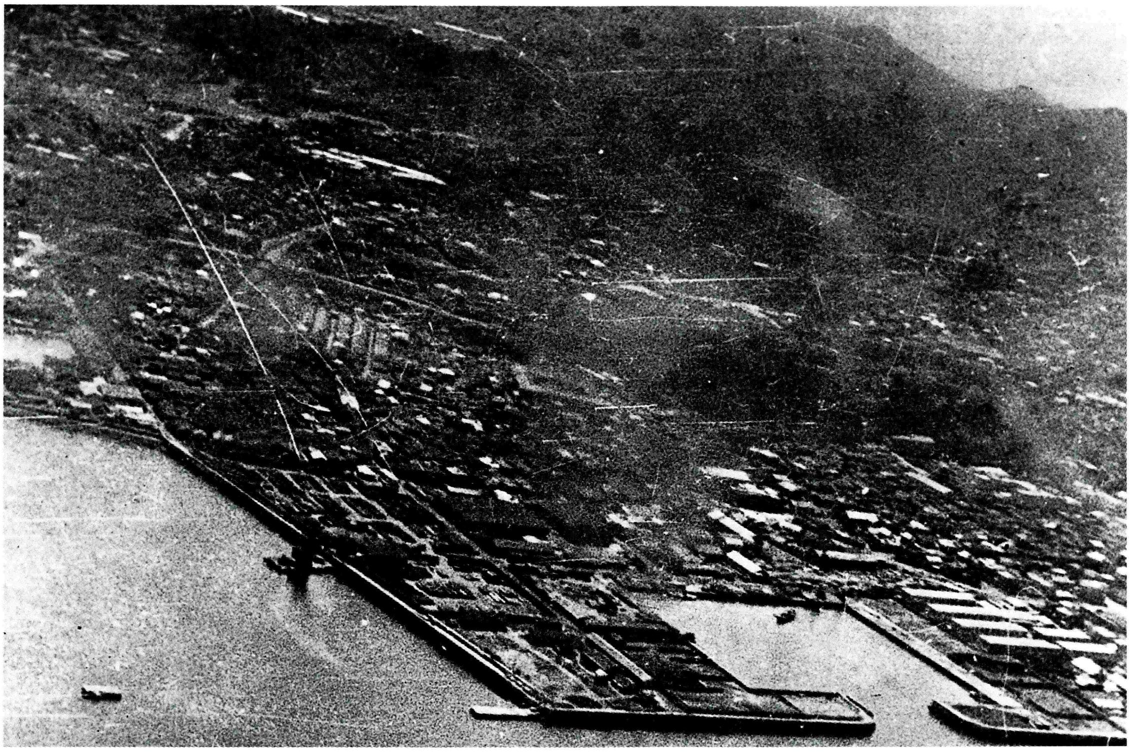
إقلاع، 18 نيسان 1942.



قمرة ومقدمة إحدى «طائرات ميتشل» دوليتل المعدّلة خاصةً.

منزعجين من نشرات «وردة طوكيو» الدعائية اليابانية، نفد الصبر في واشنطن للأخذ بثأر بيرل هاربر وتوجيه ضربة إلى قلب اليابان. منذ كانون الثاني 1942 جرى التخطيط بدقة لهذه المغامرة الخطرة؛ لأنه من أجل تنفيذ غارة جوية على طوكيو، يجب أن تنطلق قاذفات من حاملة طائرات خارج مدى سفن الاستطلاع التي تصل إلى 500 ميل من ساحل اليابان. سيعني ذلك رحلة مداها 1100 ميل - خارج حدود قدرة معظم طائرات البحرية، وليس هذا فحسب، فمن أجل أن تتفادى الخطر المتربص بها في طريق عودتها فوق مياه العدو، يجب أن تطير إلى الصين للتزوّد بالوقود.





طوكيو تشاهد من طائرات دوليتل.



دوليتل يجلس بجانب طائرته، بعد هبوطها اضطرارياً في الصين.



بعد الغارة: طيّارو دوليتل في الصين.

كان الحل الذي توصّل إليه خبراء الملاحة البحرية الأمريكية هو استخدام قاذفات ميتشل معدّلة خاصة لهذه الغاية. اختير المقدم جيمس دوليتل لقيادة الغارة، وبدأ مع مجموعة من أفضل الطيارين التدرّب على الإقلاع من مهبط قصير من أجل التحليق بطائراتهم في الجو من سطح حاملة في الهادئ.

في 2 نيسان، أبحرت حاملة الطائرات هورنيت من سان فرانسيسكو مع دوليتل و16 قاذفة على متنها، ورافقتها الحاملة إنتربرايز لتوفير التغطية الجوية من مقاتلاتها. في 18 نيسان، على بعد 650 ميلاً من طوكيو، رصد زورق دورية ياباني القوة، فقرّر دوليتل، والأميرال بيل هالسي؛ القائد البحري، أن من الحكمة الإقلاع في أسرع وقت ممكن برغم المسافة الإضافية. بعد أربع ساعات، أصابت القاذفات الدفاعات الجوية في طوكيو، وناغويا، وكوبه، ويوكوهاما، ويوكوسوكا بمفاجأة كاملة. برغم أن حجم الأضرار التي أحدثتها الغارة كان ضئيلاً، إلا أن القادة اليابانيين غضبوا من مهاجمة مركز الإمبراطورية بمثل تلك السهولة.

واجهت العملية بعد ذلك صعوبات، فسقط أفراد ثلاث طائرات في أراضي يابانية وأُعدموا، وحطّت طائرة خطأ قرب فلاديفوستوك فاعتقل الروس فريقها، وفي الصين لم يكن مهبط تشوتشو جاهزاً لاستقبال القاذفات الباقية وتحطّمت بعضها حين نفّذت هبوطاً اضطرارياً.

عموماً، نجحت غارات دوليتل في تحقيق هدفها الرئيس في رفع معنويات الأمريكيين. كان لها فوائد غير متوقعة أيضاً، إذ لم يسحب اليابانيون أربعة أسراب طائرات من الخدمة الخارجية لحماية الأجواء فوق طوكيو والمدن الرئيسة الأخرى فقط، إنما أصبحوا أكثر تصميماً آنذاك على إغراق كل الحاملات الأمريكية أيضاً. أدّى هذا إلى استنباط قادتهم خطة ميدواي الكارثية.



فوق الكرة الأرضية: دوليتل مع مَدفَعيين.

ميدواي

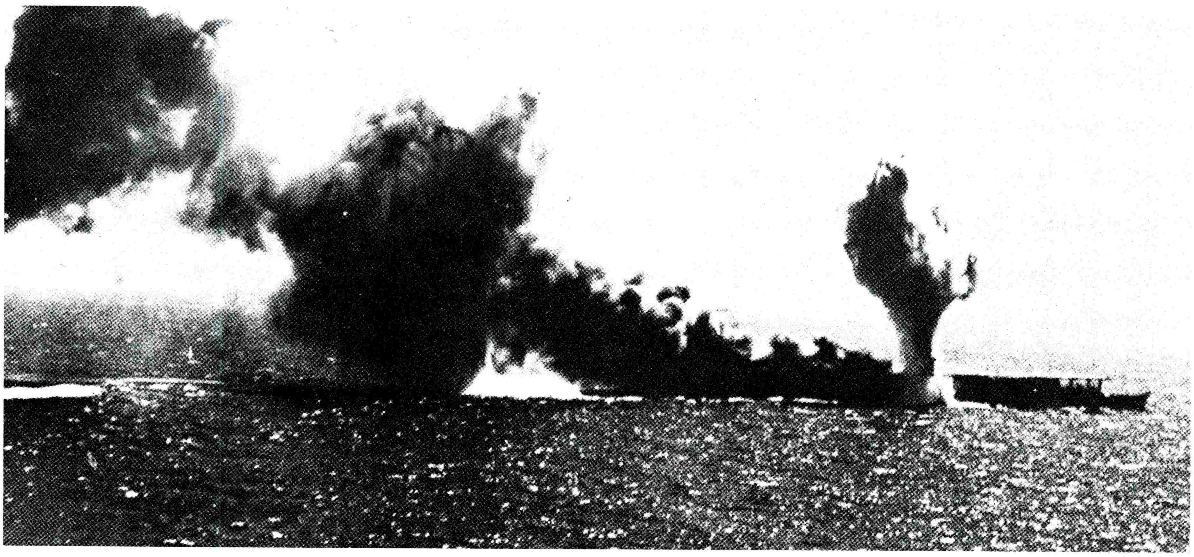
تدمير الأسطول الياباني



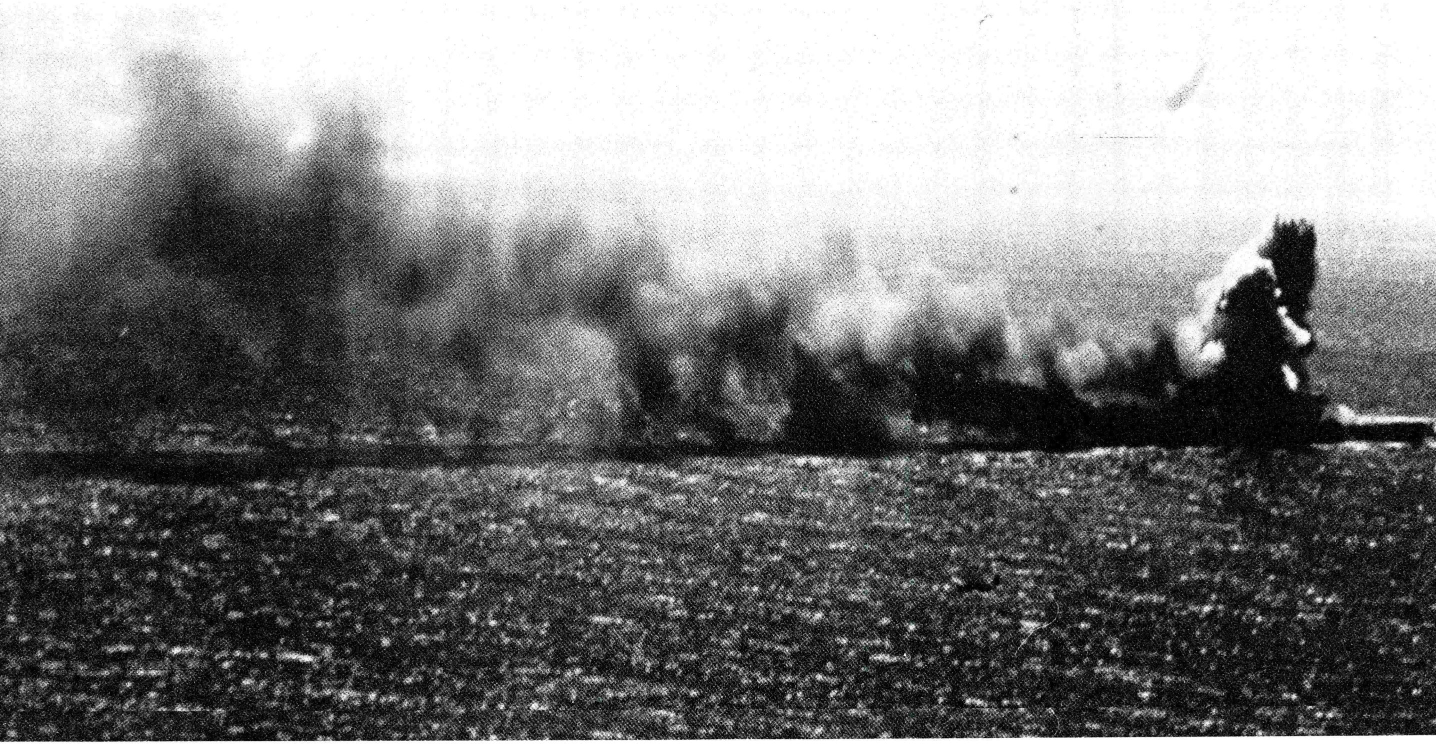
الأميرال فلتشر.

شعر الأستراليون بقلق كبير في نيسان 1942 نتيجة وجود قسم كبير من جيشهم في شمالي أفريقيا، واقتراب اليابانيين منهم في تيمور الشرقية. خشوا من أن تكون خطوة اليابانيين الآتية ميناء مورسبي؛ عاصمة غينيا الجديدة؛ لأنها تكوّن منصة مثالية لهجوم مستقبلي على أستراليا نفسها. أُكدت مخاوفهم حين استولى اليابانيون، في 3 أيار 1942، على جزيرة تولاغي القريبة.

كانت البحرية الأمريكية قد توقّعت أيضاً العملية اليابانية للاستيلاء على ميناء مورسبي. عندما دخل أسطول الغزو، المكون من ثلاث حاملات وأربعة طرّادات، بحر الكورال في 7 أيار 1941، كانت الحاملتان الأمريكيتان يوركتاون ولكسينغتون بانتظارهما. أطلق الأميرال فرانك فلتشر؛ قائد القوة الأمريكية، طائراته لشن

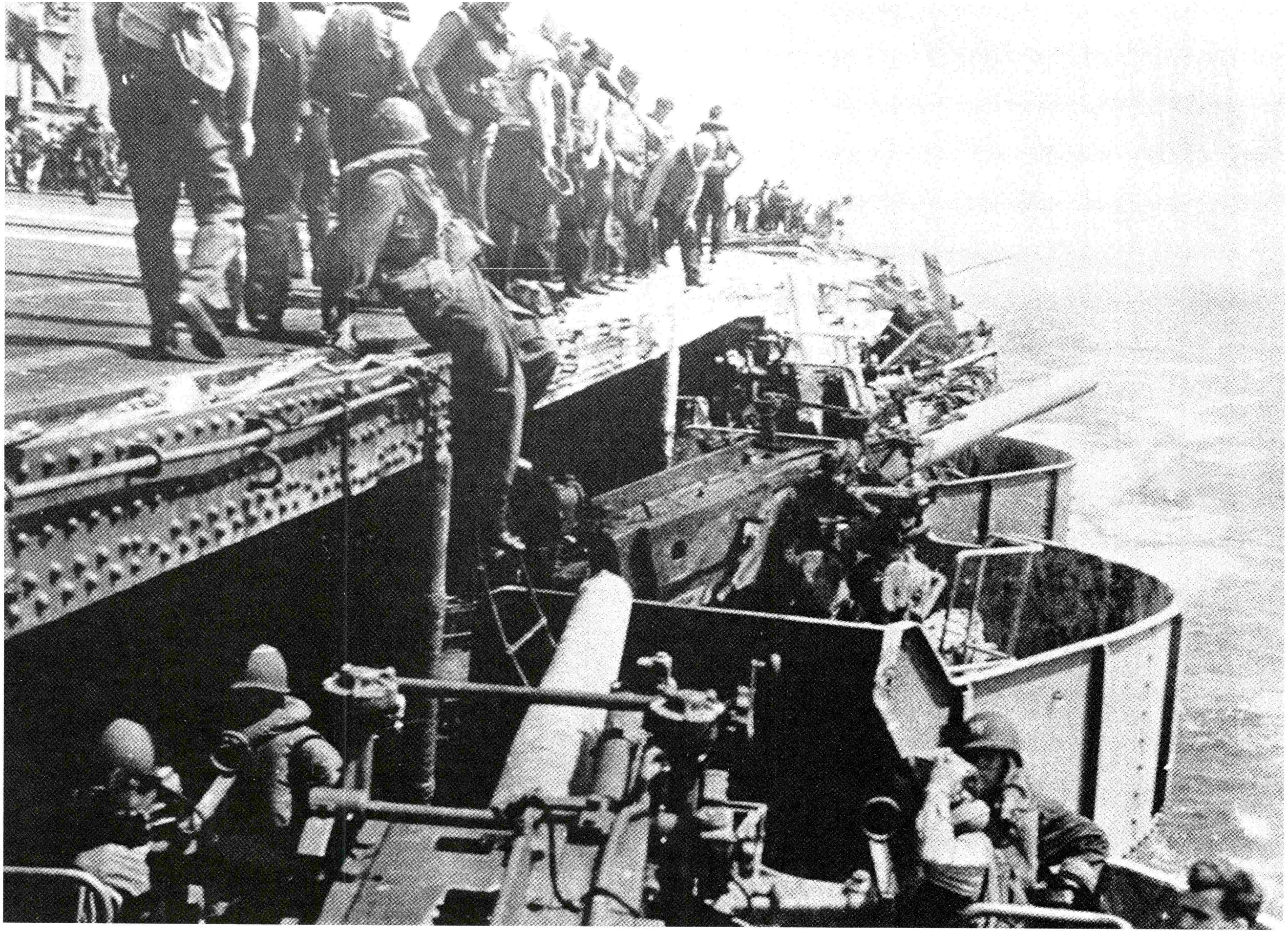


الحاملة اليابانية شوهو تتعرض لإصابة في معركة بحر كورال.

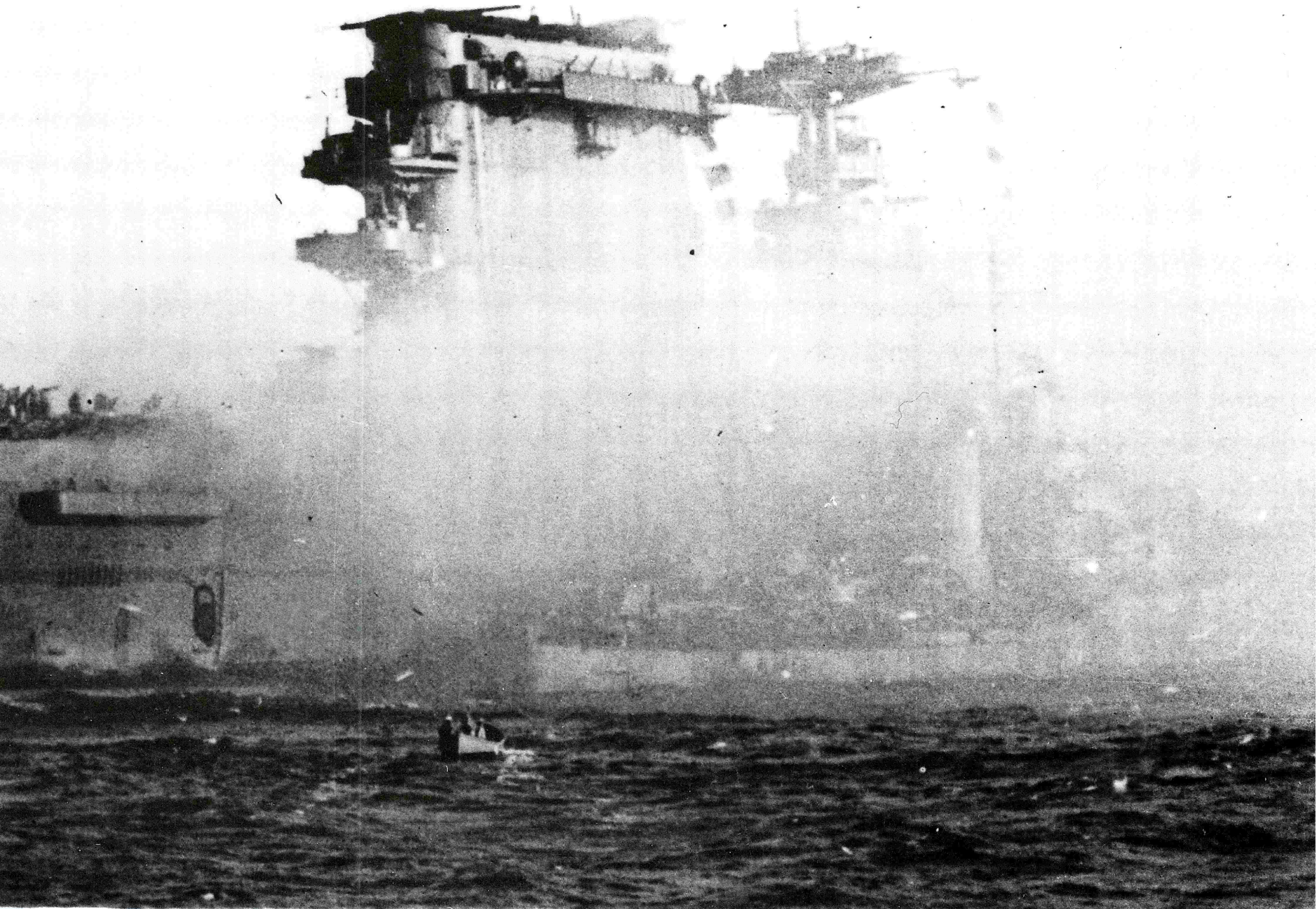


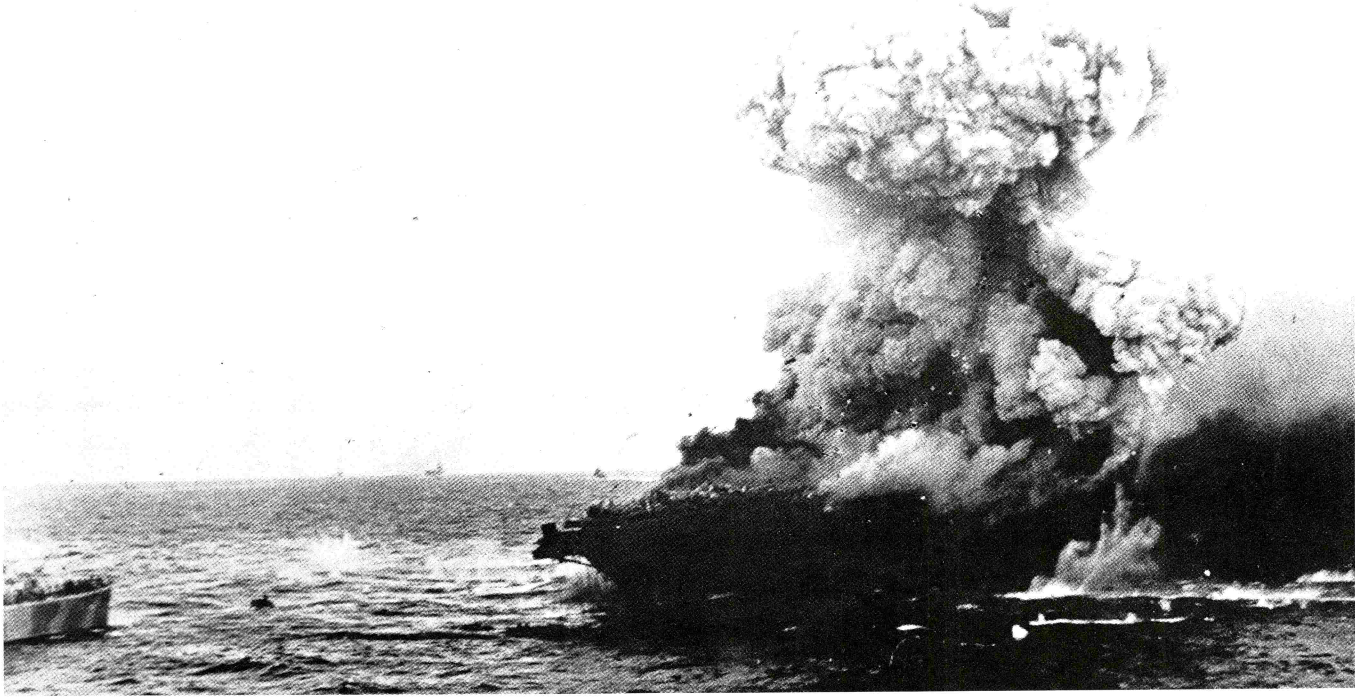


اللحظات الأخيرة لـ شوهو.

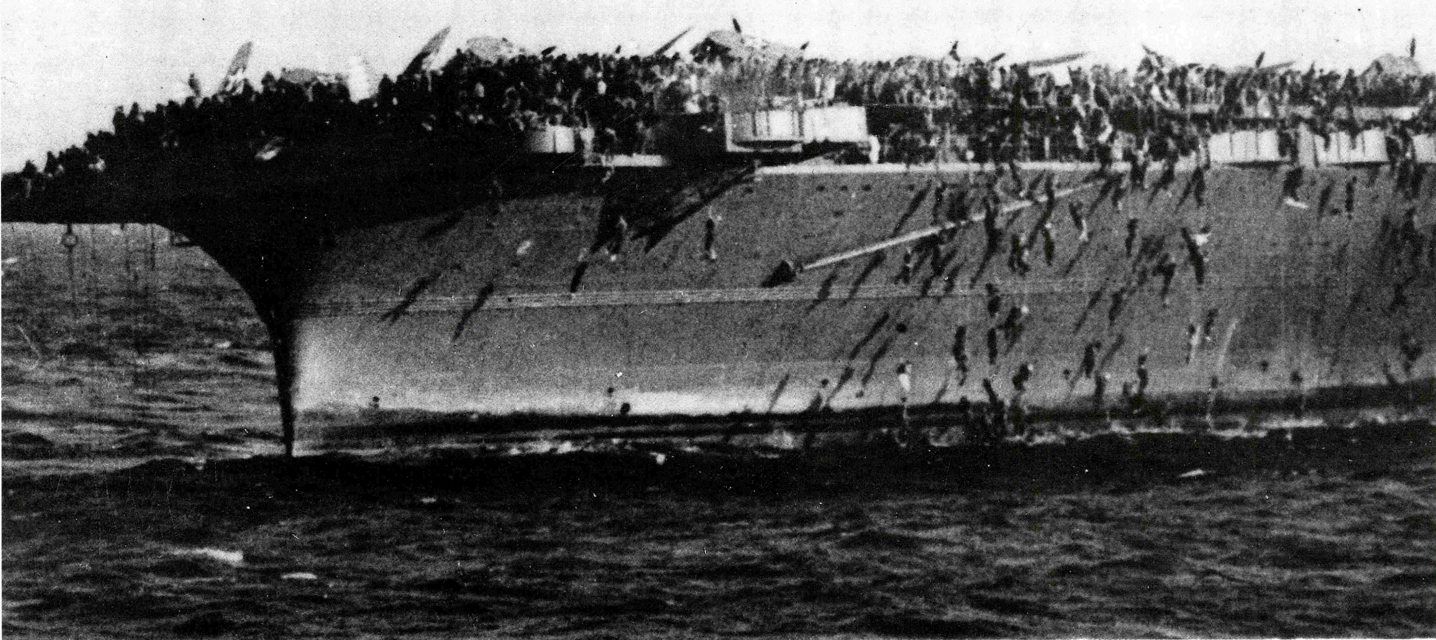


أعلى: أيار 1942 - الحاملة لكسينغتون في بحر كورال. أسفل: لكسينغتون تتلقى ضربة مباشرة.





لكسينغتون قبل النهاية بوقت قصير.





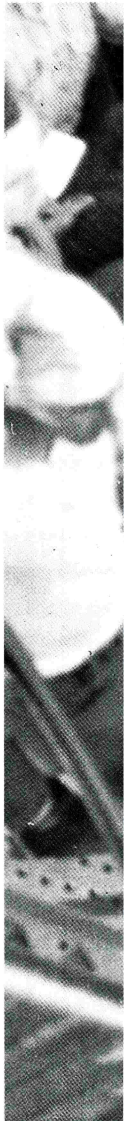
ناجون من لكسينغتون يُسحبون إلى سفينة إنقاذ.

ضربة وقائية أغرقت الحاملة شوهو. أُرسلت طائرات يابانية للرد إنما تعرّضت إلى أمطار غزيرة، ثم هاجمتها أسراب من مقاتلات وايلدكات، فانحرفت ست طائرات يابانية عن مسارها بسبب تشوش الرؤية وانضمت إلى السرب لتهبط على يوركتاون، ظناً من طياريها أنها حاملة يابانية، قبل أن يلوذوا بالفرار.

في اليوم الآتي، شنَّ كلا الجانبين هجوماً كبيراً على حاملات بعضهما بعضاً. أُصيبت لكسينغتون بضربة مباشرة أدّت إلى غرقها بعد خمس ساعات. على الجانب الياباني، تعرّضت شوكاكو لأضرار بليغة. فضَّ الأسطولان الاشتباك بعد ذلك.

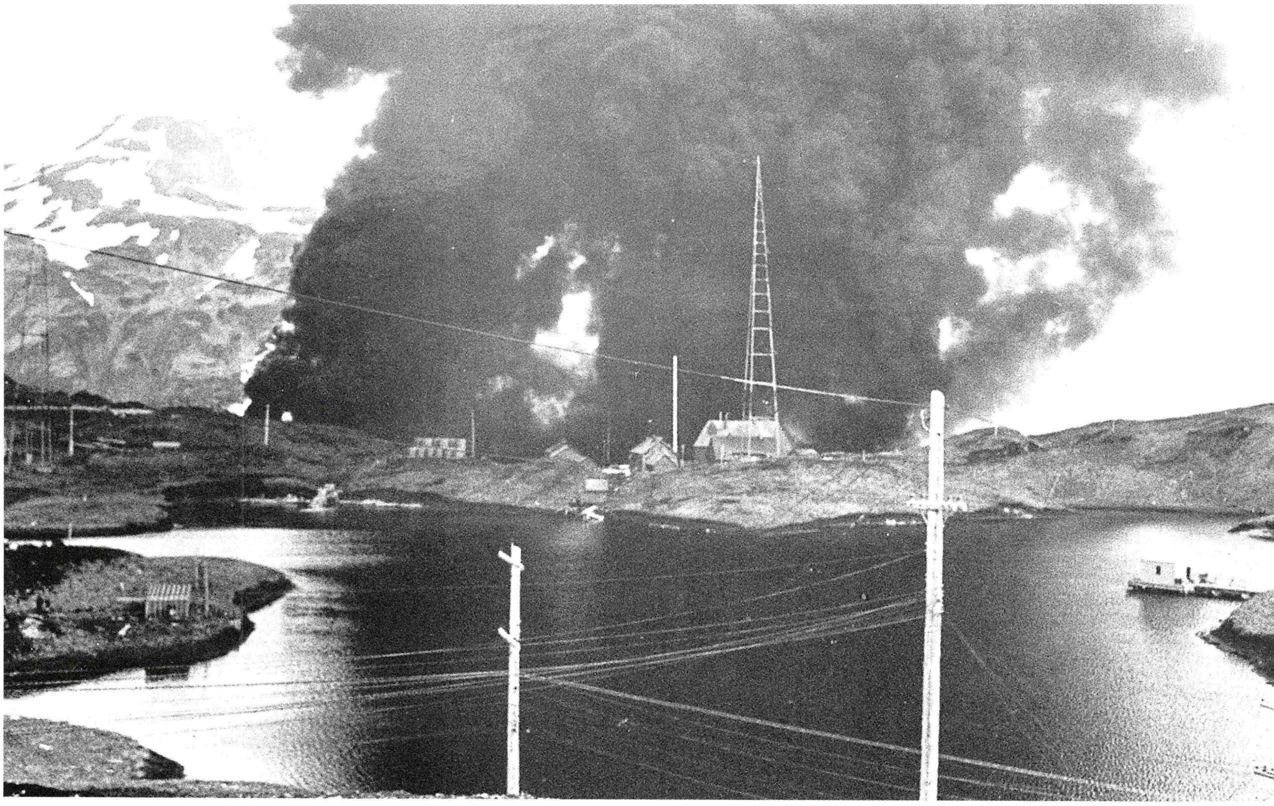
بسبب خسارة لكسينغتون، سمّى مؤرّخون معركة بحر الكورال ورطة. لكن برغم أن الأمريكيين فقدوا إحدى حاملاتهم القيّمة، اضطر اليابانيون إلى التخلّي عن عملية الاستيلاء على ميناء مورسبي، وبقيت أستراليا بأمان ذلك الوقت.





غارة يابانية على جزر ألوتيان.

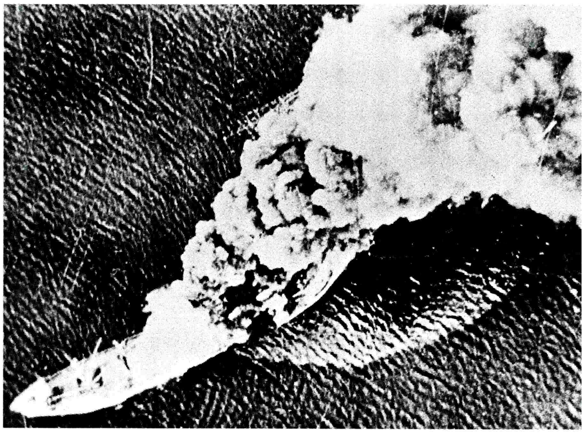






حزيران 1942 : بعد غارة جوية على ألوتيان.





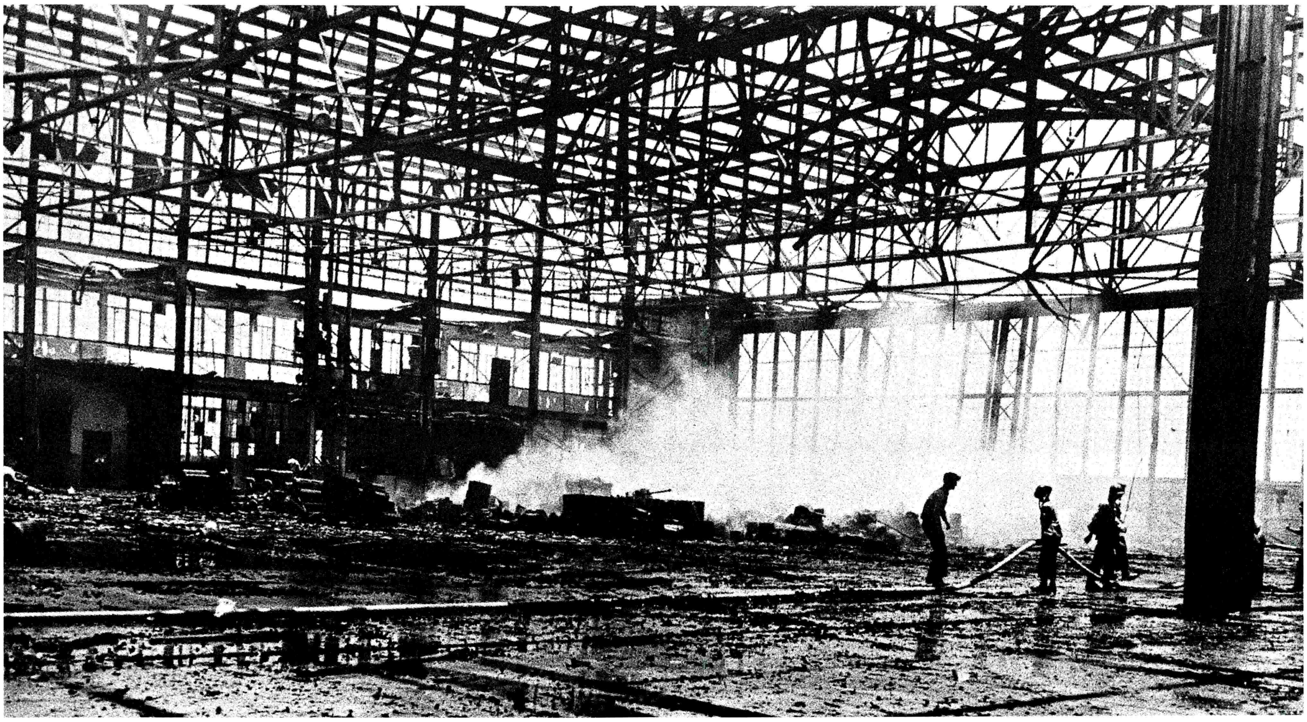
سفينة نقل يابانية تحترق قبالة ألوتيان.

لقد أصابت قوة الأسطول الأمريكي ياماموتو بصدمة، فقد توقّع أن يستغرق الأمريكيون وقتاً أطول قبل أن يستعيدوا قدرتهم البحرية بعد بيرل هاربر. عرف أن عليه تدمير أسطول الهادئ الأمريكي تماماً ما دام يتمتع بأفضلية في القوى البحرية. كانت جزيرة ميدواي أساس خطته، برغم أنها لا تزيد على نقطة في وسط الهادئ، فإذا استطاع احتلالها، يمكن استخدامها لشن هجمات متواصلة ضد الأسطول الأمريكي. ثانياً، توقع ياماموتو أن يحاول الأمريكيون استعادة الجزيرة، وتمنّى أن يتربّص بحاملاتهم في أثناء ذلك.

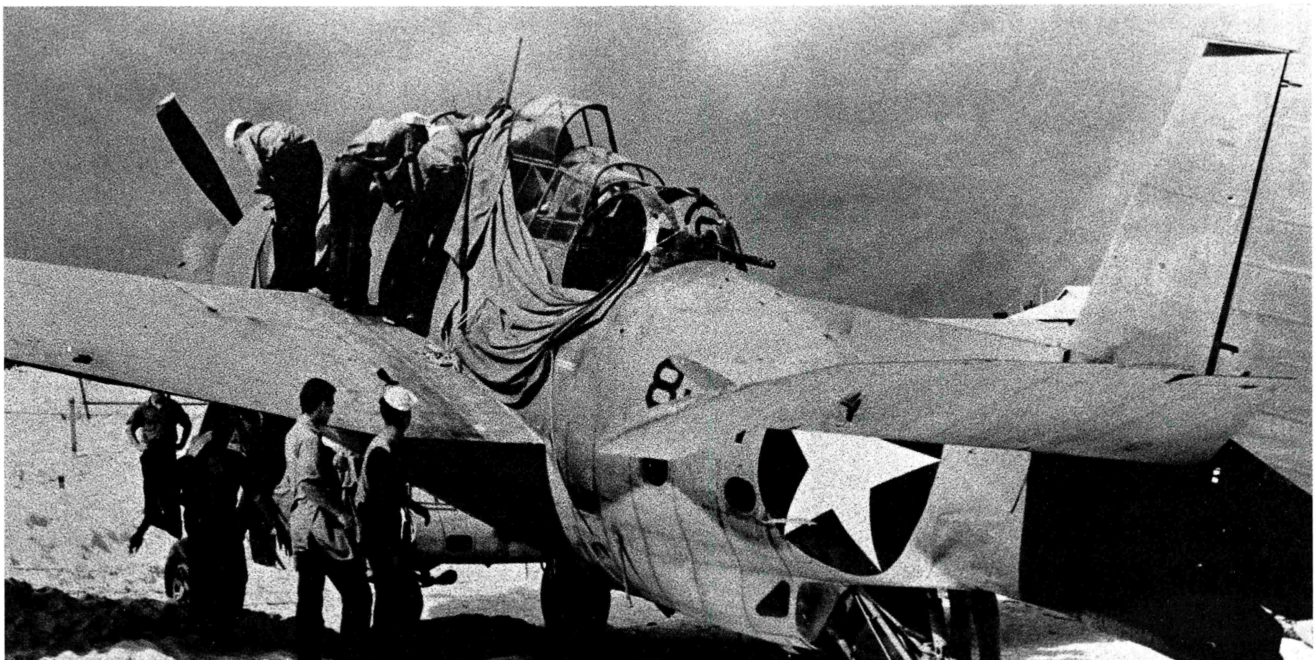
في البداية، كان يجب إغراء الأسطول الأمريكي على الإبحار شمالاً بشن هجوم على جزر ألوتيان قبالة ساحل ألاسكا. عندما يصل الأمريكيون إلى هناك ستجري عرقلتهم في حين يحتل ياماموتو والأسطول الياباني ميدواي. لكن مرة أخرى استطاع الأمريكيون اعتراض الإشارات اليابانية: تجاهل نيمتز الهجوم على ألوتيان وأمر أسطولاً أمريكياً من ثلاث حاملات وثمانية طرادات بالذهاب إلى جزيرة ميدواي. برغم أن الأمريكيين



حزيران 1942: ضرر قنبلة على جزيرة ميدواي.



حظيرة متضرّرة على جزيرة ميدواي.



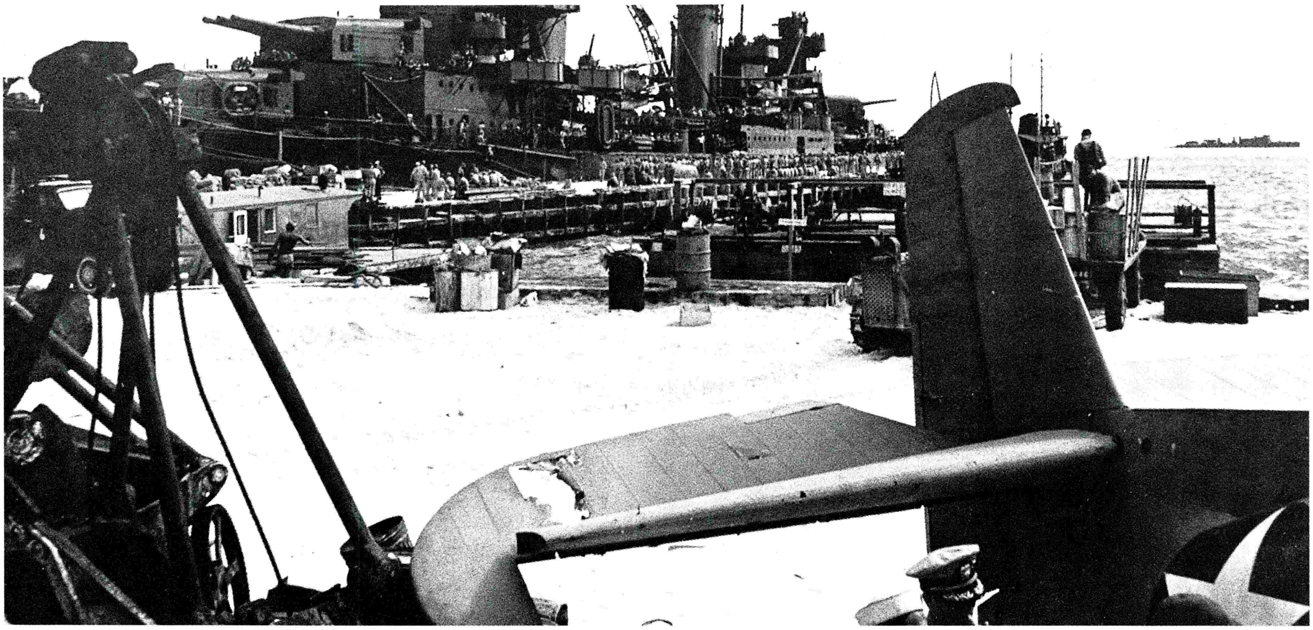
قاذفة طربيد أفنجر متضرّرة على جزيرة ميدواي.





قدوم ومغادرة طائرات حاملة أمريكية في أثناء معركة ميدواي.

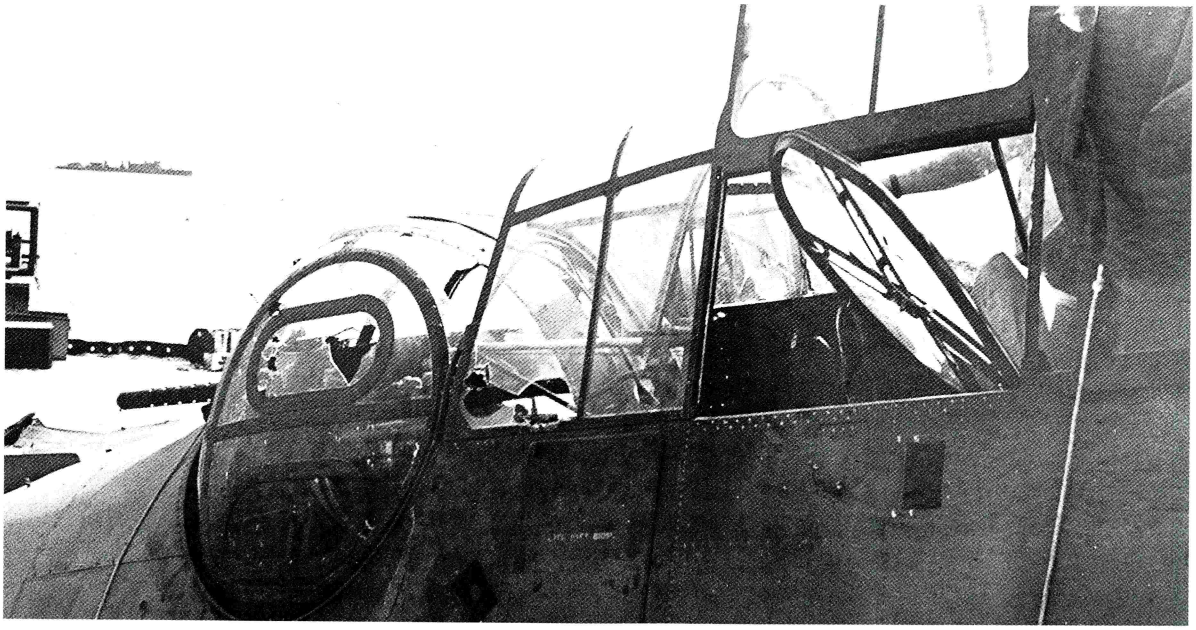




أعلى: إصلاح أضرار بعد ميدواي.

أسفل: طائرات أفنجر في الجو.



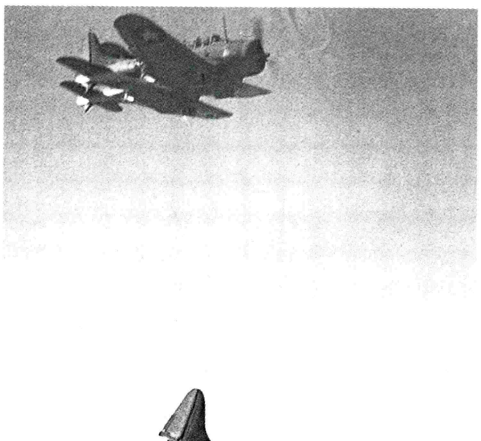


أفنجر متضرّرة بقذائف مدفعية مضادة للطائرات.

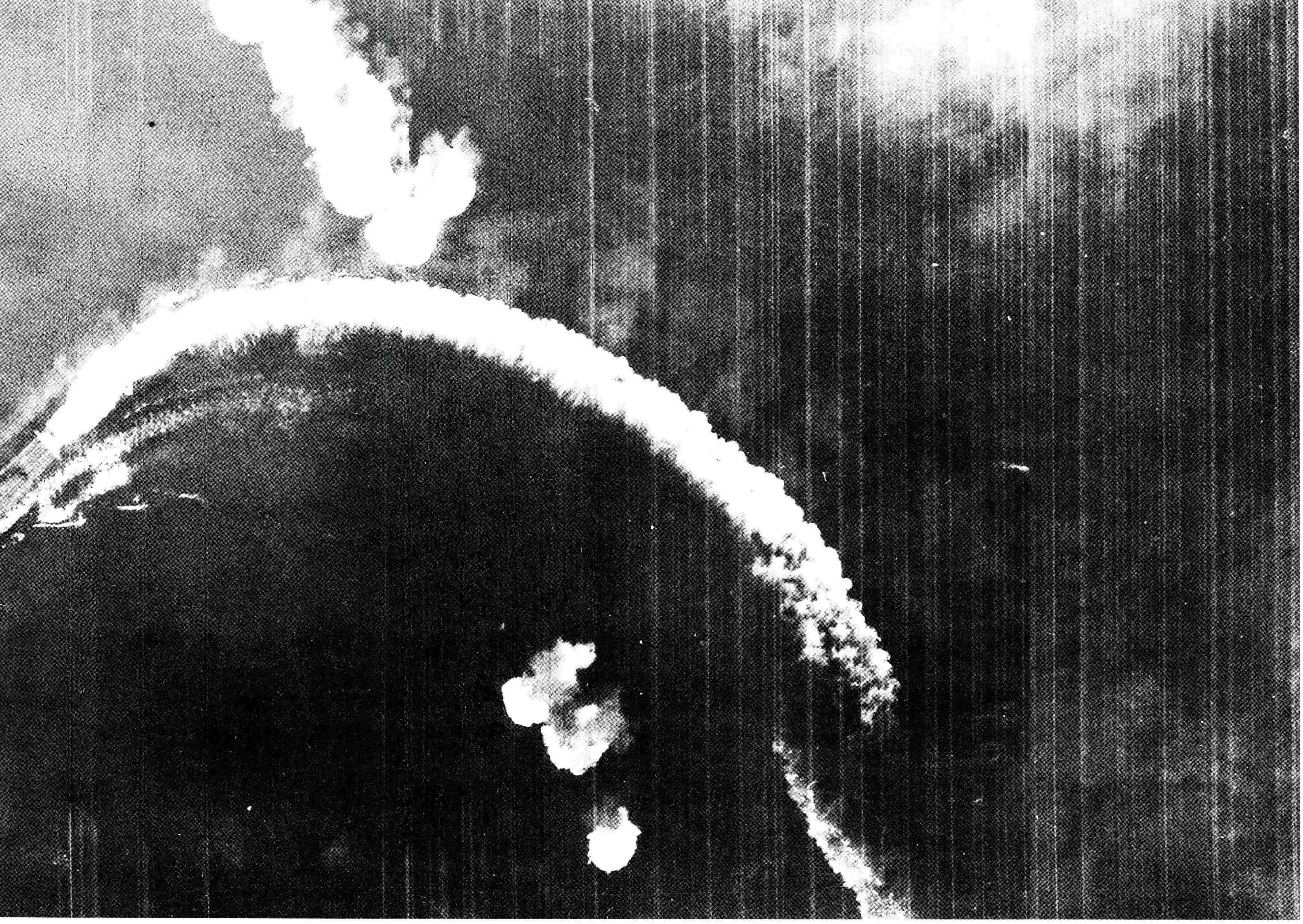
تمتّعوا بعنصر المفاجأة، إلا أن أسطولهم كان صغيراً جداً مقارنة بالأسطول الياباني المكوّن من 11 بارجة، و8 حاملات، و22 طرّاد، وعدد كبير من السفن الحربية والمدمرات والغواصات.

في 4 حزيران، هاجمت طائرات يابانية جزيرة ميدواي، وبرغم الضرر الكبير الذي أحدثته، إلا أن ياماموتو لم يكتفِ بذلك، وأمر بشن ضربة ثانية. في تلك الأثناء، كانت الحاملاتَ الأمريكية تنتظر في موقع يبعد 300 ميل شمال ميدواي، وأمر الأميرال فليتشر على متن يوركتاون - بعد إصلاح الأضرار التي لحقت بها في بحر كورال - طائراته بالهجوم.

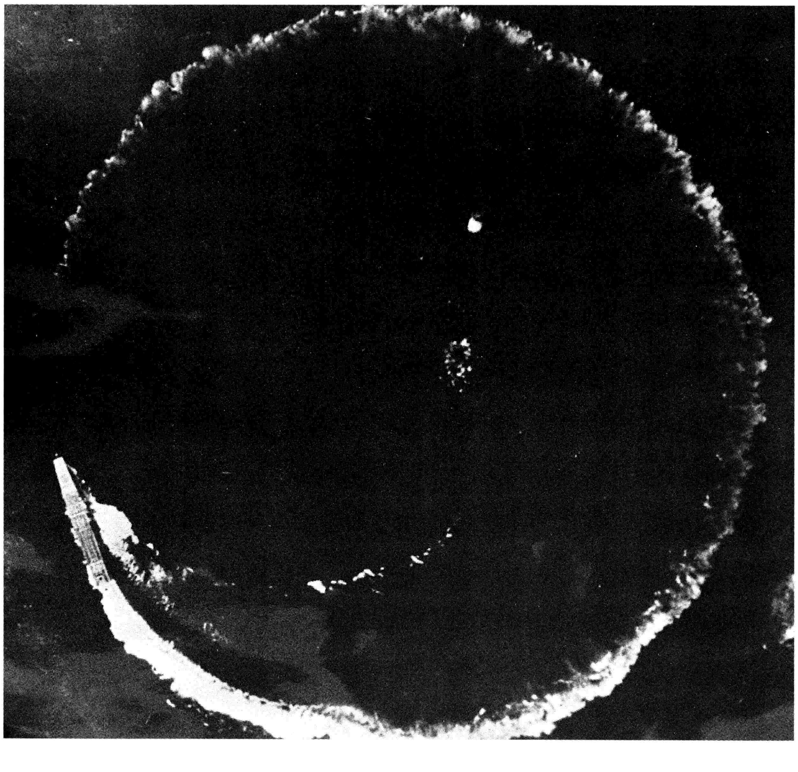
عندما كانت الطائرات اليابانية في أضعف حالاتها، تتزوّد بالذخيرة والوقود على سطوح السفن، ضربتها طائرات يوركتاون. اشتعلت القنابل وخزانات الوقود في الطائرات اليابانية على السطح نتيجة الإصابات المباشرة، وأحدثت دماراً شديداً فتحوّلت الحاملات أكاجي، وكاغا، وسوريو بسرعة إلى قطع لهيب مستعر، وغرقت هيريو لاحقاً ذلك اليوم. عندما أدركوا أن الوقت قد فات، نقلت فِرق السفن صور الإمبراطور إلى مكان آمن وهجرت البواخر. بقَي قبطان سوريو على متنها، حاملاً سيفاً بيده، ويغني النشيد الوطني في أثناء غرق سفينته.

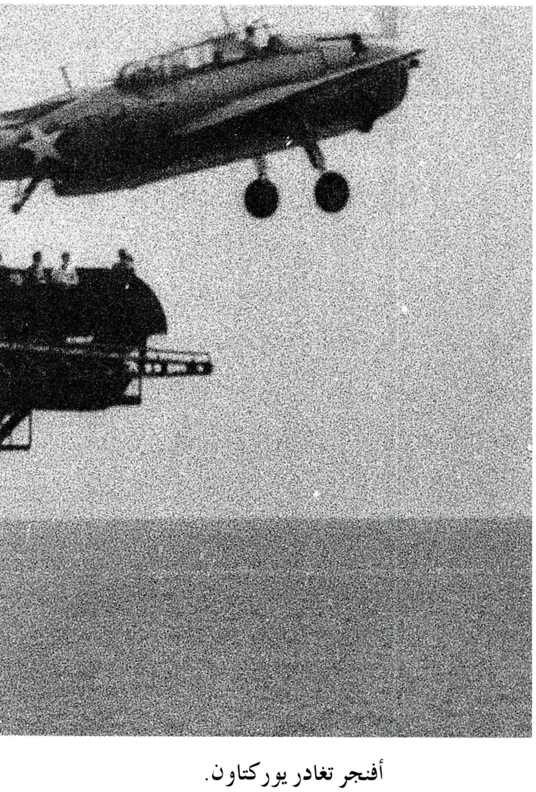


القاذفة دونتليس تهاجم.



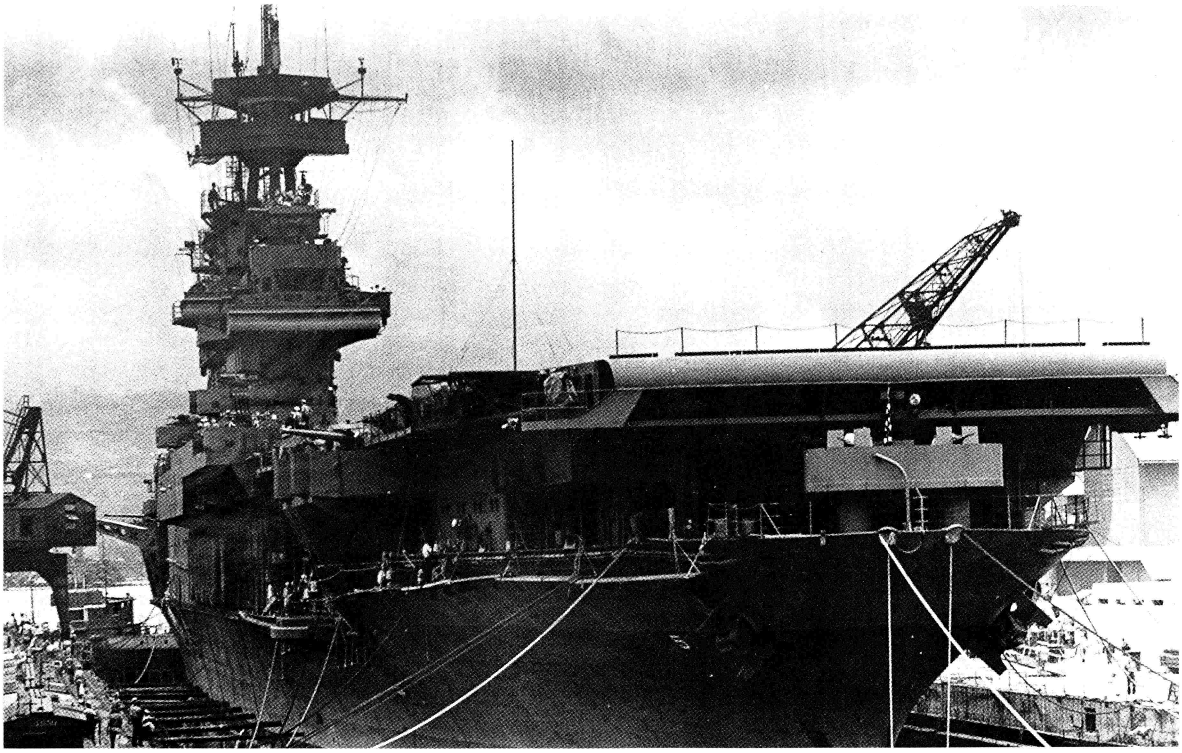
أعلى وأسفل: الحافلة اليابانية أكاجي تتعرّض لهجوم في ميدواي.





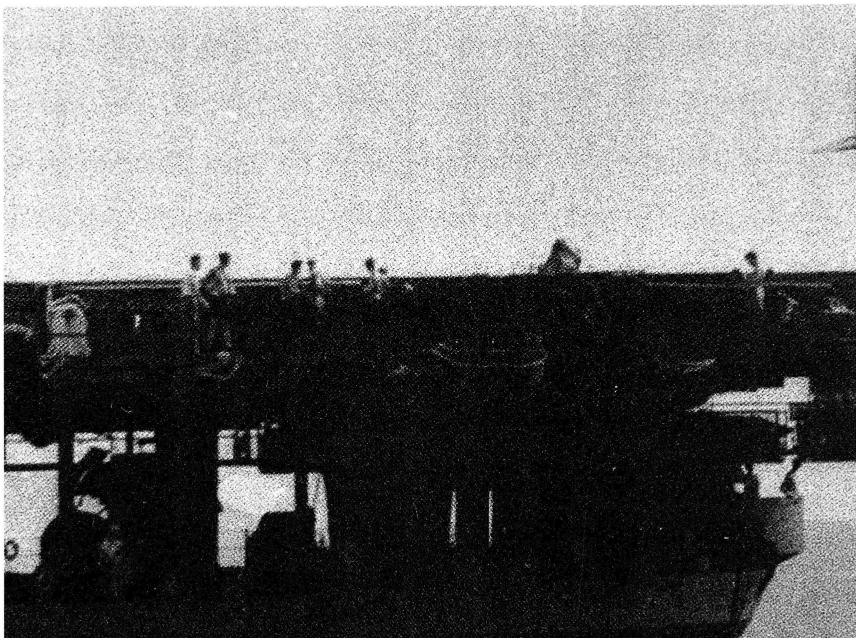
أفنجر تغادر يوركتاون.





يوركتاون في حوض جاف قبل ميدواي.

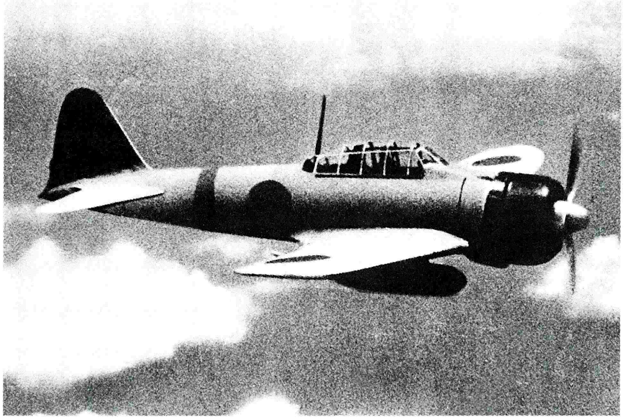




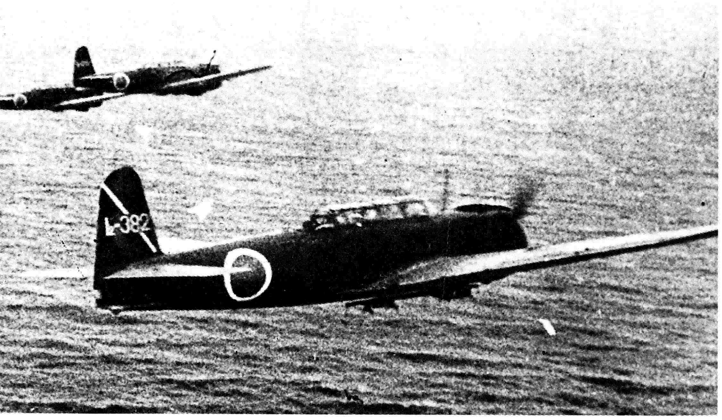
كلارك؛ ربّان يوركتاون.



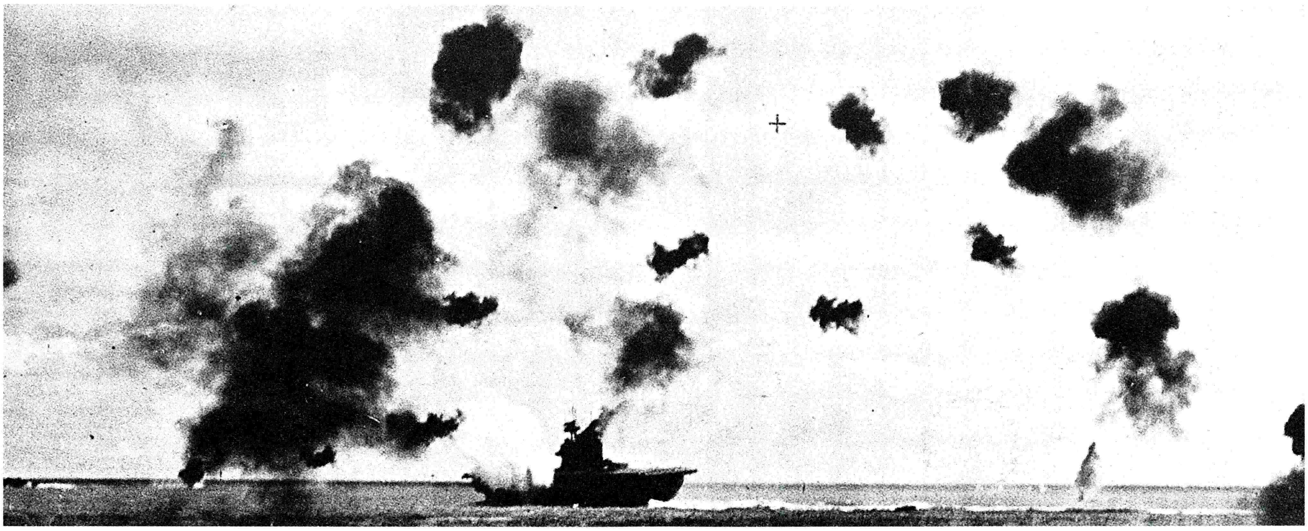
مقابل: مدافع على يوركتاون.

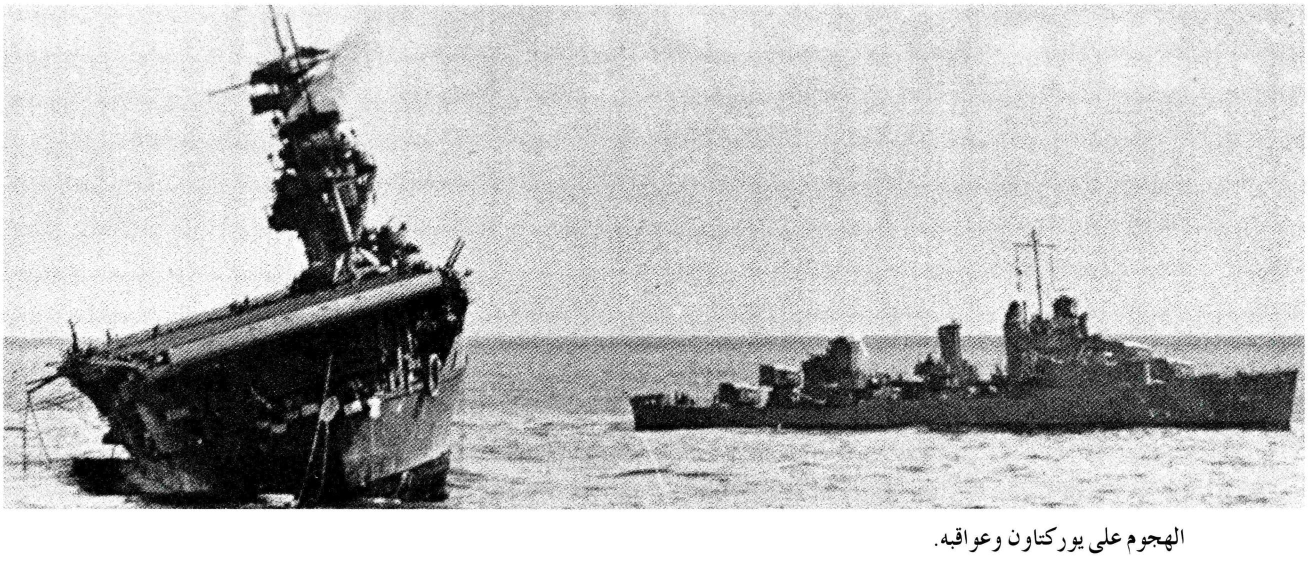


زيرو؛ مقاتلة يابانية.



كيت: قاذفة طربيد يابانية.





الهجوم على يوركتاون وعواقبه.





الاستعداد لمغادرة يوركتاون.



الأميرال سبرانس.

استطاعت بعض الطائرات اليابانية اختراق جدار المدفعية الأمريكية وأصابت البارجة يوركتاون مجدداً بأضرار كبيرة. عندما غادر فريقه السفينة، اضطر فليتشر أن يسلم قيادة الأسطول إلى الأميرال ريموند سبرانس، الذي كان يعرف أن ياماموتو قادم مع بوارجه بأقصى سرعة ممكنة، فأسرع بالخروج من منطقة الخطر في الليل (لم يكن طيّارو البحرية الأمريكية قد تدرّبوا بعد على الطيران في الظلام). عند بزوغ الفجر، أدرك القادة اليابانيون الناجون أن كارثة قد حلّت بأسطولهم.

في طريق عودتهم إلى اليابان، تصادم الطرّادان موغامي وميكوما، وأغرقت قاذفات سبرانس ميكوما لاحقاً. أُخذت يوركتاون مقطورة إلى هاواي لكن غواصة يابانية رصدتها أخيراً وضربتها بطربيد أدّى إلى غرقها.

كانت ميدواي إحدى أهم المعارك الفاصلة في التاريخ، وبانتهائها فقد اليابانيون تفوقهم في الهادئ، ما أدّى إلى إيقاف توسّع الإمبراطورية ونهاية ما قد دعاه الأميرال ناغومو «داء النصر». حُظر كل ما يشير إلى ميدواي في اليابان، وقال الأميرال ياماموتو: «أنا الوحيد الذي يجب أن يعتذر لجلالته عن هذه الهزيمة».



مدمّرة أمريكية تنتشل فريق يوركتاون.

حرب الأدغال

القتال حتى الموت في غينيا الجديدة وجوادالكانال

بعد الانتصار في ميدواي، عبّر نيمتز ومكارثر عن رأيين مختلفين جداً بشأن الإستراتيجية الأمريكية في الهادئ. أراد نيمتز دفع اليابانيين إلى الخلف نحو مشارف توسّعهم، حيث توجد معظم قواتهم. بالمقابل، أراد مكارثر تفادي المعاقل اليابانية القوية، وتركهم «يذبلون على الكرمة»، كما وصف الأمر، والتقدّم نحو اليابان، وقال: «لنضربهم حيث لا يحتسبون». لكن نظراً إلى وجود قيادتين مختلفتين للرجلين، وعدم ضرورة اتخاذ قرار حاسم بين الإستراتيجيتين آنذاك، استعد الاثنان للمضي قدماً كلٌّ على حده. كانت الأحداث في غينيا الجديدة وجوادالكانال ستفصل القضية بينهما.

عندما وصل مكارثر إلى أستراليا من الفلبين، اكتشف أن الناس خائفين. كان الأستراليون يستعدون لمغادرة سيدني والدفاع فقط عن أقصى جنوبي القارة ضد «التقدّم» الياباني. في ثلاثة



جندي أسترالي جريح في غينيا الجديدة.



دبابة أمريكية مع فريق أسترالي يتجه إلى بونا، غينيا الجديدة.

شهور، أقنعهم الجنرال الأمريكي بعكس سياستهم والانتقال إلى الهجوم، مقدّماً مثالاً على ثبات عميد أسترالي بقي صامداً في مورسبي؛ عاصمة بابوا.

لو أن مورسبي قد سقطت، لوصلت غارات جوية يابانية إلى ساحل كوينزلاند. أحبطت معركة بحر كورال العملية اليابانية لاحتلال البلدة، ثم في 21 تموز 1942، حاولوا مجدداً – إنزال في بونا على الساحل الشمالي لـ غينيا الجديدة بقوة تعدادها 2000 رجل. بعد شهر، كان 13,000 ياباني يندفعون جنوباً في جبال أوين ستانلي، لكن سلاح الجو الأسترالي أنهكهم، فتوقف هجومهم على بعد 30 ميلاً فقط من ميناء مورسبي. في 15 أيلول، وصل أوائل الأمريكيين لتعزيز الدفاعات.



جنود أستراليون يتجاوزون دبابات يابانية مدمّرة.

في تلك المرحلة شنَّ الأستراليون والأمريكيون هجوماً مضاداً وأرغموا اليابانيين على التراجع عبر الجبال على طول درب كوكودا. لكن تكلفة الانتصار في المعركة كانت ضخمة، إذ لم يضطر الحلفاء إلى التعامل مع الجنود اليابانيين المتعصّبين فقط، إنما مع مستنقعات وتماسيح ومرضي الحمّى التيفية والملاريا أيضاً. تكبّد الأستراليون ضعف الإصابات تقريباً التي لحقت بجنود البحرية الأمريكية في المعارك الدامية للسيطرة على جوادالكانال في جزر سليمان.

بحلول نهاية 1942، كان القائد الأسترالي السير توماس بلامي، معزّزاً بإنزال جنود ومؤن بالمظلات، قد أرغم اليابانيين على التراجع على طول شبه جزيرة بونا. خسر اليابانيون 12,000 جندي في ستة شهور، وعندما انهارت آخر مقاومة لهم في 21 كانون الثاني 1943 فضّل بعضهم السباحة في البحر ليلقى الموت المحتّم بدلاً من مواجهة عار الأسر.

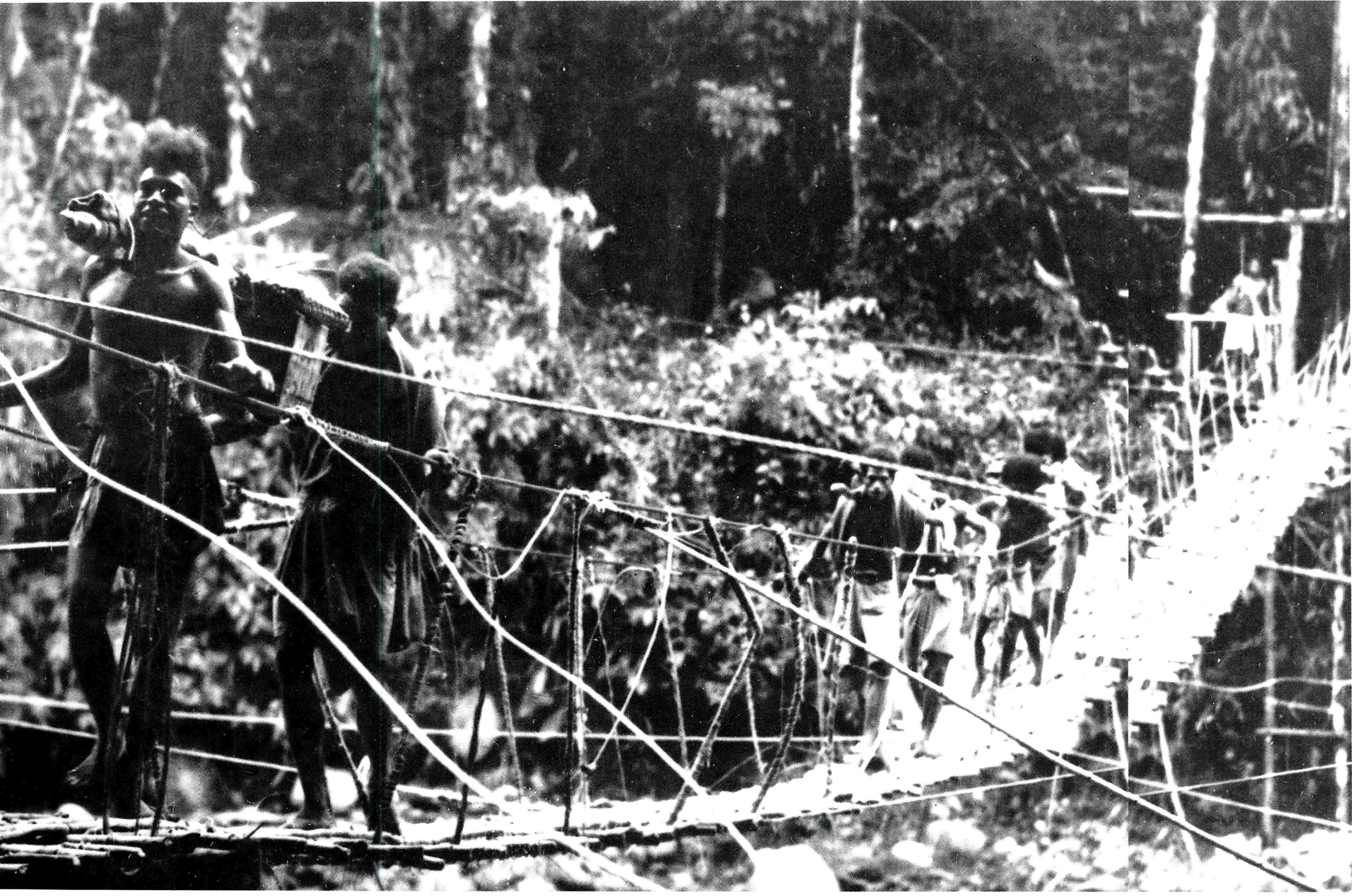


قبليون يساعدون جنوداً يابانيين في غينيا الجديدة.



قبليون آخرون يساعدون الأستراليين.



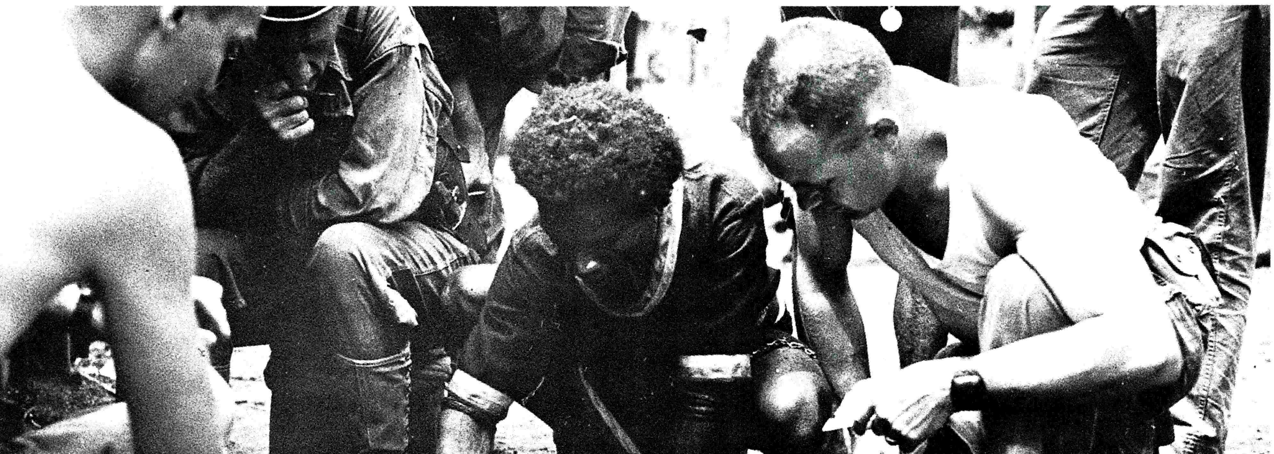


أعلى وأسفل: خطوط إمداد الحلفاء مفتوحة بدعمٍ محلي في غينيا الجديدة.



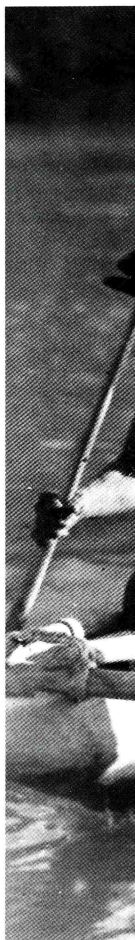


أمريكيون جرحى في غينيا الجديدة.



مستطلعون محليون يشرحون تفاصيل مواقع يابانية لجنود أمريكيين.







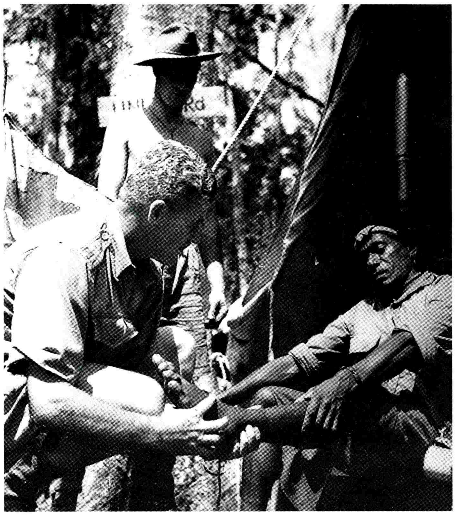
فريق مدفع هاون أسترالي في أثناء العمل.

برغم استعداد مكارثر لمساعدة الأستراليين في غينيا الجديدة، إلا أنه كان في بداية صيف 1942 أكثر انهماكاً بالمعارك في مجالس الحرب الأمريكية. بعد مفاوضات مضنية، جرى التوصل إلى تسوية يتولى نيمتز بموجبها قيادة المرحلة الأولى من هجوم برمائي على جزر سليمان الشرقية، في حين يستلم مكارثر الدفّة في المرحلتين الآتيتين للاستيلاء على باقي الجزر إضافة إلى ساحل غينيا الجديدة وأرخبيل بسمارك.

كان الأستراليون قد أنشؤوا منظومة مراقبة ساحلية سرّية من ضباط استخبارات ومزارعين ومتطوعين آخرين على جزر الإقليم. في 5 تموز 1942 جاء تقرير أن اليابانيين يبنون مهبطاً على

جزيرة جوادالكانال، وإذا انتهى العمل به، فسيعني هذا أن سلاح الجو الياباني يمكن أن يهيمن على القطاع كله.

يبلغ طول جوادالكانال 90 ميلاً فقط وعرضها 25 ميلاً، ومغطاة بتلال كثيفة الحراج، ويعدُّ معدل سقوط الأمطار عليها البالغ 200 بوصة سنوياً بين الأعلى في العالم. لكن وجب أن تكون الجزيرة الهدف الأول للأمريكيين، وقد وُضعت خطط غزوها على عجل، برغم مطالب من بعض القادة الأمريكيين بمزيد من الحشد التدريجي.



قبلي يتلقّى عناية طبية.

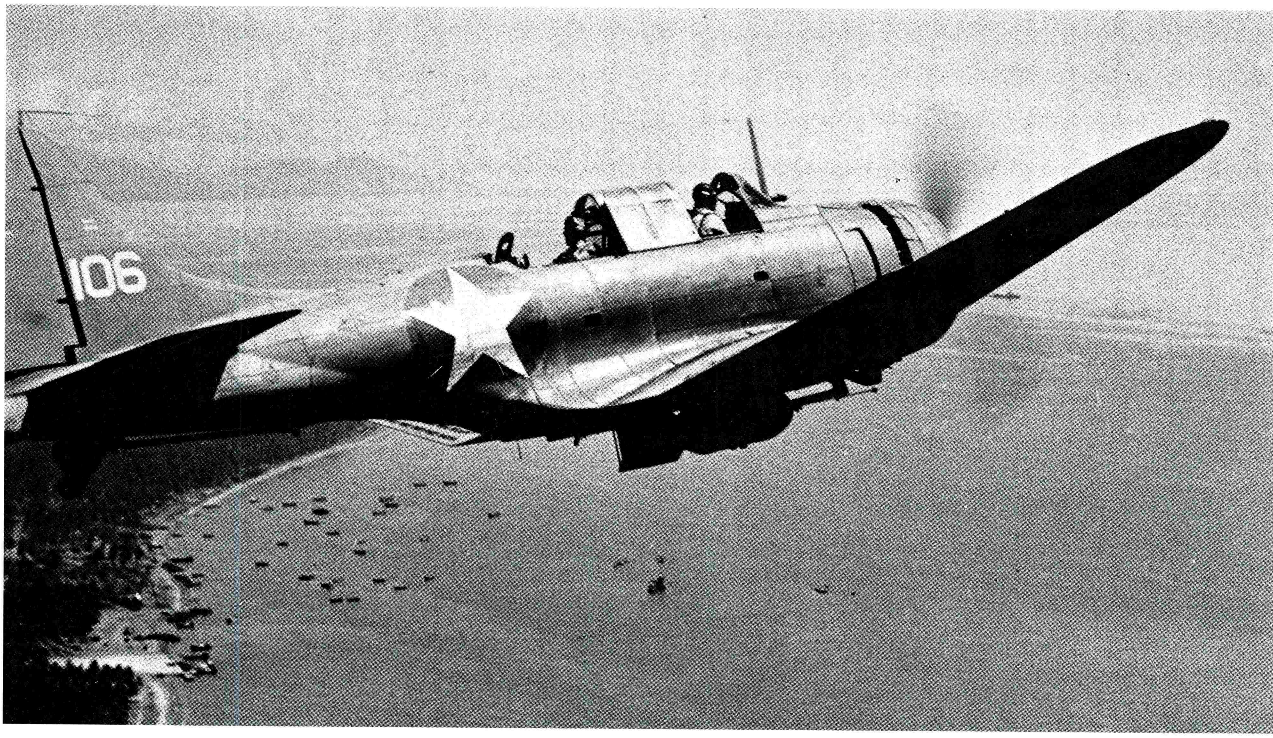
عند 9 صباحاً في 7 آب 1942، بعد قصف عنيف من الجو والبحر، خاض 11,000 جندي بحرية أمريكي الماء على شواطئ جوادالكانال، في حين قضى 6000 آخرون على المقاومة اليابانية في تولاغي المجاورة.





أسطول الإنزال الأمريكي قبالة جوادالكانال.







جنود بحرية أمريكيون يتجهون إلى جزر سليمان.


P10-13



تعزيزات أمريكية تنزل على شاطئ جوادالكانال.



لكن القادة اليابانيين أدركوا أيضاً الأهمية الإستراتيجية لـ جوادالكانال – وكانت لديهم قوة بحرية كبيرة بجوارهم. أُمرت القوة بالهجوم، وفي الساعات الأولى من 8 آب، مرّت طرّادات بقيادة الأميرال غينيشي ميكاوا عبر المياه الضحلة بين جزر سليمان وفاجأت سفن الحلفاء. بعد ساعة انسحب مخلّفاً أربع طرّادات غارقة وواحدة متضرّرة كثيراً، وأصبحت هذه المجزرة البحرية تُعرف باسم «معركة جزيرة سافو».

أصبح جنود البحرية الأمريكية على جوادالكانال بمفردهم فجأة، من دون دعم بحري أو جوي. في الأسبوعين الآتيين سيقتصرون على وجبتين يومياً، بعد أن عرفوا أن اليابانيين يسيطرون آنذاك على البحر والجو وأن الوقت لن يطول قبل أن يصل جنودهم لاستعادة الجزيرة. وصفت إذاعة طوكيو جنود البحرية الأمريكية بأنهم «مثل حشرات الصيف التي قد ألقت بنفسها في النار».



دبابة أمريكية خفيفة تتحرّك على شاطئ جوادالكانال.





قاذفة ب17– تحلّق فوق جزر سليمان.



جنود بحرية يابانية على جوادالكانال.



أيلول 1942: جنود يابانيون قتلى بعد الانتصار الأمريكي على جوادالكانال.



دبابات البحرية الأمريكية تتقدّم عبر الأدغال.

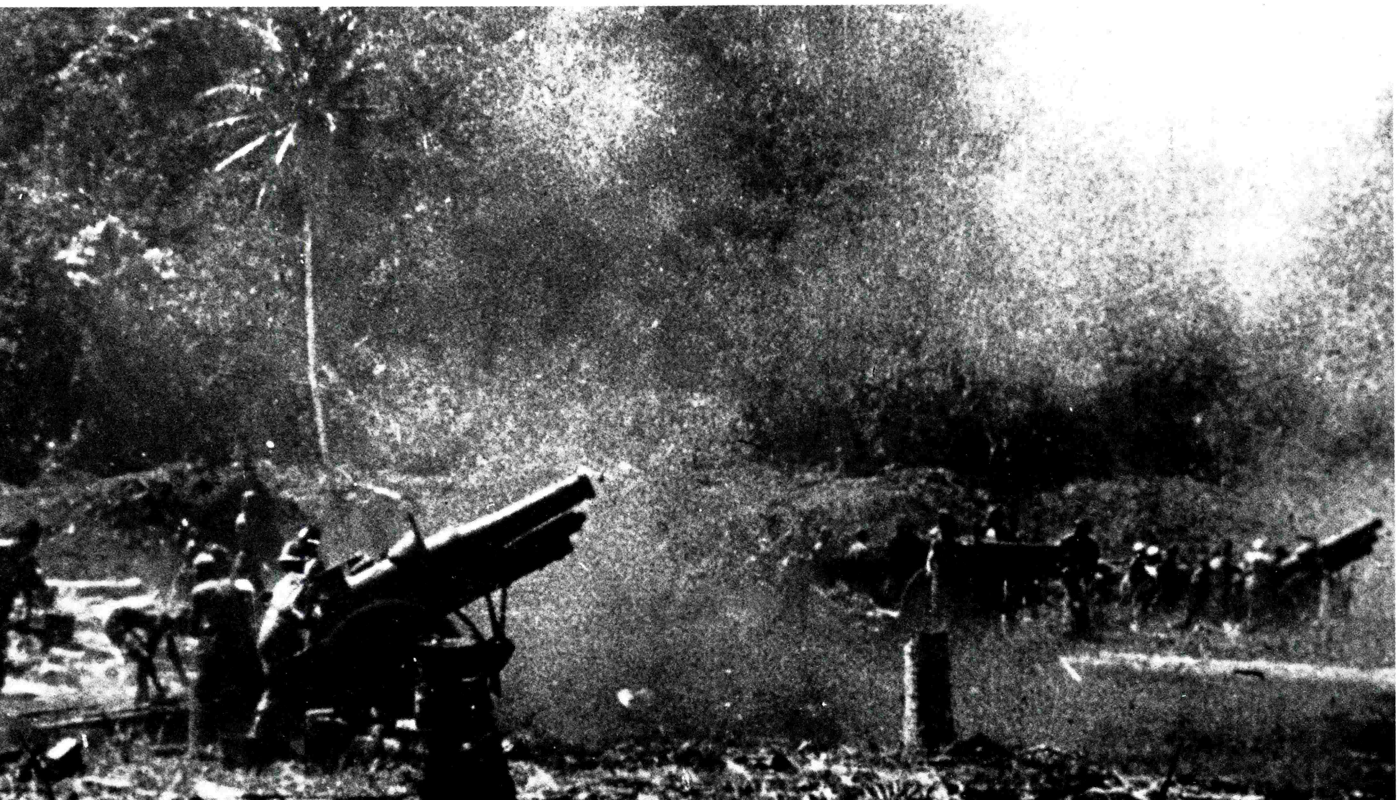


جنود يكدحون في حمل نقالات الجرحى.

لحسن طالع هؤلاء الجنود، قلّل اليابانيون كثيراً من تقويم حجم القوة التي سيقابلونها. في 18 آب، نزلت طليعة مكوّنة من 1500 جندي بحرية يابانية فقط على الجزيرة: قُتلوا جميعاً. رافقت فرقة الإنزال الآتية قوة بحرية أكبر، فيها بارجتان وثلاث حاملات. لكن الأميرال الأمريكي روبرت غورملي تلقى تحذيراً بشأن اقترابهم، وفي 24 آب أغرقت طائراته الحاملة اليابانية ريوجو.

نزل مزيد من الجنود اليابانيين على الجزيرة من مجموعة مدمرات وسفن إنزال أطلق جنود البحرية عليها اسم «إكسبريس طوكيو». في ليلة 13 أيلول، وجد جنود البحرية أنفسهم يخوضون معركة شرسة فيما أصبح معروفاً بـ»السلسلة الدامية». في إحدى المراحل، اندفع جنود يابانيون إلى موقع قيادة قائد القوات الأمريكية قبل أن يُرغموا على التراجع.

دافعت البحرية اليابانية بقيادة الأميرال رايزو تاناكا عن «إكسبريس طوكيو» بضراوة وخبرة. تضرّرت سفن حربية أمريكية كثيرة أو غرقت في أثناء محاولتها شن هجوم عليه. في نهاية آب، أصاب طربيد الحاملة ساراتوغا وأحدث فيها ثقباً كبيراً، وبعد أسبوعين غرقت الحاملة واسب. أُرسل الأميرال بيل هالسي ليحل محل غورملي المنهك.



مدافع هاوتزر أمريكية على خط الاشتباك في جوادالكانال.



أعلى: جنود بحرية أمريكيون «يبحثون» عن قنّاصين.   أسفل: الخوض في نهر على جوادالكانال.





حطام قاذفة أمريكية على جوادالكانال.



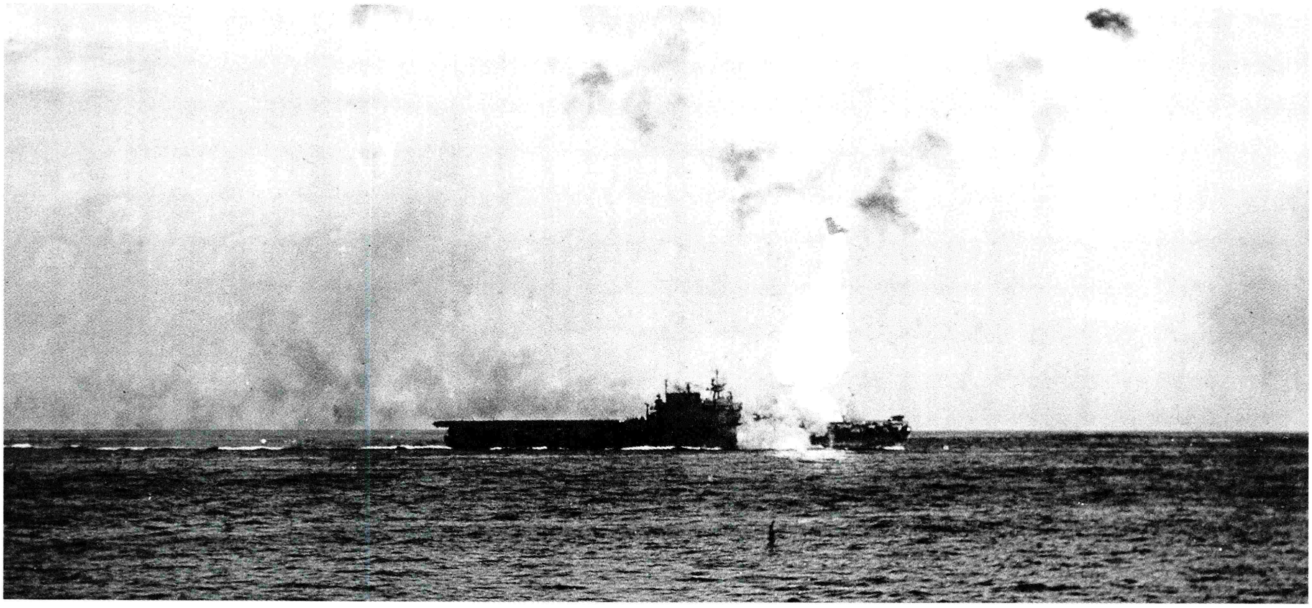
لم يصب الدمار جهة واحدة فقط. خسر اليابانيون 200 طائرة فوق جوادالكانال، وفي محاولة بحرية أخرى في 26 تشرين الأول، أُخرجت حاملتان يابانيتان من الخدمة - برغم أن الحاملة الأمريكية هورنت غرقت وإنتربرايز تضرّرت في العملية. من دون دعم جوي من حاملات طائرات، خاض جنود البحرية معارك دامية للسيطرة على مهبط الجزيرة، الذي أعادوا تسميته حقل هندرسون.

بعد أكثر من أربعة شهور من الصراع المرير، أُنهك كلا الجانبين على الجزيرة الصغيرة. تضاءلت المؤن، وانتشرت رائحة الجثث المتفسّخة في كل مكان، وكوّنت الملاريا خطراً دائماً. في كل اشتباك، قابل الأمريكيون وجهاً لوجه شجاعة منقطعة النظير من الجندي الياباني، الذي رفض الاستسلام حتى إذا دُفع إلى البحر. قال ألكسندر فاندغريفت؛ قائد جنود البحرية الأمريكية



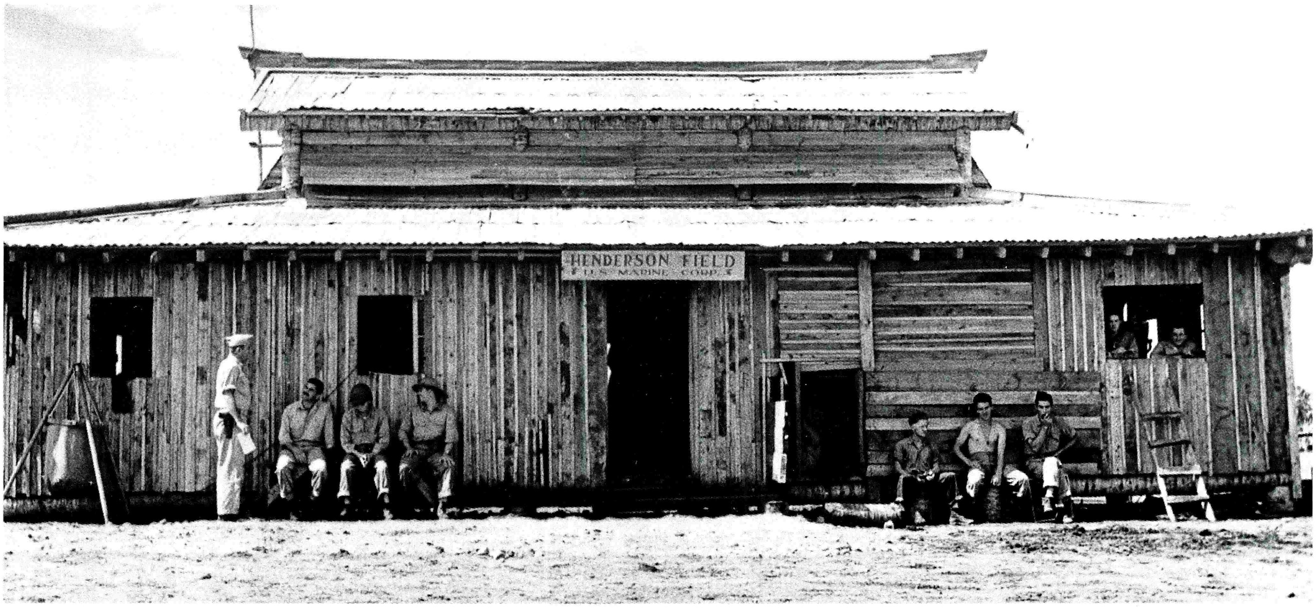
اللحظات الأخيرة لحاملة الطائرات الأمريكية واسب.





أعلى: حاملة طائرات أمريكية تتلقّى ضربة مباشرة.   أسفل: أفنجر تتحطّم لدى هبوطها على سطح سفينة.





حقل هندرسون – تحت سيطرة الأمريكيين آنذاك.

المتمرّس بالمعارك: «سينتظر الجريح حتى يقترب رجال منه لفحصه ويفجّر نفسه والآخرين إلى أشلاء بقنبلة يدوية».

بحلول كانون الثاني 1943، لم يعد بمقدور 25,000 جندي ياباني، منهكين نتيجة المرض والجوع، الحصول إلا على إمدادات ضئيلة في الليل من غواصات. في تلك الأثناء، كان الأمريكيون قد بنوا حامية فيها 50,000 رجل. تابع اليابانيون القتال بشراسة في أثناء تراجعهم تحت ضغط جنود البحرية، ثم في صباح إحدى الأيام رحلوا. لقد رضخت القيادة الإمبراطورية اليابانية للمحتّم، وفي ثلاث ليالٍ في شباط نقلت البحرية الجنود بعيداً بعد خسارة مدمرة واحدة فقط. كانوا قد خسروا في معركة الجزيرة نحو 25,000 رجل – 9000 تقريباً نتيجة أمراض.


الجنرال فاندغريفت.

بقيت جوادالكانال في قبضة الحلفاء حتى نهاية الحرب (برغم أن آخر جندي ياباني على الجزيرة لم يستسلم حتى تشرين الأول 1947). بعد ثلاثين عاماً، لا تزال تُكتشف قذائف وقنابل من المعارك الرهيبة هناك ويُبطل مفعولها.



الخطو على حجارة

الانتقال بين جزر في الهادئ

بعد تأمين غينيا الجديدة وجوادالكنال، أصبح بمقدور الأمريكيين شن هجماتهم الرئيسة في الهادئ. بدأ اليابانيون، من جهة أخرى، يدركون أن ليس بمقدورهم الاحتفاظ بكل الأراضي البعيدة التي احتلوها، وشرعوا في تحصين «مجال دفاع وطني كامل» ضد الهجوم الأمريكي القادم.

سدّد الأمريكيون بسرعة ضربة مهمة لمعنويات العدو. في 14 نيسان 1943، اعترضت وحدات لاسلكي أسطول الهادئ الأمريكي رسالة تشير إلى أن ياماموتو سيقوم بجولة تفقّدية على بوغينفيل في جزر سليمان الغربية. بعد أربعة أيام أسقطت مقاتلات أمريكية طائرة الأميرال، ولإخفاء حقيقة قدرتهم على اختراق الشفرة اليابانية، لم يعلن الأمريكيون عن موت ياماموتو، برغم أنهم قدّموا تقريراً عن جنازته.



تشرين الثاني 1943: جنود بحرية أمريكية ينزلون على شاطئ تاراوا، جزر جيلبرت.



جنود بحرية أمريكية على شاطئ سايبان.

كانت القيادة الأمريكية لا تزال منقسمة، على كل حال، فمكارثر يضغط من أجل طريقه الجنوبي المباشر إلى اليابان في حين إن نيمتز والبحرية الأمريكية يريدان استخدام قوة حاملاتهم المتزايدة شمالاً لتكثيف الضغط على قواعد يابانية مختلفة. في أيار 1943، قرّر ما يدعى المؤتمر الثلاثي في واشنطن تسوية – إستراتيجية ثنائية سترغم اليابان أن تنقل باستمرار قوات احتياطية من موقع إلى آخر. لكن «ثنائية» عنت مضاعفة الجهد والاستعداد.

قبل أي مجازفة عسكرية أخرى، أراد روزفلت أن يطمئن المدنيين الأمريكيين باستعادة جزر ألوتيان قرب ألاسكا. في 11 نيسان نزل جنود البحرية الأمريكية على أتو، وبعد أسبوعين من القتال الشرس لم يبقَ إلا 26 جندياً يابانياً حياً فقط. على كيساكا، بالمقارنة، قضت قوة أمريكية مكوّنة من 34,000 رجل خمسة أيام تبحث عن العدو لتكتشف أن الجزيرة قد أُخليت سابقاً.





أعلى وأسفل: جنود بحرية يتقدّمون على شاطئ تاراوا.





آثار المعركة على الجزيرة.



قتلى يابانيون عند مدخل مخبئهم، تاراوا.



كروجر يتفحّص الخريطة في نيو بريتن.

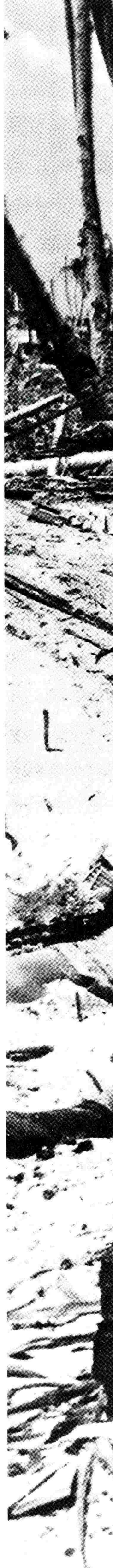
في 30 حزيران 1943، بدأت حملة الحلفاء للانتقال بين الجزر. نزل جنود الجنرال والتر كروجر على جزيرتي كيريوينا وودلارك في تروبرياند، في حين وصل الأستراليون بقيادة الجنرال هيرينغ قرب سالاماوا في غينيا الجديدة، ونزل جنود أمريكيون ونيوزلنديون بإمرة الجنرال هالسي في نيو جورجيا.



شحذ سكين على كواجالين.

سار كل شيء كما يجب، باستثناء حملة نيو جورجيا، حيث أمر 10,000 جندي ياباني بالصمود في الجبال الرطبة على الجزيرة أطول وقت ممكن. بعد قتال شرس، انسحبت باقي الحامية إلى جزيرة كولومبانغارا القريبة. أدرك قادة الحلفاء أن هذا التقدّم البطيء سيسمح لليابانيين بتعزيز حاميتهم في الجزر المجاورة – لذا تجاوزوا كولومبانغارا تماماً.

خشي هالسي وضع أسطوله تحت قيادة نيمتز في وسط الهادئ، فتابع قدماً في هجماته الآتية في بوغينفيل في جزر سليمان الغربية. كان جنود مكارثر الأستراليون، بدعم من





إنزال إمدادات بعد معركة كواجالين.

مظليين أمريكيين، يشقّون طريقهم في غينيا الجديدة، حيث نزل جنود كروجر في نيو بريتن – متجاوزاً الحامية اليابانية القوية في راباول القريبة.

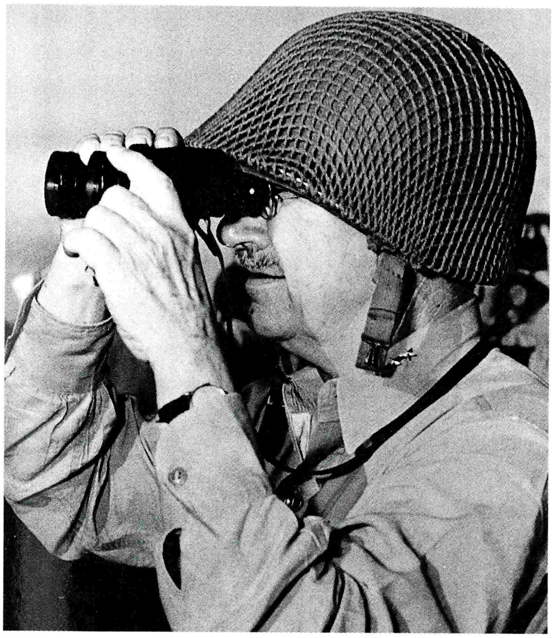
سقطت الجزر إلى شمال وشرق غينيا الجديدة واحدة بعد الأخرى، إنما بعد قتال شرس حقاً. بحلول نهاية نيسان من العام الآتي، كان جنود البحرية قد نزلوا على جزر أدميرالتي ودمّروا تماماً الحامية اليابانية هناك. شرع مهندسون أمريكيون في تشييد قواعد جوية وبحرية رئيسة لتنفيذ عمليات مستقبلية.

تقدّم نيمتز، في تلك الأثناء، نحو الفلبين على طول الممرات المائية التي حدّدتها رئاسة الأركان الأمريكية – أرادت التحرّك من الفلبين للالتقاء مع شيانج كاي شيك في الصين. بدأ نيمتز هجوماً على جزر جيلبرت، وفي 20 تشرين الثاني 1943، هزم جنود أمريكيون الحامية اليابانية الصغيرة على ماكين في حين قُصفت تاراوا استعداداً لإنزال فرقة جنود البحرية الثانية، التي انتصرت في جوادالكنال.

كانت تاوارا محاطة بشعاب مرجانية، ومن أجل الوصول إلى الشواطئ، وجب على جنود البحرية الخوض في المياه 600 ياردة من قوارب الإنزال – مكشوفين تماماً لنيران العدو. برغم القصف البحري الكثيف، قُتل ثلث القوة المهاجمة: كانت واحدة من أكثر ع ل. عندما أُنشئ رأس جسر ساحلي، اختفت الحامية اليابانية، وتبين أن الجميع لقي حتفه في سلسلة عمليات انتحار جماعية.

مصدوماً بمعدل الإصابات على تاراوا، أصرَّ نيمتز على تفادي الجزر التالية وتوجه إلى كواجالين المرجانية، على بعد 400 ميل شمالاً في جزر المارشال. إذا جرى كل شيء كما يريد هناك، فسيرسل جنوده للسيطرة على الجزيرة الآتية؛ إينوتاك.

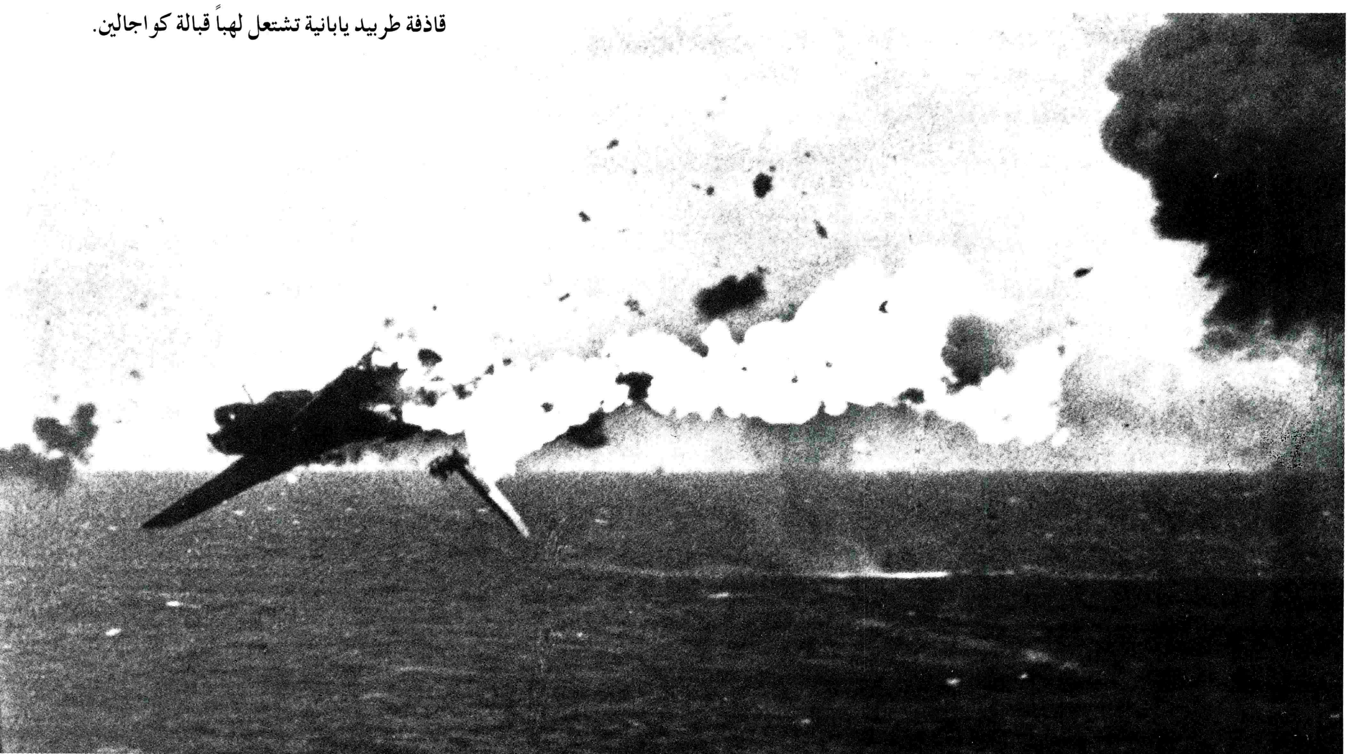
في 4 شباط 1944، شُنَّ الهجوم البحري الرئيس على كواجالين بقيادة الجنرال هولاند سميث (المعروف بـ«صراخ الغضب» وأب الحرب البرمائية الأمريكية)، وتكلّل بالنصر مع خسارة 370 جندياً فقط من البحرية. مجدداً قاتلت الحامية اليابانية، المكوّنة من 8000 جندي أشدّاء، حتى آخر رجل. بعدئذ بوقت قصير، أنشئ رأس جسر أيضاً على جزيرة إينوتاك.

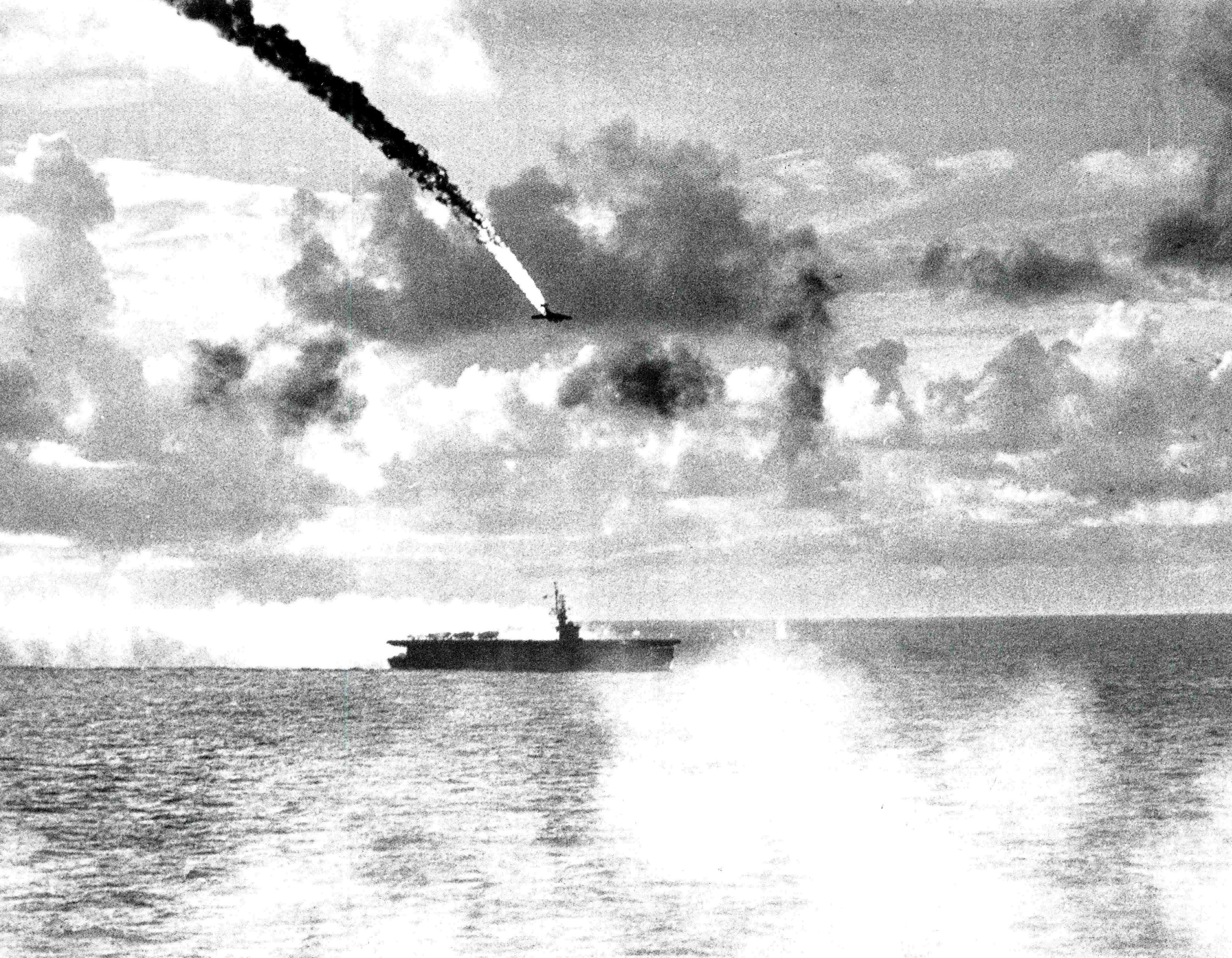

سميث «صراخ الغضب».

لكن القوة البحرية اليابانية في الإقليم كانت لا تزال تقلق نيمتز: لتحييدها شنَّ غارة مكثّفة على قاعدتهم في ترَك. برغم أن الجنرال كوغا قد سحب أسطوله الرئيس من هناك، غرق طرّادان وأربع مدمرات ونحو 26 ناقلة نفط وسفينة شحن، إضافة إلى تدمير 250 طائرة يابانية أيضاً. أضحت مجموعة جزر جيلبرت ومارشال بقبضة الأمريكيين آنذاك - ما حطّم ثقة الإستراتيجيين اليابانيين، الذين قدّروا أن بمقدورهم الصمود في الإقليم أربعة شهور أخرى على الأقل.

حقق الحلفاء نجاحات أخرى في جنوبي الهادئ. في غينيا الجديدة، كان جنود أستراليون يتقدّمون غرباً على طول الساحل من مادانغ، في حين نفّذ مكارثر في 22 نيسان أكبر عمليات

قاذفة طربيد يابانية تشتعل لهباً قبالة كواجالين.

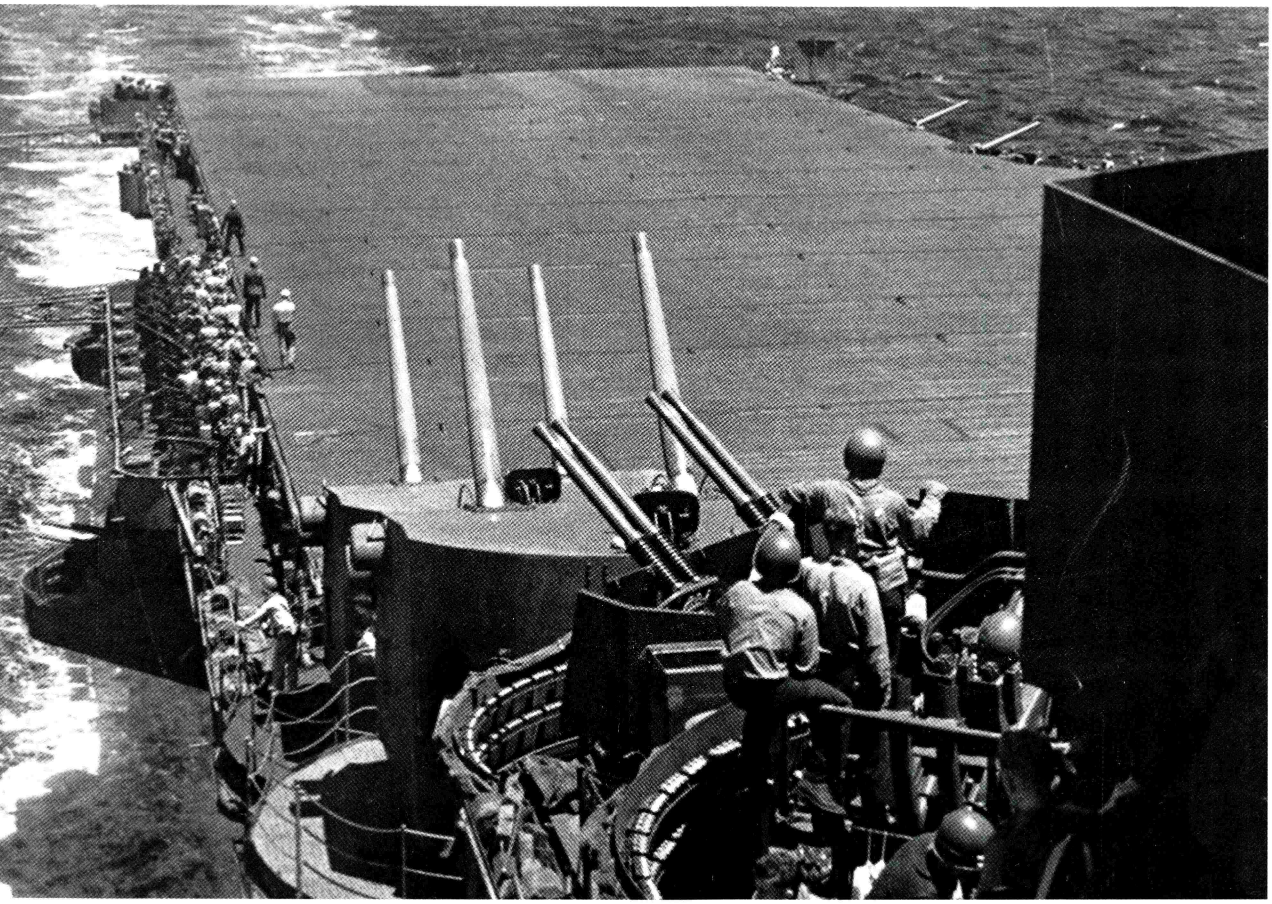




طائرة يابانية تحترق في الجو في «المعركة غير المتكافئة» فوق ماريانا.

«الانتقال» للاستيلاء على قاعدة هولانديا الحيوية على خليج هومبولت. في أيار 1944 شُنّت هجمات على تويم على ساحل غينيا الجديدة، وعلى جزيرة ويك ومطارات بياك. لم يجرِ غزو الأخيرة كما خُطّط له تماماً، على كل حال، فقد قلّلت استخبارات مكارثر كثيراً من عدد الجنود اليابانيين المدافعين، فاستمر القتال حتى آب، وتكبّد الحلفاء 10,000 إصابة، قبل أن تقع بياك أخيراً في قبضتهم.

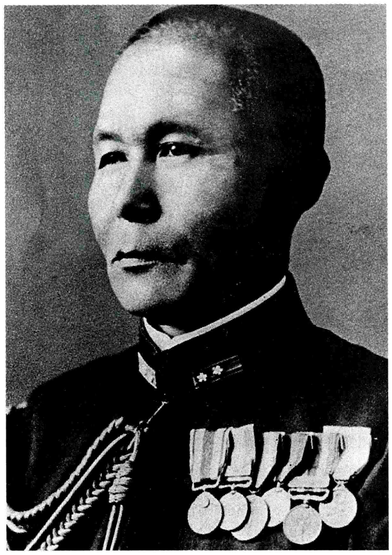
بسبب الحذر البريطاني في بورما والتقدّم البطيء لـ شيانج كاي شيك، بدا التقاء الحلفاء بالصينيين بعيد المنال. أرغم رؤساء الأركان في واشنطن على تغيير إستراتيجيتهم، وبدلاً من تنفيذ إنزال على الصين – «الباب الخلفي» المفترض إلى اليابان – قرّروا أن تتجه القوات الأمريكية أخيراً إلى اليابان نفسها مباشرة. لكن جزر ماريانا – سايبان، غوان، تينيان – المحصّنة جداً تقع في الطريق.



هبوط مقاتلة هيلكات أمريكية.

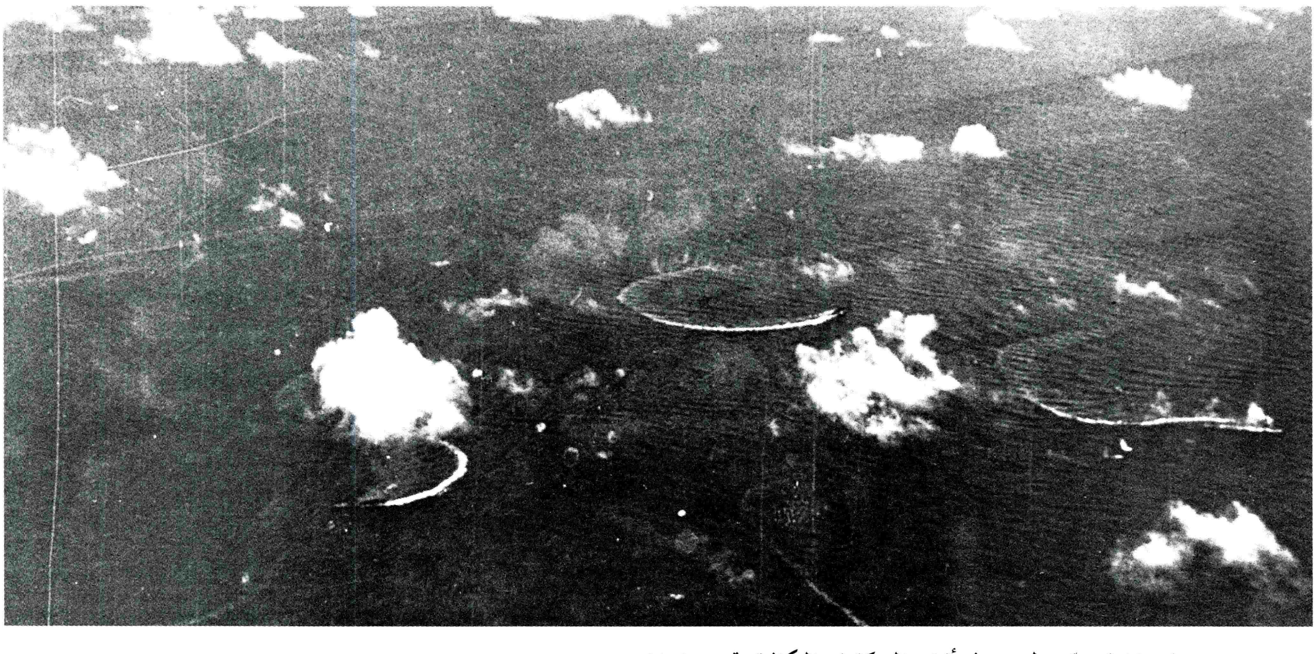
من جانبهم، كان القادة اليابانيون مصممين على شن «هجوم مضاد»، إنما لم تكن «خطة الضربة المعاكسة» جديدة: لقد ورثها الأميرال سويمو تويودا؛ القائد العام للبحرية اليابانية، من سَلفه الأميرال كوغا، قبل وفاة الأخير في حادث تحطّم طائرة. تضمّنت الخطّة إغراء حاملات أمريكية على الدخول في مدى النيران المشتركة للأسطول الياباني الرئيس.

في الوقت نفسه، كان قادة الحلفاء يتعاونون في تصميم «عملية تزاوج» - حشد قوات أمريكية وكندية زائف تماماً لتهديد جزر الكوريل في شمالي اليابان. ابتُكر حتى أسطول تاسع، وقُصفت مواقع عسكرية في الجزر مراراً لمنح «العملية» مصداقية.



الأميرال أوزاوا.

في 15 حزيران، بدأ 130,000 جندي أمريكي إنزالاً على ماريانا، وعندما أصبحوا على الشاطئ، اشتبكت الحاملات الأمريكية السريعة بقيادة مارك ميتشر مع الأسطول الأول بإمرة الأميرال جيسابورو أوزاوا. برغم أن أوزاوا كان أحد أمهر الإستراتيجيين اليابانيين وينوي استخدام طائرات من غوام للتغلّب على القوة الأمريكية، إلا أن شبكته الاستخباراتية عانت ضعفاً. لم يعرف أن هجوماً أمريكياً على غوام قد دمّر معظم الطائرات على الأرض، وأن هناك 1000 طائرة للبحرية الأمريكية تفوق عدداً 300 فقط على حاملاته.



سفن يابانية تتعرّض لهجوم في أثناء «المعركة غير المتكافئة» قرب ماريانا.



التحليق فوق قوة الإنزال على سايبان.



حزيران 1944: سطح الطيران على لكسينغتون قبالة سايبان.



جنود بحرية أمريكية يتعرّضون لإطلاق نار على شواطئ سايبان.

عندما اكتشفت الموجة الأولى من الطائرات اليابانية حاملات ميتشر في 19 حزيران، استطاعت 20 منها فقط الاقتراب حتى مسافة التسديد من السفن الأمريكية. لم يكن طيّاروها يتمتعون بالخبرة، وطائراتهم عتيقة الطراز مقارنة بمقاتلات هيلكات الأمريكية: أصبحت المجزرة الجوية التي وقعت آنذاك تُعرف باسم «المعركة غير المتكافئة فوق ماريانا». بحلول نهاية اليوم، فقد اليابانيون 218 طائرة وحاملتين – فيهما تايهو؛ بارجة الأميرال أوزاوا، التي أصابتها غواصات أمريكية بطربيدات. خسر الأمريكيون 29 طائرة فقط.

في اليوم الآتي، حدّد ميتشر مواقع السفن الباقية من الأسطول الياباني على بعد 300 ميل. كانت مهاجمتها مغامرة: لن تعود طائراته قبل حلول الظلام واستقبالها على حاملاته سيتطلّب تشغيل أضواء الهبوط، ما يعرّضها للخطر. آتت العملية أُكلها، فقد غرقت الحاملة هيو والبارجة هارونا، في حين أُنقذت معظم فرق 80 طائرة أمريكية أُرغمت على الهبوط اضطرارياً في الليل.

إضافة إلى حاملات الطائرات الثلاث والبارجة، خسرت البحرية اليابانية نحو 480 طائرة في أثناء سلسلة من الاشتباكات قبالة ماريانا – أعمال أصبحت تُعرف جماعياً باسم «معركة بحر الفلبين». لم تتعافَ البحرية اليابانية من الصدمة أبداً. في 6 تموز على جزيرة سايبان، أقدم القائدان

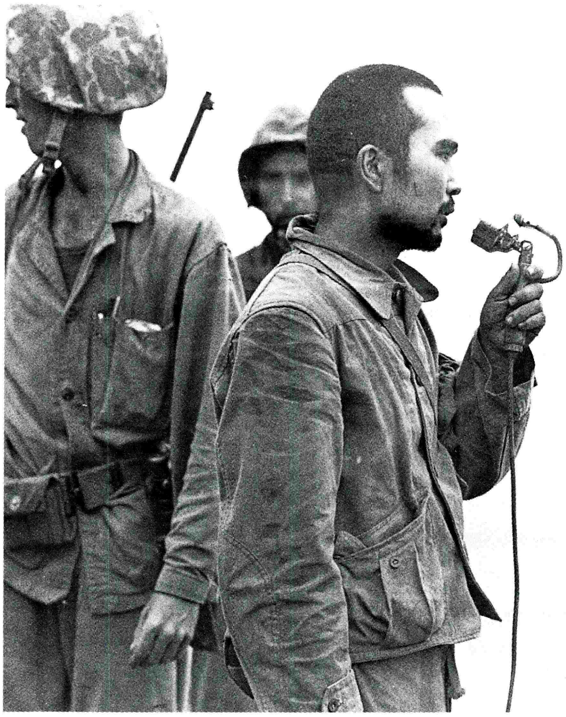


أعلى: يابانيون قتلى على سايبان.   أسفل: عناية طبية لجرحى أمريكيين.





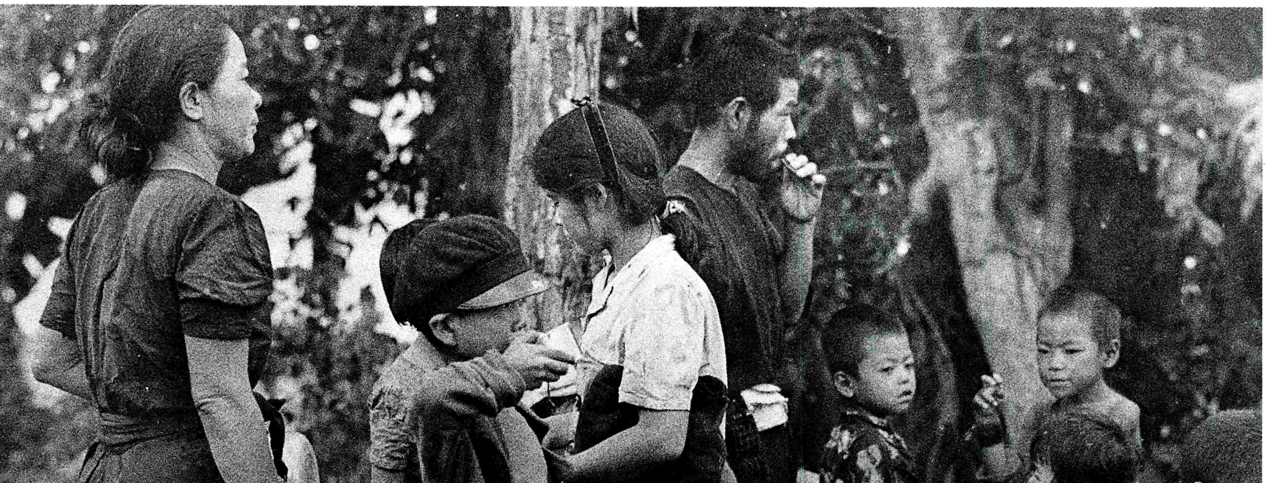
مراسم دفن على متن ناقلة جنود أمريكية بعد إنزال سايبان.



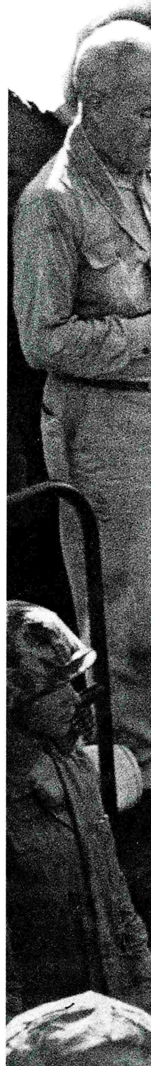
أسير يناشد زملاءه الاستسلام.

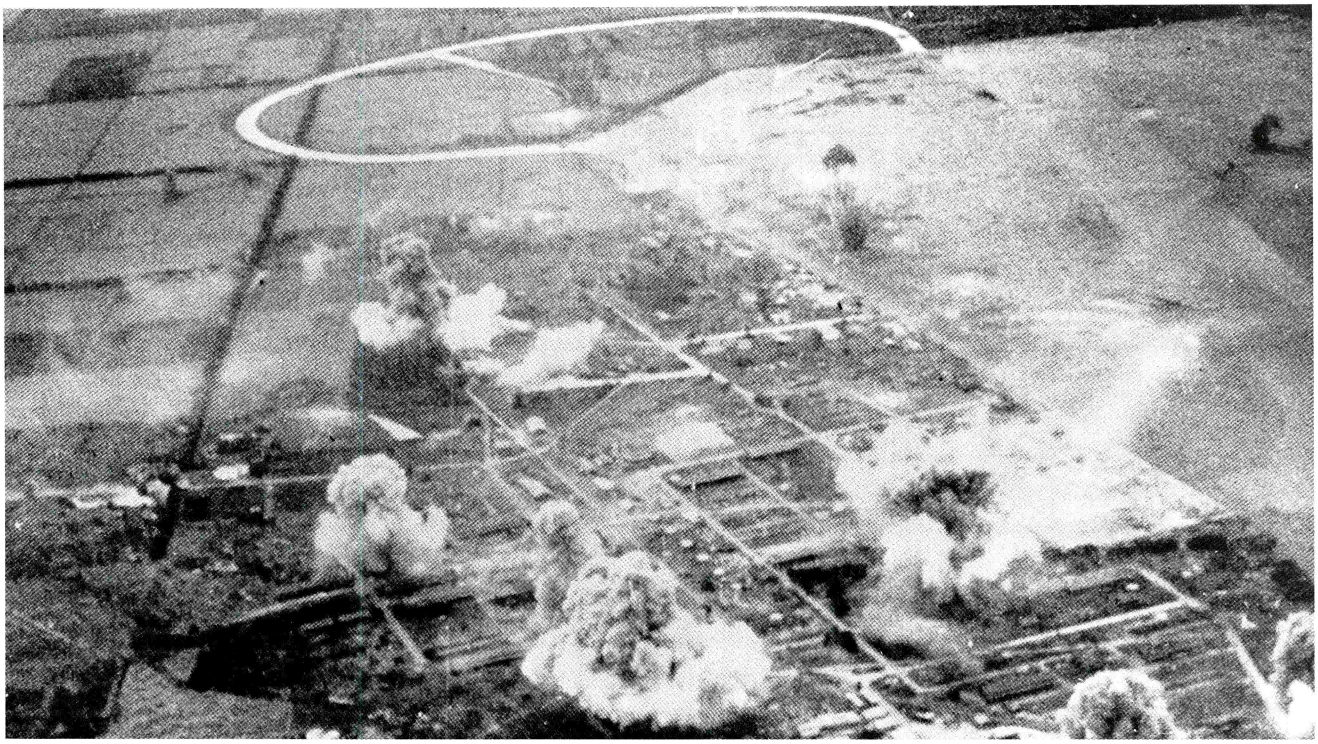


مدنيون يابانيون يختبئون في كهف.



خمسة أيام من دون ماء: مدنيون يابانيون يخرجون من مخبئهم في سايبان.





جزيرة تينيان تتعرّض لقصف أمريكي.

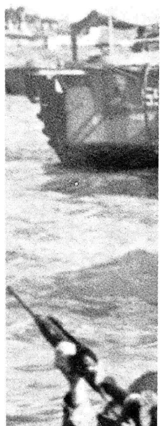


جنود بحرية أمريكية يخوضون في الماء على شاطئ تينيان.

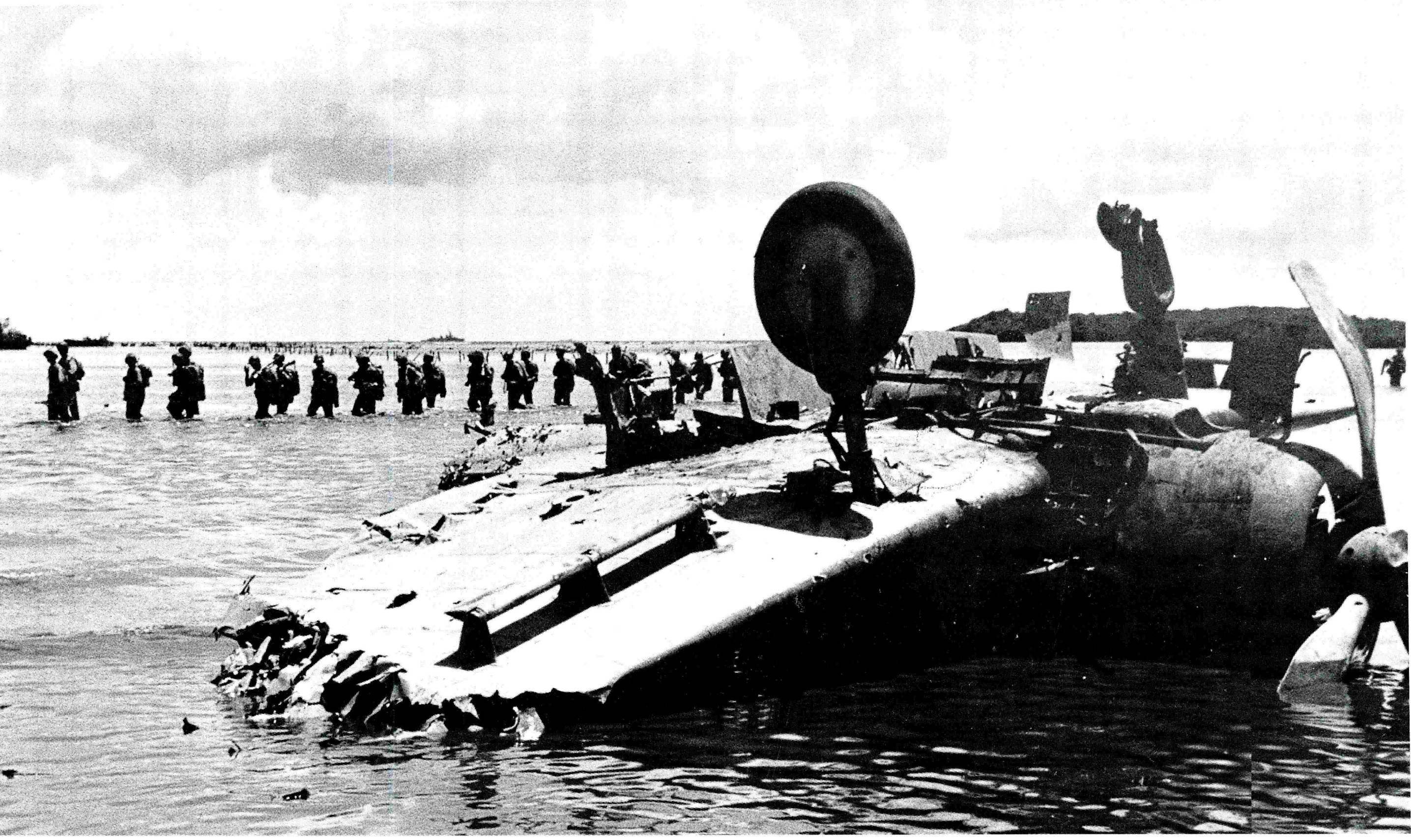


مدفعيون أمريكيون في نقطة تمركزهم، تينيان.





الجنرال إدسون في تينيان.



تموز 1944: جنود بحرية أمريكية يصلون غوام.



التقدّم في غوام.

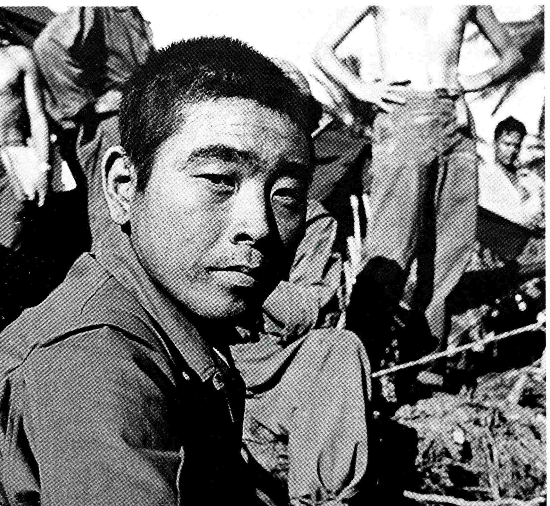




جنود أمريكيون يتقدّمون على غوام.

اليابانيان الجنرال يوشيتسوغو سايتو والأميرال ناغومو (قائد قوة الهجوم على بيرل هاربر) على الانتحار، يحدوهما أمل أن «يشجع ذلك الجنود في هجومهم الأخير».

تبع ذلك مذبحة ضخمة. انتحر أولئك الجنود اليابانيون الذين لم يموتوا في المعركة، وسبح بضع مئات منهم إلى الشعاب المرجانية، حيث شوهد ضابط يقطع رؤوس رجاله. في الأيام الآتية، قتل 22,000 مدني ياباني أنفسهم أيضاً في كهوف الجزيرة لتفادي الأسر.



أسير ياباني على غوام.

في 18 تموز، سقطت سايبان. في اليابان لم يكن ممكناً إلقاء اللوم بسبب خسارة الجزيرة إلا على توجو، الذي قد ركّز كل السلطات العسكرية والحكومية في يديه. أرغم على الاستقالة من منصب رئيس الوزراء.

في 23 تموز، حوّل جنود البحرية اهتمامهم إلى تينيان وغوام. على تينيان شاهدوا برعب جنوداً يابانيين يصطفون للقفز إلى حتفهم من منحدر شاهق، أو يفجّرون أنفسهم بقنابل يدوية. بعد أن تخلّص الجنود من أنفسهم، استسلم 13,000 مدني ياباني باقين هناك. بحلول منتصف آب 1944، أصبحت ماريانا في قبضة الأمريكيين، وكانت المهمة الكبيرة الآتية هي استعادة الفلبين.



المعركة على بورما

انتصار البريطانيين والكومنولث

بحلول أيار 1942، عندما أُرغم من تبقّى من الجيشين البريطاني والصيني المدافعين عن بورما على التراجع إلى الحدود الهندية، بد أن سمعة اليابانيين على أنهم مقاتلو أدغال لا يُقهرون تترسّخ. كانت الإمبراطورية البريطانية قد تلقّت ضربة مؤلمة بخسارة سنغافورة، والمستعمرة الإمبريالية الكبيرة التالية التي أصبحت في نطاق رؤية اليابانيين هي الهند، حيث خطّطوا لاستغلال التنافر القومي. في نيسان 1943، بدأ تشاندرا بوس؛ الزعيم الهندي، بناء جيش وطني هندي في بورما للقتال إلى جانب اليابانيين. في سنة واحدة، تطوع 25,000 أسير هندي في معسكرات يابانية لمحاربة البريطانيين – برغم أن كثيرين فرّوا لاحقاً.



جنود يابانيون في بورما.



كورخا [جندي نيبالي] في راخين يستعدون لمهاجمة دورية يابانية.

صدَّ اليابانيون أول هجوم مضاد بريطاني في بورما، عُرف باسم هجوم راخين [أراكان]، عند دونبيك في كانون الأول 1942. كان الجنود البريطانيون والهنود مثقلين بأسلحة جديدة، كثير منها غير دقيق، ووجدوا التقدّم عبر أدغال كثيفة بطيئاً بنحو مؤلم. برزت أيضاً مشكلة المرض على نطاق وبائي، وفي شهر من الهجوم، عانى ٪40 من الجنود الملاريا، ومات كثير منهم نتيجة تعفّن جروحهم (كانت حتى الحلاقة مجازفة). ضعفت معنويات الحلفاء بقصص معاملة اليابانيين القاسية للأسرى – خاصة عادتهم في ربط رجال إلى أشجار على خط النار.

بدا واضحاً أن البريطانيين يحتاجون إلى إعادة تنظيم قيادتهم وتعزيز معنوياتهم. اختير اللورد الماكر الأميرال لويس مونتباتن ليكون القائد العام الجديد في الإقليم. كان مونتبان، بعمر 42 عاماً، واحداً من أصغر وألمع قادة الحلفاء في الحرب.



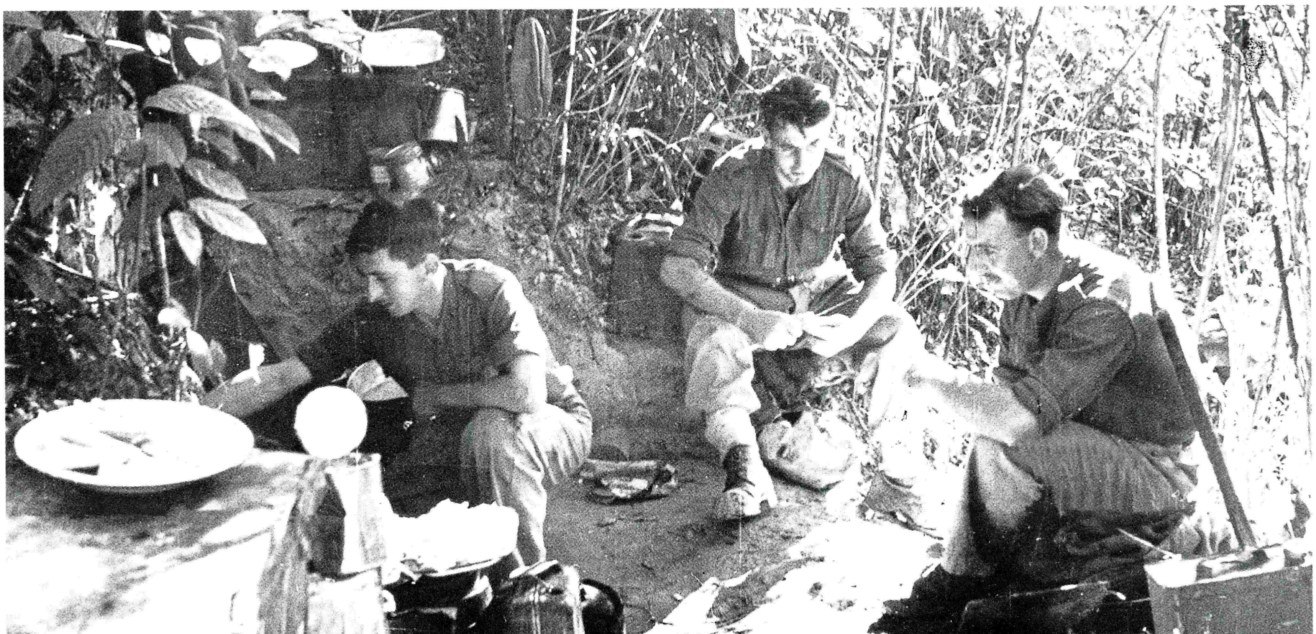
مدفعية بريطانية على جبهة راخين.



جنود من البنجاب يخمدون حريق قرية في راخين.



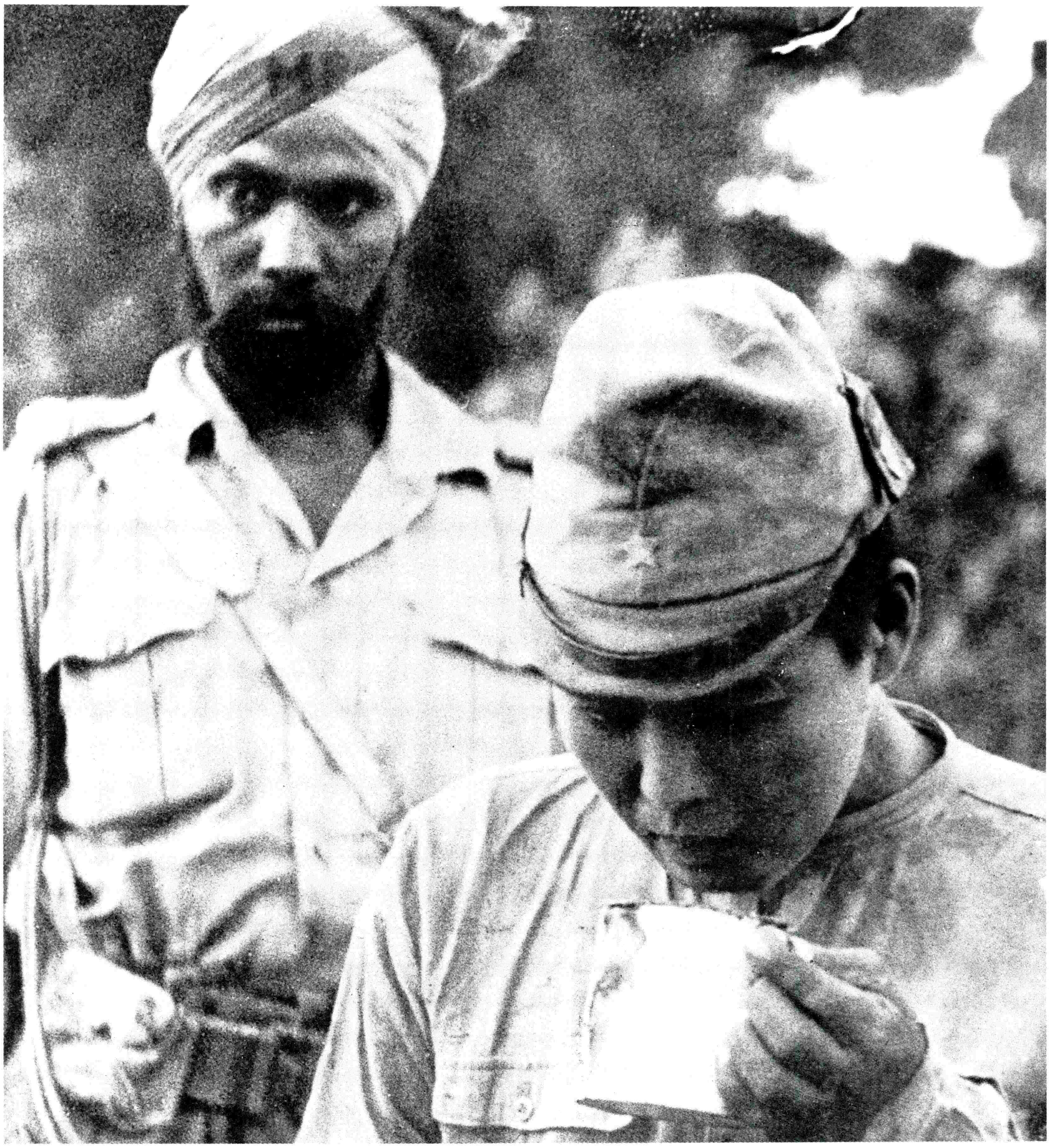
لورد مونتباتن.



جنود بريطانيون يطهون طعاماً في أدغال راخين.



آذار 1942: جنود هنود في هجوم في راخين.



أسير ياباني يراقبه سيخي من الشرطة العسكرية.

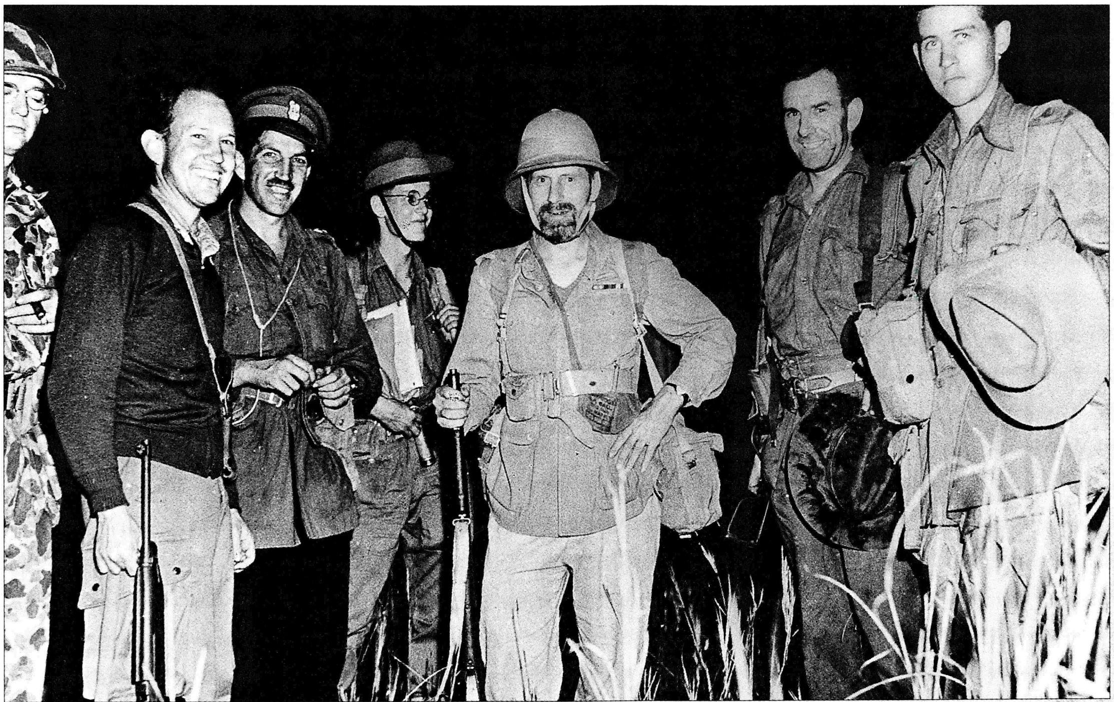


تولّى مونتباتن القيادة في آب 1943، وعُيّن الأمريكي ستيلويل نائباً له، وقد واجها مشكلات عديدة. كانت القوات تحت قيادتهما تضم بريطانيين، وهنوداً، وكورخا، وأمريكيين، وهولنديين، وفرنسيين، وأستراليين، ونيوزيلنديين، وصينيين والطعام والإمدادات الطبية قليلة. بدا ممكناً تلخيص حملة بورما بثلاث كلمات، كما قال مونتباتن: «معنويات، رياح موسمية، ملاريا». أضفى نوعاً من الدعابة الساخرة على تعاملاته مع الجيش المنهك، وقال لجنوده: «سمعت أنكم تدعون أنفسكم 'الجيش المنسي'. حسناً، دعوني أخبركم شيئاً، أنتم لست 'الجيش المنسي'. في الواقع، لم يسمع أحد بكم أبداً».



جنود الجيش الهندي النظامي في الحرب.





وينغيت مع جنوده شينديت.





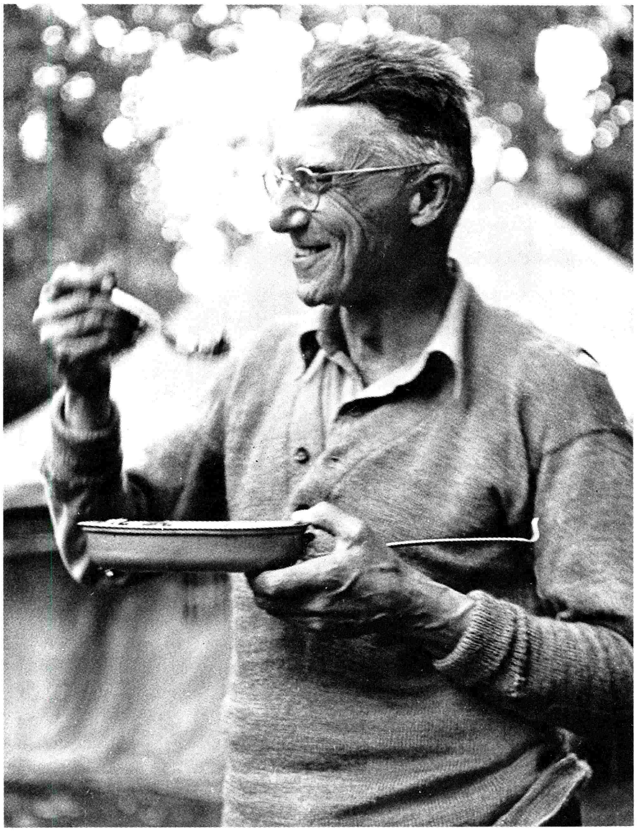


جنود شينديت مرضى وجرحى بعد عمليتهم الأولى.

جنود شينديت يعبرون نهراً في بورما المحتلة.

بدا ضرورياً إثبات أن هزيمة اليابانيين ممكنة من أجل رفع المعنويات. كانت رحى عمليات الأدغال في بورما دائرة آنذاك حين وصل مونتباتن، ويجري تنفيذ نشاطات حرب عصابات، بقيادة الإنكليزي أورد وينغيت والأمريكي العقيد ميريل، خلف خطوط اليابانيين. في شباط 1943، عَبَرَ 3000 من قوات شينديت الخاصة (سُمّوا تيمناً بحيوان خرافي بورمي يدعى شينث) تشيندوين في أول رحلة استطلاعية لرفع المعنويات. برغم أن ربعهم تقريباً لم يعد أبداً، إلا أن أعمالهم البطولية أعجبت تشرشل كثيراً فأمر بمضاعفة أعدادهم ثلاث مرات ووضع تحت تصرف وينغيت وحدة جوية خاصة – عُرفت باسم «سيرك كوكران»، نسبة إلى قائدها الأمريكي؛ فيليب كوكران. في أثناء الهجوم الآتي، نُقلت خمسة ألوية شينديت جواً إلى بورما ونجحت في قطع خطوط اتصال وإمداد اليابانيين.

في نهاية 1943، أصبح الجنرال سليم جاهزاً للعودة إلى راخين. لكن اليابانيين أدركوا أن زيادة عدد الجنود والمعدّات يدل على شن هجوم جديد، وقرّروا الضرب أولاً، فاندفعوا مباشرة إلى الهند.



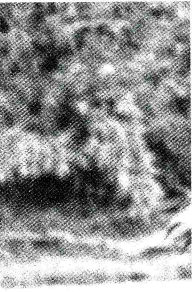
ستيويل يحتفل بعيد ميلاده.

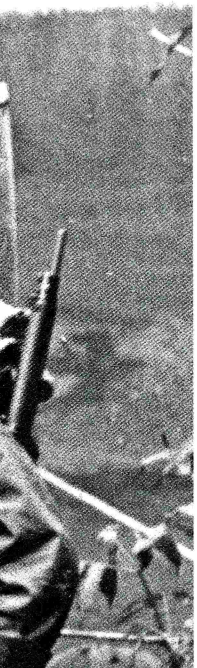


جنود شينديت يعبرون نهراً في بورما المحتلة.



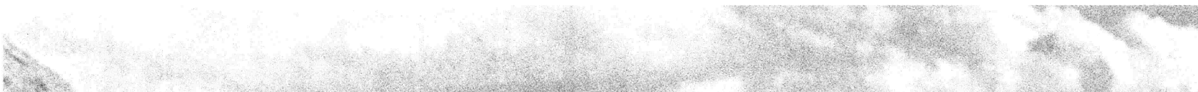
ماراودر ميريل في أثناء السير.







ماراودر ميريل يختارون طريقهم عبر الأدغال.



ماراودر ميريل يعبرون من أسام إلى بورما.



جنود أمريكيون يعبرون نهر تشيندوين في شمالي بورما.



جنود بريطانيون قرب كوهيما.

كان واضحاً أن الهجوم المضاد الياباني يستهدف معقلين - إمفال وكوهيما. لم يكن يدافع عن الأخيرة إلا 1500 جندي بريطاني وهندي، وفي بداية 1944 وجدوا أنفسهم محاصرين تماماً. في 18 آذار استطاعت تعزيزات تحقيق اختراق والوصول إلى الحامية التي كانت في الرمق الأخير.

أقدم مونتباتن آنذاك على مخاطرة وأرسل مزيداً من التعزيزات، عاقداً العزم على الاحتفاظ بالمدن، مدركاً أن اليابانيين لديهم أقل من 200 طائرة في بورما، وبمقدوره الاعتماد آنذاك على السيطرة الجوية. برغم أن إمفال كانت مطوّقة أيضاً، إلا أن طائرات الحلفاء بقيت تزوّدها بالإمدادات وتُخرج منها مدنيين وجرحى. مع تواصل الحصار، أمست القوات اليابانية بقيادة

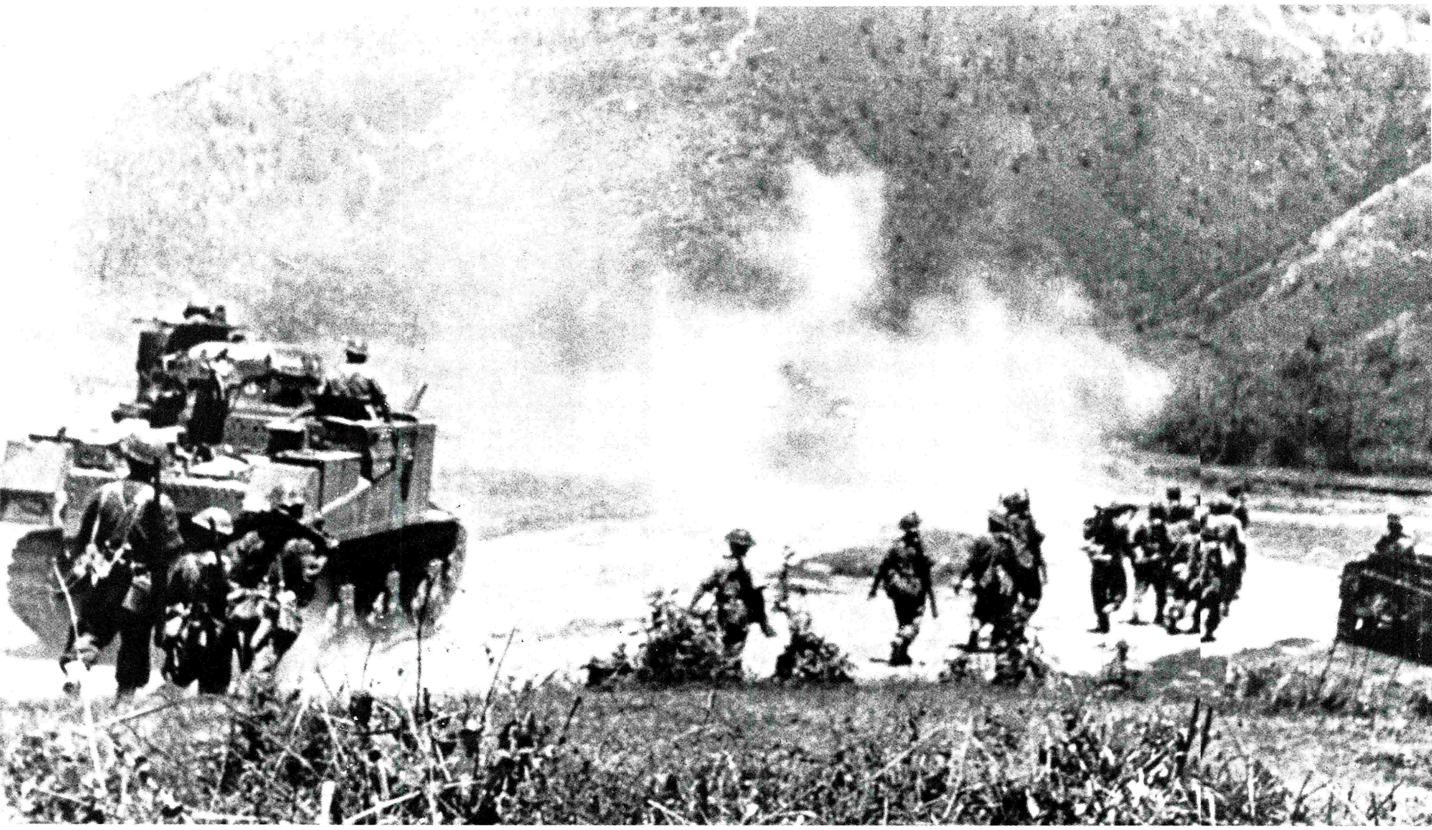


جنود بريطانيون وهنود يلتقون على طريق إمفال–كوهيما.



مهندسون ومختصو ألغام هنود يؤمّنون جسراً محصّناً.





جنود كورخا يؤمّنون الطريق من إمفال إلى كوهيما.



جنود أمريكيون يسترخون في بورما على بعد 75 ياردة فقط من مواقع يابانية.





ضابط بريطاني يأخذ «استراحة قصيرة» قرب كوهيما.



آذار 1945: جنود أستراليون يسيطرون على ميكتيلا، على بعد 80 ميلاً جنوب ماندالاي.

الجنرال رنيا موتاغوشي مكشوفة بازدياد، لكنه عزل ثلاثة مرؤوسين حين طلبوا منه الانسحاب – ليُستعاض عنه بقائد جديد.

عندما فُكَّ الحصار عن كوهيما وإمفال في تموز 1944 كانتا قد تحمّلتا 88 يوماً من الحصار. عانى اليابانيون خارج المواقع الدفاعية مَشاقَّ بغيضة: وجد 65,000 ميت – نحو 40,000 من الجوع أو المرض. دل انتصار الحلفاء على نهاية مخطّطات اليابانيين في شبه القارة.

كانت تطوّرات طبية جديدة في مكافحة الملاريا، وتصميم مونتباتن وستيلويل على القتال في فصل الرياح الموسمية الآتية (بعكس معظم النصائح العسكرية)، تعني أن جنود الحلفاء أصبحوا آنذاك أكثر استعداداً وحماساً. برغم أن وينغيت قد مات في تحطّم طائرة في 24 آذار، تابع مارِاودر [مُغيرو] ميريل شن غارات جريئة في الجبال، واستولوا على مهبط ميتكينا الحيوي. في الصيف، استولى جنود بريطانيون وهنود وكورخا وأمريكيون على موغاونغ؛ أول بلدة داخل بورما، وبدأ بذلك التراجع الياباني الدامي والبطيء من جنوبي شرقي آسيا.

دمار اليابان



انهيار الإمبراطورية الأخير.

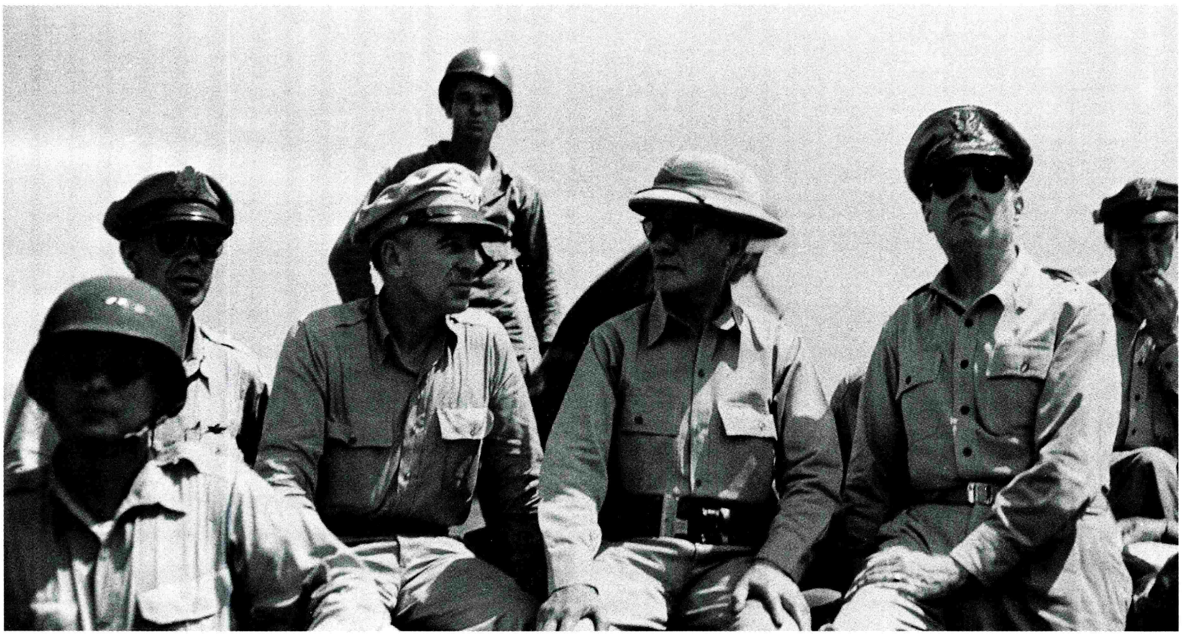


عودة مكارثر

جنود أمريكيون يستعيدون الفلبين

كان بمقدور الأمريكيين تجاوز الفلبين كلها في أثناء تقدّمهم في الهادئ، لكن مكارثر استطاع إقناع واشنطن أن الكبرياء الأمريكي على المحك، وأن الشعب الفلبيني يستحق الحرية في أسرع وقت ممكن. عرف روزفلت أيضاً أنه إذا بقي البطل مكارثر مشغولاً بالوفاء بوعده العودة إلى الفلبين، فلن يكون خصماً عنيداً له في حملته الرئاسية في نهاية 1944.

كان اليابانيون يدركون جيداً نوايا مكارثر، وصدقوا أن بمقدورهم إلحاق هزيمة نكراء بالقوات المهاجمة. برغم هذا، وبعد نجاح عملية ماريانا، لم يرَ مكارثر سبباً يدعوه إلى عد إنزال بأسلوب يوم الهجوم في أوروبا ممكناً في الفلبين. اختير خليج ليت، الواسع والعميق كفاية لرسو أسطول غزو ضخم، ليكون موقع شن الهجوم. في تلك الأثناء، جهّز قادة يابانيون أسطولهم الرئيس لتوجيه ضربة إلى السفن الأمريكية، وسمّوا العملية شو (النصر). كانت النتيجة اشتباكاً بحرياً كبيراً آخر في الهادئ.



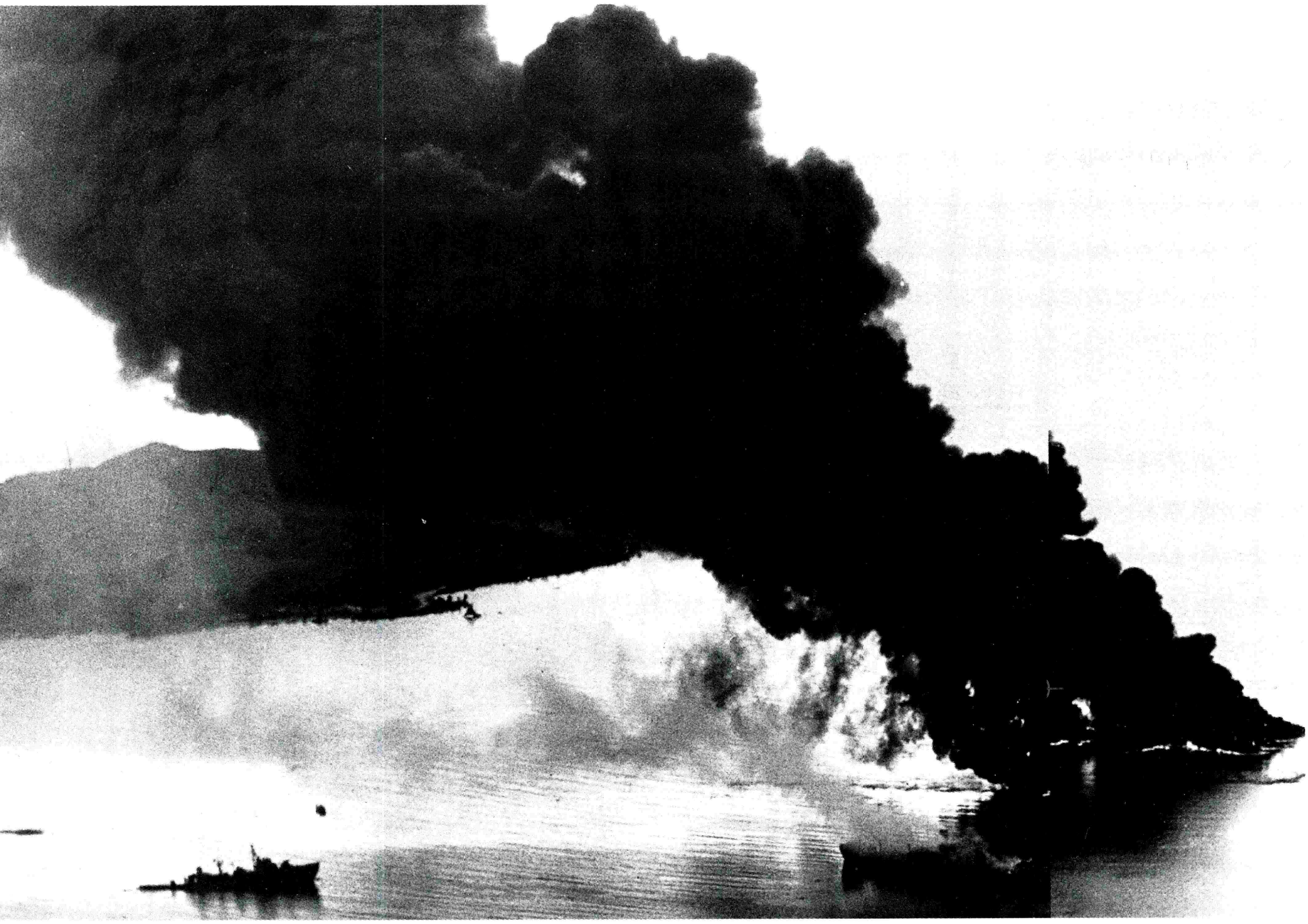
تشرين الأول 1944: مكارثر والرئيس الفلبيني الجديد سيرجيو أوسمينا على شاطئ ليت.



جنود بحرية أمريكية يندفعون نحو شاطئ ليت.

عند فجر 20 تشرين الأول 1944، وصلت «بحرية مكارثر» المكوّنة من 700 سفينة وناقلة تحمل 200,000 رجل شرق جزيرة ليت. بقي الأسطول الثالث بقيادة هالسي في عرض البحر، لا لدعم الإنزال فحسب إنما للتصدّي للأسطول الياباني إذا ظهر هناك. عرف مكارثر أنه إذا لم يكن بمقدوره الاعتماد تماماً على حاملات هالسي، يجب أن يحرص على تشغيل مطاراته بأسرع وقت ممكن إن أراد نجاح الغزو. لكن الطقس في الشهور الآتية كان سيجعل على الأرجح التربة السبخة أصلاً في ليت غير ملائمة لبناء مهابط.

كان اليابانيون قد خططوا في الواقع لاستخدام قوة حاملات أوزاوا لإغواء أسطول هالسي على الابتعاد في حين يدمّر الأسطول الرئيس بقياة كوريتا القوة المهاجمة. في تلك الحال، سيفسد عدم التنسيق بين أسطوليهما أي درجة مفاجأة يسعيان إلى تحقيقها.



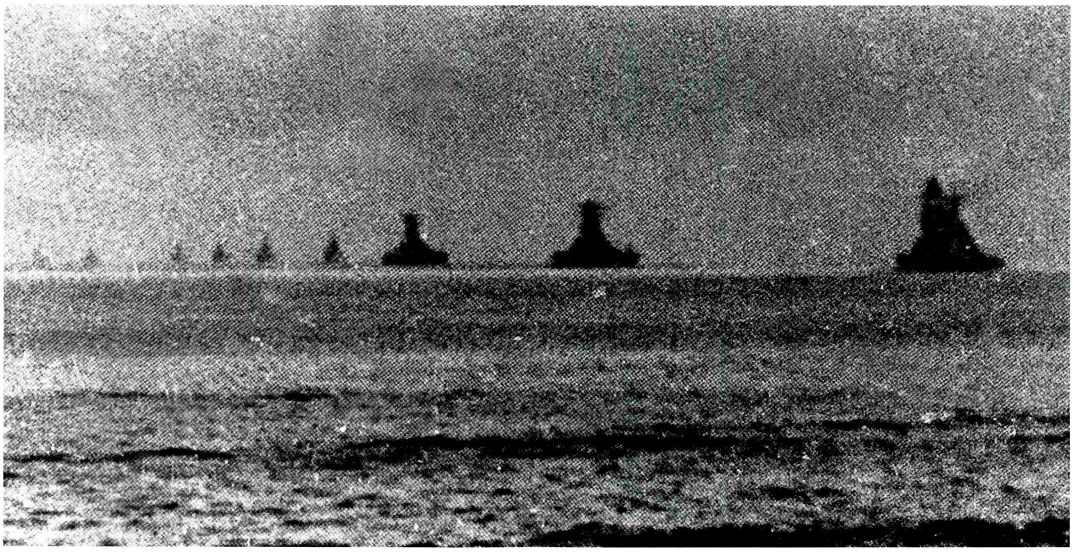
سفن يابانية تحترق في خليج سان إيسيدرو، ليت.

كان اليابانيون قد تنازلوا أيضاً عن التفوق الجوي للأمريكيين. أطلق هالسي غارة من 1000 طائرة ضد قواعد يابانية في ريوكيو، وفي أقل من أسبوع دُمّرت أكثر من 600 طائرة يابانية (أعلنت إذاعة طوكيو أن 19 حاملة أمريكية قد غرقت، وأمر هيروهيتو بإقامة احتفالات خاصة بالمناسبة). الأسوأ أن غواصتين أمريكيتين؛ ديس ودارتر، قد رصدتا قوة كوريتا الرئيسة في طريقها إلى ليت، فأُغرقت بارجة الأميرال، الذي أُرغم على الانتقال إلى البارجة ياماتو، التي وُصفت بأنها لا تغرق.

برغم أن بعض طيّاري البحرية اليابانية لم يكونوا يتمتعون بخبرة كافية للهبوط على حاملاتهم، نجحوا فعلاً في تحويل الناقلة الأمريكية السريعة برينستون إلى قطعة لهب. كان الرد الأمريكي مدمّراً، ففي 24 تشرين الأول، أغرقت 250 غارة ضد الأسطول الياباني الرئيس البارجة العملاقة



القوة العسكرية البحرية الأمريكية قرب ليت.

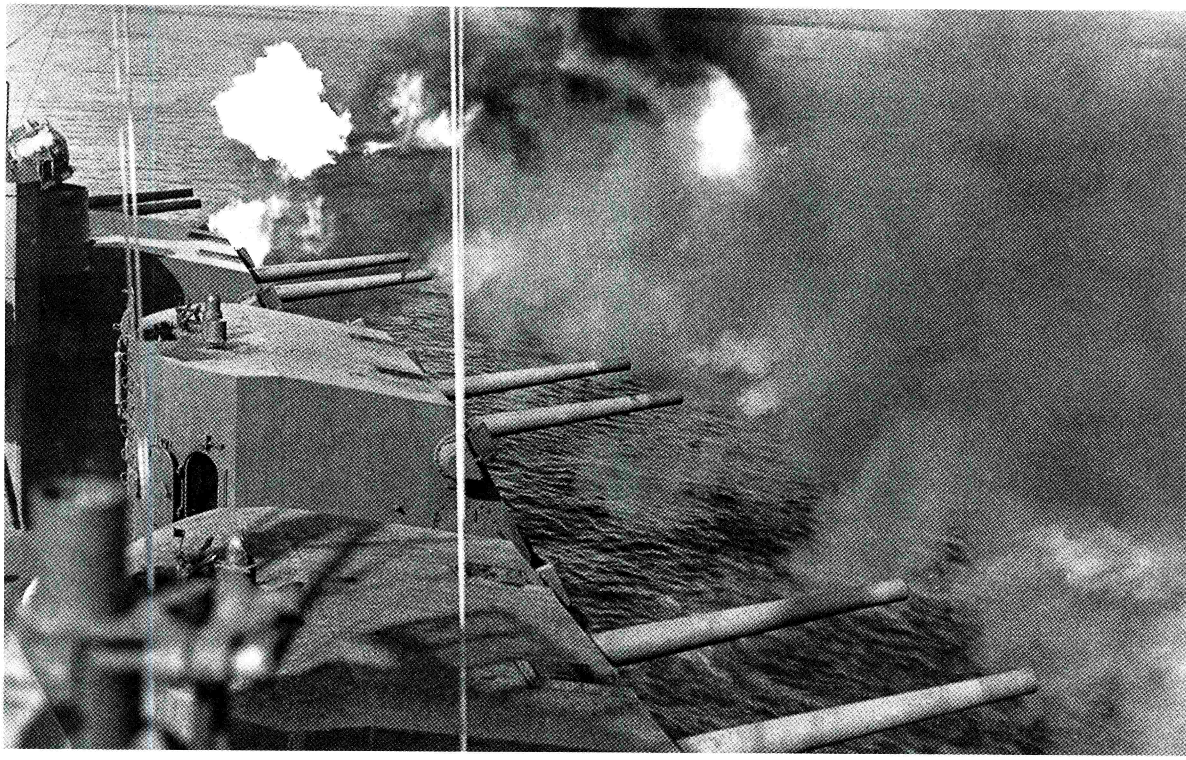


أسطول كوريتا يتجه إلى ليت.

موساشي. قال ضابط ياباني بارز: «لقد توقعنا هجمات جوية، لكن ما حدث اليوم كافٍ تقريباً لتثبيطنا».

برغم هذا، كادت المكيدة اليابانية تنجح. ذهب هالسي، الحائر من تقارير طيّاريه، مع كل أسطول حاملاته لتدمير قوة التضليل اليابانية بقيادة أوزاوا، وبقي أسطول الغزو بإمرة مكارثر غير محمي تقريباً في أثناء الليل. عندما اندفع هالسي شمالاً في 25 تشرين الأول، طوّقت ست بوارج ومدمّرات أمريكية بأسلوب بحري تقليدي جزءاً آخر من الأسطول الياباني.

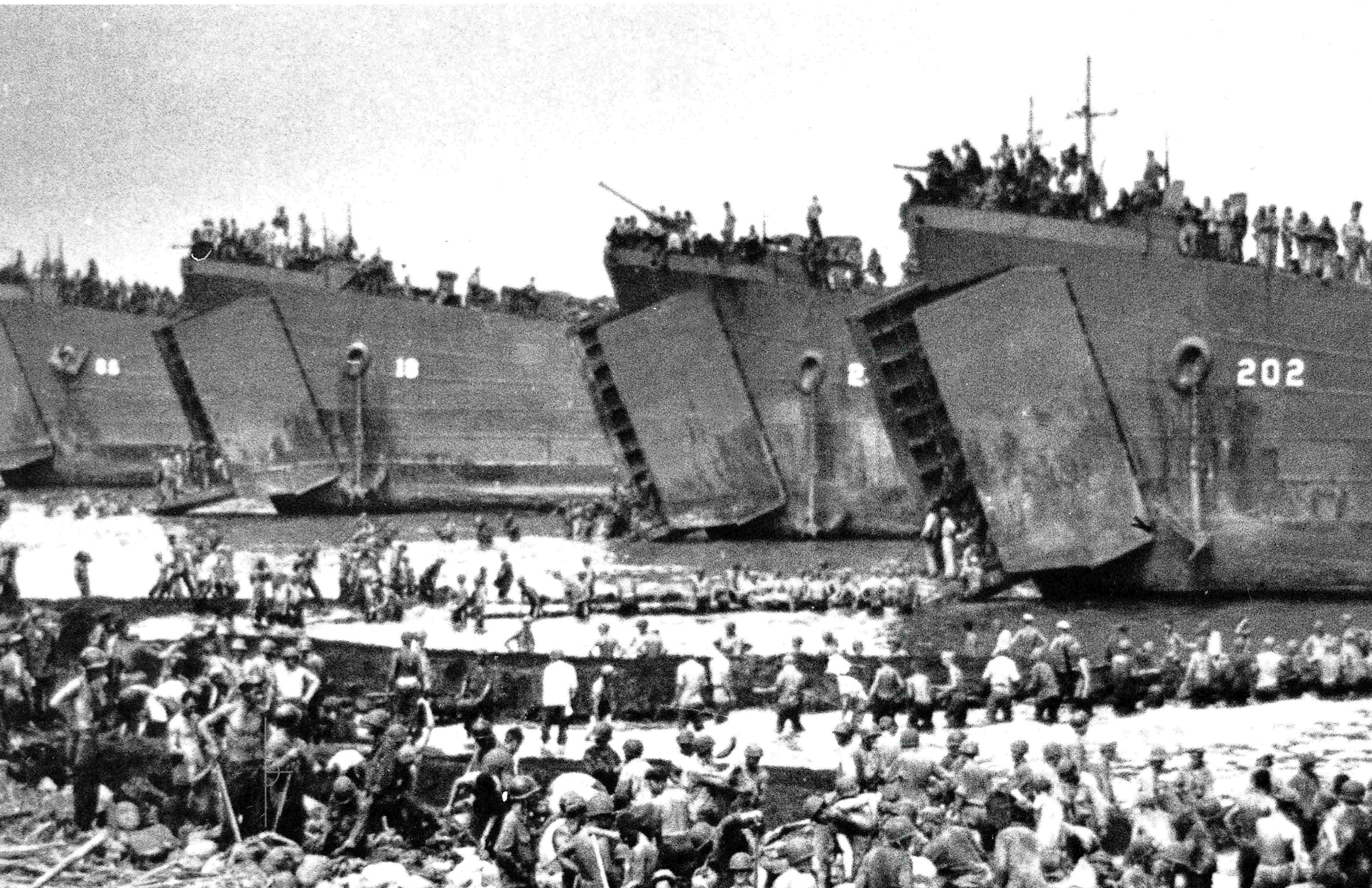




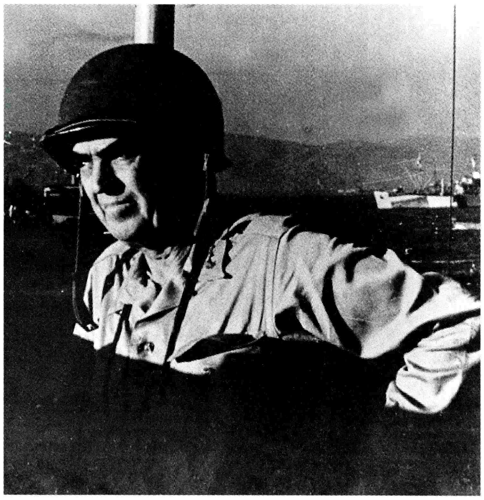
البارجة الأمريكية بنسلفانيا تقصف ليت.



إنشاء مواقع مضادة للطائرات على جزيرة ليت.



سفن الإنزال تُنزل جنوداً على شاطئ بيت



الأميرال كينكيد.

عند بزوغ فجر 26 تشرين الأول، كانت قوة الهجوم الرئيسة بقيادة كوريتا متأخرة ست ساعات عن الموعد المحدّد إنما لا تزال سليمة تماماً. لم يدرك هالسي أو كينكيد؛ قائد سفن دعم الإنزال، أن المدخل إلى مضيق سان برناردينو أضحى مفتوحاً. عندما اقترب كوريتا، استطاع رؤية أسطول الغزو منتشراً أمامه وغير محمي إلا بقوة صغيرة من السفن الحربية بقيادة الأميرال كليفتون سبراغ.

كان الأمريكيون، المذعورون، قد رأَوا كوريتا أيضاً. أبرق قائد المدمّرة الأمريكية جونستون، التي أغرقت طرّاداً يابانياً كبيراً بطربيدات قبل أن تغرق أيضاً: «استعدوا لمهاجمة جزء كبير من الأسطول الياباني». من خلف ستارة دخانية، كانت المقاومة الأمريكية الشرسة كافية لإقناع كوريتا أن القوة المقابلة أكبر كثيراً مما كانت عليه حقاً، فاستدار مبتعداً عن الخليج ظناً منه أنه ينقذ سفنه. قال سبراغ: «لم أصدّق عينيَّ. تطلّب إقناعي سلسلة تقارير كاملة من طائرات حلّقت في الأجواء».

كان هالسي قد دمّر كل الحاملات اليابانية الأربع في قوة المكيدة بقيادة أوزاوا، ويتلقّى سلسلة طلبات ملّحة بازدياد للمساعدة في خليج ليت. أدرك أن عليه العودة قبل أن تصل سفنه إلى مدى التسديد على الأميرال الياباني نفسه. كتب لاحقاً: «في تلك اللحظة، كان أوزاوا يبعد



سبراغ يشاهد تقدّم الإنزال.



الأميرال كوريتا.



بارجة يابانية تتعرّض لهجوم جوي.



إصلاح أضرار كاميكازي على الحاملة الأمريكية سيواني.



السفينة الأمريكية ميزوري قبل ثوانٍ من ضربة كاميكازي.

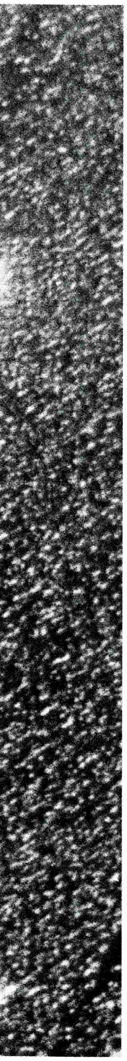


خراطيم إطفاء ترش المياه على السفينة الأمريكية برينستون.



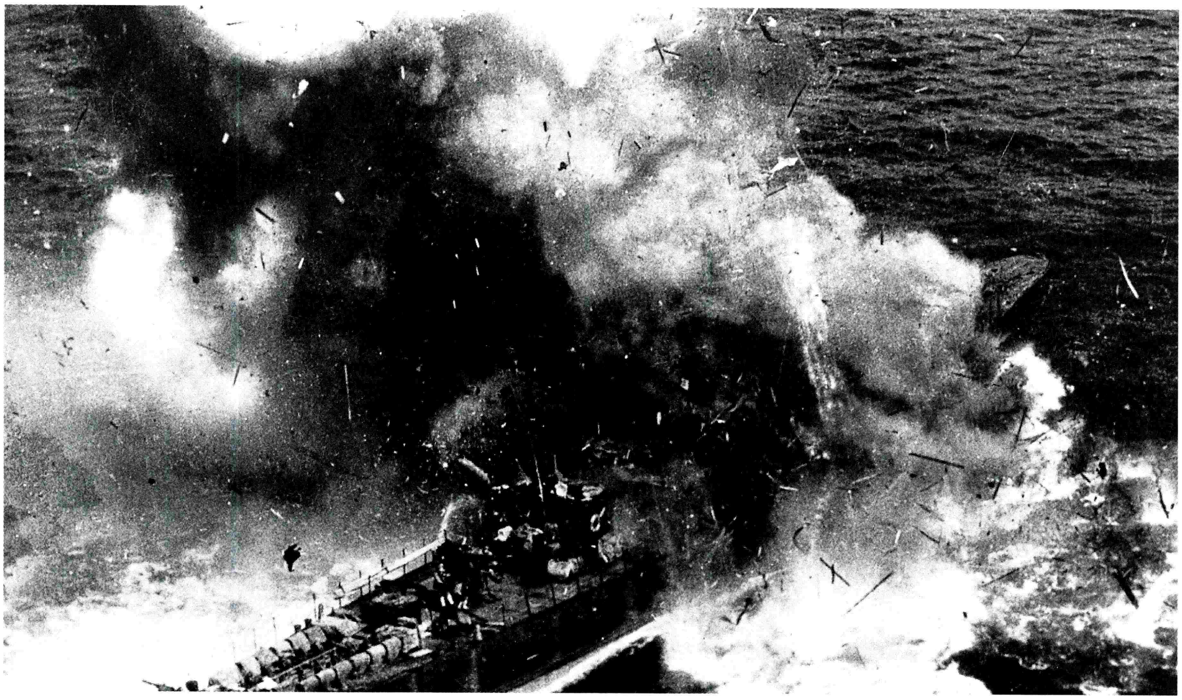
كاميكازي يضرب الحاملة الأمريكية سانت لو.







طيّار بحرية أمريكية ينتظر قبل غارة جوية.



انفجار مخزن ذخيرة مدمرة يابانية.



طرّاد ياباني يقوم بمناورة.

42 ميلاً بالضبط عن فوهات مدافعي عيار 16 بوصة. أدرت ظهري للفرصة التي قد حلمت بها منذ كنت طالباً عسكرياً».

في اشتباكات ليت، خسرت البحرية اليابانية ثلاث بوارج، وأربع حاملات كبيرة، وتسعة طرّادات. انتهت بذلك قدرتها على إلحاق ضرر بالغ بأسطول الهادئ الأمريكي إلى الأبد.

على الجزيرة نفسها، كانت الرياح الموسمية تعني أنه ينبغي الانتظار حتى نهاية تشرين الثاني قبل أن تجف المهابط الجديدة كفاية ليجري استخدامها. عندما أصبحوا هناك، أبطل الأمريكيون سلسلة عمليات إنزال بالمظلات لاستعادة الجزيرة. بحلول 10 كانون الأول، استطاع جنود أمريكيون السيطرة على مدينة أورموك، حيث بقي 15,000 جندي ياباني فقط أحياء من أصل



تشرين الثاني 1944: ضرر كاميكازي على الطرّاد سانت لويس.

65,000. في عيد الميلاد 1944، أعلن مكارثر نهاية المقاومة المنظمة على ليت، برغم أن عمليات التطهير ستتواصل عدة شهور بعد ذلك.

من دون ليت، عرف اليابانيون أنهم لن يستطيعوا السيطرة على الفلبين، وبخسارتها انقطعت خطوط إمدادهم إلى المهابط في الهند الشرقية، ونتيجة اليأس لجؤوا إلى كاميكازي، أو الطيارين الانتحاريين.

ظهر كاميكازي (سُمّوا تيمناً بـ«الريح المبجّلة» التي أنقذت اليابان من أسطول غزو المغول في 1281) أول مرة ضد حاملات أمريكية تدافع عن إنزال ليت. في يوم مهمتهم، أُبلغ طيّارو كاميكازي أنهم «آلهة من دون رغبات دنيوية» ومُنحوا عُصبة رأس هاشيماكي مثل ساموراي في وقت غابر. ثم، بعد حفل شرب نخب الإمبراطور، كانوا يُرسلون في طائرات عتيقة محمّلة بالمتفجّرات، والمهمة ببساطة اختراق ستارة المدفعية المضادة للطائرات وتحطيم الطائرة على هدفهم.

سفن يابانية تتعرّض لهجوم في خليج مانيلا.



كانت الحاملة سانت لو أول ضحية كاميكازي، فقد أشعل الاصطدام الطربيدات والذخيرة أسفل السطح، وغرقت السفينة نتيجة الانفجار الناجم عن ذلك في حين تعرّض عدد من السفن القريبة لأضرار كبيرة. بحلول نهاية 1944، كان الدمار الذي لحق بالبحرية الأمريكية قد أصبح واسعاً جداً ما جعل مكارثر ونيمتز يأمران بالتعتيم على الأنباء - لمنع الذعر في الوطن والتوثق من أن اليابانيين لا يتشجّعون بنجاحهم. لكن الخطر لم يأتِ من الجو فقط: كان هناك أيضاً كايتن - طربيدات يقودها كاميكازي - وفوكوريو - غوّاصون انتحاريون يسبحون مع ألغامهم ويلصقونها بأبدان البوارج الغازية قبل أن يفجّروا أنفسهم معها.



مدافع هاوتزر أمريكية على جزيرة ليت.



دبابات شيرمان أمريكية تقعقع في مانيلا.



مدفعية أمريكية تعمل خارج مانيلا.



تفجير كهوف تحوي يابانيين بالديناميت على جزيرة كابيلو، خليج مانيلا.

برغم تلك الأسلحة المروّعة، أضحى مكارثر مستعداً للمضي قدماً من ليت بحلول بداية 1945. في 9 كانون الثاني، وصل أسطوله الحربي قبالة لوزون؛ الجزيرة الرئيسة في الفلبين. في أسبوع، استطاع ياماشيتا العائد من المنفى في منشوريا تنظيم هجوم مضاد فاعل.



مظليون في طريقهم إلى كوريجيدور.

كانت فكرة ياماشيتا إقامة خط دفاع أخير في غابات الشمال، والتخلّي عن مانيلا للأمريكيين. لكن سانجي إيوابوتشي؛ الأميرال المسؤول عن حامية المدينة، عصى الأوامر وأقام دفاعاً انتحارياً عن المدينة، فهدم جزءاً منها وقاتل شارعاً بشارع. قتل ما يصل إلى 100,000 مدني فلبيني أيضاً (في إحدى المراحل قيّد مرضى في مستشفيات إلى أسرّتهم وأشعل النار فيهم). في 17 شباط 1945، تجاهل المدافعون اليابانيون الباقون طلباً عبر المجهار بالاستسلام من الجنرال أوسكار غريسولد؛ القائد الأمريكي، واعتقلوا

5000 فلبيني رهائن، وبعد أسبوع، مات كل الرهائن وآسريهم. قال مكارثر في خطاب في 27 شباط، في أثناء حملة تطهير جيوب المقاومة اليابانية حوله: «عاصمتكم، برغم قسوة العقاب الذي حلَّ بها، قد استعادت سلاماً تستحقه – قلعة الديمقراطية في الشرق».

صمد مدافعون يابانيون آخرون في كوريجيدور عشرة أيام أخرى، إنما بحلول نهاية آذار، وبعد هجوم من مظليين أمريكيين، أمست معظم الجزيرة مرة أخرى في قبضة الأمريكيين. بعد أن حيّا مكارثر الجنود الأمريكيين المتضوّرين جوعاً بأسمالهم البالية حين خرجوا من معسكرات اعتقالهم، استعد لإنزال خمسة ملايين جندي في الصين – حين يُصدر شيانج كاي شيك الأمر بشن هجوم الوطنيين، إنما لم يأتِ خبر من القائد العام الصيني.



مظليون أمريكيون يصلون كوريجيدور مجدداً.

الانتصار في جنوبي شرقي آسيا

اليابانيون يتنازلون عن جنوبي إمبراطوريتهم

كان شيانغ كاي شيك يحتاج إلى إمدادات إن أراد شن هجوم مضاد والالتقاء بالإنزال الأمريكي المفترض في الصين. لكن بحلول بداية 1944 كان طريق بورما لا يزال مغلقاً وهناك حدود للإمدادات التي يمكن أن تجلبها طائرات أمريكية تحلق فوق «أكمة» الحدود الجبلية. برغم هذا، أراد الأمريكيون رؤية مزيد من النتائج من الإمدادات التي يرسلونها. إضافة إلى الضغط على البريطانيين للمضي قدماً في هجومهم في بورما، حثُّوا شيانغ على تجاهل خلافاته مع الشيوعيين في المعركة ضد عدوهم المشترك.



آب 1944: قصف أمريكي لمواقع يابانية في بورما.



رانغون تحتفل بتحريرها.

لكن الوضع في الصين بدا حرجاً. في آذار 1944، كان لدى اليابانيين 1,8 مليون جندي في البلاد، وبحلول آب سيطروا على القاعدة الجوية الأمريكية في هنجيانغ وبدت المقاومة الوطنية في مرحلة انكسار. لم يكن جنود شيانج البالغ عددهم ستة ملايين مدرّبين جيداً، وقادتهم فاسدون، وقد جرّد قرويون صينيون متأثرين بالشيوعية 50,000 منهم من أسلحتهم باستخدام أدوات بدائية. كان شيانج نفسه فظاً، وعندما طلب روزفلت منه وضع ستيلويل قائداً لكل القوى الوطنية، أرسل كاي شيك ببساطة الجنرال الأمريكي إلى الديار.

كان الجنرال دان سلطان، أحد خلفاء ستيلويل، قد أوقف أخيراً التقدم الياباني في جنوبي الصين عند تشونغ كينغ. طوال شهور واصل شيانج حشد تعزيزات أيضاً، ومشى بعض الأشخاص 2000 ميل للانضمام إليه، وفي كانون الأول 1944، أوقف اليابانيين خارج كويتشو.

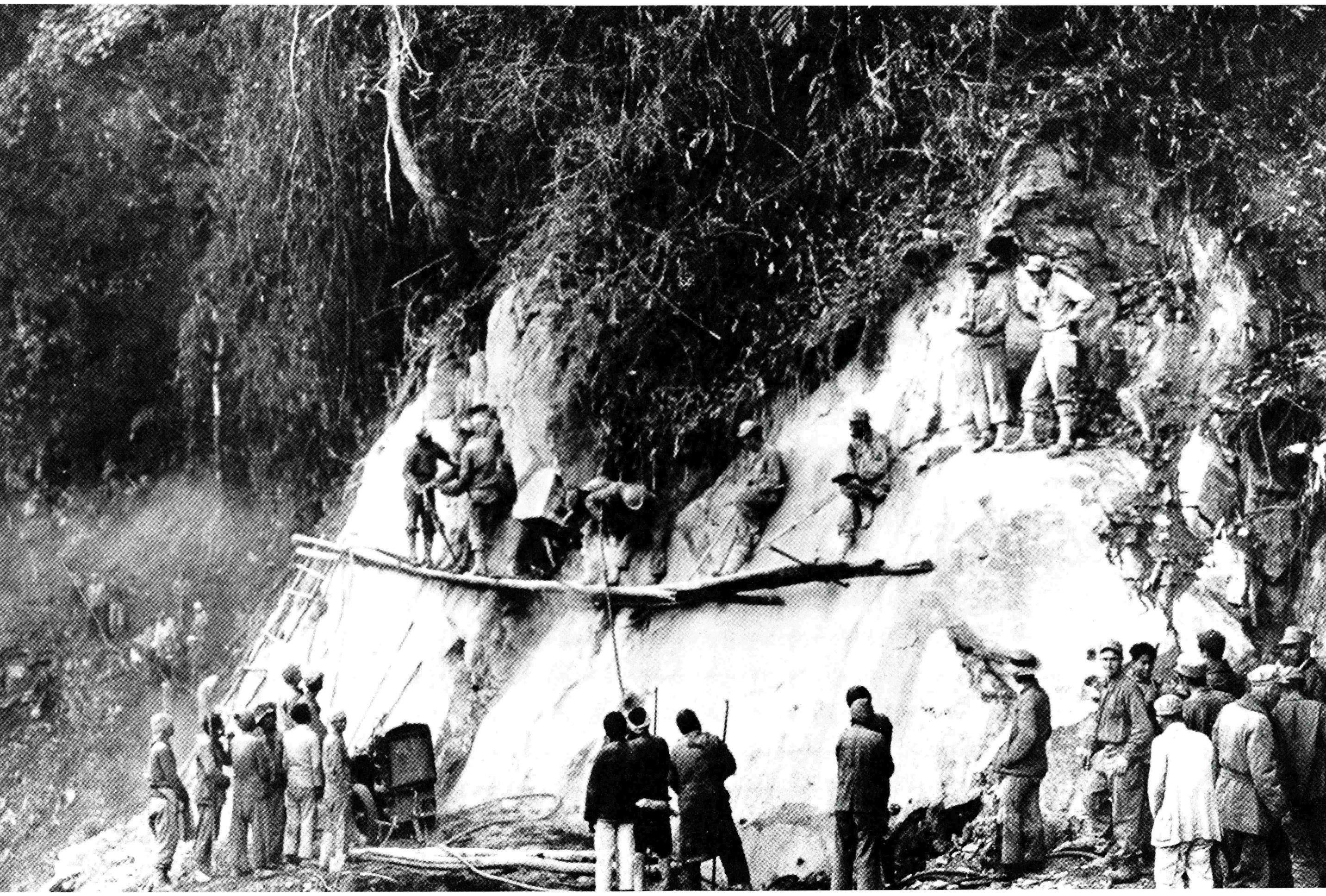


جنود أمريكيون في بورما.

كانت قوة الحلفاء الجوية والبحرية قد نمت في الإقليم: شنّت طائرات من أسطول الهادئ البريطاني الجديد غارات ضد مصافي النفط في سومطرة، التي كانت تقدّم ثلاثة أرباع وقود طائرات القوى الجوية اليابانية، في حين هاجم أسطول الهند الشرقية البريطاني، المتمركز في كولومبو، قواعد ومنشآت نفطية يابانية أخرى.

تواصل حشد القوة البريطانية على الحدود البورمية أيضاً. عندما انتهت الرياح الموسمية في أواخر خريف 1944، استطاع الجنرال سليم التقدّم، وفي كانون الأول عبر جنوده نهر تشيندوين قرب كالوا. برغم حاجتها الماسَّة إلى إيقاف الحلفاء الذين أعادوا فتح طريق بورما، لم يكن لدى القيادة العليا اليابانية أي تعزيزات يرسلونها إلى 21,000 جندي باقين في شمالي البلاد. لحشد مثل تلك القوات، بدأ اليابانيون الانسحاب من قطاع راخين برمّته. عندما دخل البريطانيون أكياب في 4 كانون الثاني 1945، وجدوا المدينة خاوية.

بقي جنود صينيون وأمريكيون بقيادة سلطان لإبعاد اليابانيين عن طريق بورما. في 27 كانون الثاني، التقى جنود صينيون من الهند بأبناء بلدهم من الصين نفسها في مونغيو، وفي اليوم



إعادة فتح طريق بورما.



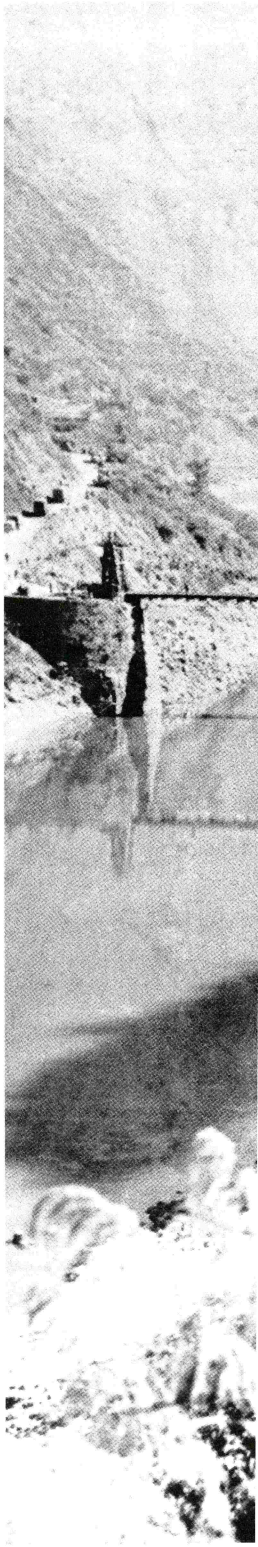


أول قافلة على طريق بورما.



جنود أمريكيون يقصفون اليابانيين قرب طريق بورما.







الجنرال لويس بيك على رأس أول قافلة تعبر طريق بورما.

الآتي قطعت أول 500 شاحنة الرحلة من بورما. برغم نزاعاته الشخصية المريرة مع رئيس أركانه السابق، أعاد شيانج تسمية المسار «طريق ستيلويل».

في تلك الأثناء، كانت خطة سليم لتطويق اليابانيين في ماندالاي قد بدأت تُؤتي أُكلها. عندما دخل جنود بريطانيون وهنود البلدة في 20 آذار، أدرك الجنود اليابانيون الباقون أنهم عُرضة لخطر الحصار ما أرغمهم على الانسحاب.

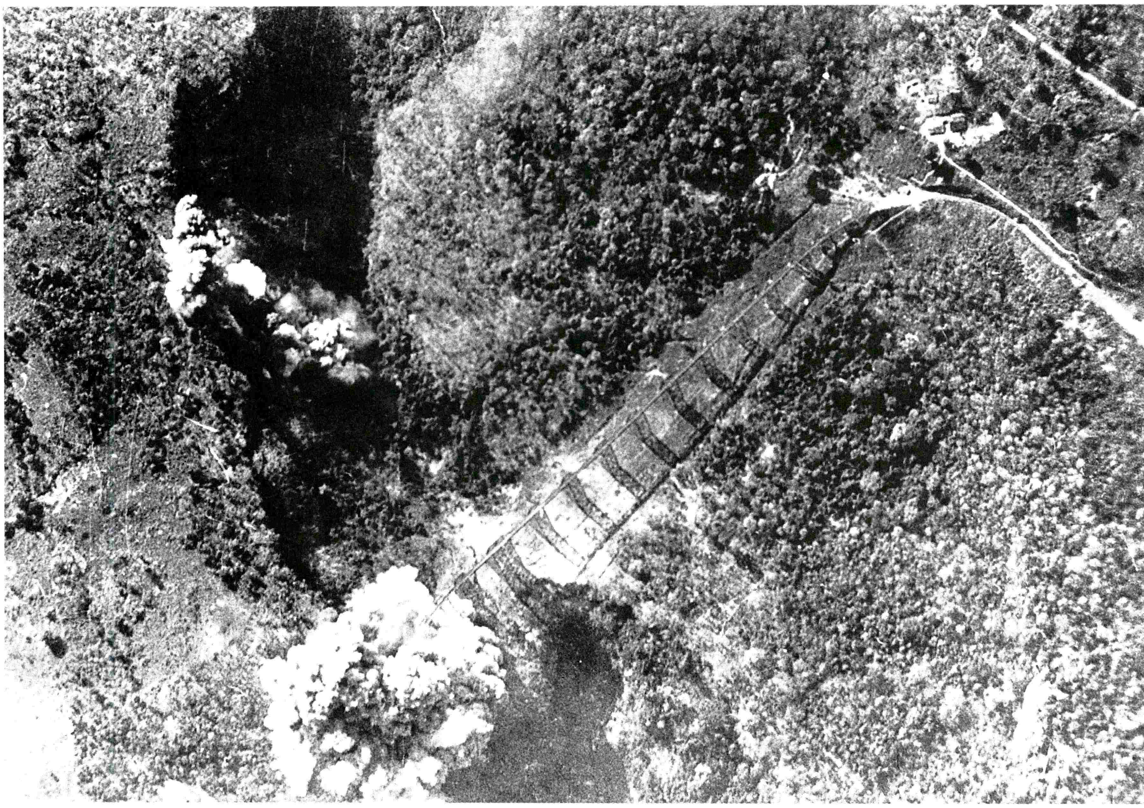
لكن رانغون كانت لا تزال بعيدة أكثر من 300 ميل، وسليم بأمسِّ الحاجة إلى ميناء في جنوبي بورما قبل أن تنهار سلسلة إمداده. جاء مونتباتن لمساعدته، وأمر بتنفيذ عمليات برمائية وإنزال مظليين عند مصب نهر رانغون. في 2 أيار، رأت طائرات حلفاء أن أسرى حرب في المدينة قد دهنوا على سقفهم كلمات: «رحل اليابانيون. أنقذونا». تحرّك


الأمريكيون والصينيون في لاشيو المدمّرة.

مقابل: الأمريكيون والصينيون في لاشيو المدمرة.







قاذفات أمريكية تقطع طرق إمداد اليابانيين.



جنود صينيون في شمالي بورما.



الطريق إلى ماندالاي: جنود بريطانيون في الضواحي.



قتال في قلب ماندالاي.





كفاح في أنهار فاضت بسبب الرياح الموسمية إلى رانغون.



جنود كورخا يصلون إلى مدينة بروم البورمية.



فصيلة هندية قرب رانغون.



قادة بريطانيون في بورما.



جنود صينيون يستخدمون فيلة للنقل.

جنود بسرعة باتجاه النبع ووجدوا آنذاك المدينة مهجورة. بعد أربعة أيام، وصلت قوات سليم واكتمل تحرير بورما تقريباً.

لكن سليم كان قد وصل رانغون بسرعة كبيرة مخلّفاً نحو 60,000 جندي ياباني وراءه. في الشهور الثلاثة الآتية سيعود جنرالاته (بمساعدة القائد القومي البورمي أونغ سان يو، الذي وافق أن يمد يد العون للبريطانيين بشرط ضمان استقلال بلاده) عدّة مرات لمنعهم من العبور إلى تايلندا. بحلول تموز 1945، لم يبقَ إلا 6000 جندي ياباني فقط في بورما، وعندما وصلوا نهر سيتانغ كان الإعياء قد نال منهم ولم يعد بمقدورهم مواصلة القتال، فاستسلموا.

في غينيا الجديدة، كانت عملية تطهير مماثلة قائمة على قدم وساق بإمرة القائد العام الأسترالي السير توماس بلامي. بعد أن كافحوا عبر أميال من الأدغال غير السالكة تقريباً، قضى الأستراليون



تحريك مدفع عبر الطين في فصل الرياح الموسمية.



جنود أمريكيون في الأدغال البورمية.



ضحية أخرى للطين.



بلدة صغيرة على الخط الرئيس لسكّة الحديد.





ستة شهور للسيطرة على ويواك – وخسروا 16,000 رجل بسبب الأمراض. في الوقت نفسه، فرض جنود بلامي حصاراً على الحامية اليابانية في راباول.

في 1 أيار، أُرسل الأستراليون لاستعادة بورنيو وقطع إمدادات اليابانيين من النفط والمطاط، فنزلوا على جزيرة تاراكان وقاتلوا على امتداد الساحل حتى استعاد الإنزال البرمائي الكبير الأخير في الحرب، في بداية تموز، مركز باليكبابان النفطي. نزل مكارثر بنفسه على الشاطئ مع الموجة الأولى من الجنود.



أعلى وأسفل: استسلام بورما للحلفاء في 13 أيلول 1945 في رانغون.

كانت سنغافورة والهند الشرقية الهولندية لا تزالان في قبضة اليابانيين، وقد خطّط مونتباتن وقيادة جنوبي شرقي آسيا لتحريرهما بالتفصيل، إنما لحسن طالع آلاف الجنود من الحلفاء، لم يكن هناك داعٍ لتفعيل الخطة. في 2 أيلول 1945، وقع اليابانيون على استسلامهم للحلفاء في خليج طوكيو. عندما وصل مونتباتن أخيراً إلى سنغافورة في 12 أيلول، كان ذلك لاستلام أسلحة نحو 750,000 جندي ياباني.

أيلول 1945 – ياماشيتا يقود جنوده إلى الأسر في شمالي لوزون.



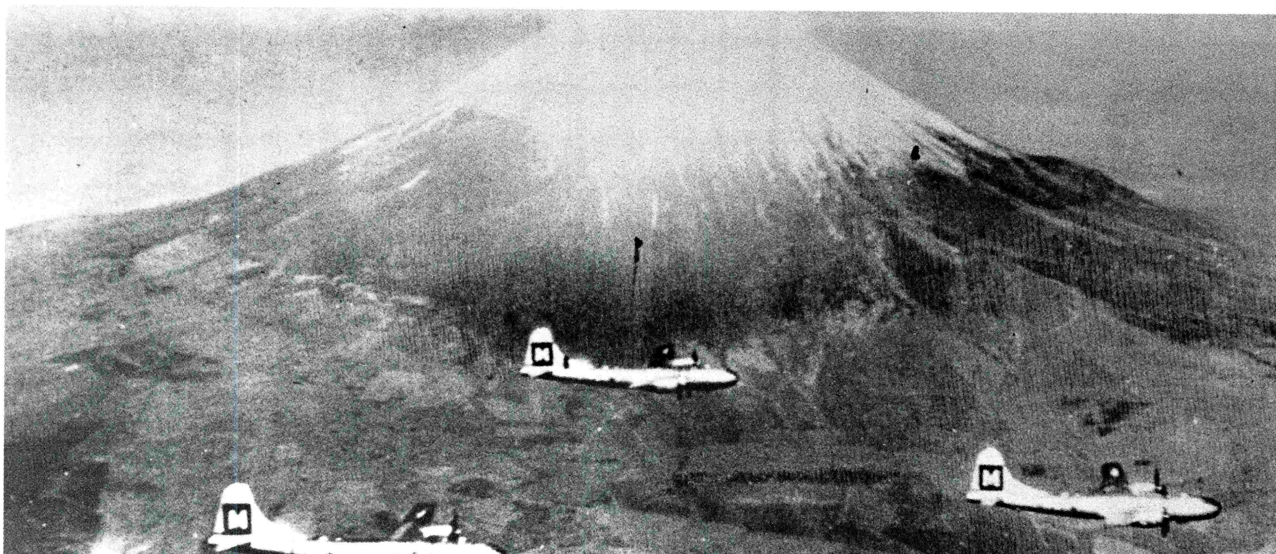


عواصف نارية في طوكيو

حملة القصف الأمريكية ضد اليابان

في أوروبا، كان قائد القاذفات البريطانية؛ السير آرثر هاريس، قد تميّز بعزمه على إنهاء الحرب بالقصف الجوي وحده. في الهادئ من 1943 فصاعداً، كان لـ هاريس نظير أمريكي هو الجنرال كورتيس ليماي الذي لم يظن فقط أنه يمكن قصف اليابان حتى تستسلم، إنما بدا واثقاً أيضاً أن لديه السلاح اللازم لفعل ذلك بوجود بوينغ ب29– سوبرفورترس تحت تصرفه.

صُمّمت سوبرفورترس لمهمات القصف فوق اليابان خاصة، وكان مدى كل طائرة يصل إلى 5000 ميل، وتزن 60 طناً ويمكن أن تحمل 2000 رطلاً من القنابل، وبمقدور الطيّارين قيادتها على ارتفاعات تصل إلى 30,000 قدم في مقصورة مكيّفة الضغط. مثل سابقتها؛ فلاينغ فورترس، زُوّدت سوبرفورترس برشاشات وكان أفراد فرقها معتادين على تزيين جسم الطائرة بطلاء شعارات تجلب الحظ وتُسمّى تيمناً بفتاة – «سوباين سو» أو «إينولا غاي».



سوبرفورترس فوق جبل فيجي.



قرية نيمورو اليابانية بعد هجوم طائرات من حاملات أمريكية.

بحلول بداية 1944، كانت هناك فرق ب29– مدرّبة كافية لتكوين قوتين جويتين أمريكيتين؛ الفرقة العشرين والحادية والعشرين. بُنِيت مدارج بسرعة على بعض الجزر المستولى عليها حديثاً في وسط الهادئ. على تينيان، مثلاً، شيّد مهندسون أمريكيون مهابط على الحيد المرجاني، وبنوا 90 ميلاً من الطرق لوصلها؛ وعلى غوام، خلط مصنع ضخم صخوراً ومرجاناً مطحونة مع زيت أسفلت لبناء طرق لوصل الجزر المجاورة. أصبح بمقدور أربعة مطارات في الصين، وخمسة في الهند، استقبال ب29–.

لكن كما اكتشفت فرق القاذفات في أوروبا، قد يكون القصف الإستراتيجي خطراً وغير مضمون النتائج. بعد غارة قوية على ناغازاكي في بداية آب 1944، اكتشفت القوات الجوية أنه



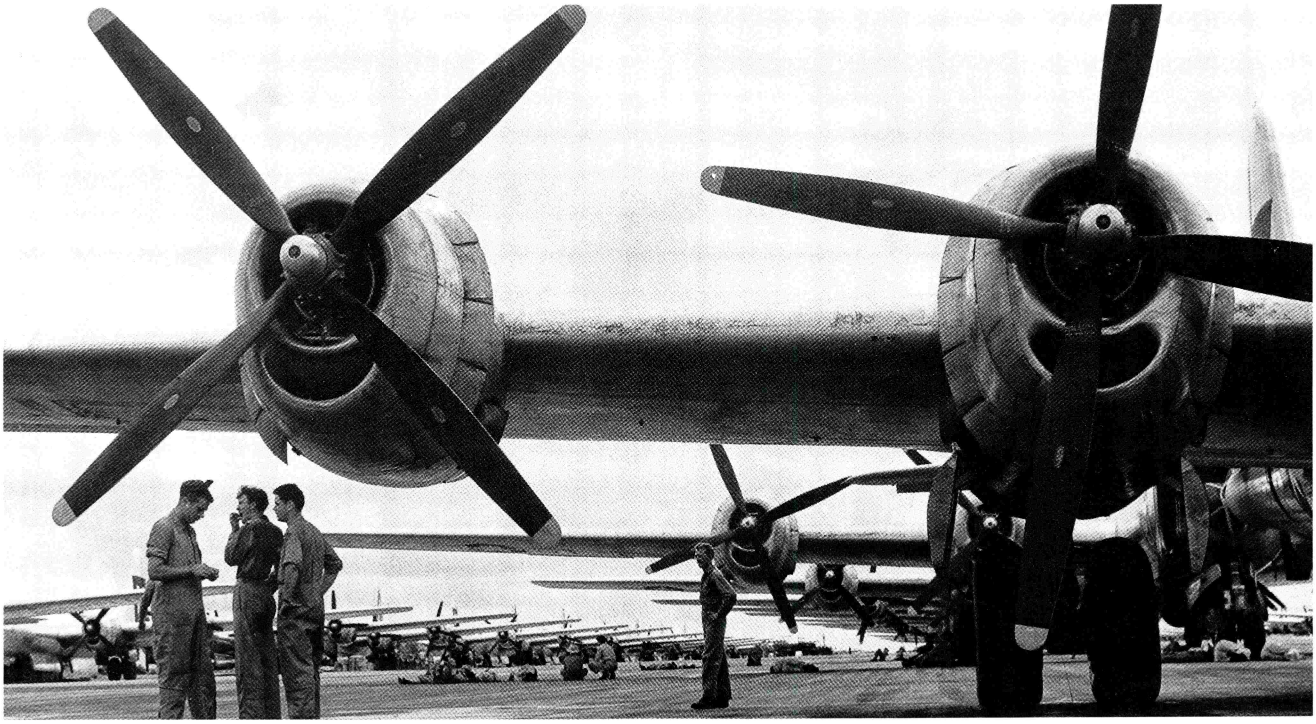
مجموعة قاذفات ب29– في غوام.



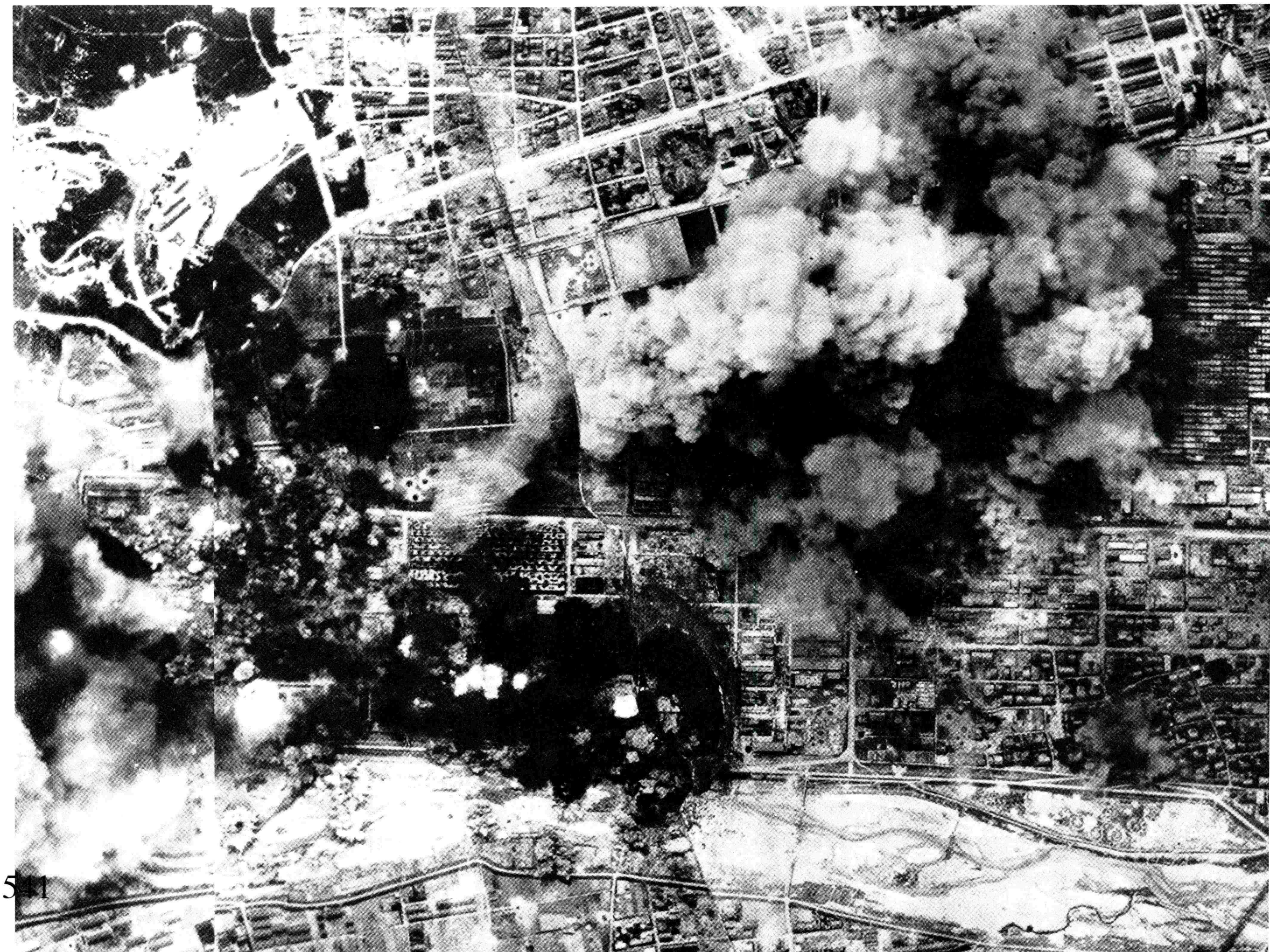
لم تندلع حرائق هناك، وفي أثناء غارة على ياواتا في 20 آب، بالكاد أُصيب الهدف وأُسقطت 18 قاذفة من 70. في لحظة الشك تلك وصل ليماي من سلاح الجو الثامن في أوروبا، وكان مستعداً لتدمير مدن كاملة تسهم في المجهود الحربي الياباني.

ازدادت فاعلية القصف الأمريكي بسرعة بعد ذلك: دُمّر مركز طائرات على فرموزا، وقاعدة في رانغون، و(بعد رحلة بلغ مداها 3800 ميل) بوابات حوض السفن في سنغافورة.

في 24 تشرين الثاني 1944، قاد الجنرال إيميت أودونيل أول غارة قصف ضد طوكيو منذ هجوم دوليتل في 1942، ووجّهت قاذفات ب29– بقيادته ضربة لمصنع محركات موساشينو. برغم أن المهمة لم تكن فاعلة، إلا أن قدرة التشكيل الضخم على الطيران أثبتت أنه يمكن خفض الخسائر كثيراً. بحلول آذار 1945، كانت غارات على اليابان تضم عادة 300 قاذفة تفرض قوتها النارية الوقائية مجتمعة خطراً جدّياً على مقاتلات يابانية. تفوقت الموستانغ المرافقة لها أيضاً على خصومها الأبطأ بعدد الطائرات التي يجري إسقاطها.



ب29– وهجومها على مصنع محرّكات طائرات متيسوبيشي في ناغويا.

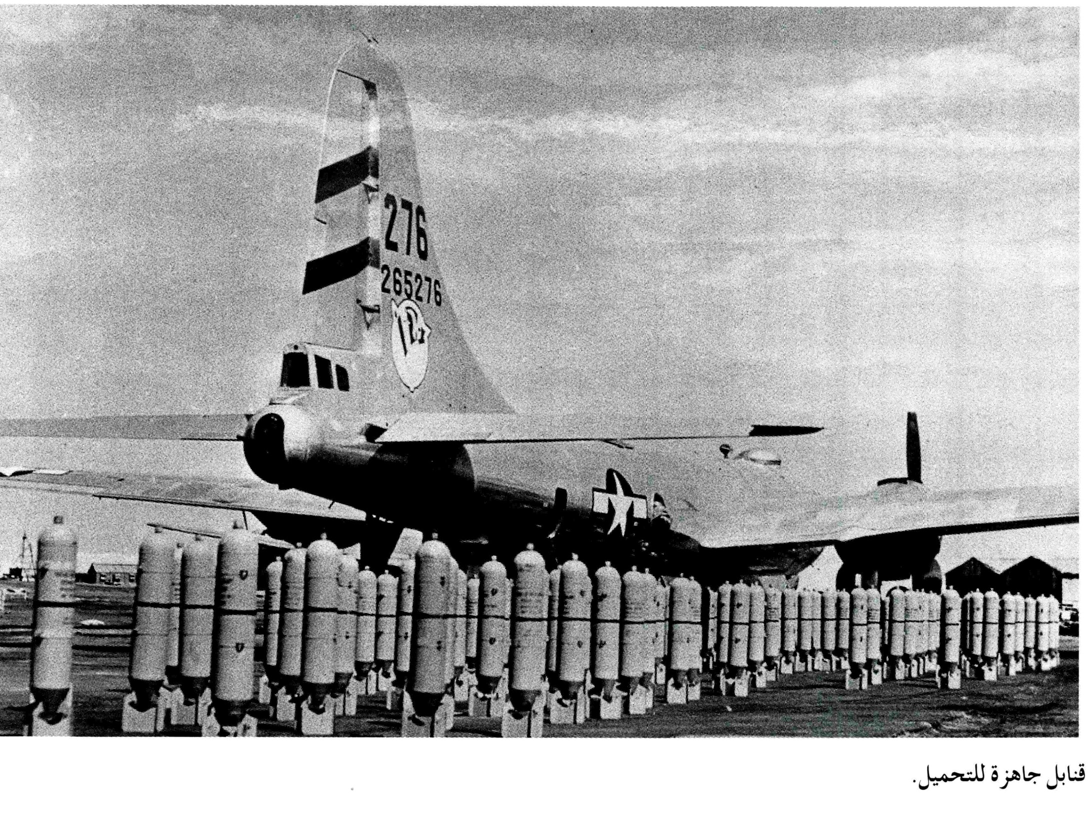




أفراد فريق «عربة وادي» بعد غارة على طوكيو.



الجنرال كورتيس ليماي بجانب غطاء محرك ب29-.



قنابل جاهزة للتحميل.



كانت مشكلة «الدقة» لدى ليماي مضاعفة: حدّت حمولة الوقود التي تحتاجها ب29– للطيران إلى اليابان والعودة منها عدد القنابل الذي يمكن أن تحمله، ولم يكن بمقدور أفراد الفريق على ارتفاع 30,000 قدم تحديد «أكواخ صناعة» الإنتاج الياباني بدقة. كان حلّه توفير الوقود وزيادة القنابل المحمّلة وتنفيذ سلسلة غارات حارقة على ارتفاع منخفض، وبتلك الحال سينسى أفراد الفرق تحديد الأهداف ويدمّرون بدلاً من ذلك مساحات واسعة بإحداث عواصف نارية متعمّدة.

خُطّط القيام بأول غارة حارقة على طوكيو في 10 آذار، وبدا نسيم قوي على مستوى الأرض ملائماً لنشر ألسنة اللهب التي ستنتج عن سلاح النابالم الجديد المصنوع من المغنيزيوم والبنزين. برغم هذا، لم يكن بمقدور كثير من قادة سلاح الجو الأمريكي توقّع مدى الدمار الذي ستُحدثه



حزيران 1945: غارة قنابل حارقة على كوبه.







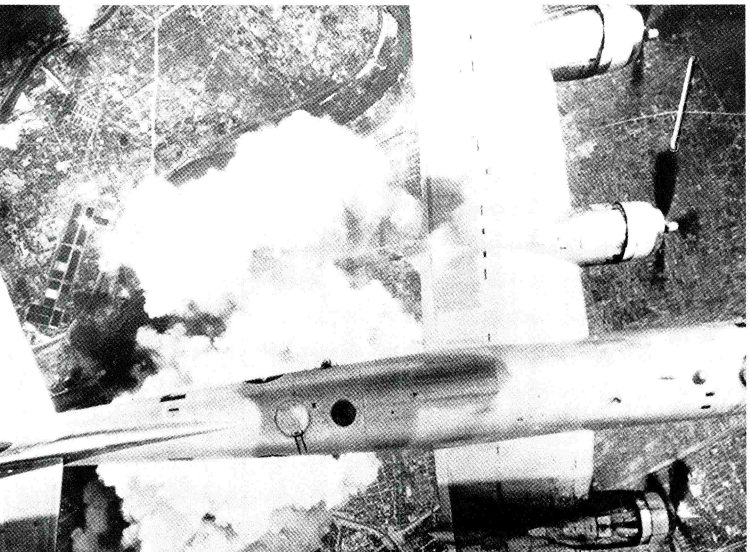
منظر مدفعي الطائرة في رحلة ب29– فوق اليابان.



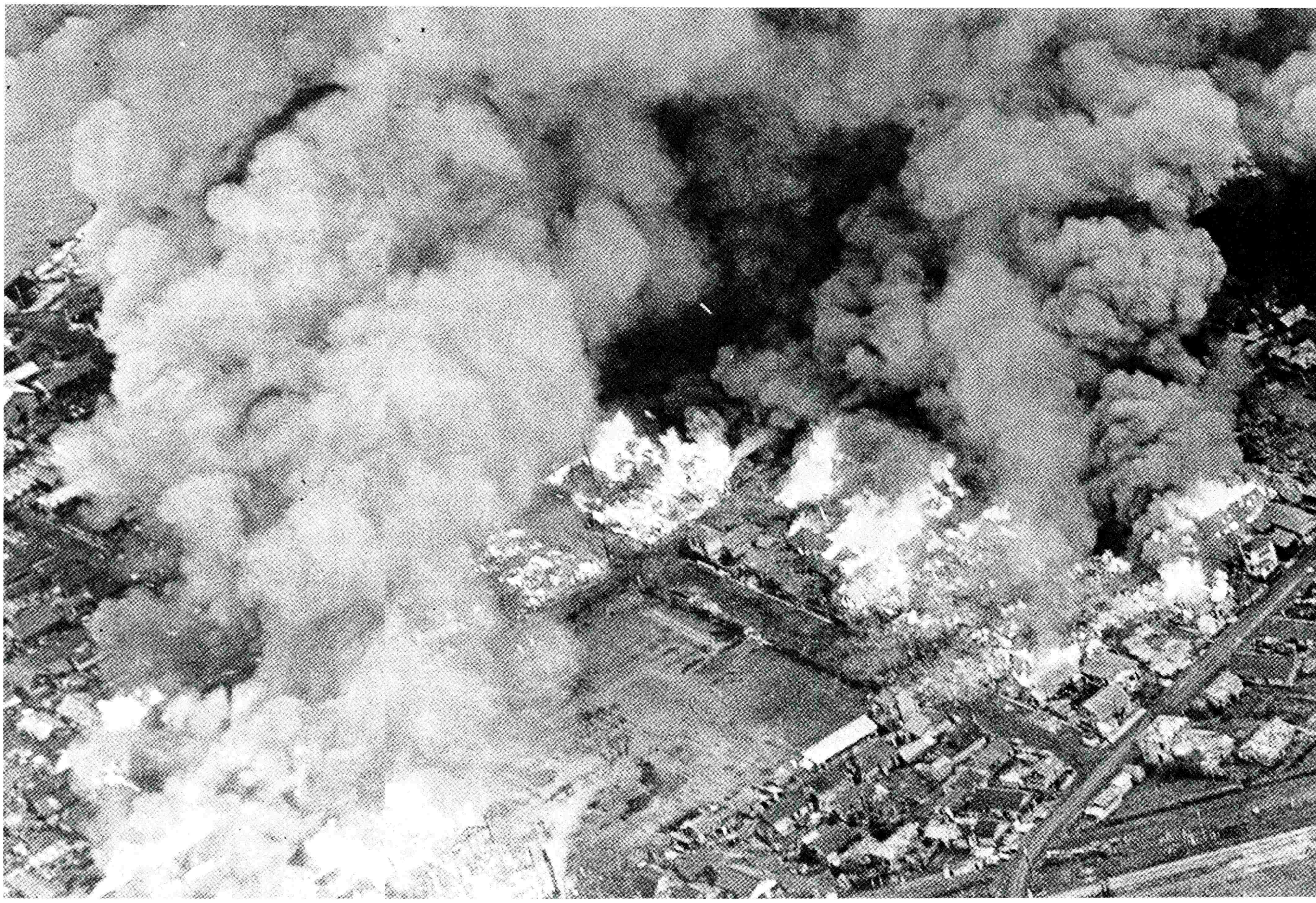
فرق المعدّات الحربية الأمريكية يحافظون على جاهزية المخزون.



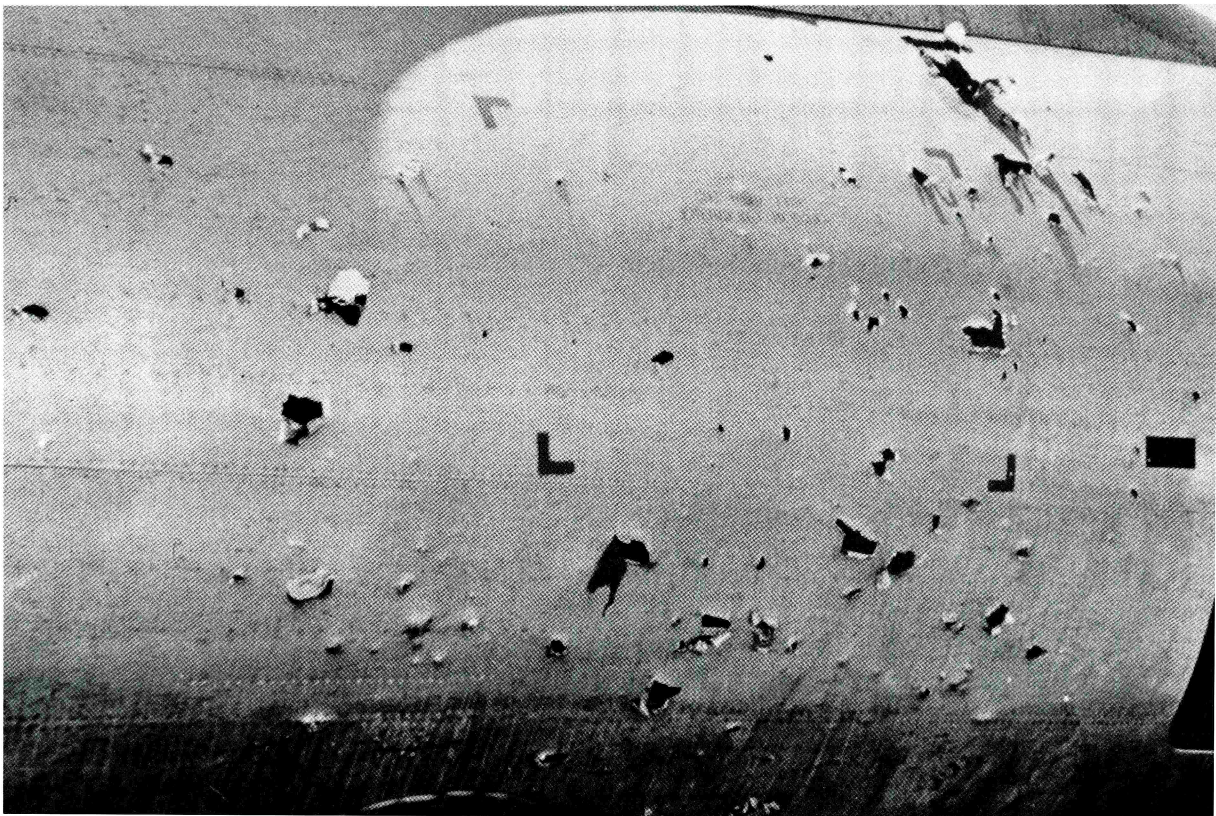
تبديل محرك ب29– في الهند.



تسرب وقود من محرك ب29– فوق أوساكا.



حرائق تنتشر في كوشيرو.   أسفل: تفحّص أضرار المدفعية المضادة للطائرات بعد غارة.



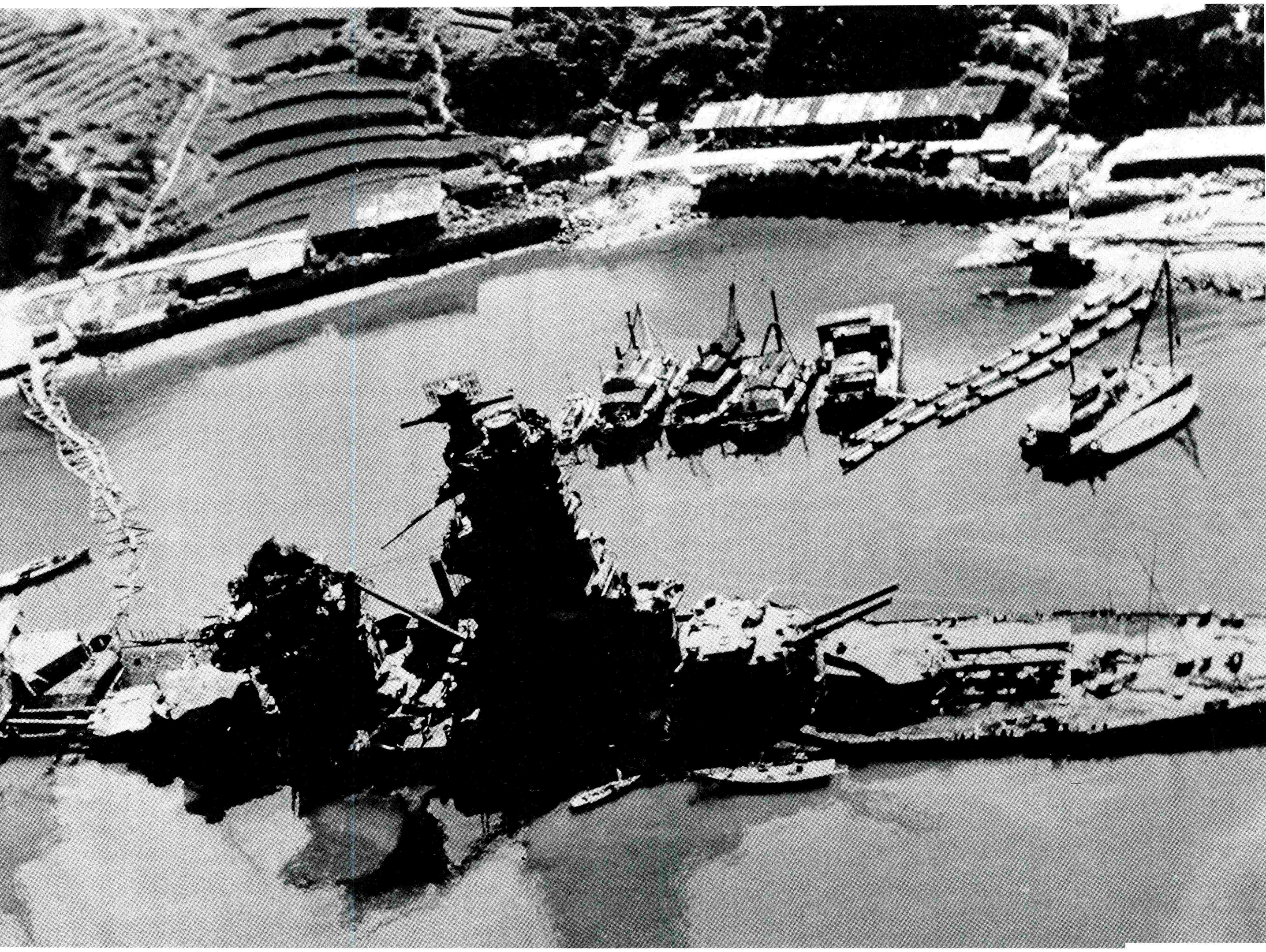




حرائق تنتشر في مدينة أوكازاكي.



غارة على مدينة سوكيباشي.



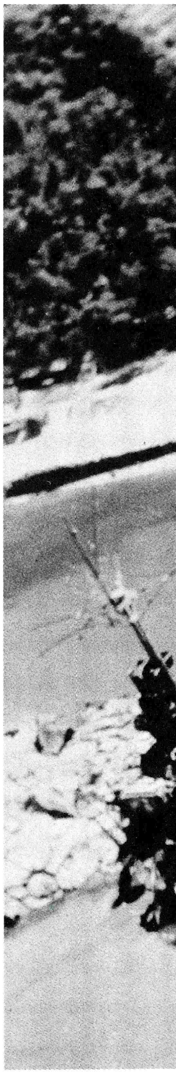
البارجة اليابانية هايوغا بعد غارات جوية على قاعدة كورشي البحرية.

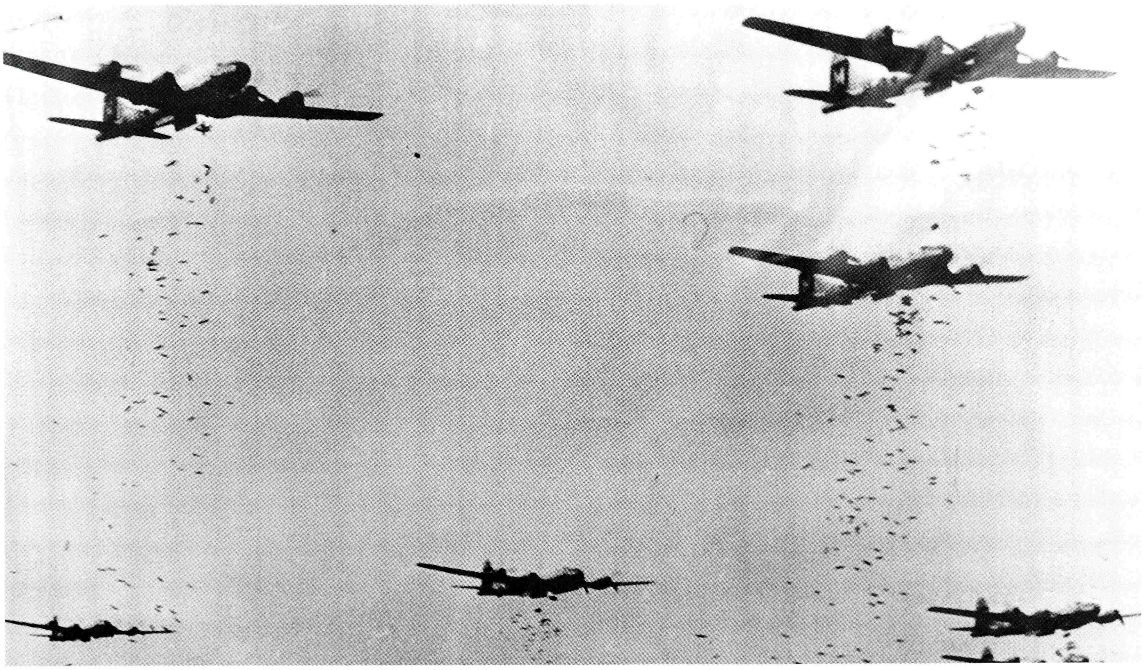
الغارة. اشتعلت أكثر من 10 أميال مربعة من طوكيو بالحرائق، وفي مركز المدينة أفرغت دوّامة نار ضخمة المكان من الأوكسجين وسعّرت اللهيب. قُتل أكثر من 100,000 إنسان – اختناقاً أو ببساطة حرقاً – وأُصيب 100,000 آخرون. فقد الأمريكيون 14 سوبرفورترس.

مات في الغارة على طوكيو أشخاص أكثر من الهجمتين بالقنبلتين النوويتين اللتين ستنهيان حرب الهادئ. تبع ذلك عشرة ليالٍ من غارات مشابهة على مدن يابانية أخرى. برغم أن ليمان ورفاقه أدركوا أن المدنيين يتحمّلونَ معاناةً كبيرة، إلا أن قصصاً عن فظائع اليابانيين جعلتهم لا يبالون. عدّوا ذلك ثمناً مقبولاً يجب دفعه لتسهيل الإنزال الأمريكي على اليابان، الذي بدا وشيكاً.



طرّاد ياباني يتعرّض لهجوم جوي في الميناء.





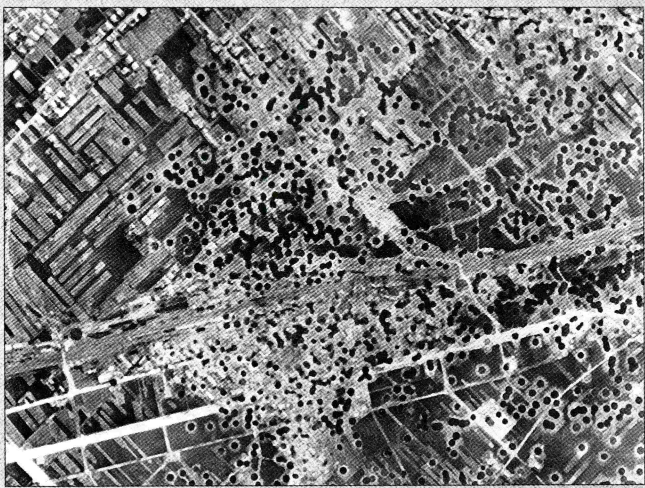
دمّرت هذه الغارة سبعة أميال مربعة تقريباً من يوكوهاما.



كل ما بقي من حي في طوكيو.



مدمّر تماماً: مصنع ميتسوبيشي في ناغو

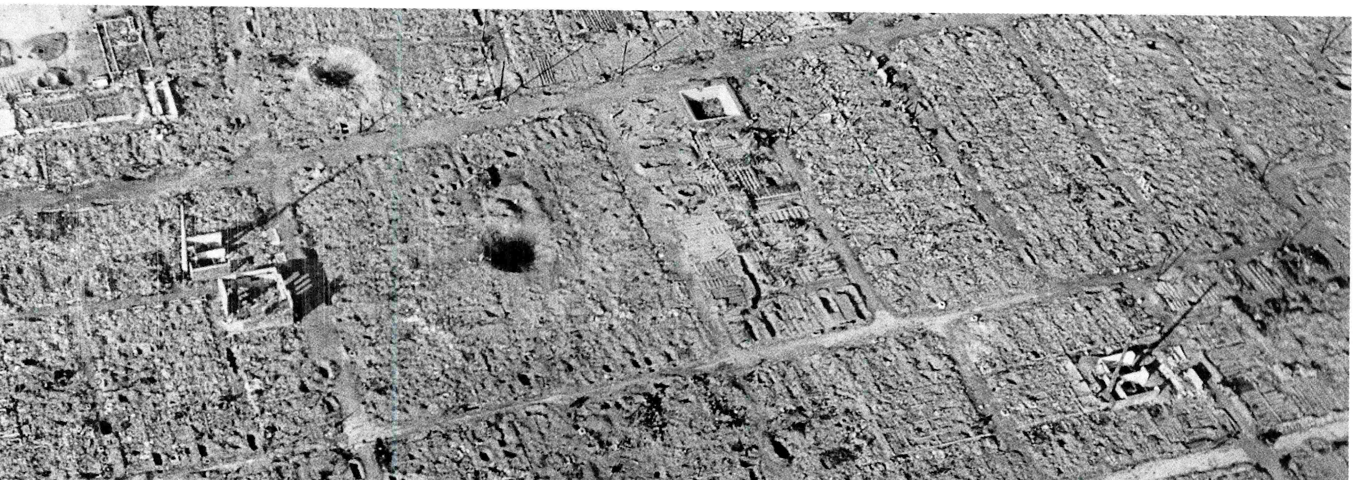


محطة سكة حديد ماريفو بعد هجوم من ب29-.





طوكيو بعد عاصفة نارية مدمّرة.



جزء من أوساكا سوّته قاذفات ب- 29 بالأرض.

بحلول 19 آذار، وبعد إلقاء 10,000 طن من القنابل على أوساكا، وكوبه، وناغويا، نفدت القذائف الحارقة من مخزون ب29– وعُلّقت الغارات مؤقتاً. لكن في تموز تجدّدت الغارات وتضاعفت ثلاث مرات. بدا أن معنويات المدنيين آنذاك قد انهارت تماماً، وعندما ألقى ليماي منشورات تحدّد المكان الذي ستقصفه ب29– آتياً، غادر أكثر من ثمانية ملايين شخص إلى الأرياف، ما أضرَّ كثيراً بالإنتاج الحربي الياباني.

أثبتت الغارات أن اليابان لا يمكنها الدفاع عن نفسها، وتمتّع سلاح الجو الأمريكي بسيطرة مطلقة تقريباً على الأجواء، ولم يتعرّض إلا لخسائر ثانوية فقط. من شباط 1945، كان طيّارو بحرية الحلفاء قد بدؤوا تنفيذ غارات على مصانع يابانية من حاملات تبعد 175 ميلاً فقط عن الساحل. لم يكن هناك أمل لقادة اليابان – استعداد فقط للمخاطرة بإبادة كاملة.



مدني ياباني يتفقّد حطام بيته.

الرمل الأسود

الإنزال على آيوو جيما وأوكيناوا

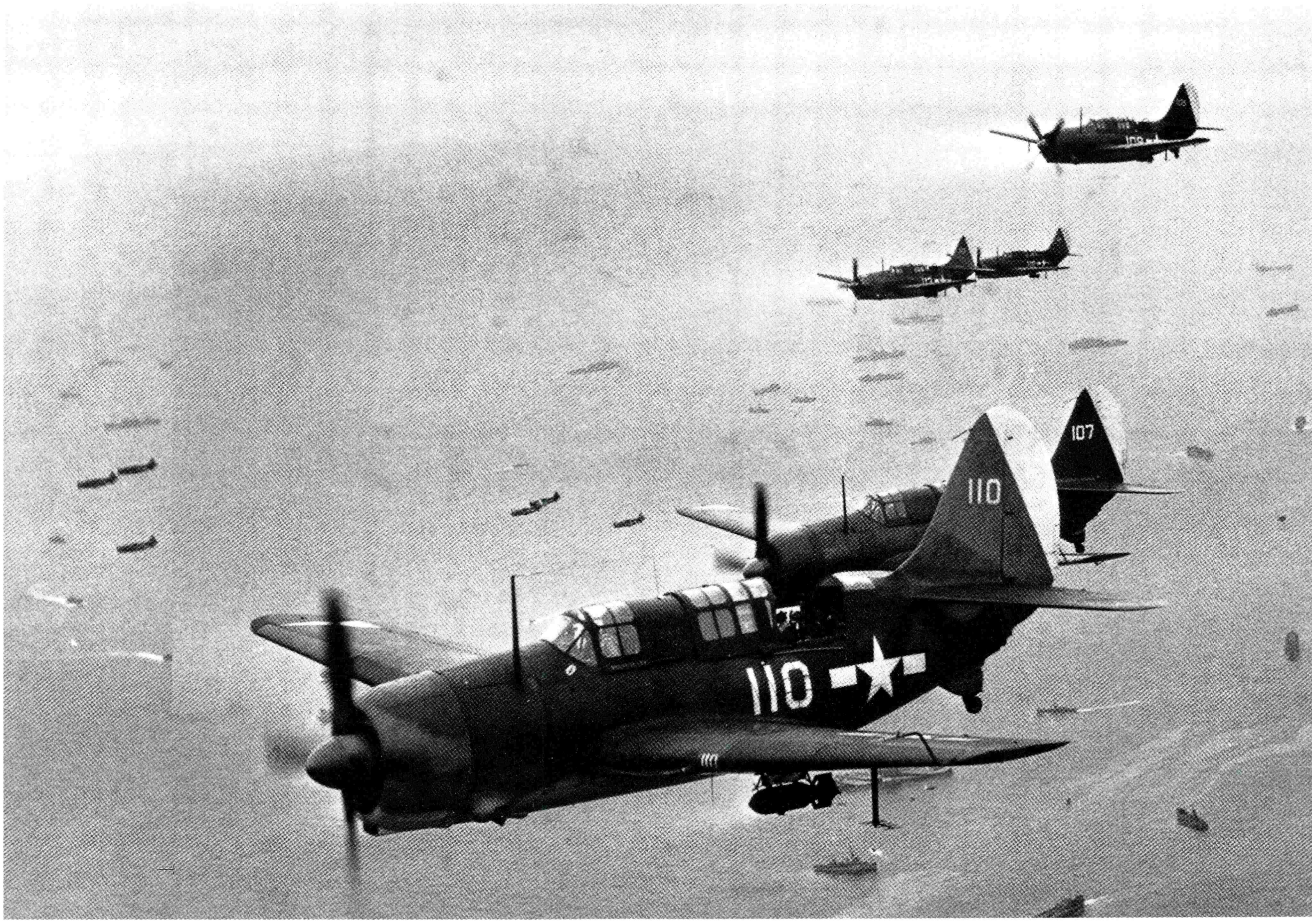
لا تبعد جزيرة آيوو جيما البركانية الصغيرة أكثر من 660 ميلاً فقط عن طوكيو، وهي ليست مكاناً ممتعاً. في الواقع، وصفها المراسل جون لاردنر بأنها «قطعة أرض بائسة ... لا ماء فيها، وطيورها قليلة، ولا توجد عليها فراشات، أو حياة حيوانية يمكن رؤيتها – لا شيء باستثناء الرمل والطين، وتلال محدّبة، وأشجار قزمة، وأعشاب حادّة مثل سكين يعيش فيها عثٌّ يحمل التيفوس، وتهب عليها رياح مغبرّة متواصلة». في بداية أيلول 1943، عندما شنّ الأمريكيون حملة قصفهم على اليابان، أدركوا أن الجزيرة ستكون مهمة لبناء مهابط للمقاتلات التي ترافق قاذفات ب29–.

كان قرب آيوو جيما من اليابان يعني أن الدفاع عنها سيكون شديداً. نظراً إلى أن طولها خمسة أميال فقط، وعرضها عند أوسع نقطة ميلان ونصف، سيكون تحصينها سهلاً نسبياً أيضاً. بدا أن الافتقار إلى التغطية الجوية سيجعل السيطرة عليها عملاً خطراً ومكلفاً.

طوال 72 يوماً في نهاية 1944، دمّرت قوات بحرية وجوية أمريكية دفاعات الجزيرة في أطول حملة قصف وأشدّها تأثيراً في حرب الهادئ. في 19 شباط 1945، وصلت نحو 450



شباط 1945: جبل سوريباشي مع سفن إنزال على الشاطئ.

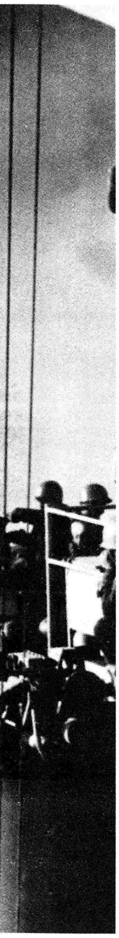


طائرات بحرية أمريكية في طريقها لدعم جنود البحرية على آيو جيما.

سفينة قتالية قبالة الساحل، وبعد خمس وأربعين دقيقة من رسو أولى سفن الإنزال على بعد 4000 ياردة من الشواطئ، وصلت أول سبع كتائب من جنود البحرية بإمرة «صراخ الغضب» سميث إلى الشاطئ.

عندما تقدّموا 300 ياردة على الجزيرة، واجه جنود البحرية نيران دفاعية فتّاكة. سقطت قذائف الهاون في كل مكان على الشواطئ السوداء، وجثم الجنود الأمريكيون في حفر القنابل. شهدت الأسابيع الثلاثة الآتية إحدى أشرس المعارك في حرب الهادئ.

كافح جنود البحرية ثلاثة أيام للوصول إلى قمة سورياشي البركانية على طرف الجزيرة، ورفع علم الولايات المتحدة الأمريكية. بحلول 9 آذار، كانوا قد وصلوا إلى الطرف الآخر من الجزيرة فأمر سميث بعمليات تطهير، إلا أن المعركة لم تكن قد انتهت. لقد تحوّلت باقي الجزيرة إلى شبكة واسعة من الأنفاق المحصّنة، يختبئ فيها جنود قد أقسموا أن يقتل كل واحد منهم عشرة جنود أمريكيين على الأقل قبل أن ينتحر. كتب القائد الياباني؛ الجنرال تاداميتشي كُوريباياشي،



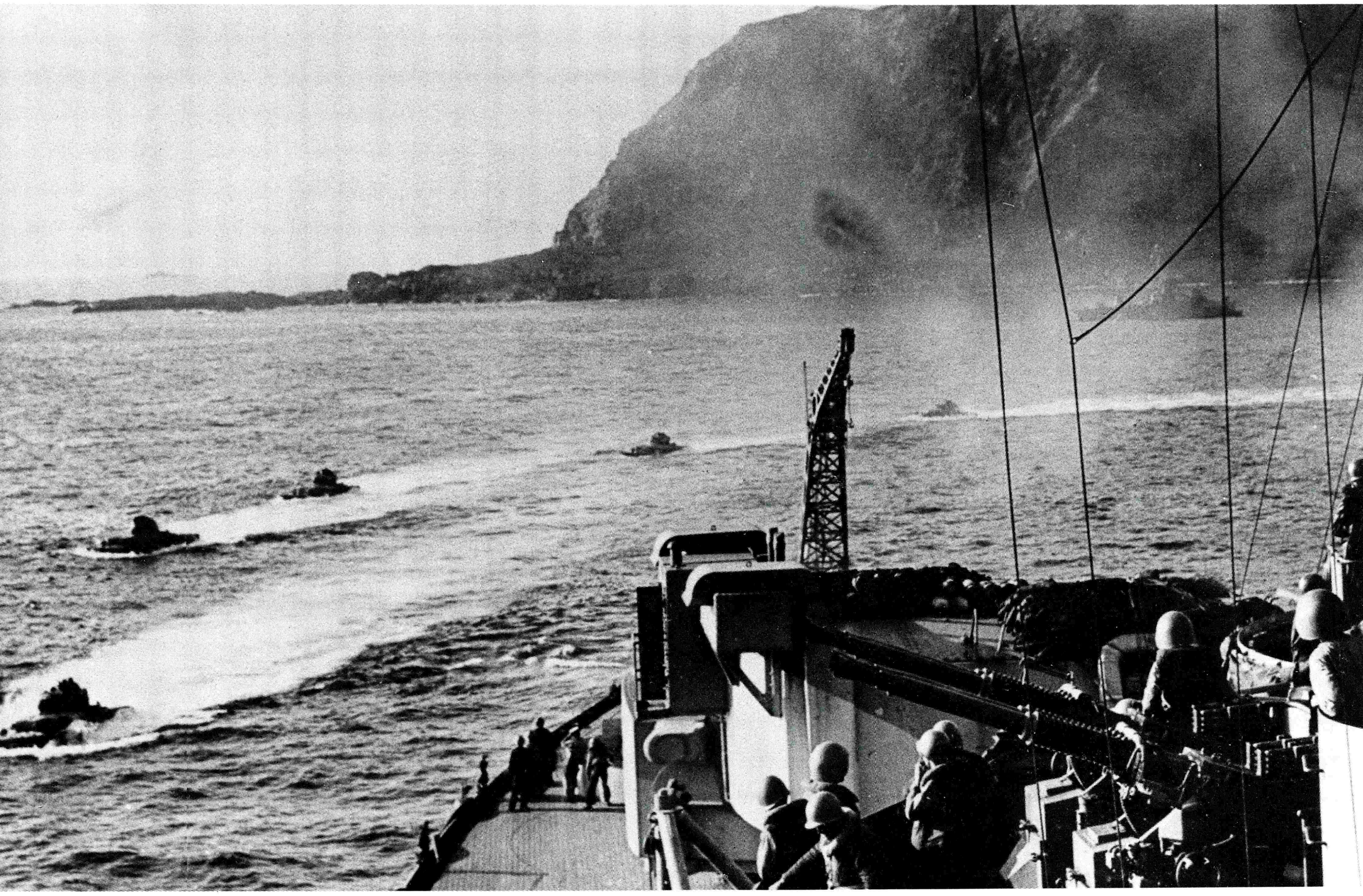


طائرات يابانية تحترق بعد غارة جوية على آيو جيما.

في 15 آذار: «لم نأكل أو نشرب منذ خمسة أيام، لكن الروح القتالية عالية. سنقاتل بشجاعة حتى آخر لحظة».

ثبت أن كلامه صحيح: أُسر 1083 جندي ياباني فقط من أصل 23,000 دافعوا عن آيو جيما، في حين قُتل نحو 7000 جندي بحرية أمريكية. مُنح 24 وسام شرف أمريكي لعسكريين هناك.

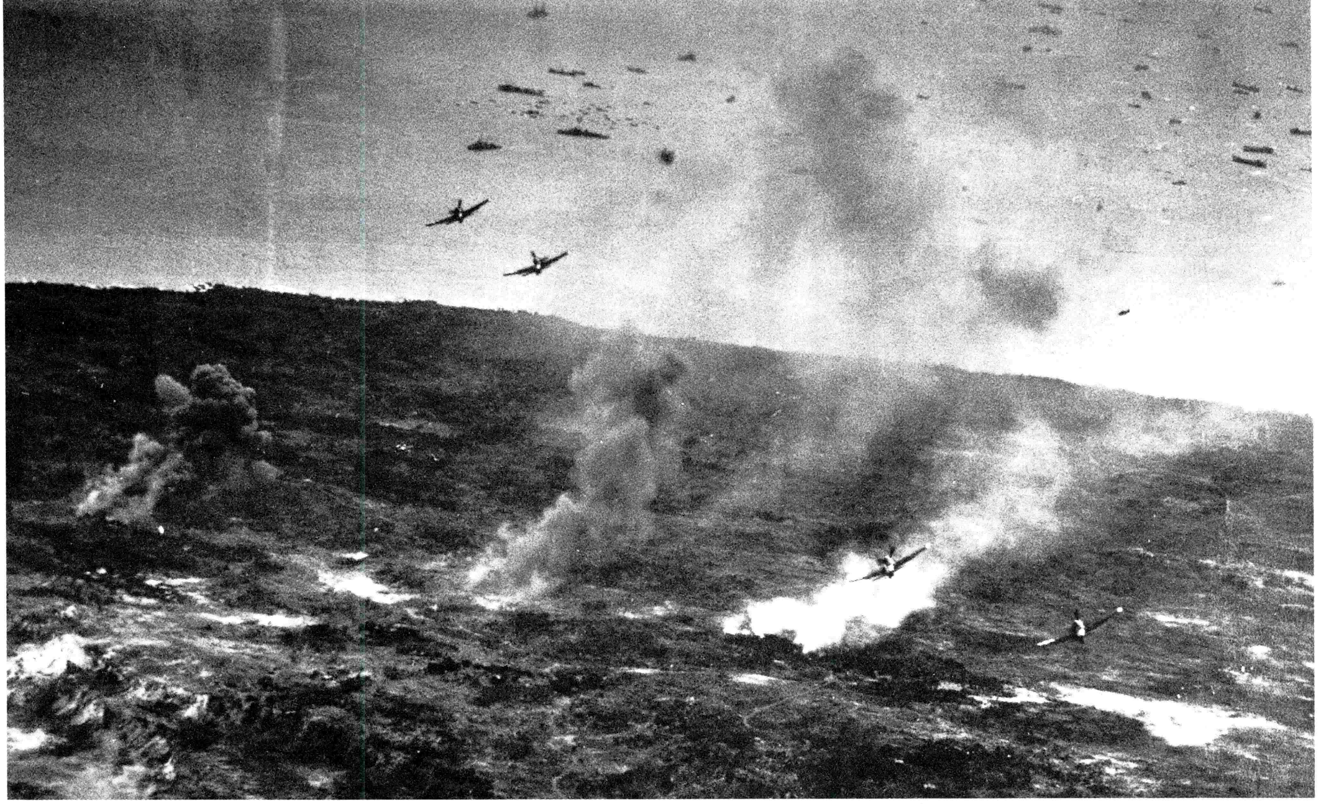
قبل انتهاء القتال، كانت أولى القاذفات الأمريكية قد حطّت على الجزيرة. في 7 نيسان، أقلعت أولى طائرات موستانغ منها لمرافقة هجوم جوي نهاري على طوكيو. بعد ثلاثة شهور من المعارك، كانت 850 قاذفة أمريكية قد نفّذت هبوطاً اضطرارياً على آيو جيما، ولو أن الجزيرة لم تكن قد احتُلّت، لتحطّمت على الأرجح في البحر.



مراكب برمائية أمريكية تدور حول بارجة في طريقها إلى الشواطئ.



ضرر كاميكازي على الحاملة الأمريكية ساراتوغا.



مقاتلات هيلكات أمريكية مع أسطول الإنزال بعيداً.



جنود بحرية يتعرّضون للنار على منحدرات جبل سوريباشي.



جنود بحرية أمريكية يزحفون على شواطئ آيوو جيما.



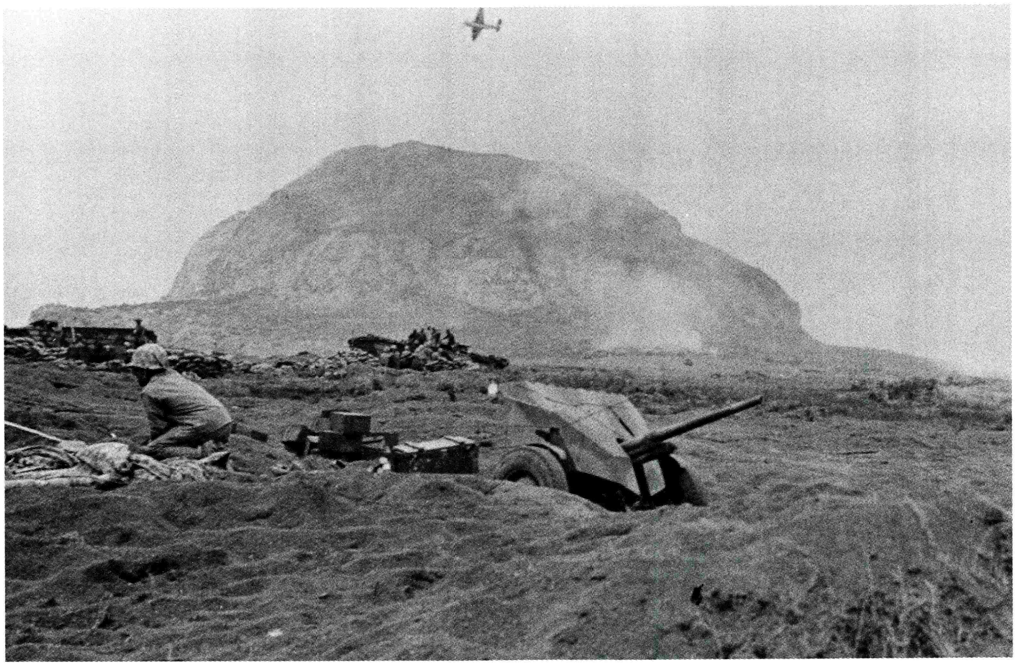
تدفق الإمدادات بعد تأمين الشواطئ.



أعلى: إقامة معسكرات في حفر القنابل، آيوو جيما.   أسفل: تعرّف جثث جنود بحرية ووضع بطاقات عليها.







موقع مدفعية أمريكية.



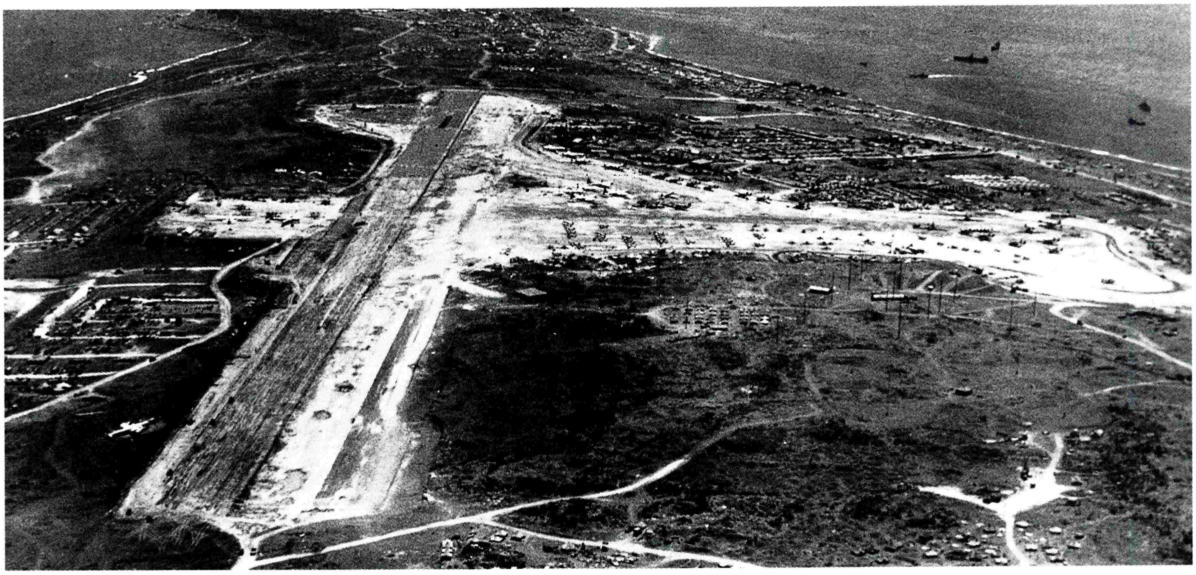
قدّاس على قمة جبل سوريباشي، وجنود بحرية يحمون «المذبح» من الرياح.



صورة جو روزنتال الفائزة بجائزة بوليتزر لجنود بحرية يضعون العلم الأمريكي (النجوم والشرائط) على قمة جبل سوريباشي.



قتلى يابانيون على آيو و جيما.

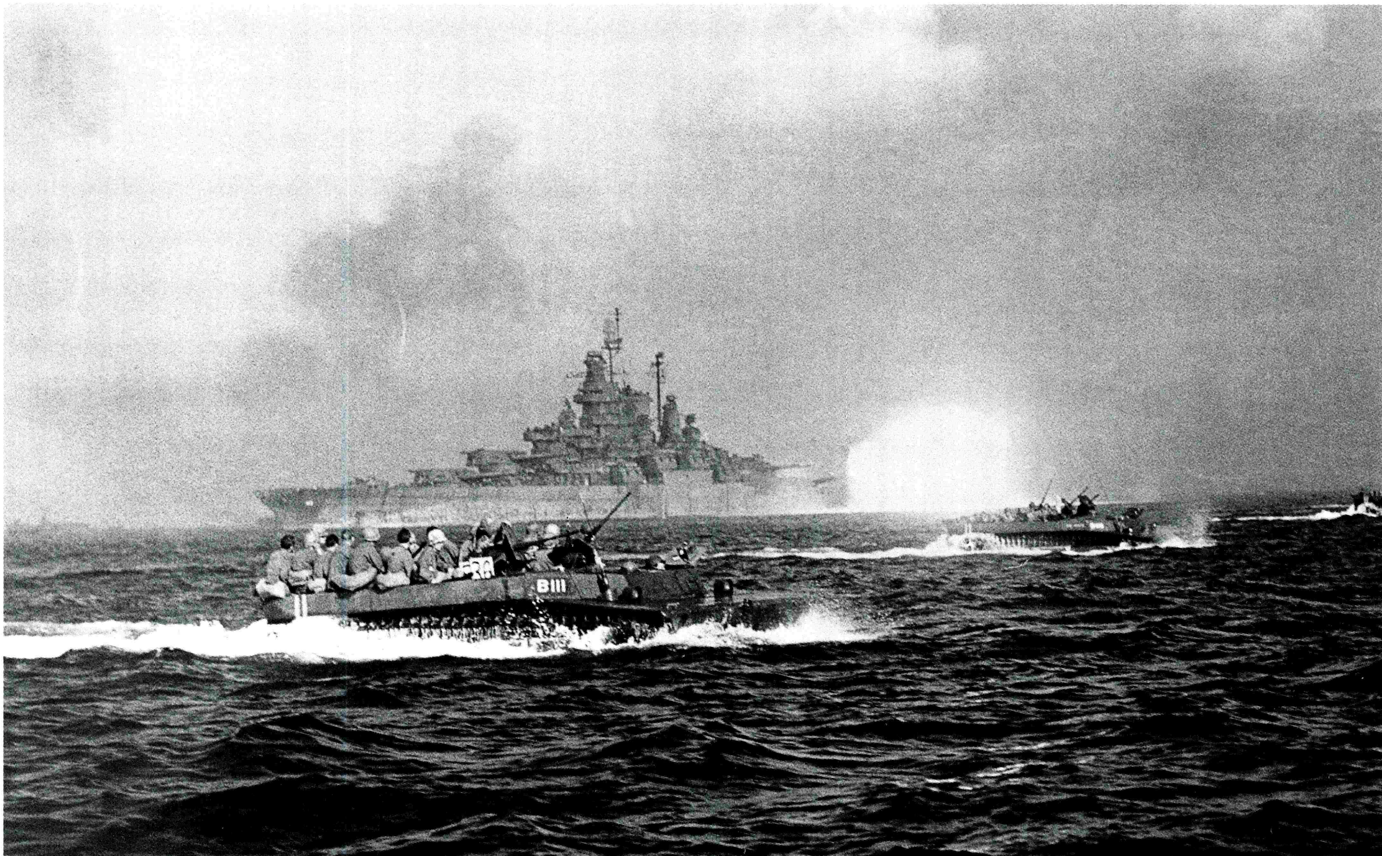


قاذفات ب29– على مهبط آيو و جيما.

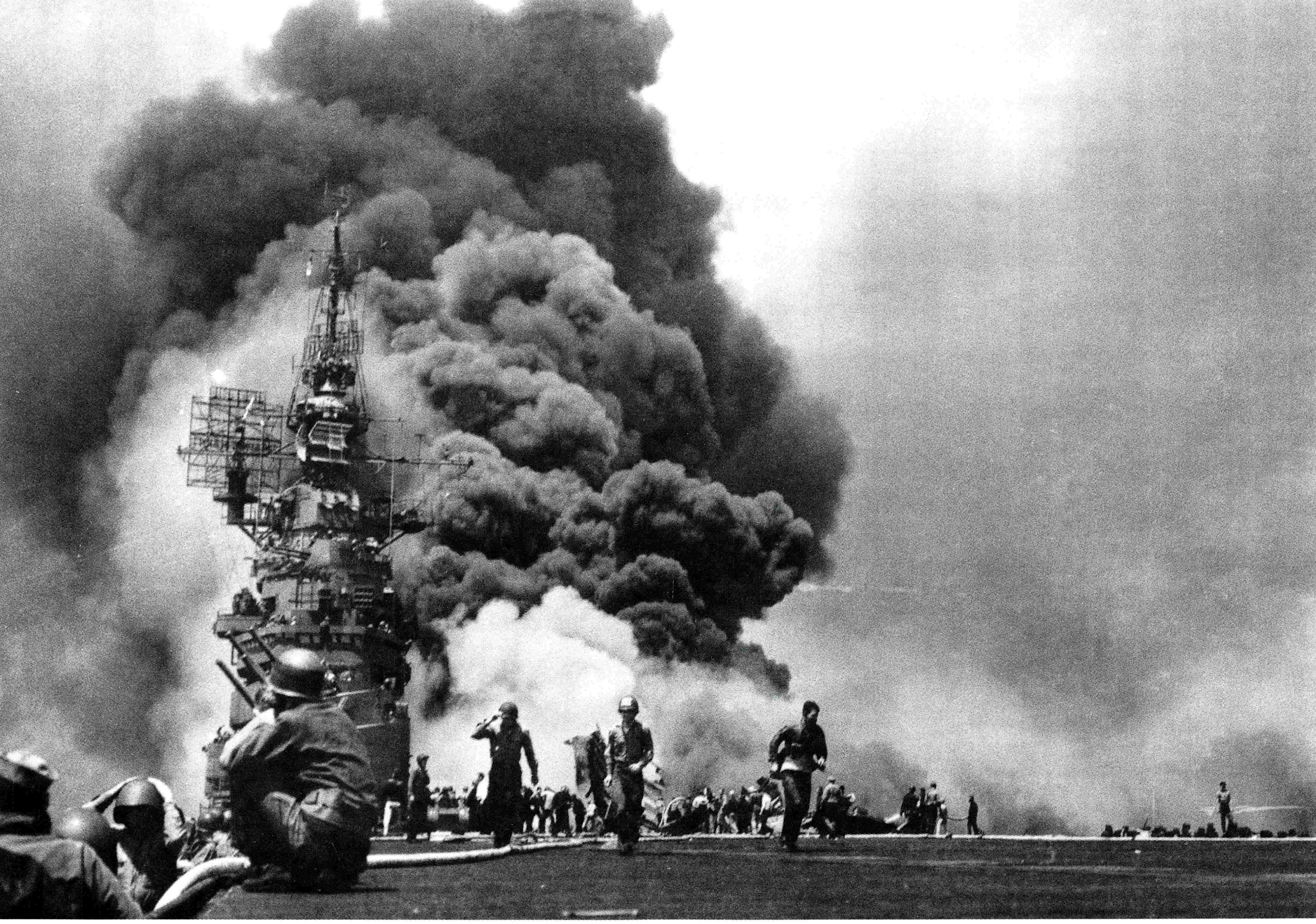
أزعجت شراسة القتال على آيوو جيما رؤساء الأركان الأمريكيين: إذا كانت معركة جزيرة صغيرة قرب اليابان قد كلّفت ذلك العدد من الأرواح، فماذا سيتطلّب غزو اليابان نفسها؟

مثل آيوو جيما، كانت جزيرة أوكيناوا – الهدف الأمريكي التالي في أرخبيل جزر اليابان – بركانية. يبلغ طولها 67 ميلاً أيضاً ومملوءة كهوفاً. أدرك مخطّطون أمريكيون أن معركة الاستيلاء عليها قد تكون أكثر قسوة.

أُوكلت المهمة إلى 170,000 جندي من الجيش الأمريكي العاشر بقيادة الجنرال سيمون بكنر. بدأت عملية جبل الجليد، كما أُطلق عليها، بقصف مركّز آخر من الجو والبحر مع بداية 25 آذار 1945. انضم إلى الأمريكيين في الهادئ، أول مرة آنذاك، الأسطول البريطاني، واختبرت هجمات كاميكازي قدرة تحمّل الأبدان الفولاذية للحاملات البريطانية إلى أقصى حد. كان كل من البريطانيين والأمريكيين قد طوّروا تقنيات للتعامل مع كاميكازي، ووضعوا سفن مضادة



بوارج أمريكية تقصف شواطئ أوكيناوا.



هجمات كاميكازي على حاملات أمريكية قبالة أوكيناوا.





تزويد طيّاري كاميكازي يابانيين بالتعليمات

للطائرات بعيدة عن الأسطول الرئيس لتدمير الطائرات الانتحارية قبل اقترابها من أهدافها. برغم هذا، نجح كاميكازي في إحداث أضرار بالغة: قُتل 5000 بحار أمريكي في 350 مهمة انتحارية نُفّذت في أثناء الإنزال. أرسلت حتى بارجة الأميرال اليابانية ياماتو في مهمة انتحارية، لكن بعد هجوم دام ساعتين من قاذفات أمريكية في 7 نيسان، غرقت من دون حتى أن تستخدم مدافعها الضخمة ضد هدف معاد.

بدأ إنزال أوكيناوا في 1 نيسان، وتطوّرت العملية كلها سريعاً إلى معركة آيوو جيما أكبر. مرة أخرى لم يجد المهاجمون مقاومة كبيرة حين وصلوا الشواطئ، ليواجهوا مواقع يابانية محصّنة جيداً في الداخل، ومجدداً كانت المقاومة شرسة جداً، حتى الموت. خاض الجنود معارك طاحنة دائماً وشنَّ اليابانيون عدّة هجمات انتحارية، ولم يطلب أحد الرحمة أو يوافق عليها. قتل اليابانيون كل الجنود الأمريكيين الأسرى تقريباً، وبالمقابل استخدم الأمريكيون قاذفات اللهب لـ«إخراج» مدافعين من كهوف الجزيرة.

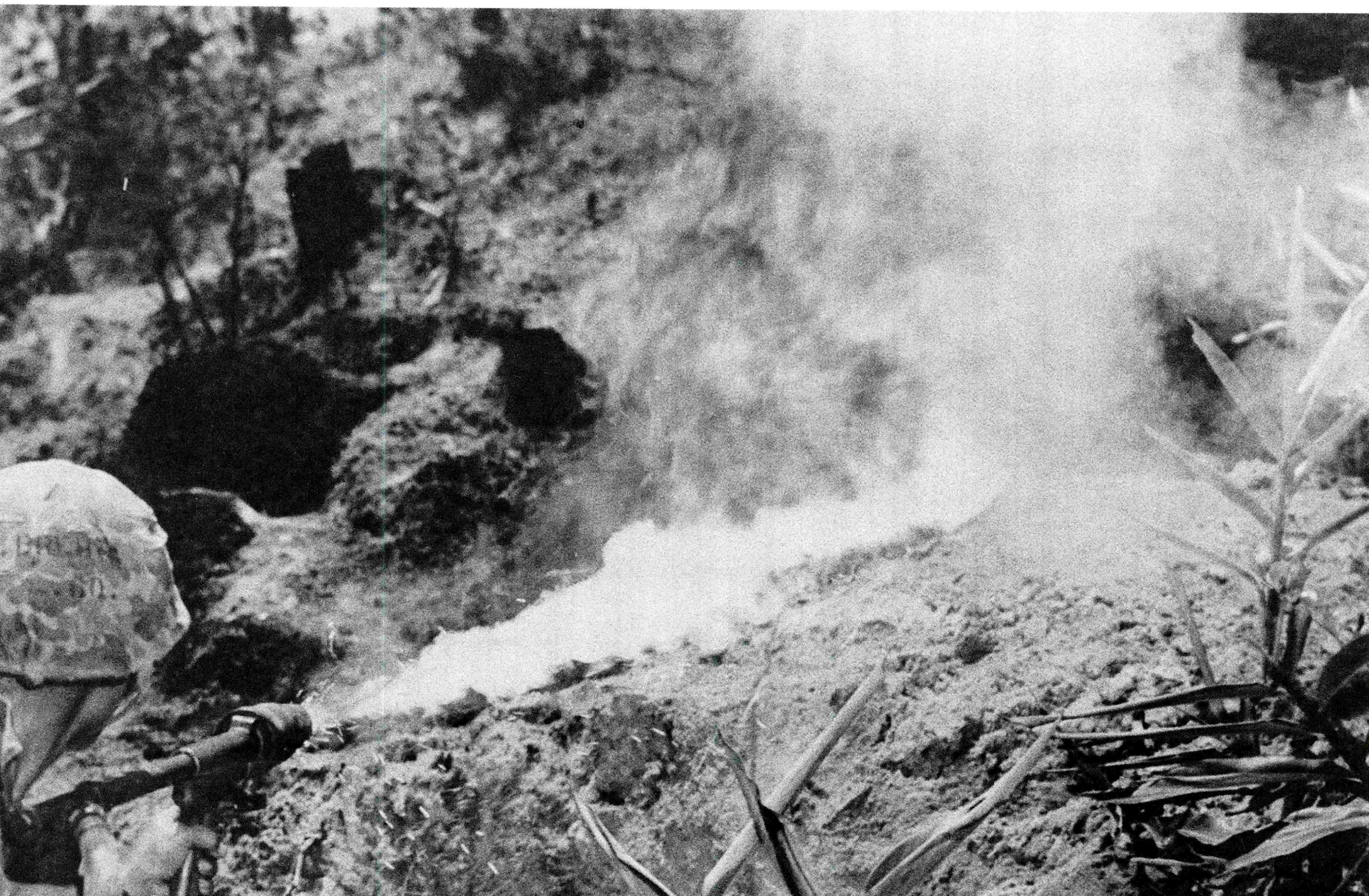
كانت الخسائر الأمريكية في المعركة التي دامت ثلاثة شهور كبيرة: 12,500 قتيل (فيهم بكنر نفسه). كانت الإصابات اليابانية، من الناحية الأخرى، ببساطة ضخمة: مات 110,000 جندي تقريباً، ولقي 75,000 مدني آخر حتفهم في القصف الأمريكي المستمر أو تبادل إطلاق النار بين





أعلى: دورية يابانية تتجه إلى الداخل، أوكيناوا.   أسفل: قاذفة لهب شيرمان في أثناء العمل.

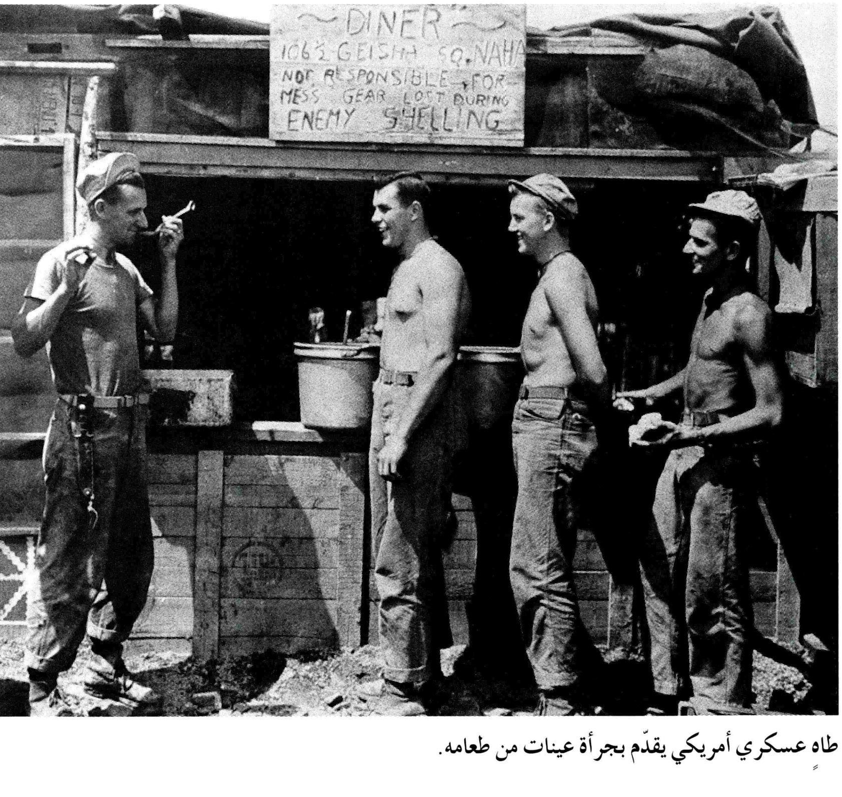




جندي بحرية يستخدم قاذفة لهب لـ«تطهير» كهف على أوكيناوا



مشاة يعتلون دبابة، أوكيناوا.



طاهٍ عسكري أمريكي يقدّم بجرأة عينات من طعامه.



جنود. تميّزت أوكيناوا ببعد آخر للمأساة، فقد قفز مئات المدنيين اليابانيين إلى حتفهم من فوق منحدرات شاهقة في الجزيرة بدلاً من تسليم أنفسهم، وقتل جنود أمريكيون مدنيين آخرين، فيهم 85 طالب تمريض ياباني اختبؤوا في كهف يُسمّى الآن «كهف العذارى»، ظناً منهم أنهم مجنّدون يابانيون.



استسلام ياباني نادر على أوكيناوا.

عندما استطاع الأمريكيون شق طريقهم أخيراً إلى كهف قيادة اليابانيين في ناها، وجدوا أن 200 جندي جريح وضباط قياديين قد قتلوا أنفسهم. انتحر الجنرالان يوشيجيما وشو؛ قائدا القوات اليابانية على أوكيناوا، في 22 حزيران. قال شو في رسالته الأخيرة: «أغادر من دون ندم أو عار أو التزامات».

حوّل 10,000 جندي ياباني بقوا على الجزيرة أنفسهم إلى وحدات قتالية من 200 رجل، واشتركوا بالبنادق واقتصدوا بالذخيرة. لكن في ليلة 14 آب، شاهد اليابانيون شيئاً غير اعتيادي من مخابئهم: ألعاباً نارية من أسطول الحلفاء ترسم «النصر» في إشارة إلى انتهاء الحرب. في البداية رفضوا تصديق الأمر، إنما في الأيام الآتية ظهروا ببطء، غائري الوجوه ومنهكين – نحو 7400 منهم مستعدين لتحمّل الهزيمة التي وصفها إمبراطورهم بأنها «لا تُحتمل».



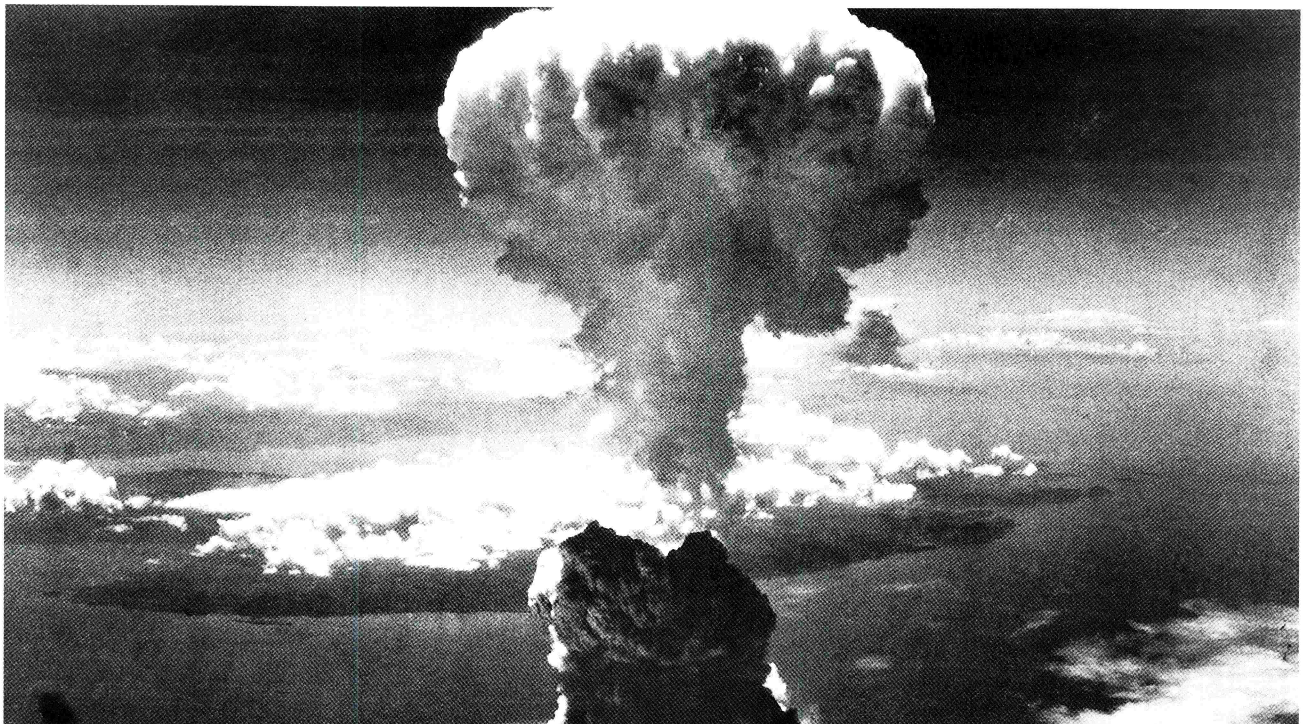
ردود أفعال مختلفة جداً من جنود يابانيين وأمريكيين على نهاية الأعمال القتالية.


Within this
the command post
Lt.Gen.Ushijima,
of the [redacted] Japanese
surrounded by his
officers, made his
siezed

القنبلة الذرّية

تدمير هيروشيما وناغازاكي

لقد عجّل الحظر النفطي في شن حرب الهادئ، وبحلول منتصف 1945 أدّى شح النفط لدى اليابانيين إلى إنهائها تقريباً. لم تكن إمدادات من جزر الهند الشرقية تصل إليهم: لقد أثبت الحصار المفروض من غواصات الحلفاء أنه فاعل جداً. في الواقع، غرقت كثير من سفن الأسطول التجاري الياباني بحلول بداية العام، وكُلّفت الغواصات الأمريكية بإنقاذ أفراد فرق طائرات الحلفاء التي تهبط اضطرارياً.



أعلى: سحابة الفطر فوق ناغازاكي. مقابل: النقيب تيبتس يقلع لتنفيذ مهمة هيروشيما.


ENOLA
GA

من دون وقود كاف لتشغيل القليل الباقي من أسطولهم وسلاحهم الجوّي، لم يكن بمقدور القيادة الإمبراطورية اليابانية فعل شيء باستثناء مشاهدة تدمير بلادها من قبل سفن الحلفاء وطائراتهم. بعد الاستيلاء على كامل أوكيناوا تقريباً والغزو الوشيك للبر الرئيس، بدؤوا يشعرون أيضاً بالخوف من أن يؤدي الاستياء والانهزامية إلى سيطرة الشيوعيين على السلطة.

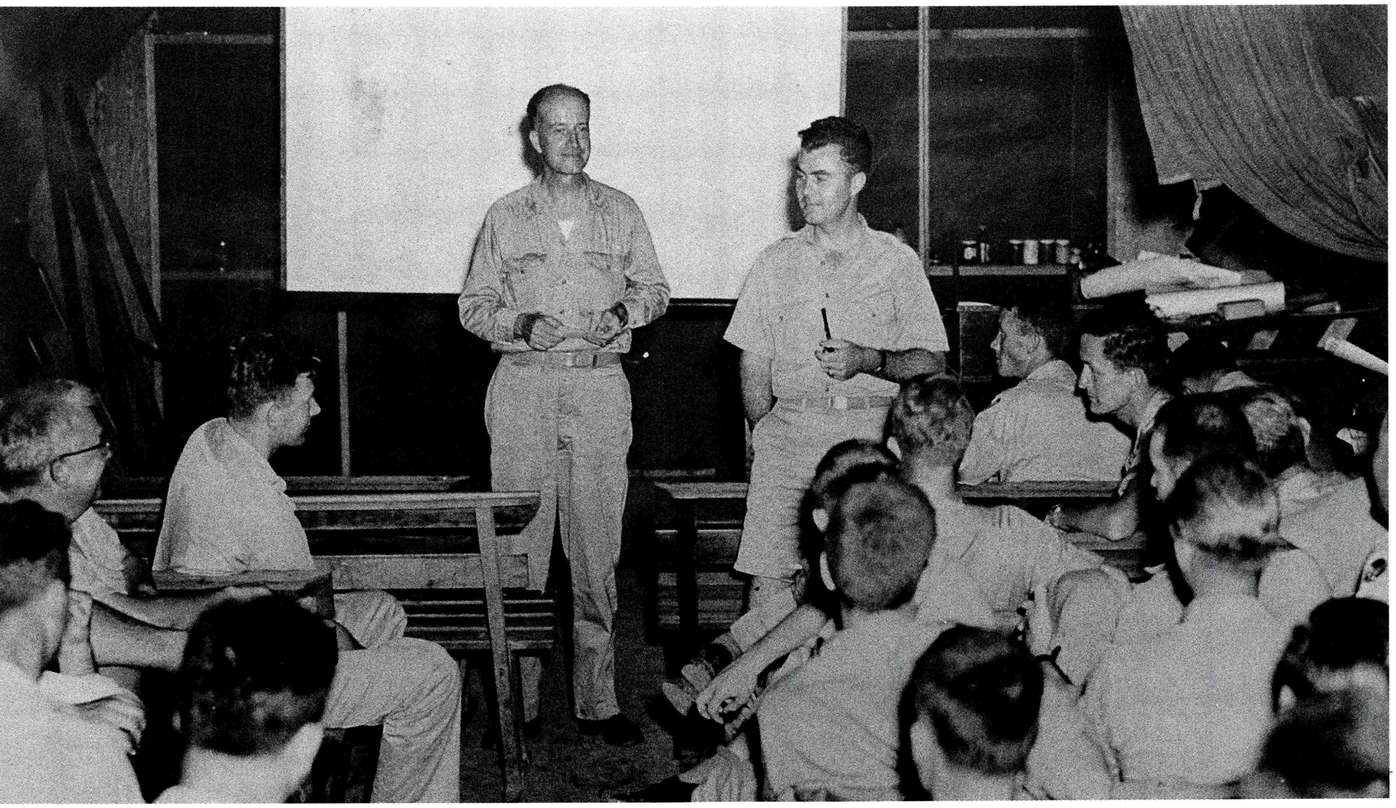


والدا القنبلة: أينشتاين وأوبنهايمر.

في الشهور الستة السابقة، أضحت «الشرطة الفكرية» اليابانية أكثر فاعلية من قبل في تعقّب مروّجي الشائعات وكاتبي الرسائل المجهولين. تلقّى هيروهيتو نفسه سيلاً من بطاقات غاضبة: كتب فتى عمره 12 عاماً ببساطة على بطاقة بريدية: «إمبراطور غبي».. بمواجهة فوضى اجتماعية متزايدة، حثَّ رئيس الوزراء فوميمارو في شباط 1945 هيروهيتو على الاستسلام بسرعة وإنقاذ البلاد من الثورة.



مؤتمر بوتسدام، تموز 1945.



تعليمات أخيرة لفريق «إينولا غاي».

في تلك الأثناء، استُدعي 2,4 مليون ياباني للدفاع عن وطنهم وأُرسلوا للإقامة مؤقتاً مع قرويين لا يرحبون بهم في الأرياف. قبل حتى أن تبدأ الغارات الجوية، وصلت نسبة التغيّب عن المصانع إلى ٪20. كان ٪51 من كل البيوت قد تعرّض للدمار نتيجة القنابل، في حين نُسفت ٪13 أخرى لمنع الحرائق من الانتشار. قُنّن الطعام كثيراً: لم يكن يُسمح لكل شخص بأكثر من 1200 سُعرة حرارية يومياً.

كان مخطّطون عسكريون من الحلفاء، قد حققوا نجاحاً كبيراً في الهجوم على أوروبا، يطوّرون بحرص خططاً لغزو اليابان، وقدّر مكارثر مليون إصابة أخرى قبل أن تستسلم البلاد - شيء توقّع حدوثه في شتاء 1946. لكن المرحلة الآتية في الاقتراب من اليابان؛ غزو كيوشو الذي خُطط له في تشرين الثاني 1945، لم تحدث أبداً.

في 5 نيسان، بعد أنباء عن إنزال أمريكي على أوكيناوا، أصبح الأميرال الطاعن في السن كانتارو سوزوكي رئيساً للوزراء. كان يبلغ من العمر آنذاك 78 عاماً، وواجه مهمة صعبة: إذا تكلم عن السلام علانية، فسيخاطر بحدوث انقلاب عسكري؛ وإن لم يفعل ذلك، فسيتواصل التدمير. أعاد سوزوكي تعيين شيجنوري توجو وزيراً للخارجية، الذي أُحيل إلى التقاعد منذ فشل جهوده في تفادي الحرب في 1941.



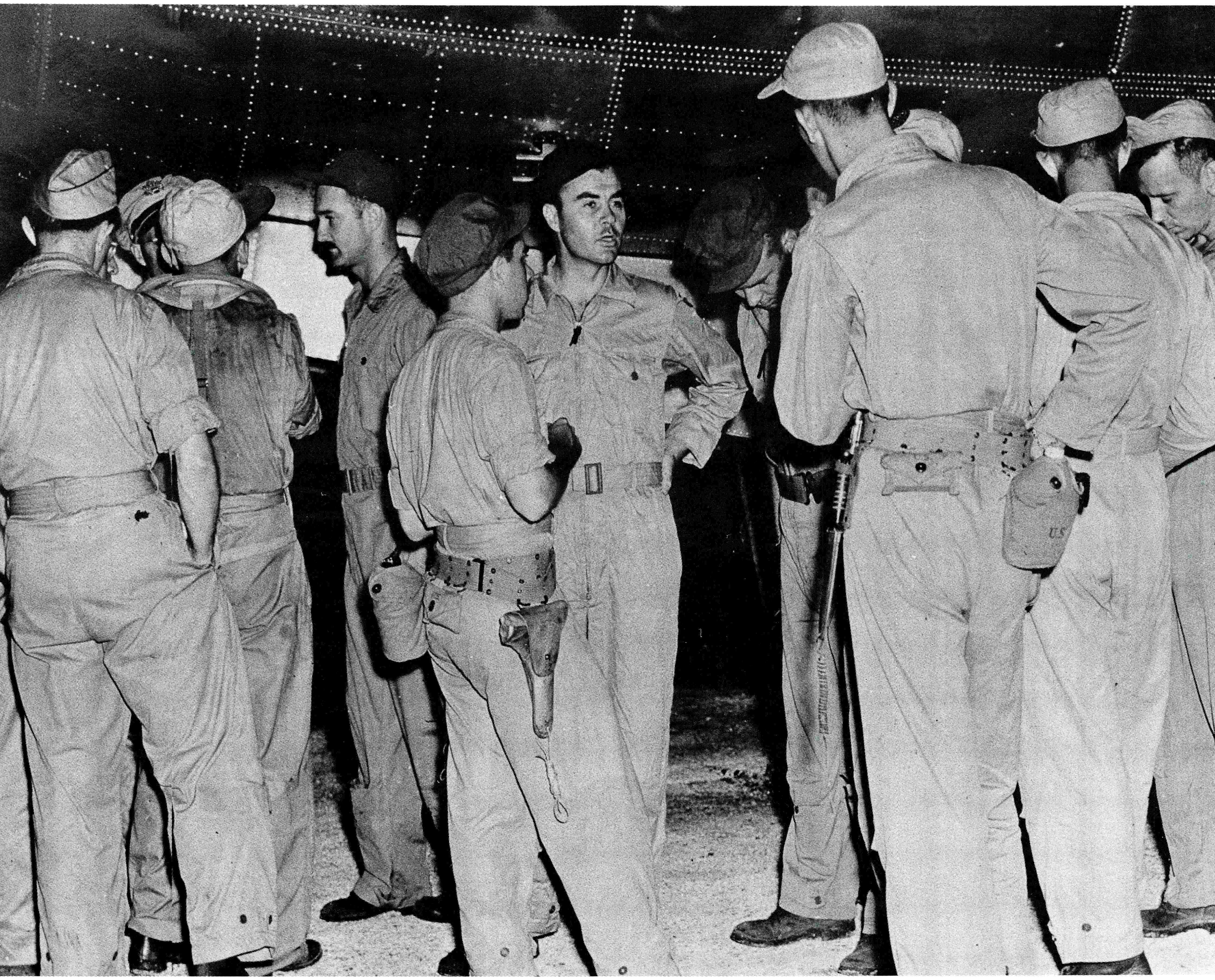


أفراد فريق «إينولا غاي» قبل الغارة على هيروشيما.

لكن حتى فريق السلام بدا مصمماً على إبقاء هيروهيتو على العرش: كان لابد من وجود طريقة لتفادي طلب الحلفاء باستسلام غير مشروط. أخطأ سوزوكي - برغم نصيحة توجو - باقتراح السلام على ستالين أولاً، على أمل أن يكون وسيطاً. لكن ستالين كان يتطلّع إلى مكاسب في الشرق الأقصى، ورفض ذلك العرض. برغم هذا، ومع اعتراض رسائل سوزوكي إلى سفيره في موسكو، عرف الحلفاء أن هناك فرصة جيدة لإقناع الإمبراطور بفرض سلطانه على مجلس الوزراء إن تخلّوا عن إصرارهم باستسلام غير مشروط.

في الواقع، بقي مجلس الوزراء الياباني منقسماً حتى بعد 20 حزيران، حين استدعى الإمبراطور هيروهيتو المجلس الأعلى للحرب وأخبر أعضاءه: «ستتعاملون مع مسألة إنهاء الحرب في أسرع وقت ممكن». وافق ثلاثة على استسلام غير مشروط فوري، لكن وزير الجيش ورؤساء الأركان كانوا لا يزالون يريدون إقرار بعض الشروط.

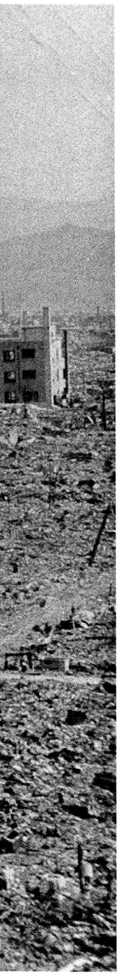
كان روزفلت قد مات آنذاك، وقد حل محله هاري ترومان. بدأ الأمريكيون يشاركون تشرشل ارتياباً كبيراً بنوايا ستالين، وفي مؤتمر بوتسدام في إيطاليا، شعر رؤساء أركان الحلفاء بعصبية متزايدة بشأن دخول ستالين الموعود إلى مسرح الهادئ.



تعليمات نهائية قبل الرحلة.

وكانت هناك قضية أخرى: أصبحت القنبلة الذرّية التي تسعى الولايات المتحدة وبريطانيا إلى تطويرها جاهزة تقريباً. كان تشرشل وترومان يخططان لتحذير ستالين من التدخل في الشرق بعد معرفة نتيجة أول اختبار نووي حاسم، الذي سيجري في ألاماغوردو، نيومكسيكو.

في 17 تموز، وصل ترومان إلى بوتسدام ليتلقّى رسالة مشفّرة، بدأت: «جرت العملية هذا الصباح. لم يكتمل التشخيص بعد، لكن النتائج تبدو مرضية، وقد فاقت التوقعات حتى الآن». تلقّى تشرشل رسالة مشابهة تقول: «وُلد الأطفال بنحو مُرضٍ». نجحت أول تجربة نووية في العالم.





أتلي: بديل تشرشل في بوتسدام

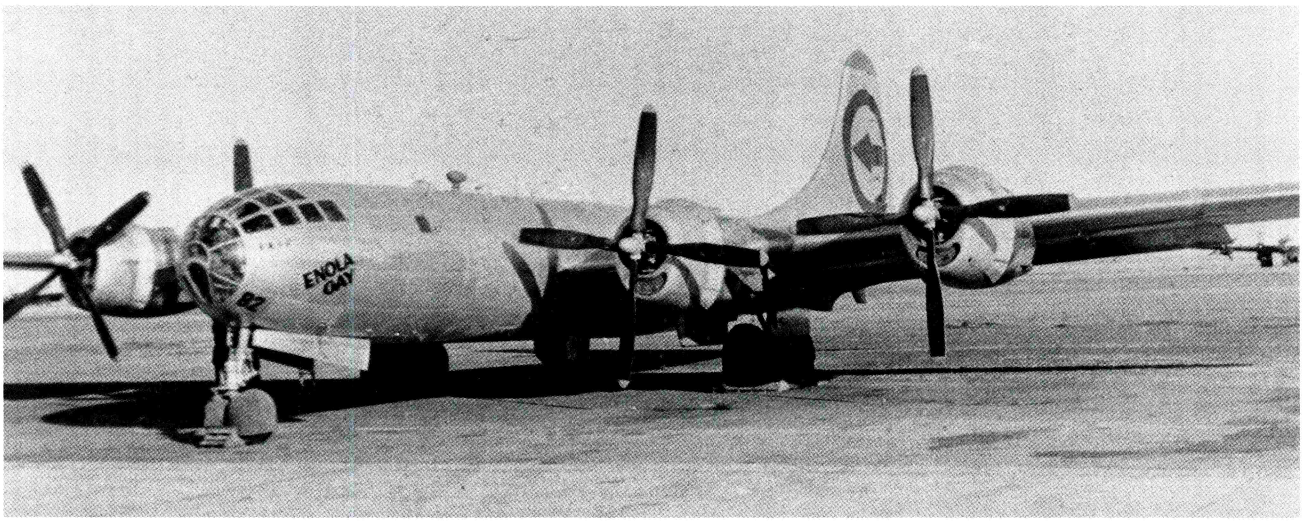
في تلك المرحلة، عاد تشرشل إلى بريطانيا من أجل نتائج الانتخابات العامة، ووجد أنه قد خسرها. استُعيض عنه في بوتسدام بنائبه السابق؛ كليمنت أتلي. انتهى الاجتماع بإصدار تحذير صارم للحكومة اليابانية، يحثّها على الاستسلام أو مواجهة دمار كامل، من دون ذكر القنبلة فيه.

ضم رد سوزوكي المتناقض على التحذير ثاني أخطائه الفادحة، وقال إنه «سيحتفظ بالتعليق» عليه: تُرجم هذا إلى ترومان على أنه «تجاهل».

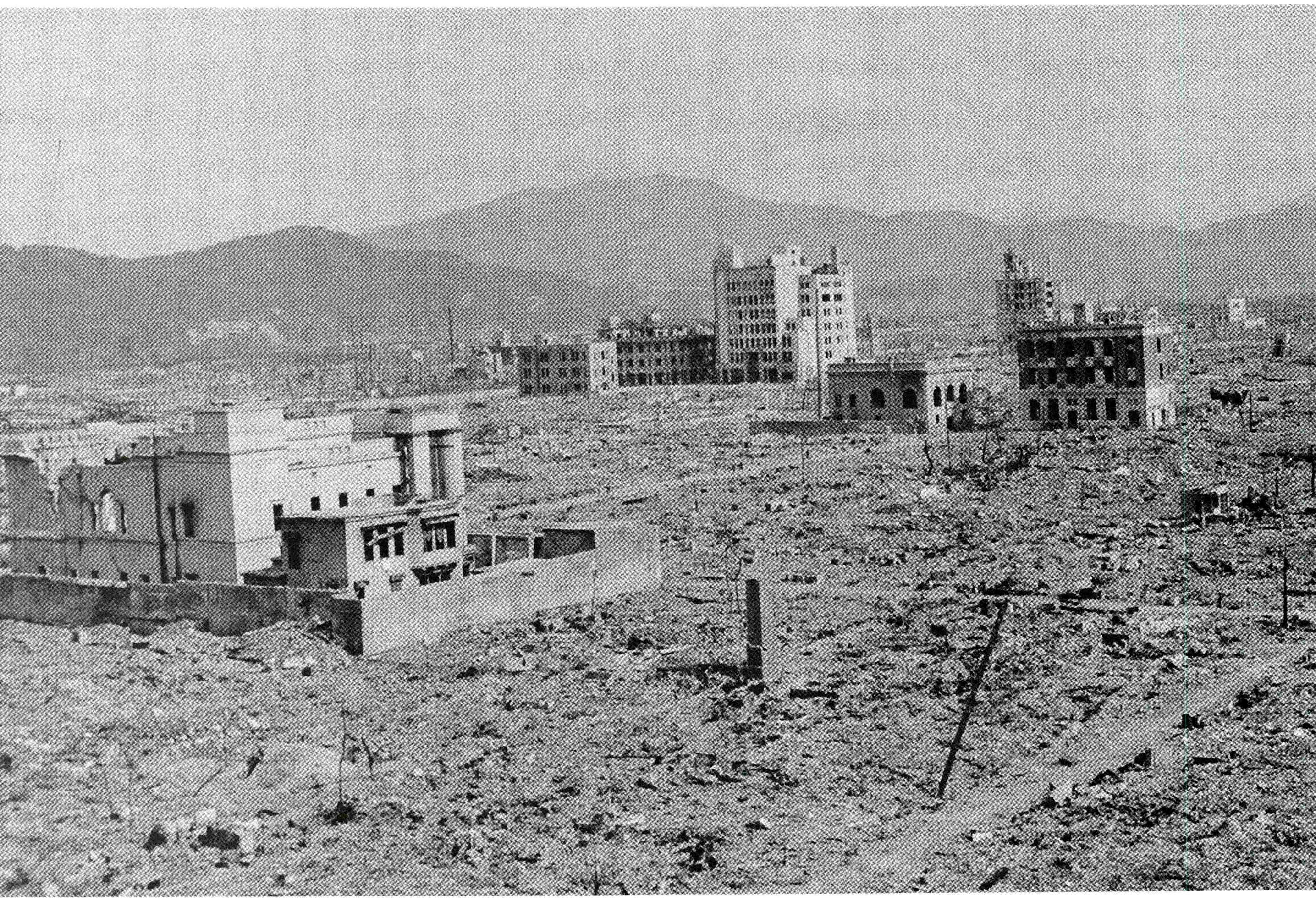
في الوقت نفسه، كان وزير الخارجية توجو يبعث رسالة عاجلة إلى سفيره في موسكو: «نظراً إلى أن التأخير يوماً واحداً فيما يتعلق بهذه القضية قد يؤدي إلى ألف سنة من الندم، أطلب منك إجراء حديث فوري مع مولوتوف». لكن فياتشيسلاف مولوتوف؛ وزير خارجية ستالين، أخّر اللقاء: كانت القوات السوفييتية تستعد لغزو منشوريا.

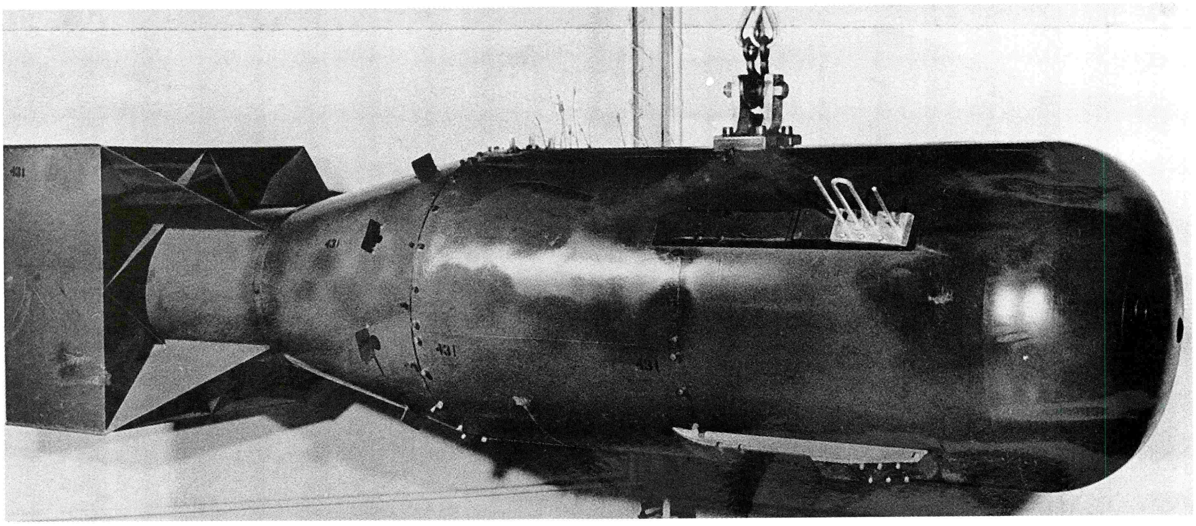
بحلول أواخر تموز، كان الوقت قد نفد آنذاك لليابانيين: اتخذ ترومان قراره «لتقصير أمد الحرب». نُقلت القنبلة الذرية إلى جزيرة تينيان على متن الطرّاد الأمريكي إنديانابوليس. في الساعات الباكرة من 6 آب، وبعد انتظار تحسّن الطقس ثلاثة أيام، أقلعت ب29– «إينولا غاي» من مدرج مُدَّ خاصة، وفي حاضنة قذائفها القنبلة الذرية التي سُمّيت «الولد الصغير».

كان على متن القاذفة أربعة علماء منتقين بعناية وفريق من تسعة أفراد بقيادة النقيب بول تيبتس. بعد 8 صباحاً بقليل استطاعوا رؤية مدينة هيروشيما أمامهم، فوضعوا نظارات لحام وقائية.

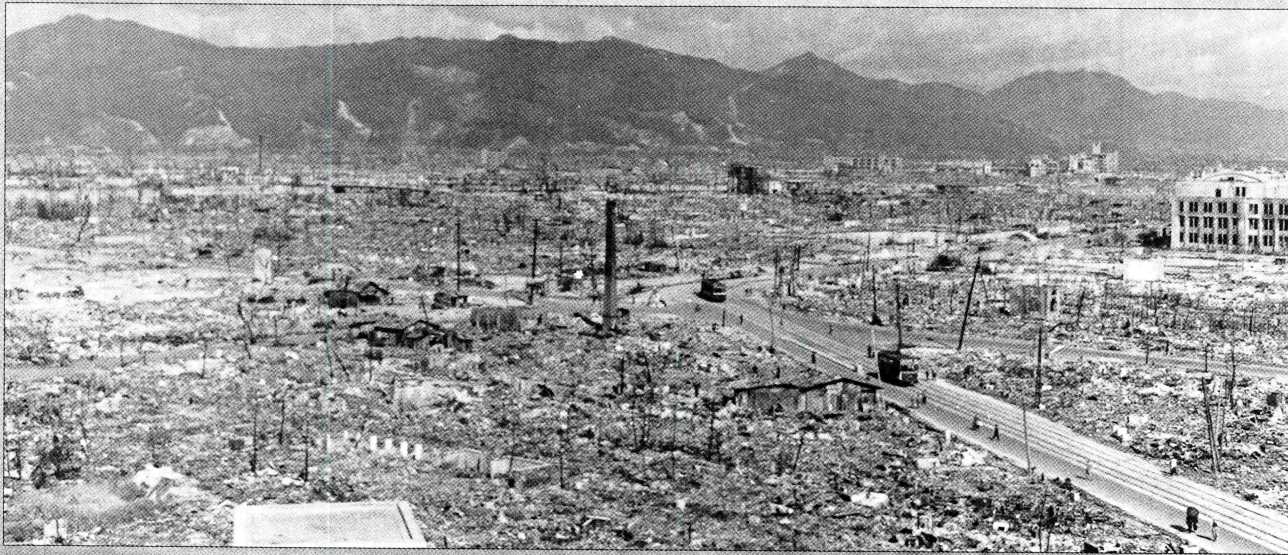


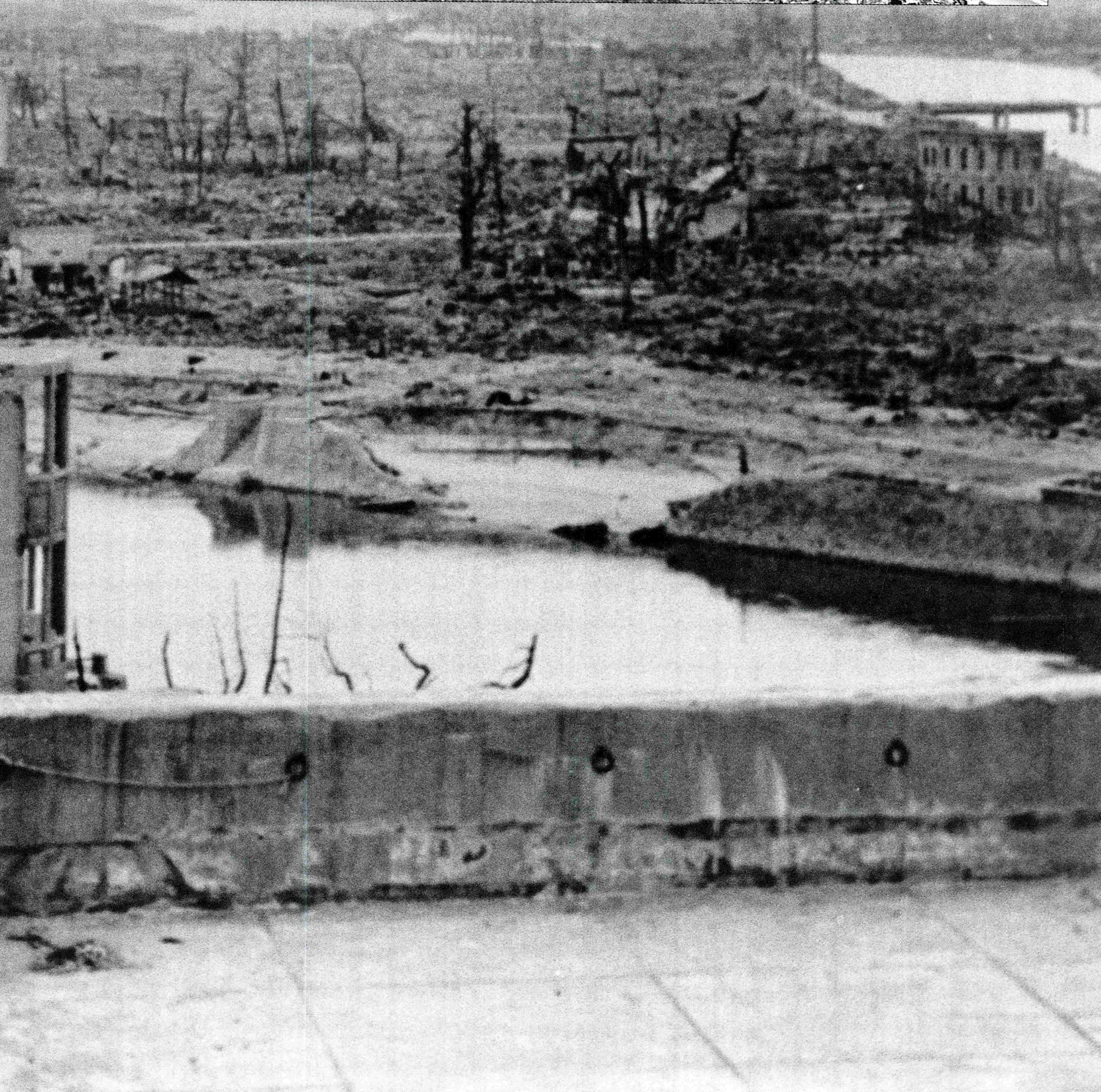
«إينولا غاي» على الإسفلت.





أعلى وأسفل: «الولد الصغير» وتأثيرها على هيروشيما.







«قبة القنبلة الذرية» – إحدى المباني القليلة الباقية من انفجار هيروشيما.


DIRECTION OF BLAST



مقابل: موقع ضحية تبخّرت في القنبلة الذرية.   أعلى: جنود يابانيون في محطة قطارات هيروشيما.



بعد العودة إلى غوام – فريق «إينولا غاي».



حرق بنقش كيمون [لباس تقليدي] على الجلد.

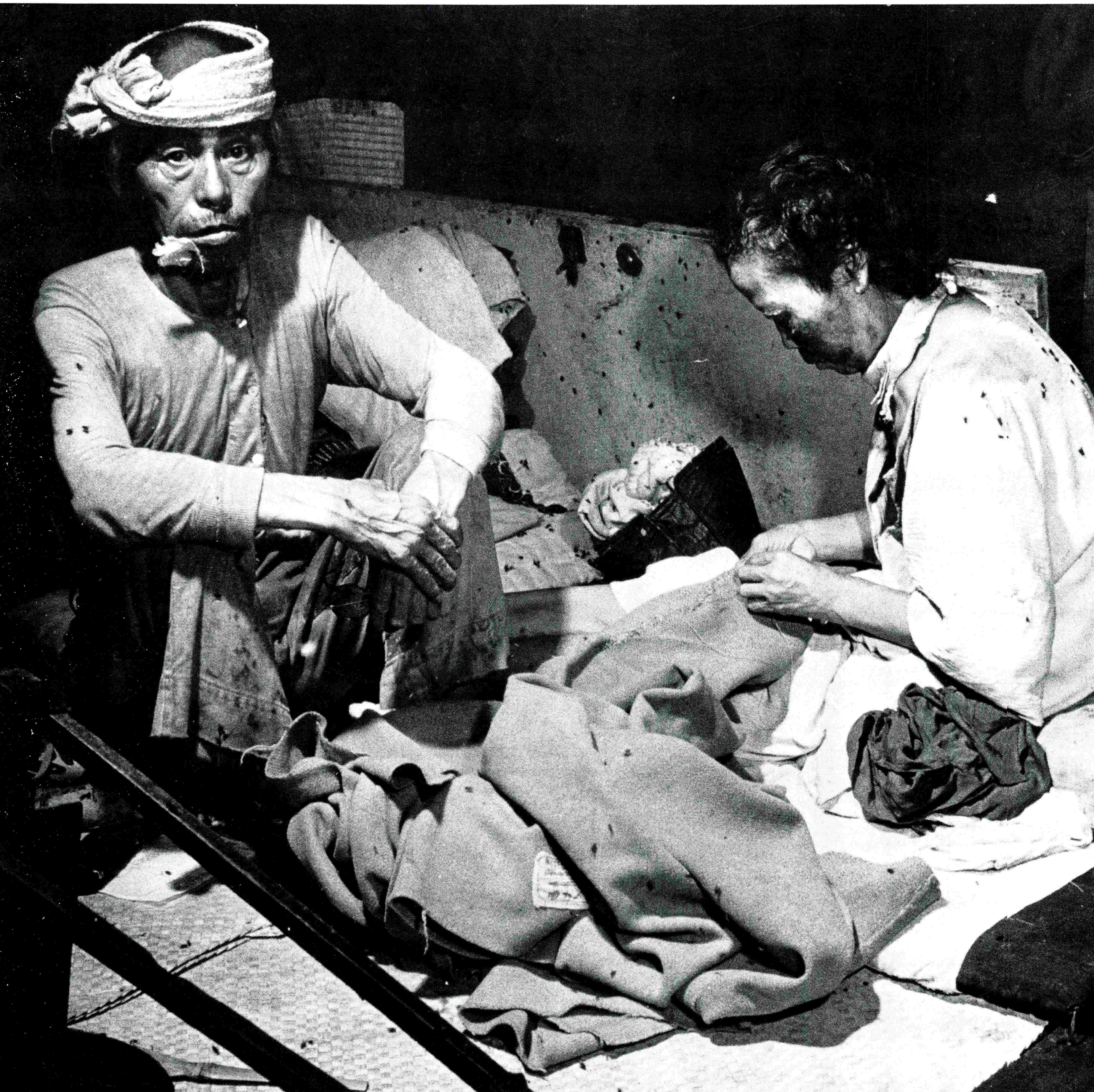
أُلقيت القنبلة عند 8,15 صباحاً، وبعد إحدى وخمسين ثانية انفجرت على ارتفاع أقل من 2000 قدم فوق المدينة. كان تيبتس بعيداً آنذاك 15 ميلاً، ورأى كرة نارية ضخمة، ثم سحابة الفطر المميزة لها. قال: «بدا السطح مثل برميل قطران أسود ... يغلي. حيث كانت هناك مدينة سابقاً – منازل وأبنية مميزة وكل ما يمكن أن تراه من علٍ – لا يمكنك الآن رؤية شيء باستثناء أنقاض سوداء تغلي في الأسفل».

في ثوان، كانت الكرة النارية للقنبلة الذرية قد بخّرت آلاف الأشخاص في المدينة، وتركت ظلالهم محروقة على الجدران، في حين تعرض عشرات آلاف آخرين إلى حروق مروّعة. هدّمت موجة الصدمة التالية – قوة تبلغ ثمانية أطنان على كل ياردة مربّعة – أبنية، ومزّقت ثياباً وجلوداً عن أجساد، وأبادت كل المركز التجاري والسكني للمدينة. قتل الانفجار بين 71,000 و80,000 شخص فوراً، وراوحت تقديرات عدد الموتى الإجمالي، فيهم أولئك الذين قضوا من الإشعاع، بين 160,000 إلى 240,000.

لم يتعرض أهل هيروشيما عموماً إلى غارات حارقة ، لكنهم توقّعوا هجوماً وشيكاً. بقوا يصطفون طوال أسابيع في أرتال مع عرباتهم لمغادرة المدينة، وبرغم هذا عندما أُلقيت القنبلة كان عدد السكان لا يزال 300,000.



المعاناة الرهيبة في أعقاب القنبلة الذرية.



المعاناة الرهيبة في أعقاب القنبلة الذرية.

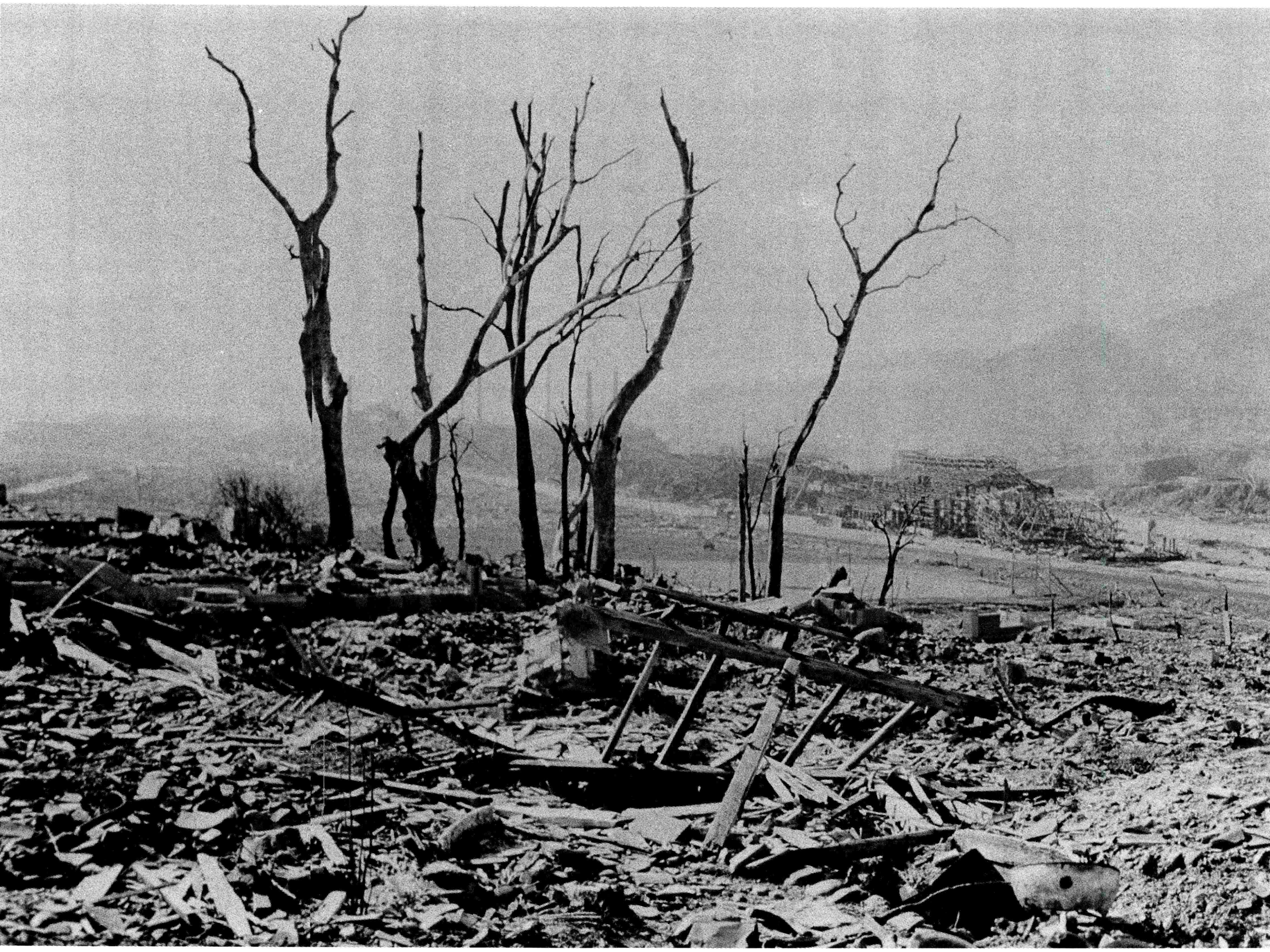




مركز القنبلة السطحي، ناغازاكي.



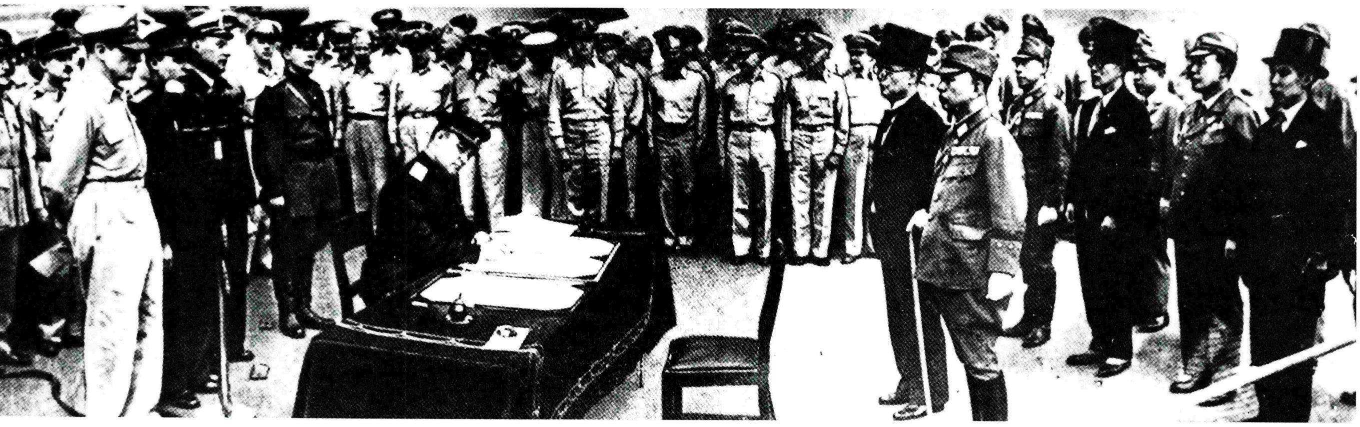
خبراء البحرية الأمريكية يشاهدون تأثيرات حروق الجسد، ناغازاكي.



حطام ناغازاكي بعد الانفجار

بعد ثلاثة أيام من تسوية هيروشيما بالأرض، أُلقيت قنبلة ذرّية ثانية، هذه المرة على مركز بناء السفن في ناغازاكي. ضمّت «الرجل البدين» بلوتونيوم بدلاً من يورانيوم، وفُجّرت حين دُمجت العناصر معاً بدلاً من انشطارها. في اللحظة الأخيرة قبل أن يرغمهم نقص الوقود على العودة إلى الديار، وجد الفريق ثغرة في الغيوم وألقوا حمولتهم. كانت الساعة 10,58 وبعيدين عن الهدف، لذا أُلقيت القنبلة على مقاطعة أوراكامي الكاثوليكية الرومانية الكبيرة، فقُتل نحو 40,000 شخص، وأحدث الانفجار حفرة طولها ميلان.

بطرق عديدة، كان الناجون من الهجومين الذرّيين الضحايا الحقيقيون. واجه كل أولئك الذين نجوا من الانفجار النووي ضمن نصف ميل من مركزه السطحي موتاً بطيئاً من تأثيرات



استسلام رسمي في خليج طوكيو.

الإشعاع. كان الأسوأ أنهم قد شهدوا زوال مدينتهم وألم مئات احترقوا وماتوا، وستكون جراحهم العاطفية والنفسية عميقة جداً ولا يمكن علاجها بنحو ملائم.

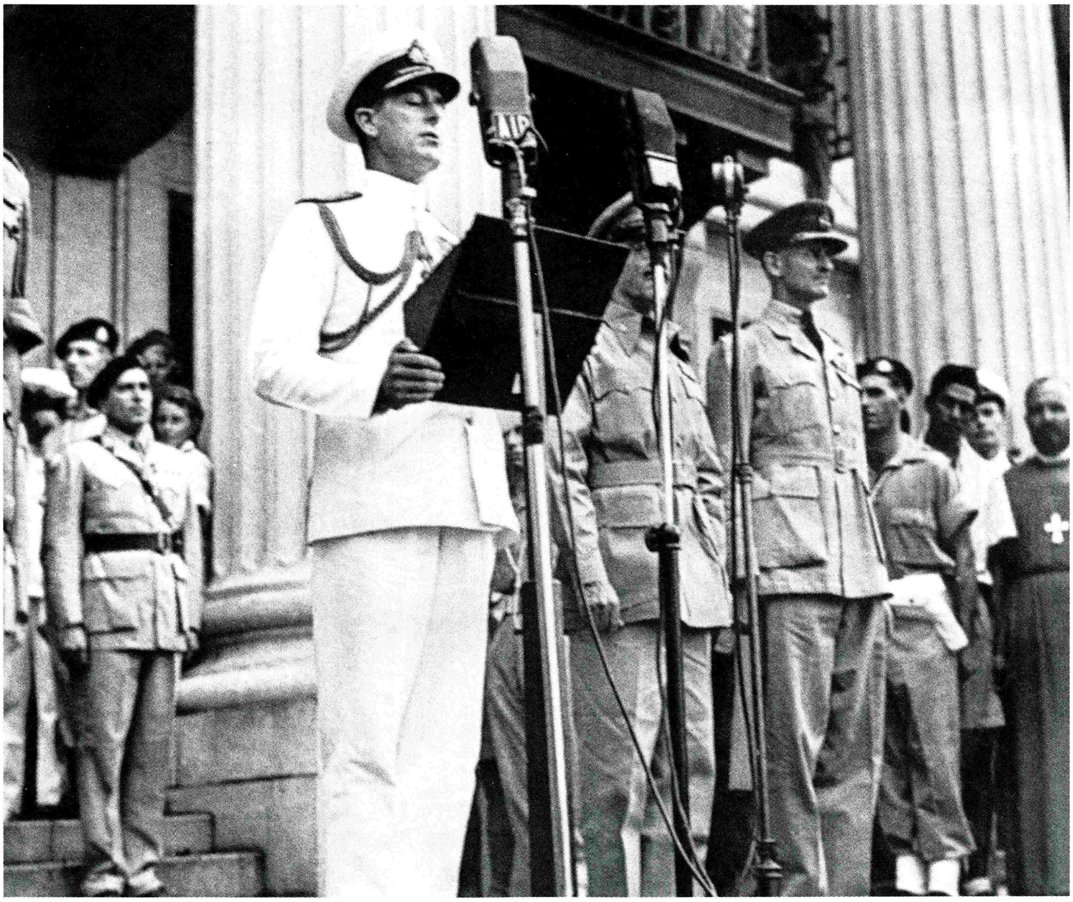
غير مدركين العواقب الكاملة للقنبلة الذرّية، شعر الحلفاء بالابتهاج. قال ترومان، يفصح عن أكثر مما ينبغي، حين سمع النبأ عن هيروشيما على متن الطرّاد أوغستا: «هذا شيء عظيم في التاريخ».

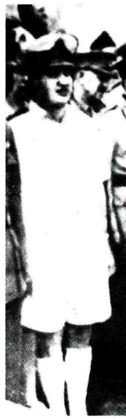
لم يكن لدى الوزراء اليابانيين وسيلة يعرفون عبرها عدد القنابل الإضافية المتوافرة آنذاك، وبقوا برغم هذا مختلفين بشأن ما يجب فعله آتياً. تُرك الأمر إلى هيروهيتو المصدوم ليخرج عن صمته المعتاد ويصدر تعليمات إلى وزرائه بأنه «يجب تحمّل ما لا يُحتمل»، فوافق مجلس الوزراء بتردّد على ذلك. في 14 آب، أعلنوا استسلام اليابانيين إلى الحلفاء، بشرط واحد هو الحفاظ على مكانة الإمبراطور.

سجّل هيروهيتو بياناً إذاعياً للشعب الياباني. اقتحم ضباط شبان متطرّفون القصر تلك الليلة، وقتلوا الجنرال الذي يتولّى القيادة إنما فشلوا في العثور على التسجيل المخبأ في القبو. أُذيع البيان في الصباح الآتي، ولم يكن صوت هيروهيتو قد سُمع علانية أبداً من قبل، وتكلم بلغة البلاط المنمّقة: في البداية لم يكن لدى كثيرين فكرة عما يقوله. لكن جواً من الحزن والاكتئاب العميقين خيّما بسرعة على العاصمة اليابانية.



نقل ياماشيتا لتوقيع الاستسلام في لوزون.





مونتباتن يقبل الاستسلام الياباني في جنوبي شرقي آسيا.

في 28 آب، نزل أعضاء من أركان مكارثر قرب يوكوهاما لبدء الاحتلال الأمريكي. استغرق وصول مكارثر إلى اليابان من مانيلا أسبوعين، وعندما أصبح في خليج طوكيو في 2 أيلول، قَبلَ الاستسلام الرسمي على متن البارجة ميزوري. وقف خلفه الجنرال بيرسيفال؛ أسير منذ سقوط سنغافورة، والجنرال وينرايت؛ أسير حرب منذ سقوط باتان: بدا كلاهما شبيهاً بهيكل عظمي.

في سنغافورة بعد 10 أيام، قبل مونتباتن استسلام القوات اليابانية في جنوبي شرقي آسيا، وانتهت بذلك حرب الهادئ رسمياً. شاهد الجنرال سليم القائد الياباني يوقّع على الورقة، وكتب: «عندما ضغط بقوة على الورقة، جعلت نوبة غضب ويأس وجهه يتلوّى، ثم اختفت وأمسى القناع خالياً من أي تعبير مثل الباقين».

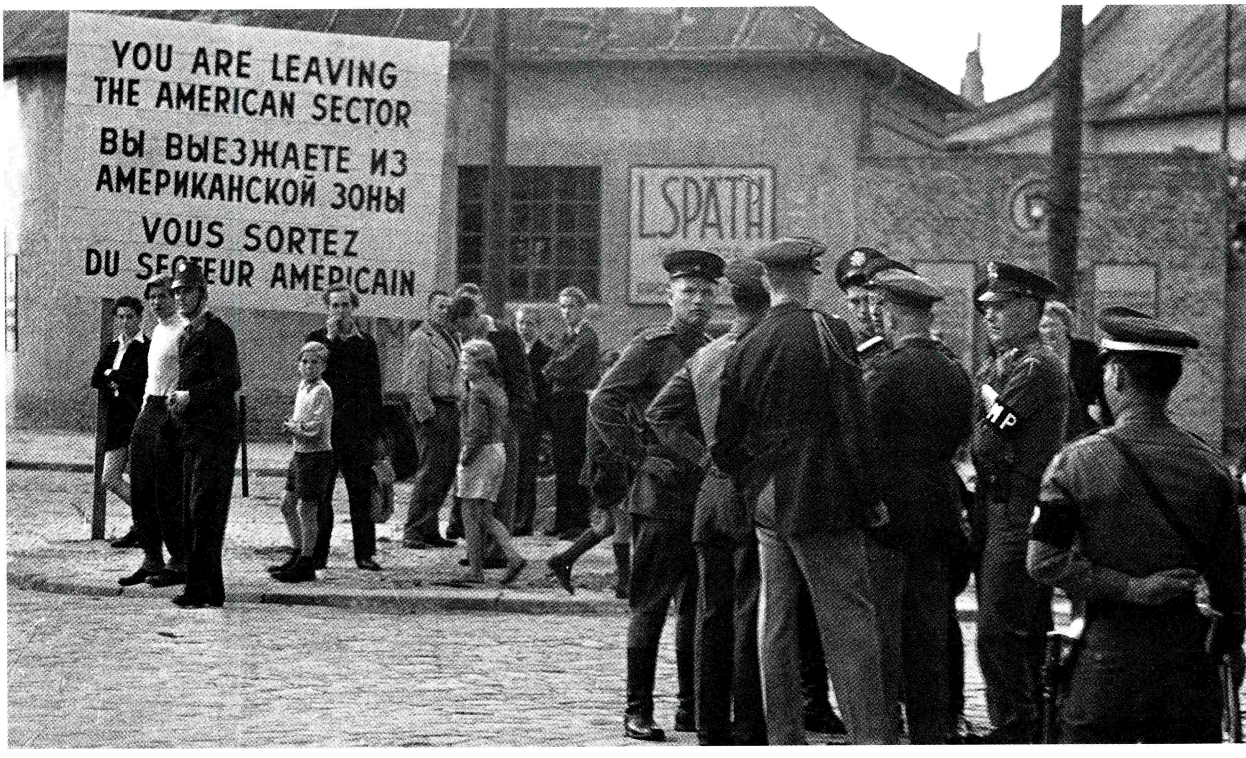
التقى مكارثر هيروهيتو في 18 أيلول، وأول مرة في حياته خاطب الإمبراطور شخصاً آخر بكلمة «سيد». اعتُقل قادة يابانيون آخرون، لكن سُمح لـ هيروهيتو بالبقاء على العرش – لم يعد «إلهاً» قد جاء إلى السلطة في 1926 ووعد اليابان بحقبة «سلام متنوّر».

وقت الحساب

كانت الحرب العالمية الثانية نزاعاً شاملاً حقاً، فقد نشبت معارك على كل قارة باستثناء القطب الجنوبي، واشتركت فيها 61 دولة – سكان ثلاثة أرباع الجنس البشري. لا يمكن معرفة الرقم الحقيقي للإصابات في الحرب أبداً، لكن 55 مليون شخص على الأقل قضوا نحبهم – 30 مليون منهم مدنيون. كان عدّة ملايين آخرين لاجئين ومواطنين مشرّدين يهيمون بين أنقاض أوروبا والشرق الأقصى.

في ستة أعوام، نهضت إمبراطوريتان؛ النازية واليابانية، وسقطتا ليُستعاض عنهما بكتلتين هيمنت عليهما واشنطن وموسكو. بدأت القوى البريطانية، والفرنسية، والهولندية الاستعمارية





نقطة تفتيش أمريكية في برلين.



طعم الهزيمة المر: جندي ألماني في أنقاض برلين.

القديمة، من ناحية أخرى، تأفل. في الشرق الأقصى، حيث صوّر اليابانيون أنفسهم على أنهم محرّرون، كان تأثير هزيمتهم إنهاء قبضة الاستعمار. بعد ثلاثة أعوام من انتهاء الحرب، قُسّمت الهند وحصلت على الاستقلال تحت إشراف مونتباتن. واجهت المالايو وجاوة وسومطرة وبورما والهند الصينية حقباً من الاضطراب السياسي والنزاع المدني قبل أن تنجز الاستقلال.

باستثناء أمريكا - التي أصبحت أثرى من قبل - أفلست معظم الدول بنهاية العمليات القتالية. أُنفق 1 تريليون دولار على الأقل على شن الحرب، ودفعت ألمانيا وحدها 272 مليوناً منها. لم تُفلس ألمانيا فقط، إنما واجهت مهمة رفع نحو خمسة مليارات ياردة مربّعة من الأنقاض - كل ما بقي من مدنها التاريخية. لمعالجة هذه المشكلة الضخمة، قدّم الجنرال جورج مارشال في



أعلى: بدايات إعادة البناء. أسفل: سكان جائعون في برلين يحدّقون إلى متجر جزّار.





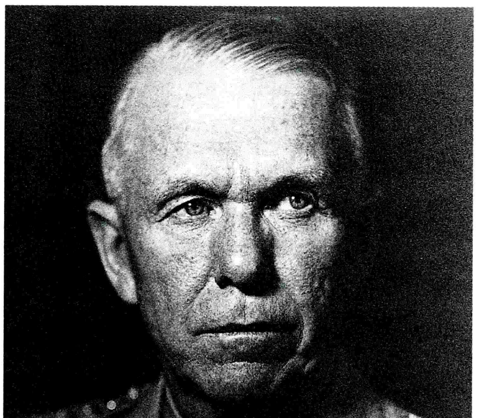
جنود يابانيون في طريقهم إلى الديار.



1948: إمدادات تصل في أثناء الجسر الجوي إلى برلين.

1947 خطة مساعداته لإعادة بناء الاقتصاد المدمّر في أوروبا الغربية واليابان. رفض ستالين خطة مارشال، على كل حال، وتوثّق من عدم قبول أيٍ من قادة الكتلة الشرقية الآخرين لها.

بحلول يوم النصر، اكتمل تقريباً الانتقال من الحرب في أوروبا إلى التوازن المسلح للحرب الباردة. حذّر تشرشل في خطاب في ميزوري: «من شتتين في البلطيق إلى ترييستي في الأدرياتيكي، نزلت ستارة حديدية على القارة»، وكان هذا انقساماً خطراً في العالم الذرّي الجديد. في نصف القرن الآتي، ساد سلام هش في ظل القنبلة الذرّية، ولم تنبثق فرصة سلام من دون خوف في أوروبا حتى تحطيم جدار برلين في 1989. برغم هذا، اشتعلت الكراهية العرقية التي حاول النازيون جاهدين إخمادها في أوروبا الشرقية.



الجنرال جورج مارشال.

لكن نهاية الحرب العالمية الثانية كانت أيضاً وقتاً للثأر والحساب القضائي. عاقبت دول أوروبا المحرّرة حديثاً آنذاك كل أولئك الذين ظنّت أنهم تعاونوا مع العدو. أُعيد مئات



محاكمات نورنبرغ: قادة نازيون يستمعون إلى حجج قانونية.

آلاف القوقازيين والروس والأوكرانيين الذين قاتلوا إلى جانب الألمان إلى بلادهم لمواجهة موت محقق تقريباً في غولاغ ستالين. وُضع أسرى حرب ألمان في معسكرات سيبيرية، ولم يُطلق سراح بضعة آلاف من الناجين حتى 1955.

بدأت سلطات الحلفاء أيضاً جلب خونة ومجرمين إلى المحاكمة. شُنق ويليام جويس، الذي قد بثّ من إذاعة في ألمانيا بصفته «لورد هاو هاو»، لخيانته، في حين حُكم على «وردة طوكيو» بالسجن عشرة أعوام. الأهم هو إخضاع أولئك المسؤولين عن المحرقة إلى عملية قضائية شرعية. في 20 تشرين الأول 1945، حُكم على 22 نازي بارتكاب جرائم حرب في نورنبرغ، وتضمنّت الأدلّة 100,000 وثيقة عثر عليها آنذاك. تفادى غورينغ الإعدام بإقدامه على الانتحار، وتضمّنت قائمة المشنوقين ريبنتروب وكايتل، اللذين حُرقت جثتيهما في موقع معسكر اعتقال داخاو. وافقت حكومة ألمانيا الغربية على دفع 3000 مليون مارك ألماني تعويضاً لدولة «إسرائيل» الجديدة و450 مليوناً أخرى لمنظمات يهودية.



امرأة يابانية تجمع حطباً من أنقاض مدينتها.



امرأة عجوز يجري تلقيحها في معسكر مشرّدين، النمسا.





الجنرال توجو يصغي إلى حكم إعدامه في محكمة جرائم الحرب في طوكيو.

في اليابان، اعتُقل وزير الخارجية توجو لدوره في المفاوضات قبل الحرب (انتحر فوميمارو، الذي كافح لتفادي الحرب، في كانون الأول 1945). أُعدم الجنرالان هوما وياماشيتا، المسوؤلان عن مسيرة موت باتان وتدمير مانيلا، رمياً بالرصاص في 1946. خضع جنود مسؤولون عن قتل أو تعذيب سجناء إلى محاكمة وسُجنوا في طوكيو. لدوره في التحريض على الحرب، أُعدم توجو في 1948 – رأس الدولة الوحيد من المحور الذي يحكم الحلفاء عليه بالموت.

لم يعتمد المدّعون في محاكمات نورنبرغ وطوكيو على المبادئ القانونية الجديدة فقط مثل «جرائم ضد الإنسانية»، إنما استخدموا أيضاً صوراً وأفلاماً إخبارية قصيرة على أنها أدلّة لا يمكن دحضها عن الإبادة الجماعية. عند مواجهتهم بتلك الصور الفظيعة غالباً، أغلق بعض المتهمين عيونهم أو أشاحوا وجوههم بعيداً. قد تبقى الحرب وجرائم الحرب معنا دائماً، وكذلك الوسائل لتوثيق وحشيتها، لإلحاق العار بالجناة وإدانتهم، وتوفير سجل عقوبات للمستقبل.